

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية



مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية

مجلة دورية دولية محكمة

رئيس التحرير: أ.عمار غرايسة



العدد
09

رقم الإيداع القانوني 146-5102-2015

ISSN 2437-0584

الرئيس الشرفي : عمر فرحاني - مدير الجامعة
المدير الشرفي للمجلة : عبد الرحمن توكي - عميد الكلية



مجلة المعارف

للبحوث والدراسات التاريخية

مجلة دورية دولية محكمة تعنى بالدراسات التاريخية

العدد التاسع - جانفي 2017

ترسل جميع المراسلات إلى رئيس هيئة تحرير مجلة المعارف
للبحوث و الدراسات التاريخية
ص - ب رقم : 789 . ولاية الوادي 39000 . الجزائر -
الهاتف / الفاكس 032223005
العنوان الإلكتروني:
el-maaref@univ-eloued.dz

إدارة المجلة

الرئيس الشرفي:

الأستاذ الدكتور عمر شرحاتي

مدير جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادى. الجزائر.

recteur@univ-eloued

المدير الشرفي :

الأستاذ الدكتور محمد الرحمان تركي ، عميد كلية العلوم

الاجتماعية و الإنسانية.

adab -- 39@hotmai.com

مدير المجلة :

الدكتور محمد السعيد محجوب ، نائب عميد الكلية المكلف

بالعلاقات الخارجية و التعاون والتنشيط و الأتصال و التظاهرات

العلمية.

maguieb@yahoo.fr

رئيس هيئة التحرير :

الأستاذ عمار غرايسه ، عضو هيئة التدريس بالكلية ،

gheraissa-ammara@univ-eloued

هيئة تحرير المجلة

أ. رابع رمضان. جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ. الطاهر سبوق. جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

د. خنائية البشير . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ. محلال بن عمر . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

د. رشيد قسيه . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ. الجباري عثمانبي . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ. محمد الحميد العابد. جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ. محمد القادر عزام عوادي. جامعة الشهيد حمه لخضر. الوادي

التعريف بالمجلة

من وحي الثورة الجزائرية المجيدة
و في إطار الاحتفالات بالذكرى

الستون المخدلة لها ، جاءت

فكرة إنشاء هاته المجلة الموسومة

بمجلة المعارف للبحوث و

الدراسات التاريخية التي حازت

على موافقة المجلس العلمي

لكلية العلوم الاجتماعية و

الإنسانية لتكون فضاء متميزا

للمعرفة . إذ المعرفة هي بلا

شك الطريق الأنسب لمحاولة

الاقتراب أكثر من الحقيقة التي

هي أمل السالكين دروب العلم

على أمل ملامستها في ظل

أجواء الفكر الإنساني الحر و

الذي لا يلتزم بغير ضوابط

الموضوعية و الحقيقة المستندة

للوفاة و الحقائق الثابتة.

إن مجلة المعارف تسعى لأن

توجد لنفسها مكانا بين

الدوريات التاريخية المتخصصة

لتسهم بفضل جهود الأعلام

للتألق في فضاءها في الغوص

في مجال البحوث و الدراسات

التاريخية لتخرج بها نحو أرحب

الآفاق الدالة على مدى قدرة

التاريخ في الإسهام إلى جانب

العلوم و المعار الأخرى في

صناعة واقع الأمة انطلاقا من

فهم واقعها و محاولة لرسم

مستقبلها. و تبقى المعرفة التي

جاء بها أول غيث الوحي

السماوي خير ما تستهدي به

البشرية في دروب الحياة .

المهبة العلمية الاستشارية

أ. د. إبراهيم بحاز . جامعة غرداية . غرداية.	أ. د. إبراهيم بن محمد بن حمد المزيبي . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية.
أ. د. أحمد شريقي . جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله . الجزائر.	أ. د. أحمد صاري . جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة
أ. د. بن يوسف تلمساني . المركز الجامعي خميس مليانة .	أ. د. جمال حجر . جامعة قطر. قطر
أ. د. صالح بوسليم . جامعة غرداية . غرداية.	أ. د. عبد الوهاب شلالي . جامعة العربي التبسي . تبسة.
أ. د. علي آجقو . جامعة محمد خيضر . بسكرة.	أ. د. محمد حسن . جامعة تونس الأولى . تونس.
أ. د. علاوة عمارة . جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة.	أ. د. عمر حاج الزاكي . جامعة أم درمان السودان.
	أ. د. وجدان فريق عناد . جامعة بغداد العراق.
أ. د. بوبه مجاني . جامعة قسنطينة2 . قسنطينة.	أ. د. جمال يحيوي . جامعة أبو القاسم سعد الله . الجزائر.
د. أحمد الباهي . جامعة القيروان . تونس.	د. العمري مومن . جامعة قسنطينة2 . قسنطينة.
د. الوفي نوحى . جامعة محمد الخامس . المغرب.	د. أنور عوده عواد الخالدي . جامعة آل البيت . الأردن.
د. بشير فايد . جامعة الدكتور محمد الأمين دباغين . سطيف.	د. بلقاسم ميسوم . جامعة محمد خيضر . بسكرة.
د. جمال بلفردى . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.	د. خير الدين شثرة . جامعة محمد بوضياف . المسيلة.
د. دلال لواتي . جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله . الجزائر.	د. رضوان شافو . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.
د. طارق لعجال جامعة ملايا . ماليزيا.	أ. د. عاشوري قمعون . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.
د. عبد الحكيم أروغي . جامعة فريبورغ . ألمانيا.	د. عبد الكريم الماجري . جامعة منوبة تونس.
د. علي بن سعد آل زحيفه الشهراني . جامعة ملايا . ماليزيا.	د. علي غنابزية . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.
د. عليان عبد الفتاح الجالودي . جامعة آل البيت .	د. لزهر بديدة . جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد

الأردن.	الله . الجزائر .
د . لمياء بوقريوة . جامعة الحاج لخضر . باتنه .	د . محمد الأمين ولد آن جامعة نواقشط . موريتانيا .
د . محمد السعيد عقيب . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي .	د . محمد السعيد قاصري . جامعة محمد بوضياف . المسيلة .
د . محمد رشدي جراية . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي .	د . محمد عبد الرؤوف ثامر . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي .
د . محمد فرقاني . جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية . قسنطينة .	د . محمد وادفل . جامعة قسنطينة 2 قسنطينة .
د . نواف عبد العزيز الجحمة . الهيئة العامة للتعليم التطبيقي و التدريب . الكويت .	د . هيووا عزيز سعيد . جامعة السليمانية . العراق .
د . ودان بوغفالة . جامعة معسكر . معسكر .	د . يوسف نبي ياسين . جامعة قطر . قطر .
د أحمد عبد الدايم محمد حسين . جامعة القاهرة . مصر .	د علي الريامي . جامعة السلطان قابوس . سلطنة عمان .
د مبارك جعفري جامعة أحمد دراية . أدرار .	د نجيب بن خيرة . جامعة الشارقة . الإمارات العربية المتحدة .
د . ناصر بالحاج . جامعة الحاج لخضر . باتنة د . اسماعيل وارشيد EH SS ismail warscheid فرنسا . أ . Juan Castilla Brazales خوان كاستيه برائالس . المدرسة للدراسات العربية . اسبانيا .	أ . Juan Castilla Brazales خوان كاستيه برائالس . المدرسة للدراسات العربية . اسبانيا .
د . Augustin Jomier أوغسطين جوميهه (ce / cnrs - fondation thiers rhio) جامعة لومان . فرنسا .	د . البشير غانية . قسم العلوم الانسانية . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

قواعد النشر بالمجلة

مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية هي مجلة علمية أكاديمية محكمة تعنى بنشر الدراسات والبحوث التاريخية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية على أن يلتزم أصحابها بالقواعد التالية:

- 1- أن تكون المادة المرسله للنشر أصيلة ولم ترسل للنشر في أي جهة أخرى.
- 2- أن لا يتجاوز حجم البحث 20 صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والأشكال والصور وأن لا تقل عن 10 صفحات.
- 3- أن يتبع كاتب المقال الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس.
- 4- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال واسم الباحث ورتبته العلمية، والمؤسسة التابع لها، الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني وملخصين، في حدود مائتي كلمة أحدهما بلغة المقال والثاني باللغة الإنجليزية على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية.
- 5- تكتب المادة العلمية العربية بخط نوع **simplified Arabic** مقاسه 14 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر، العنوان الرئيسي **simplified 16 Gras** العناوين الفرعية **simplified Arabic** مقاسه 14.
- 6- هوامش الصفحة أعلى 02 وأسفل 02 وأيمن 02 وأيسر 02 ، رأس الورقة 01، أسفل الورقة 1.25 حجم الورقة عادي (A4).
- 7- يرقم التهميش والإحالات بطريقة آلية **Not de fin** على أن تعرض في نهاية المقال.
- 8- المقالات المرسله لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
- 9- المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا على رأي أصحابها.
- 10- كل مقال لا تتوفر فيه الشروط لا ينشر مهما كانت قيمته العلمية.
- 11- يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.

ملاحظة: ترسل المقالات على العنوان البريدي التالي : el-maaref@univ-eloued.dz

مجلة المعارف

مع اشراقه كل يوم جديد يبرز فجر الأمل ملوحاً بغد أفضل تحياه الأمة في ظل استفاقتها من غفلة أمت بها وعطلت مسارها الحضاري وحال دون قدرتها على الأخذ بأسباب التفوق العلمي الذي بسببه تبوءت القوى العالمية الكبرى مكانتها التي استطاعت من خلالها تحقيق المصالح العليا لشعبها وضمنت لهم افضل الفرص ليعبروا عن طموحاتهم ويحققوا أحلامهم واقعا ملموسا في ظل ما استطاعوا أن يجسدوه بينهم من قيم العدالة الاجتماعية.

يعيش عالم يومنا حالة من فقدان التوازن بين مكوناته في ظل ما هو قائم من تباين في المستويات الحضارية. وهو ما كان وراء حدوث حالة من الترهل في التعاطي مع القضايا الانسانية العادلة لأمتنا التي وجدت نفسها انطلاقا من واقعها المخزي غير قادرة على احداث حالة الفعل الذي كان يفترض فيه ان يعفيها من حالة الجر والمفعول به. الا أنها كانت أمام كل ذلك ضحية واقع اشتركت في صياغته عوامل عدة كان الذاتي فيها مقدا على غيرها من العوامل الأخرى التي كان بالإمكان تلافي تأثيراتها السلبية أو على الأقل التقليل منها مع المحافظة على الخصوصية التي من شأنها أن تحقق لها القدرة على تلمس معالم الطريق المفضية الى العوالم الحضارية الرائدة.

وأمام هذا وفي ظل استفاقة عابرة تجرد الأمة نفسها أمام موروث كمي هائل من القوى البشرية التي تحمل في جوارحها ارادة التغيير و تسعى بكل جد وأمل أن تبلغ غدها المنشود في ظل ما تسلحت به من مقومات الفاعلية الدافعة بها نحو تحقيق مسعاها في التغيير الهادئ والثقة في امكاناتها وأن الغد القريب سيكون لها ان لم تتخل عن الأدوار المنوطة بها أو أن تنخذل أمام الآمال المعقودة عليها باعتبارها الرهان المستقبلي الذي يمثل الغد المنشود لشعوب ملت من الفعل غير المتوافق وطموحاتها وغير القادر على الاستجابة لتطلعاتها التي لا يمكن ان تتحقق الا على أيدي أمينة ليس لها من هم سوى أن تكون قادرة على تجسيد ما تلقته من معارف وما تحقق لها من كفاءات لترجمه واقعا ملموسا يعانق طموح الأمة و يلامس شغاف أحلامها التي أعيها الزمن و طال معها حال الاغتراب.

مع اشراقه العام الميلادي الجديد تقف الأمة على عتبات التاريخ ترسم

ملامح صورة عنوانها : نحو غد أفضل

المفهرس

الصفحة	الموضوع
06	كلمة العدد
12	عائلة ابن حمزة/الحمزاوي الدمشقية ودورها العلمي والاقتصادي من منتصف ق10هـ/ 16م إلى منتصف ق12هـ/ 18م. ✻ د/ إسحق أحمد سالم / لواء البصيرة/ الطفيلة/ الاردن
70	إضراب الثمانية أيام يرفع صوت الجزائر إلى مبنى نيويورك. ✻ د/ لوافي سومية / كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية / جامعة الجيلالي ليايس/ سيدي بلعباس
94	حكومة الرئيس بن بلة الأولى والخيار الاشتراكي لتسيير الدولة الجزائرية سبتمبر 1962 - سبتمبر 1963 ✻ د/ جمال بلفردى/ قسم العلوم الانسانية / جامعة الشهيد حمه لخضر/ الوادي
127	دور الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ الجزائر العثمانية من خلال كتابات الدكتور عبد الجليل التميمي ✻ أ/ مسعودي بقادي / جامعة عمار ثليجي الاغواط/ ملحقة آفلو
160	مساهمة أعلام وادي سوف في تأسيس الصحافة الإصلاحية في الجزائر (1925 . 1940) ✻ أ/ جمال زواري أحمد/ قسم العلوم الانسانية جامعة الشهيد حمة لخضر/ الوادي
196	محطات في معركة التسليح في الثورة التحريرية الجزائرية 1954 - 1958 ✻ د/ عبدالملك بوعريوة /رئيس قسم العلوم الإنسانية/ جامعة أحمد دراية / أدرار
244	"بين جبل الأوراس والواحات: ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الاباضية بالزاب (ق 8- 9م/ ق 2-3هـ) - علاوة عمارة ✻ أ/ عبد القادر مباركية/ جامعة 8ماي 1945 / قالمة
282	معتقل تفلحال النسوي بالاوراس أثناء الثورة الجزائرية 1955 / 1962 من خلال الرواية الشفوية وشهادات المعتقلات ✻ د/جمعة بن زروال / جامعة باتنة -1- / الجزائر
313	الحياة اليومية داخل المعتقلات الفرنسية بالولاية الخامسة أثناء الثورة التحريرية 1954-1962 ✻ أ/ جلامة عبد الوحيد/ قسم التاريخ/ تلمسان./ جامعة أبي بكر بلقايد.
345	حماية الممتلكات الثقافية من الإتجار ونقل ملكيتها بطرق غير مشروعة في ظل إتفاقيات اليونسكو الدولية (1954-2001) ✻ د/ هدوش صلاح الدين - جامعة باتنة -1- / الجزائر

372	المسكن الروماني بالمدن التحصينية (مسكن الفسيفساء بتيديس نموذجاً) ✻ أ/ بوعويوة نبيل / جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2/ الجزائر
402	نحو سوسيو أنثروبولوجية لصراع الهويات في سوسولوجية المثقف الجزائري: تمثلات، استراتيجيات و ممارسات ✻ د/ زين الدين زمور / جامعة وهران 2 محمد بن أحمد / الجزائر ✻ أ/ حسين بن شارف / جامعة وهران 2 محمد بن أحمد / الجزائر
458	آليات مقترحة لحفظ وتسيير التراث الأثري المبني بالجزائر ✻ أ/ عبد الكريم خيزاوي / جامعة أبي بكر بلقايد / تلمسان-
492	التأصيل التاريخي للإذاعة الجزائرية- مرحلة الدولة الجزائرية المعاصرة- ✻ الباحث. نبيل ربيع- مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر: تاريخها، مصادرها، أعلامها. جامعة باتنة- -1

تظلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتما عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية
لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي المجلة
يخضع ترتيب الموضوعات بالمجلة لاعتبارات فنية لا ترتبط بمرتبة الباحث ولا
مكانته العلمية

عائلة ابن حمزة/الحمزاوي الدمشقية ودورها العلمي والاقتصادي
من منتصف ق10هـ/ 16م إلى منتصف ق12هـ/ 18م.

د. إسحق أحمد سالم "عيال سلمان" -الأردن - الطفيلة - لواء بصيرا

الملخص

تسلط هذه الدراسة الضوء على عائلة دمشقية قطنت الشام قديماً وما زالت، تُعرف بابن حمزة الحسيني، ثم أصبحت تتسمى الحمزاوي، وقد جرى التعريف بآل حمزة، ثم ارتباطهم بنقابة أشرف دمشق، ومعرفة مدى التأثير العلمي والثقافي الذي أحدثته تلك العائلة في المجتمع الدمشقي، ثم معرفة الدور الاقتصادي الذي مارسه أفراد هذه العائلة عبر قرنين من الزمان منذ منتصف القرن العاشر حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري.

وقد شكّلت سجلات محاكم مدينة دمشق الشرعية المصدر الأوفر للمعلومات عن آل حمزة، إضافة لمصادر دمشقية مخطوطة ومطبوعة أخرى، لترسم لنا صورة واضحة لحالة المجتمع الدمشقي آنذاك.

Abstract

The aim of this study is to shed light on Damascene family that inhabited in Sham (Levant) in ancient times and still, it is Ibn Hamza al-Husseini, then it was named as al-Hamzaoui

and related to Damascus Nobles Association. Also, the study focuses on the scientific and cultural effect that this family implanted in the damascene society. Additionally, it explains the economic role through two centuries, from the middle of Hijri 10th century to the middle of Hijri 12th century.

The most abundant source about this family is the records of legislative court in Damascus city. In addition to this, there are damascene manuscripts and printed sources to draw clear picture for damascene society in that time.

Ibn Hamza family is constant decency damascene family. They came from Hijaz to Bagdad then Haran to settle down in Damascus. Some people who seek for in descendant say that they are al-Husseini al-Mantoof sons that his descendants spread in several areas.

Ibn Hamza family represents a sample of damascene popular community. Its impact portrays in the social existence. Furthermore, the scientific, literary and cultural effect. Conversely, the mystic impact didn't be available as other damascene families.

– مقدمة:

ابن حمزة هم من العائلات الدمشقية ثابتة النسب؛ أي أنّ شرافتها من الأصلاب أو ما يسمّى الظهور، قدموا من الحجاز إلى بغداد ثم حرّان واستقروا بدمشق، ويذكر النسابون أنهم أبناء للحسين المنتوف الذي تفرقت ذريته في مناطق عدة كالحلة في العراق وكثير منهم في مصر، فهم أبناء عزالدين حمزة بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين بن حمزة الحراني بن محمد بن علي الشجاع بن الحسين المحترق بن إسماعيل المعتوق بن الحسين المنتوف بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق⁽¹⁾.

وسبب تسمية هذه الأسرة بآل حمزة ليس نسبة لجدهم حمزة الحرّاني، بل تعود لحمزة بن أحمد المكنى عز الدين ت874هـ/1470م، ودليل ذلك أنّ آل حمزة ترد تسميتهم في المصادر بالحسيني حتى القرن العاشر الهجري⁽²⁾، ثم تبدأ المصادر تطلق عليهم تسمية (ابن حمزة) بعد ذلك، وأما تسميتهم بالحمزاوي فهي ليست حديثة، بل قديمة، حيث أُطلقت تلك التسمية لأول مرة سنة

993هـ/1585م، وذلك حين ذكر زقاق كمال الدين الحمزاوي في السجلات الشرعية⁽³⁾.

سكن آل حمزة في مناطق عديدة من دمشق، فقد سكنوا باطن دمشق بالقرب من المدرسة البادرانية في القرن 10هـ/16م، وفي القرن 11هـ/17م سكنوا في زقاق النحاسين على نهر بردى في العمارة⁽⁴⁾، وسكنوا في سوق المناخلية⁽⁵⁾، وسكن السيد كمال الدين ابن محمد داخل باب الفراديس في باطن دمشق⁽⁶⁾، وهو مكان سكن السيد عبد الكريم ابن محمد الذي كان له بيت هناك، ومثله أخوه السيد إبراهيم بن محمد الحمزاوي⁽⁷⁾، أما السيد حسن بن إبراهيم فقد سكن في غربي باب السلام⁽⁸⁾، وبقيت حارة باب السلام موطن غالبية آل حمزة في القرن 12هـ/18م⁽⁹⁾.

كما سكن آل حمزة في زقاق النقيب الذي يقع في محلة العمارة حيث كانت بيوت بعضهم، فيقال: إنّه نسبة للسيد حمزة بن يحيى الحمزاوي النقيب ابن النقيب ت 1217هـ/1802م⁽¹⁰⁾، وقد ورد في السجلات الشرعية وجود هذا الزقاق منذ نهاية القرن 10هـ/16م، ولكن تحت اسم زقاق القاضي كمال الدين الحمزاوي ت 933هـ/1527م، وحدد موقعه بأنه باطن دمشق حيث سوق الذراع والجامع الأموي في شماله⁽¹¹⁾، وفي هذا الزقاق مسجد السيد كمال الدين محمد بن حمزة⁽¹²⁾.

تعد عائلة الحمزاوي من العائلات الدمشقية التي لم تلتزم مكاناً واحداً لدفن موتاهم، فكان غالب مدافنهم في القرن العاشر والحادي عشر الهجري في مقبرة

باب الصغير في المنطقة القريبة لضريح الصحابي بلال الحبشي، وكذلك في مقبرة باب الفراديس، كما كانت لهم تربة تحتضن بعض موتاهم تعرف بتربة كمال الدين محمد بن حمزة المتوفى سنة 933هـ/1527م⁽¹³⁾.

- مكانة عائلة حمزة/الحمزاوي في دمشق: لقد كثر الثناء على هذه الأسرة، فقد قال فيهم علاء الدين بن صدقة في قصيدة يمدح فيها كمال الدين بن حمزة بن أحمد الحمزاوي⁽¹⁴⁾:

لا ابتغي إلا كمال الدين ذا الـ حسب الشريف خلاصة الشرفاء
المرتقي لذرى المكارم والتقى نسل السراة السادة الكرماء
فهو الرئيس ابن الرئيس ابن الرؤـ يس ابن الرئيس وأرأس الرؤساء
وقال فضل الله المحبي عن السيد كمال الدين بن محمد بن حسين: "ذو نسب علا عنصره، وحسب غلا جوهره، وسيادة ضرب بالجد رواقها، وهو من بيت علم وشرف كبير قديم، مشهور بهذه الديار في الحديث والقديم، حازوا المجد والشرف خلفاً عن سلف"⁽¹⁵⁾، ووصفهم المحبي بقوله: "بنو حمزة نقباء الشام وكبرائها أباً عن جد"⁽¹⁶⁾، وقال: "هم زبدة آل البيت ... بيتهم شيدت دعائمه ولهم المجد السابق"⁽¹⁷⁾، وقال ابن شاشو: "بيت حمزة بيت نجدة وعزة، قدمت أوائلم دمشق فحازوا قصب السبق"⁽¹⁸⁾، وقال أيضاً يمدح السيد عبد الكريم بن محمد: "غصن دوحة النسب وفرع شجرة الحسب"، "نسب كضوء الصباح"⁽¹⁹⁾، وقال المرادي: "وبنو حمزة رؤساء سادات تقلدوا من المعالي عُراً

ومن الآداب دُرراً⁽²⁰⁾، وقال الصيادي: "وهم من أشهر بيوت الشرف بالديار الشامية"⁽²¹⁾، وقال الشطي: "وبنو حمزة من أكابر وجهائها وأفاضل علمائها"⁽²²⁾.

من خلال الاطلاع على عشرات السجلات التي ترجع إلى الفترة ما بين نهاية القرن 10هـ/16م وبداية القرن 12هـ/18م فإنه يلاحظ أنّ تلك السجلات قسّمت الأشراف في دمشق إلى طبقات ودرجات دون أن تصرّح بذلك، فالدرجة المميزة الأولى أعطيت لعائلات شريفة دمشقية لديها قوة في نسبها - قطعية ثبوت النسب - إضافة لوجود نقابة الأشراف فيها، وهؤلاء الأشراف ميزتهم السجلات بعبارات التبجيل والثناء، إضافة لعبارة (السيد الشريف) لإظهار ثبوت نسبهم، ووضع كلمة (الحسيني أو الحسيني) لبيان أنه سيد شريف علوي فاطمي، ومن هذا المنطلق كان تعامل كتبة سجلات محاكم دمشق الشرعية مع أعيان عائلة حمزة، فقد جاء وصف السيد عبد الكريم بما يلي: "أعلم العلماء المتبحرين أفضل الفضلاء المدققين قدوة السادة الأشراف زبدة آل عبد مناف واسطة عقد العصابة الهاشمية سلالة السلسلة الفاطمية والنسب الطاهر والحسب الفاخر والثابت بطيبة المجد السيد الشريف الحسيب النسيب السيد عبد الكريم أفندي نقيب السادة الأشراف بدمشق الشام دامت فضائله كما طابت شمائله"⁽²³⁾.

كما يوجد في سجلات المحاكم الشرعية الدمشقية عبارات تؤكد مكانة آل حمزة لدى المجتمع الدمشقي، ومن تلك العبارات: "فخر السادة الأشراف سليل

السلالة الطاهرة من آل بني عبد مناف الفخام فرع الشجرة الزكية وطراز العصابة الهاشمية السيد الشريف الحسيب النسيب الكمالي كمال الدين محمد ...⁽²⁴⁾، وترد أيضاً صيغة بعبارات مشابهة "فخر السادة الأشراف صفوة آل عبد مناف فرع الشجرة الزكية السيد الشريف الحسيب النسيب إبراهيم بن مفخر السادات وخلاصة الخلاصات ومنبع الجود والسعادات السيد الشريف الحسيب النسيب"⁽²⁵⁾، وفي صيغة أخرى: "فخر السادة الأشراف المعترين عين الأصايل المنتخبين بقية السلف الكرام الصالحين"⁽²⁶⁾، وخاطبت السجلات الشرعية المرأة الحمزاوية بنوع من الاحترام والاجلال، ومن ذلك: "السيدة الشريفة نجبية خاتون"⁽²⁷⁾، ووضع عبارة (الست الشريفة): "بالوكالة عن الست الشريفة عايشة ابنة العلامة السيد عبد الرحمن _ الحمزاوي _"⁽²⁸⁾.

ويلاحظ وجود مكانة لآل حمزة الأشراف من خلال ما يرد في السجلات الشرعية من أسماء الحضور أثناء إجراء عقد زواج لأحد بني حمزة، فإنّ زواج السيد حسين بن كمال الدين الحمزاوي من الشريفة صادقة ابنة عمه حمزة قد حضره ما يزيد على ثلاثة عشر عيناً من أعيان دمشق الكبار مثل مفتي دمشق ومفتي الشافعية والقضاة والعلماء والمدرسين وذوي الفضل⁽²⁹⁾.

كان لآل حمزة بعض المشاركات السياسية، فقد شاركوا في تأكيد الولاء للعثمانيين منذ معركة مرج دابق عام 922هـ/1516م، حين قدم السيد كمال الدين بن حمزة على السلطان سليم الأول ومعه عدد من أشراف دمشق، وقبّلوا يد السلطان وأثنوا عليه⁽³⁰⁾، وإنّ ما ورد من أحداث عام 1107هـ/1696م

فيما سُمِّي قصة محنة النقيب، دلالة على دخول آل حمزة في بؤرة الأحداث، حتى أنّ ما قام به الأشراف في منتصف القرن 12هـ/18م من أحداث وصراع ضد طائفة القباي قول وغيرهم كانت بواده عام 1107هـ/1696م، حين قام والي دمشق بنفي نقيب أشراف دمشق السيد عبد الكريم الحمزاوي، ومعه عالمين آخرين إلى مدينة طرابلس الشام، وذلك لأنهم وقفوا في وجه ظلم الوالي عثمان سلحدار باشا⁽³¹⁾.

ومن آل حمزة من أكثر السفر إلى العاصمة وأصبحت له علاقات مميزة مع كبار الدولة كالسيد كمال الدين بن محمد الحمزاوي (ت 1071هـ/1661م)، ففي إحدى رحلاته قيل فيها: إنّه اجتمع بصدورها الكرام لاسيما نقيب السادة الأشراف بالممالك العثمانية الذي استقبله في غاية الإكرام وحسن الاستقبال⁽³²⁾، كذلك ورد عن السيد محمد بن كمال الدين الحمزاوي أنّه أكثر من السفر إلى دار السلطنة، وجالس مشايخ الإسلام وصدور الدولة، ومدحهم بقصائد منها قصيدة ذكرها المحبي في مدح قاضي عسكر الروملي أحمد المعيد⁽³³⁾، ومن الذين كثر سفرهم إلى العاصمة السيد إبراهيم بن محمد الحمزاوي⁽³⁴⁾

وورد عن بعض آل حمزة ترددهم إلى الحكام وذوي المناصب، وذلك لقضاء حوائج الناس والشفاعة لبعضهم عند هؤلاء الحكام، فقد كان عدد من كبار أعيان دمشق منهم محمد بن حمزة نقيب الأشراف، ذهبوا إلى مدينة حلب للاجتماع بالصدر الأعظم مراد باشا، وذلك للطلب منه التخفيف من النزول

على أهالي دمشق⁽³⁵⁾، ووصف السيد عبد الكريم بن محمد الحمزاوي بأنّ الناس ترددت إليه لقضاء حوائجها⁽³⁶⁾، ولأنّ السيد عبد الكريم كان نقيباً للأشراف فإنّ ذلك يبين أنّ له نشاطاً واسعاً في حل قضايا الناس عامة، والسعي في حل الخصومات بينهم، ووصف جده السيد كمال الدين بن محمد من قبله بأنه مرجع أهل دمشق في كل قضية، وأنّ له مهابة تامة عند الخاصة والعامة⁽³⁷⁾.

- دور أسرة آل حمزة في نقابة الأشراف بدمشق: تعرّف نقابة الأشراف⁽³⁸⁾ بأنها هيئة إدارية تتولى شؤون الأشراف من آل البيت في مدن الدولة، ويرأس هذه الهيئة شريف يطلق عليه لقب (النقيب)⁽³⁹⁾، وقد وضعت أسس منصب نقابة الأشراف في منتصف العصر العباسي، حيث أصبح السيد الحسين بن أحمد نقيباً في خلافة المستعين بالله العباسي، ثم تولاهما ابنه السيد يحيى⁽⁴⁰⁾، وفي الدولة الفاطمية ظلت وظيفة النقابة قائمة، لكنها انحصرت في الحسينيين والحسينيين، وذلك لإدعاء الخلفاء الفاطميين الشرافة من الحسين بن علي، وكانت لدى إمارة الزنكيين نقابة أشراف لآل العباس ونقابة أخرى للعلويين، وظل منصب النقيب قائماً زمن الأيوبيين، وكذلك زمن الدولة الأيلخانية⁽⁴¹⁾، أما في زمن المماليك فيتم تعيين النقيب من القاهرة بعد أن يسافر إليها، فيصدر مرسوم بذلك وينال خلعة، أي طرحة خضراء⁽⁴²⁾.

كان نقيب أشراف اسطنبول يتولى الإشراف على الأشراف في الدولة العثمانية، وهو يُعيّن من السلطان العثماني مباشرة، ومرتبته تأتي بعد شيخ

الإسلام⁽⁴³⁾، ويكون من العلماء أو القضاة أو المفتين المبرزين في الدولة، إضافة لسمو نسبه الشريف، ويتبوأ النقيب الصف الأول بين رجالات الدولة، وهو أول من يبايع السلطان ويقلده السيف⁽⁴⁴⁾، كما أنه يشارك في الاستقبالات الرسمية، ويُنْتدب أحياناً في السفارات المبعوثة⁽⁴⁵⁾.

وفيما يخص مدينة دمشق فيُعد السيد إسماعيل بن حسين المتوف المتوفى سنة 347هـ/958م أول نقيب لأشراف مدينة دمشق، الذي منه تناسلت عائلة الحمزاوي، ويرجع نسبه إلى إسماعيل بن جعفر الصادق⁽⁴⁶⁾، وبقي هذا المنصب قائماً في دمشق حتى عام 1369هـ/1949م حين صدر قرار بإلغائها كوظيفة، ثم استمر وجودها ولكن ليس كوظيفة رسمية بل إجازة، وهي بيد السيد عبد الكريم الحمزاوي⁽⁴⁷⁾.

وتحدد الأهمية الوظيفية لنقيب الأشراف من خلال موقعه، فهو يأتي بعد والي دمشق وبعد قاضي القضاة (القاضي الحنفي) في دمشق، وتظهر أهمية منصب النقيب من خلال حضوره جلسات الديوان في ولاية دمشق، الذي يرأسه الوالي ويحضره إضافة لنقيب الأشراف آغات العسكر والدفتردار والقاضي والمفتي⁽⁴⁸⁾.

يتم تعيين نقيب أشراف دمشق من قبل نقيب نقباء الدولة العثمانية أي نقيب اسطنبول، ويكون تعيينه مدة عام⁽⁴⁹⁾، فالحجي يذكر كيفية تولي السيد حمزة بن محمد الحمزاوي لنقابة دمشق سنة 1047هـ/1637م وذلك أنه سافر

إلى الروم ولازم نقيب الدولة السيد محمد بن برهان الدين وولاه نقابة الشام عن أخيه⁽⁵⁰⁾.

وغالباً ما كانت النقابة تعطى بالوراثة فالسيد كمال الدين بن محمد بن حسين الحمزاوي ولي النقابة بعد وفاة أبيه وعمره لم يصل 18 سنة⁽⁵¹⁾، وعند النظر في تراجم نقباء أشرف دمشق ومنهم نقباء آل حمزة يلاحظ أنّ غالبيتهم من العلماء والفقهاء والمحدثين والمدرسين والقضاة، فقد كان السيد محمد بن كمال الدين الحمزاوي متولياً للتدريس في المدرسة التقوية حتى وفاته سنة 1085هـ/1674م⁽⁵²⁾، وكذلك كان إبراهيم الحمزاوي النقيب أحد الأعلام المحدثين والعلماء الجهابذة⁽⁵³⁾، وكذلك يوصف أخوه السيد عبد الكريم النقيب⁽⁵⁴⁾.

كما يلاحظ أنّ من نقباء دمشق من ولي القضاء قبل توليته نقابة الأشرف وخاصة من آل حمزة كالسيد محمد بن كمال الدين الحمزاوي⁽⁵⁵⁾، والسيد إبراهيم بن محمد الحمزاوي الذي كان نقيباً في دمشق إضافة لتسلمه وظيفة القضاء في محكمة القسمة العسكرية في دمشق⁽⁵⁶⁾.

وتشير السجلات الشرعية إلى أنّ نقيب الأشرف يكون من كبار الحاضرين في المجالس التي تتم فيها عقود الزواج، ويكون من أبرز الشهود على حالات الزواج، كشهادة السيد عبد الكريم الحمزاوي النقيب على صداق الشاب موسى آغا بلوكباشي⁽⁵⁷⁾، وشهادة كل من السيد حمزة بن محمد الحمزاوي النقيب

وأخيه السيد كمال الدين النقيب سابقاً على زواج يحيى ابن قاضي طرابلس (58).

وفي المجالات العلمية والثقافية فإنّ نقيب دمشق يحرص على استقبال أهل العلم القادمين إلى دمشق وإكرامهم والتزود بعلمهم، كاستقبال النقيب السيد محمد الحمزاوي للعالم المغربي محمد الفاسي وحضوره مجالسه التي أملى فيها صحيح مسلم (59).

جدول يبين أسماء نقباء أشرف دمشق من عائلة ابن حمزة ما بين

منتصف ق10هـ ومنتصف ق12هـ

اسم النقيب	سنة وفاته	السنوات التي كان فيها نقيباً	المصدر
علاء الدين علي بن كمال الدين بن حمزة الحمزاوي	989هـ	كان نقيباً سنة 940-941هـ وسنة وفاته	ابن طولون، حوادث دمشق، ص270؛ ابن العماد، شذرات، 614/10؛ الغزي، الكواكب، 160/3
أخوه حسين بن كمال الدين ابن حمزة الحمزاوي	971هـ	لا يعرف	منظومة في نسب آل الحمزاوي، ص131-136
زين العابدين علي	1009	1008-	البوريني، تراجم الأعيان،

بن حسين بن كمال الدين الحمزاوي	هـ	1009هـ	328/1؛ الغزي، لطف السمري، 556/1
محمد بن حسين بن كمال الدين الحمزاوي	1018 هـ	-1009 1018هـ	فضل الله، فيض المَنَّان، ق443؛ الغزي، لطف السمري، 539/1
كمال الدين بن محمد بن حسين بن كمال الدين الحمزاوي	1071 هـ	1018، -1029، 1030، 1038، -1047، 1048، -1059 وفاته	سجل مشوش 3، ص81، 17 ذُو الْحِجَّةِ 1029هـ؛ فضل الله، فيض المَنَّان، ق443
حمزة بن محمد بن حسين ابن كمال الدين الحمزاوي	1067 هـ	1039، 1048، 1053، 1057هـ	سجل 6، ص82، 12 مُحَرَّرٌ 1053هـ؛ سجل 7، ص95، 7 مُحَرَّرٌ 1058هـ؛ فضل الله، فيض المَنَّان، ق443
حسين بن كمال الدين محمد بن محمد	1072 هـ	1059، 1061هـ	سجل 7، ص339، 12 ذُو الْحِجَّةِ 1059هـ؛

سجل 9، ص 151، 23 شتاء 1061 هـ			بن حسين الحمزاوي
سجل مشوش 1، ص 366، 28 شتاء 1075 هـ؛ الكمال الغزي، الورد الأنسي، ق 62	1071 بعد أبيه، 1075، 1080، 1085 هـ	1085 هـ	محمد بن كمال الدين بن محمد بن حسين الحمزاوي
سجل مشوش 1، ص 315، 6 شتاء 1098 هـ؛ سجل 21، ص 25، 25 شتاء 1107 هـ	1091، -1093، 1094، -1096، 1103، -1107، 1110، -1114 وفاته	1118 هـ	عبد الكريم بن محمد بن كمال الدين الحمزاوي
سجل 29، ص 97، 12 شتاء 1119 هـ؛ أبو المعالى الغزي، لطائف المنة، ق 23	-1111، 1113، -1118 وفاته	1120 هـ	إبراهيم بن محمد بن كمال الدين الحمزاوي

الحمزاوي، منتخبات، ص44	1122هـ وما بعدها	1142 أو 1143 هـ	حسن بن عبد الكريم بن محمد الحمزاوي
---------------------------	---------------------	--------------------------	--

تعاقب على نقابة أشرف دمشق 11 نقيباً من عائلة ابن حمزة، و5 نقباء من عائلة العجلاني ونقيب واحد من عائلة السلطي، مما يعني أنّ عائلتين من أشرف دمشق احتكرتا منصب نقابة أشرف دمشق طوال القرنين، وأنّ عائلة الحمزاوي كانت أكثر عائلات دمشق مكوّناً في النقابة.

إنّ اشتهاار عائلة الحمزاوي بالنقابة لا يعود إلى فترة الدراسة فحسب، بل لأزمان أخرى، فقد بدأت النقابة في دمشق بهم عندما وليها السيد إسماعيل سنة 330هـ/912م، وتوالت نقابة الأشرف فيهم أجيالاً عدة حتى لقبوا ببيت النقيب⁽⁶⁰⁾، وما زال منهم النقباء حتى اليوم أي على امتداد ما يقرب من ألف ومائة سنة، ولقد عبّر القيايقي في رحلته عن مدى تغلغل منصب النقابة بآل حمزة حين قال عنهم: "بيت الشرف والمجد قديماً، وفيهم نقابة الأشرف من سالف الأعصار"⁽⁶¹⁾.

ولم يقتصر دورهم على تولي نقابة دمشق؛ بل تولوا نقابة الأشرف في مدن وبقاع أخرى، فالسيد إبراهيم بن محمد الحمزاوي الذي ولي نقابة أشرف مصر منذ سنة 1093هـ/1682م إلى 1094هـ/1683م، وسنة 1098-1100هـ/1687-1689م، وذلك قبل أن يتولى نقابة دمشق⁽⁶²⁾.

- الدور العلمي لآل حمزة في دمشق: كانت عائلة الحمزاوي في القرن 10هـ/16م قد استحوذت على نصيب وافر من منصب قاضي قضاة الشافعية بدمشق، إذ ورث السيد علاء الدين علي بن كمال الدين ت989هـ/1581م⁽⁶³⁾، عن والده منصب قاضي قضاة الشافعية بدمشق، وقبله جده عز الدين حمزة كان قاضي الشافعية أيضاً⁽⁶⁴⁾، ويشار إلى أنّ القضاة الشافعيين كان لهم قاضي قضاة، تسميه المصادر (قاضي قضاة الشافعية)، ولكن لا يجري تعيينه من الدولة مباشرة، بل ينتخب بناءً على تفوقه الفقهي من بين علماء دمشق الآخرين، أي يكون أعلم علماء دمشق بالفقه الشافعي، حيث يبقى في هذا المنصب حتى وفاته أو استقالته من ذاته أو رحيله عن دمشق، وكان مقره في القرنين 16 و17م في محكمة الباب⁽⁶⁵⁾، لكن يظهر أنّ هذا المنصب كان هبة معنوية أكثر منها سلطة حقيقية، إذ الحكم والشأن لقاضي قضاة الحنفية الذي تعينه الدولة والمقدم على جميع قضاة دمشق.

وينوب عن قاضي القضاة في كل محكمة نائب يطلق عليه (المولّي خلافة)، وأحياناً قليلة يطلق عليه (خليفة الحاكم) أي نائب عن قاضي القضاة، والملاحظ وجود أكثر من نائب للقضاء في المحكمة الواحدة⁽⁶⁶⁾، فقد ذكر المحيي وجود أربعة قضاة في محكمة الكبرى⁽⁶⁷⁾، وفي محكمة الصالحية كان قضاة على المذاهب الأربعة⁽⁶⁸⁾. ويلاحظ أنّ تعدد المذاهب الفقهية هو سبب وجود أكثر من قاضٍ في المحكمة الواحدة، لكن القاعدة الثابتة هي أن لا تخلو محكمة

من قاضٍ حنفي، وقد كان لعائلة ابن حمزة دور في هذه الوظيفة، فممن نال منصب نائب القضاء في محاكم دمشق منهم:

1. السيد حمزة بن محمد بن حسين الحمزاوي، ت 1067هـ/1657م: عالم ومدرس وقاض وصف بأنه "عمدة الموالي المعظمين السيد الشريف الحسيني الحنفي المولى خلافة بدمشق دام فضله"⁽⁶⁹⁾، كان قاضياً سنة 1055هـ/1645م، كما ورد أنه تسلّم نيابة القضاء بمحكمة الباب عام 1060هـ/1650م⁽⁷⁰⁾، وورد أنّه تسلّم نيابة القضاء في ماين⁽⁷¹⁾.

2. السيد حسين بن كمال الدين بن محمد الحمزاوي ت 1072هـ/1662م، حيث يرد في السجلات الشرعية باسم "مولانا حسين أفندي الحسيني"⁽⁷²⁾، ولي القسمّة العسكرية بدمشق سنة 1057هـ/1647م⁽⁷³⁾، وسنة 1058هـ/1648م، وسنة 1070هـ/1660م⁽⁷⁴⁾، وورد أنّه ولي القضاء بمحكمة الكبرى⁽⁷⁵⁾.

3. السيد محمد بن كمال الدين بن محمد الحمزاوي ت 1085هـ/1674م، ولي نيابة القضاء بمحكمة الكبرى ومحكمة القسمّة العسكرية⁽⁷⁶⁾.

4. السيد عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين الحمزاوي، ت 1081هـ/1670م، عالم ومدرس وقاضٍ، إذ ولي نيابة القضاء بالمحكمة العونية، ثم في المحكمة الكبرى⁽⁷⁷⁾.

5. السيد إبراهيم بن محمد الحمزاوي، ت 1120هـ/1708م، ولي قضاء محكمة الباب مرات عديدة⁽⁷⁸⁾، ومحكمة القسمّة العسكرية، فكان قاضياً في

الفترات التالية: سنة 1075هـ/1664م⁽⁷⁹⁾، وسنة 1084هـ/1673م⁽⁸⁰⁾،
وسنة 1101هـ/1690م⁽⁸¹⁾، وفي سنة 1112هـ - 1113هـ/1700-
1701م، وحتى بداية عام 1114هـ/1702م كان قاضي القسمة
العسكرية⁽⁸²⁾، وفي سنة 1117هـ/1705م⁽⁸³⁾، وسنة 1118هـ/1706م
كان متولي نيابة القضاء في محكمة الباب⁽⁸⁴⁾.

كما كان لهم دور في وظيفة الإفتاء⁽⁸⁵⁾، فالسيد محمد بن كمال الدين بن
محمد الحمزاوي ت 1085هـ/1674م ولي الإفتاء الحنفي⁽⁸⁶⁾، حيث يقول ابنه
السيد إبراهيم في القصيدة التي ذكر فيها نسبه:

مفتي الأنام محمد من قد رقى بذراه فخراً مذهب النعمان
فرد الزمان وواحد العصر الذي وافت له الفتوى ولا من ثان⁽⁸⁷⁾

وكذلك في وظيفة التولية على الجوامع، وغالباً ما يرافق تلك التولية وظيفة
النظر والتولية على أوقاف تلك الجوامع، وتتمثل مهمة المتولي على الجامع
بالاهتمام بمصالح الجامع كالترميم وإيجار الوقف، كتولية السيد السيد سعدي
بن عبد الرحمن الحمزاوي وظيفة التولية على جامع الحنابلة في الصالحية وعلى
أوقافه أيضاً⁽⁸⁸⁾.

ساهمت عائلة ابن حمزة في الحركة العلمية والأدبية التي سادت في دمشق،
فبالإضافة لعائلات دمشقية علمية كآل الغزي والفرفور والعمادي والحنبلي،
برزت عائلة حمزة/الحمزاوي التي كان أكثر علماء دمشق الأشراف منها، وأشهر
هؤلاء فخر العلماء والمدرسين السيد عبد الرحمن ابن علامة الزمان وختم

الفقهاء والمحدثين السيد محمد بن عين المحققين السيد كمال الدين⁽⁸⁹⁾، وكذلك السيد محمد بن كمال الدين ت1085هـ/1674م وأبناؤه وهم السيد عبد الرحمن وعبد الكريم وإبراهيم⁽⁹⁰⁾، وفي منتصف القرن 11هـ/17م كان منهم السيد حمزة ابن محمد وأخيه السيد حسين من أصحاب العلم أيضاً⁽⁹¹⁾، وبقيت أسماء أعلام آل حمزة ترد في الساحة الدمشقية في القرون اللاحقة حتى قال فيهم الصيادي: "أنجب بيتهم أمة من العلماء العاملين والمحدثين والمفسرين"⁽⁹²⁾.

ففي مجال التدريس فقد حاز آل الحمزاوي على كثرة التدريس من حيث عدد المدارس، فقد كان السيد عبد الرحمن بن محمد الحمزاوي وأخوه السيد إبراهيم هما من أكثر المنتقلين في المدارس، حيث درّس كل منهما في أكثر من أربع مدارس، ولقد درّس العلماء من عائلة ابن حمزة في جوامع دمشق وفي مدارسها، ومنهم من مكث سنوات طوال في التدريس مثل محمد بن النقيب الذي درّس أربعين سنة⁽⁹³⁾، وظهرت عدة حالات من التوريث في التدريس، ففي المدرسة الأمينية كان المدرسون من آل حمزة يتداولون التدريس فيها في القرن 10هـ/16م، ويذكر أنّ المدرسة الشامية الجوانية درّس بها السيد كمال الدين الحمزاوي ثم بعده ولده السيد علي ثم السيد حسين الحمزاوي⁽⁹⁴⁾.

ومن تولى التدريس في مدارس دمشق من آل حمزة:

1. شمس الدين محمد بن حسين بن كمال الدين الحمزاوي ، ت 1017هـ، درّس الفقه الشافعي في المدرسة الشامية⁽⁹⁵⁾.

2. كمال الدين بن شمس الدين بن حسين الحمزاوي، ت 1071هـ، كان يدرّس الفقه والحديث⁽⁹⁶⁾.
3. حسين بن كمال الدين ابن محمد الحمزاوي، ت 1072هـ، درّس في المدرسة الشامية الجوّانية⁽⁹⁷⁾ ودرّس في المدرسة الفارسية برتبة الداخلة⁽⁹⁸⁾، والتي هي من الرتب التدريسية العثمانية.
4. حمزة بن محمد ابن حسين الحمزاوي، ت 1067هـ، وفي المدرسة الحافظية، ودرّس في خارج دمشق بل في أرقى مدارس الدولة العثمانية، وهي مدارس الصحن الثمانية في العاصمة⁽⁹⁹⁾.
5. محمد بن كمال الدين الحمزاوي، ت 1085هـ، كان يدرّس التفسير والحديث والأدب والنحو والفقه في المدرسة التقوية وفي الجامع الأموي⁽¹⁰⁰⁾.
6. عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين الحمزاوي، ت 1081هـ، درّس الفقه والحديث والنحو في العاصمة اسطنبول ثم في المدرسة الجوزية ثم في المدرسة الشامية الجوّانية ثم في الجامع الأموي⁽¹⁰¹⁾.
7. عبد الكريم بن محمد الحمزاوي، ت 1118هـ، كان يدرّس الفقه والحديث والأدب في المدرسة القيمرية البرّانية، وفي المدرسة التقوية⁽¹⁰²⁾.
8. إبراهيم بن محمد الحمزاوي، ت 1120هـ، درّس الحديث والمعقولات والمعاني والبيان والنحو في المدرسة الصالحية والماردانية والجوزية والأمجدية⁽¹⁰³⁾، ودرّس صحيح البخاري في بيته⁽¹⁰⁴⁾.

9. سعدي بن عبد الرحمن ابن محمد الحمزاوي، ت1132هـ، درس الفرائض (المواريث) والحساب، والهندسة والمساحة في المدرسة الماردانية والجزوية⁽¹⁰⁵⁾، وكان السيد سعدي قد حصل على وظيفة القراءة - أي قراءة متن الكتاب الذي يريد أن يشرحه العالم وذلك قبل البدء بالدرس - بمدرسة العمرية بالصالحية سنة 1100هـ/1689م وبمعلوم قدره 6 بارات⁽¹⁰⁶⁾ في كل يوم⁽¹⁰⁷⁾.

ساهم أفراد من عائلة ابن حمزة في حركة التأليف الدمشقية، ونجد أنّ مؤلفي تلك العائلة كانوا هم الأكثر تأليفاً مقارنة ببقية الأشراف، إضافة لوجود مؤلفات لأسلافهم في القرن 10هـ/16م وما قبله، فقد ألف السيد حسين بن كمال الدين بن محمد مصنفات منها كتاب (التذكرة الحسينية)⁽¹⁰⁸⁾، وقيل عن السيد محمد بن كمال الدين بن محمد أنه ألف التأليف الحسان، فمن مؤلفاته أنه وضع حاشية على شرح ألفية ابن مالك في النحو، ووضع تحريرات على كتاب الهداية في الفقه وكتب رسائل كثيرة في موضوعات عدة⁽¹⁰⁹⁾، كذلك كان له مؤلفات كشرح تنوير الأبصار وحاشية على تفسير البيضاوي⁽¹¹⁰⁾، وله كتاب في الفقه بعنوان "نهج النجاة في المسائل المنتقاة"، قسّمه على حسب أبواب الفقه المعتادة، حيث بدأه بباب الطهارة، وانتهى به بباب الفرائض⁽¹¹¹⁾.

وكان لأبنائه مؤلفات، فالسيد عبد الكريم له مجموع فيه أشعار متنوعة⁽¹¹²⁾، وأما أخوه السيد إبراهيم فقد ألف عدة مؤلفات أشهرها: البيان والتعريف في

أسباب ورود الحديث الشريف⁽¹¹³⁾، الذي يتناول أسباب ورود كثير من الأحاديث النبوية، وقد انتهى من تأليفه في الرابع من محرم سنة 1119هـ/1707م حيث كان زائراً للعاصمة اسطنبول حينها⁽¹¹⁴⁾، وللسيد عبد الرحمن كتاب الحدائق والغرف إضافة إلى ديوان شعر⁽¹¹⁵⁾.

واقنتى أشرف من آل حمزة كتباً كثيرة سواء في بيوتهم أم في المدارس التي تولوا الإشراف عليها، فكان السيد عبد الكريم الحمزاوي عنده الكثير من الكتب التي ذكر منها 118 كتاباً في التفسير والحديث والفقه والعقيدة والنحو وغيرها من العلوم⁽¹¹⁶⁾، وترد أمثلة على قيام بعضهم بشراء كتب كسراء السيد حمزة بن محمد الحمزاوي كتاب شرح المقامات للشريشي بثلاثين قرشاً⁽¹¹⁷⁾، وهي إشارة إلى ارتفاع أثمان الكتب، وكان السيد إبراهيم بن محمد الحمزاوي من أكثر الناس إقتناءً للكتب حتى إنّه لما توفي وضعت كتبه في الجامع الأموي وظلت تباع حتى مضي شهر بأكمله⁽¹¹⁸⁾، إضافة لإشرافه على خزانتي كتب المدرسة العمرية، حيث تحوي كل واحدة على مئات الكتب⁽¹¹⁹⁾.

وساهم شعراء آل حمزة برفد المكتبة العربية بعدد من دواوين الشعر، كما ساهموا في المطارحات ومجالس الأدب التي غالباً ما تعقد في أحد المنتزهات الدمشقية، وكثر في شعرهم شعر المدائح النبوية المرتبطة بالشعر الصوفي، وكان لهم دور في شعر الأحاجي والبديعيات التي منها التشايبه.

ويظهر أنّ عائلة الحمزاوي هي من أشعر عائلات دمشق، فقد ظهر فيها عدد من الشعراء المبدعين مثل السيد حسين بن كمال الدين بن محمد

ت1072هـ/1662م، وهو شاعر وأديب له نظم ونثر⁽¹²⁰⁾، ذكر له المحيي بعض من شعره في فن المدح والغزل⁽¹²¹⁾، وترك آثاراً من ذلك في مصنفات أبرزها (درر الكلام) وكتاب (التذكرة الحسينية) الذي جمع فيه شعراً لشعراء سابقين إضافة إلى شعر من إبداعه⁽¹²²⁾.

وأشهر شعرائهم السيد محمد بن كمال الدين بن محمد ت1085هـ/1674م، وأبناءؤه الثلاثة عبد الرحمن وعبد الكريم وإبراهيم، فكلهم نظموا الشعر العذب الجميل⁽¹²³⁾، فأما السيد محمد فقد كان له كثير من الشعر البديع⁽¹²⁴⁾، وأثنى على أدبه وشعره المحيي في نفحته، وذكر أصنافاً من شعره، كالمدح النبوي والغزل والوصف كوصف الشيب ووصف دمشق، والألغاز والأحاجي - أي يذكر أبياتاً من الشعر تدل على كلمة أو شيء أو اسم ما-، والتضمين - أي ذكر أبيات في مجلس يعقب عليها الجالسون بأبيات أخرى شريطة أن تنتهي كل الأبيات بعجز بيت واحد -، ففي جلسة شعرية بدأ السيد محمد بأبيات انتهت بعجز بيت قال فيه: (هذا مقام المستجير العائد)، ثم أنشد أبناءؤه عبد الرحمن ثم عبد الكريم ثم إبراهيم أبياتاً تنتهي بذلك العجز، ثم ضمّن ذلك عدد من الأعيان الحاضرين مثل عبد الغني النابلسي والعكبري، إضافة لنثر فيه جُمْل قصيرة تحوي حكماً مختلفة، ونثر في أوصاف طبيعية جميلة⁽¹²⁵⁾، كما ذُكر للسيد محمد المذكور سابقاً ديوان شعر جميل.

وأكثرهم شعراً ابنه السيد عبد الرحمن الذي كان أديباً شاعراً له ديوان شعر⁽¹²⁶⁾، وقد كثر مدح أدبه في المصادر، فقال فضل الله المحيي: "هو الأريب

ابن الأريب والأديب ابن الأديب شعره البدر الطالع، حفظ الأشعار ونظم الشعر صغيراً⁽¹²⁷⁾، وقال عنه ابن شاشو: إنّ له أدباً وشعراً كزهر الرياض والآداب، وله نثر برع فيه ومطارحات كثيرة، وقد أبدع في التشبيه⁽¹²⁸⁾، وأكثر من الوصف في شعره، كوصف الصالحية ووصف الورد والياسمين والريبع والطيور والرياح، ووصف دمشق ومنتزهاتها وأنهارها⁽¹²⁹⁾، وله في المعارضات أبيات وقصائد عارض فيها أدباء آخرين⁽¹³⁰⁾، إضافة لإبداعه في شعر الغزل والمدح والفصاحة في النثر حتى قال فيه المحيي: "لقد أتى بأبداع ما يستعذب ويستغرب ويستبدع ويستظرف"⁽¹³¹⁾، وقد أورد له نماذج من أدبه في صفحات نفحته، كما لاحظ أنه أكثر من الألغاز والأحاجي والمعميات واعتنى بهذا الفن من فنون البديع⁽¹³²⁾، ونقل ابن الراعي له شعراً في وصف الغوطة ووصف سفح قاسيون والربوة ومناطق أخرى⁽¹³³⁾.

وكان للسيد عبد الكريم (ت1118هـ/1706م) شعر عذب في المدح والوصف والغزل، وقد وُصف بأنّ له شعراً لطيفاً ونثراً حسناً⁽¹³⁴⁾، ومن شعره قصيدة مطولة في المدح النبوي، وذكر له ابن كنان أبيات شعر⁽¹³⁵⁾، وله موشح شعري أيضاً فيه مدح ووصف لدمشق من أبياته⁽¹³⁶⁾:

يا زماناً بالتهاني سلفاً في ربي جلق ذات الحسن
لم أجد بعدك يوماً خلفاً لا عدت ذكراك رطب الألسن

ولأخيه السيد إبراهيم (1120هـ/1708م) شعر ونثر لكنه قليل، ومنه قصيدة طويلة يذكر فيها نسب عائلته آل الحمزاوي⁽¹³⁷⁾.

ومن شعراء تلك العائلة السيد سعدي بن عبد الرحمن، الذي أثنت عليه السجلات الشرعية بالبراعة في الأدب " عين النبلاء كهف الفصحاء سليل العلماء صدر الطلاب من كرع الآداب من أصفى شراب" (138).

وكان لشعراء آل حمزة مساهمة في حضور المجالس الأدبية والشعرية، والتي غالباً ما تكون في متنزه أو حديقة غناء، ويحضرها عدد من كبار أعيان دمشق ومن خارجها، كمجلس حضره الخياري المدني صاحب الرحلة المشهورة، حيث مدحه السيد محمد بن كمال الدين وابنه عبد الرحمن بأبيات جميلة إضافة لنشر وبديع (139).

ساهم آل حمزة في أخذ العلم عن علماء كبار في دمشق وخارجها، ومن أمثلة الأخذ عن علماء قدموا لزيارة دمشق، زيارة العالم عبد الكريم الكردي الذي قدم دمشق، فأخذ عنه السيد محمد بن كمال الدين الحمزاوي (140)، ومنهم من أخذ العلم عن علماء كثيرين، فقد أخذ السيد إبراهيم بن محمد الحمزاوي عن 80 شيخاً من دمشق ومن مصر والعاصمة اسطنبول وغيرها (141)، وكثيراً ما كان أخذ العلم عن الآباء، فالسيد علي بن محمد الحمزاوي (ت 1061هـ/1651م) أخذ العلم عن والده (142)، وأخذ السيد سعدي بن عبد الرحمن الحمزاوي (ت 1132هـ/1720م) عن أبيه وجدته وعمه ثم أخذ عن علماء آخرين (143).

لقد حرص آل حمزة على نيل الإجازات عن كبار العلماء، ونستدل بذلك من خلال تعلقهم بالعلماء القادمين إلى دمشق، فالسيد محمد بن كمال الدين

يلتمس راغباً من الخياري المدني الواصل إلى دمشق بأن يجيز ابنه السيد عبد الرحمن ويكتب له إجازة في الحديث النبوي، فيفرح الابن بنيل تلك الإجازة⁽¹⁴⁴⁾.

أكثرت كتب المشيخات من الأمثلة على أخذ الإجازات⁽¹⁴⁵⁾، ونلاحظ فيها حصول بعض من عائلة آل حمزة على إجازات بعلوم مختلفة، كما هو شأن السيد محمد بن كمال الدين الحمزاوي الذي أخذ عن الميداني فأجازه، وأجازه محمد الحنفي وأجازه النجم الغزي، وأجازه الحريري والقبردي والعكاري وأبو الفتح والعمادي في الفقه والحديث، وأجازه الملا عبد الكريم في علم الكلام، ثم نال إجازات من علماء مكة المكرمة ومن علماء المدينة المنورة وكلها يكتب فيها أنه أجازه أحد العلماء بسائر مروياته⁽¹⁴⁶⁾.

إنّ من أدلة مساهمة عائلة الحمزاوي في دعم الحركة العلمية بدمشق أنّ كبار علماء دمشق تخرجوا على عدد من علمائها، فالعالم الشهير عبد الغني النابلسي كان من أبرز شيوخه السيد محمد بن كمال الدين الحمزاوي، الذي وصف بأنه كان كثير العلوم، فكان له معرفة بالفقه وأصوله والحديث والتفسير والنحو والآداب⁽¹⁴⁷⁾.

يعد آل حمزة من العائلات الدمشقية التي تحولت من الشافعية إلى الحنفية، حيث كانوا في القرون التاسع والعاشر ومنتصف الحادي عشر الهجري شافعيين، ثم أصبحوا أحنافاً، وقيل إنّ أول من تحنّف منهم هو السيد محمد بن كمال الدين الحمزاوي ت1085هـ/1674م، ويظهر أنّ هناك من تحنّف قبيل

ذلك منهم، مثل السيد حمزة بن محمد ت 1067هـ/1657م، واستمر أعلام هذه العائلة على المذهب الحنفي في القرون اللاحقة. ويلاحظ أنّ التغيير عادة ما يكون إلى المذهب الحنفي، وسبب ذلك يرجع إلى مكانة الفقه الحنفي عند السلطة العثمانية، مما يعني أنّ من يريد أن يرتقي المناصب العليا في الدولة فعليه أن يكون حنفي المذهب، ففي القضاء يكون القاضي الحنفي مقدماً على غيره من القضاة، وهذا عكس ما كان لدى الدولة المملوكية التي قدّمت القاضي الشافعي، وجعلت أعلى المناصب للشافعيين⁽¹⁴⁸⁾، ولذلك كان غالبية علماء دمشق في العهد المملوكي هم شوافع، بينما أصبح الأحناف هم الأكثر في العهد العثماني، حيث احتاج التحول إلى الحنفية مدة تقارب القرن، فإنّ القرن العاشر الهجري رغم أنه عثماني إلا أنّ التحول فيه كان نادراً.

- الدور الاقتصادي لعائلة الحمزاوي: ظهر عدد من ملاكي الأراضي من عائلة الحمزاوي مثل السيد محمد بن كمال الدين النقيب الحمزاوي الذي ترك إرثاً واسعاً من البساتين والجنائن والدور، كما كان لابنه السيد عبد الكريم أراضٍ كثيرة، وقد شاركه في تملكها أخوه السيد إبراهيم، ومن تلك الأراضي ما ورد في حجة شرعية وجود ستة بساتين تعود للسيد عبد الكريم والسيد إبراهيم الحمزاوي وتقع في مناطق مختلفة وكلها تُسقى سقياً وتحوي أشجار فواكه

متنوعة⁽¹⁴⁹⁾، كذلك امتلكت الشريفة نجبية ابنة كمال الدين الحمزاوي أراضٍ كثيرة منها جنيحة في النيرب، وبساتين في محلة حمام السكاكرية⁽¹⁵⁰⁾.

واشتهرت بساتين وأراضٍ وجنائن في دمشق وقراها بأسماء عائلات من دمشق، ومن ذلك مزرعة الحمزاوية المشتملة على غراس متنوعة وتقع في ظاهر دمشق بأراضي قلبين وشربها من نهر تورا، وهي ملك آل حمزة⁽¹⁵¹⁾، ويبدو أنها للسيد كمال الدين الحمزاوي لأنّ له بستاناً مجاوراً لتلك المزرعة.

استخدم فلاحو دمشق في حراثة وزراعة أراضيهم أدوات مختلفة أطلق عليها في السجلات (آلة الحرث) أو آلة الحرث والزراعة أو (آلة الفلاحة)، وتمثل هذه الأدوات الزراعية بسكك حديد للحراثة ومجلف ومجرفة ومناجل حديد ومناكش حديد وعدول وخيشات وحبال ولوح خشب للدّراس ونير من الخشب وبعض الجلود وغراييل وأعواد خشب ومواعين نحاس وإبريق نحاس يوضع فيه البذار ومنشار حديد⁽¹⁵²⁾، وقد كانت لدى السيد عبد الكريم بن محمد الحمزاوي آلة فلاحة تشتمل على أبقار وعجل وحمارة وسبعة سكك حديد وماعون نحاس وإبريق للبذار ومنشار وعِدلين⁽¹⁵³⁾، ويلاحظ هنا أنّ الدواب تعد من آلة الفلاحة، كما أنّهم يعتمدون على أعداد كبيرة من الأبقار للحراثة.

لم نجد لعائلة الحمزاوي اهتمام بالحرف والمهن الدمشقية، وذلك لميلهم الواضح تجاه الجانب العلمي، ورغم أنّهم لم يمارسوا حرفة إلا أنّهم تملّكوا المحلات الحرفية والحوانيت، فقد تشارك بعضهم مع غيرهم في امتلاك بعض الحوانيت

التجارية، فقد تشارك السيد محمد بن كمال الدين الحمزاوي مع محمود جلبي ومراد بن يوسف في امتلاك بعض العقارات والحوانيت⁽¹⁵⁴⁾، وورد أنّ الشريفه نجبية ابنة كمال الدين الحمزاوي كانت تملك حانوتاً معداً للحلاقة يقع في سوق الخياطين، وهو يشتمل على باب زجاج بلّور ومصاطب ورفوف ومقعد خشبي⁽¹⁵⁵⁾، وهذا يشير إلى الأدوات التي كان الحلاق يستعملها آنذاك، مثل المقعد الذي يجلس عليه الإنسان الذي يريد أن يخلق، وقد أشارت الحجة أنّ الشريفه خاتون باعت هذا الحانوت إلى السيد عبد الباقي بن أحمد الشويكي. كان للمرأة الحمزاوية دور في النشاط التجاري الدمشقي، فقد امتلكت الشريفه نجبية ابنة كمال الدين الحمزاوي حانوتين متلاصقتين في سوق جقمق، وكان أحد الحانوتين تباع فيه القهوة⁽¹⁵⁶⁾.

ذكر من حمامات دمشق العامة حمام القاضي حمزة، وهو من حمامات جبل قاسيون، وقال محقق كتاب المواكب: لعله القاضي عز الدين حمزة الحسيني ت874هـ⁽¹⁵⁷⁾، وحمام تابع لوقف ابن المزلق، ويعرف بحمام الصيفي، ويقع في باطن دمشق داخل باب الشاغور الجواني، ويحوي مصاطب مستديرة الشكل وبركة ماء يصلها من نهر القنوات وبيت حرارة وأجرنة وقدرين من النحاس، وكان هذا الحمام مؤجراً، ويعود ربحه للسيد عبد الباقي بن المزلق وأولاد عمه والسيد عبد الكريم الحمزاوي لأن جده لأمه من آل المزلق⁽¹⁵⁸⁾.

تفاوتت ثروات عائلة الحمزاوي ما بين الفقر والغنى، فأما الغنى فإنّ المصادر قد ذكرت أعلاماً كانوا في غاية الغنى ورغد العيش مثل السيد محمد بن حسين

بن محمد الحمزاوي الذي "أقبلت عليه الدنيا فحصل جاهاً ومالاً وعقاراً فوق ما يوصف"⁽¹⁵⁹⁾، وفي المقابل كان يوجد أفراد آخريين منهم عاشوا في فقر وقلة مالٍ مثل السيد علي بن الحسين الحمزاوي⁽¹⁶⁰⁾.

وفيما يتعلق بالأماكن العقارية السكنية لآل حمزة فإنّ أبرز الملاكين هو عبد الكريم الحمزاوي الذي كانت له دار ذات حجم كبير في محلة باب المصلى والتي اشتراها بمبلغ 81 سلطاني ذهبي، وتحوي بيتين، حيث يوجد باب يوصل إلى حوش سماوي فيه بايكة ذات سقف، ثم توجد خمس غرف علوية وإيوان علوي يصعد إليها بسلم حجر⁽¹⁶¹⁾، وامتلكت المرأة الحمزاوية العقارات السكنية، فقد كان للشريفة نجيبة الحمزاوي دار كبيرة في محلة درب الوزير تشتمل على ساحة وبيت صغير وإيوان ومطبخ وطبقتين ومرافق أخرى⁽¹⁶²⁾.

أما ما يتعلق بالوقف فإنه يتم تعيين الناظر على الوقف بثلاث طرق أولها: الحصول على براءة سلطانية تخوله ذلك، وتأتي هذه البراءة _ أي قرار بتولية أحد على وقف ما _ من الباب العالي في عاصمة الدولة العثمانية، ويتطلب ذلك واسطة توصل اسم الناظر لمسؤولي الدولة الكبار، حيث يتم السفر إلى العاصمة، فقد سافر السيد إبراهيم بن محمد الحمزاوي ليأتي بتولية وقف الأشراف وتولية وظائف أخرى، حيث أقره القاضي "في وظيفة التولية على أوقاف الأمير منحك بموجب البراءة الشريفة السلطانية المفصحة بتوجيه ذلك له..."⁽¹⁶³⁾. ويظهر أنّ مسألة السفر صعبة التحقيق لوجود عوارض مثل معارضة الوالي وأمره برجوع المسافر⁽¹⁶⁴⁾.

ومن مهام الناظر ضبط الوقف وقبض مستحقاته وغلاله، والعمل على تنظيمه وعدم تعطّله، وتنظيم سجلاته ودفاتره، فقد ورد أنّ السيد إبراهيم بن محمد الحمزاوي ناظر المدرسة العمرية لديه دفتر يسجل فيه أسماء المستعيرين لكتب المدرسة⁽¹⁶⁵⁾، وكذلك كان الناظر يتولى تأجير الوقف بنفسه، ويحدد مدة التأجير ومقدار الأجرة⁽¹⁶⁶⁾، وإذا تأخر المستأجر عن الدفع أو ماطل فيه يخاصمه الناظر أمام القاضي، وزاد بعض الناظرين على الوقف، فمنهم من عمّر ضريحاً وقباباً مجاورة للوقف وجعلها من الوقف، ومنهم من بنى مسجداً⁽¹⁶⁷⁾، وفي حالات يقوم الناظر بتعمير وبناء وترميم في الوقف، ومقابل ذلك يأخذ متحصل تأجير الوقف لسنوات كما فعل السيد إبراهيم بن محمد الحمزاوي حين عمّر طاحونة وقف المدرسة العمرية مقابل حصوله على غلة تأجيرها مدة خمسة عقود كل عقد ثلاث سنوات⁽¹⁶⁸⁾.

ومن آل حمزة الذين تسلّموا وظيفة ناظر أو متولي على وقف في القرن 11هـ/17م: كمال الدين بن محمد الحمزاوي الذي كان ناظراً على وقف أجداده بني المزلق، وكذلك كان محمد بن حسين الحمزاوي ناظراً على الوقف ذاته⁽¹⁶⁹⁾، وكان عبد الكريم بن محمد الحمزاوي ناظراً ومتولياً على وقف أجداده بني المزلق ووقف جده بمصر الأمير خير بك⁽¹⁷⁰⁾، وتولى سعدي بن عبد الرحمن الحمزاوي أوقاف جامع الحنابلة⁽¹⁷¹⁾.

أما إبراهيم بن محمد الحمزاوي فكان أكثرهم تولية ونظارة للأوقاف، وهي أوقاف المدرسة العمرية، وأوقاف الجامع الجديد بالصالحية، وأوقاف الأمير

منجك في دمشق وحلب، ووقف الأشراف، وتولى مع أخيه السيد عبد الكريم الحمزاوي نظارة وقف الأمير خير بك والأمير قانصوه في مدينة القاهرة بمصر⁽¹⁷²⁾، كما كان متولياً على المدرسة العمرية وما فيها من مرافق، كما ولي أيضاً المدرسة الماردانية بالصالحية⁽¹⁷³⁾، ويلاحظ أنّ غالبية من تسلموا وظيفة التولية على المدارس كانوا مدرّسين بها، فالسيد إبراهيم الحمزاوي كان متولياً ومدرّساً في المدرسة الجوزية⁽¹⁷⁴⁾.

ساهم أبناء الحمزاوي في استئجار الأوقاف في دمشق، فقد استأجر إبراهيم بن محمد الحمزاوي داراً من وقف السيد محمد الصمادي بثلاثين قرشاً كل سنة⁽¹⁷⁵⁾، واستأجر حسين بن كمال الدين الحمزاوي 3 بساتين فيها غراس فواكه في جرمانا من وقف أحمد ابن شعبان بأربعين قرشاً كل سنة⁽¹⁷⁶⁾، كما يلاحظ مشاركة المرأة الحمزاوية في استئجار موقوفات زراعية وسكنية وتجارية، ومن ذلك استئجار الشريفة عائشة ابنة السيد عبد الرحمن الحمزاوي داراً في القباقيببة تتبع وقف السيد محمد العباسي⁽¹⁷⁷⁾.

أوردت حجج سجلات محاكم دمشق الشرعية كثيراً من حالات البيع والشراء التي يكون أحد الطرفين فيها من آل حمزة، والملاحظ على تلك الحالات توزيع مبيعات آل حمزة على ثلاثة أنواع من العقارات هي العقارات الزراعية والعقارات التجارية والعقارات السكنية، وأبرز من مثّل آل حمزة في ذلك : السيدة نجيبة ابنة كمال الدين الحمزاوي، والسيد عبد الكريم بن محمد وأخيه إبراهيم⁽¹⁷⁸⁾.

كما وردت ذكر لحالات اقتراض بين آل حمزة وغيرهم، والملاحظ على تلك الحالات كثرة اقتراض الحمزاويين وخاصة السيدين عبد الكريم وأخيه إبراهيم ولدا محمد الحمزاوي، ومن اللافت للنظر اقتراض آل الحمزاوي من طائفة القبولية أكثر من الفئات الأخرى، مما يبين ارتباطهم اقتصادياً بالقبولية أكثر، ومن أكثر قيم القروض الواردة في حجج السجلات هي اقتراض السيد محمد بن حسين الحمزاوي من علم الدين النجار العرجي مبلغ 900 دينار ذهبي⁽¹⁷⁹⁾، وهذا يشير إلى ارتفاع مديونية آل حمزة⁽¹⁸⁰⁾، كما يلاحظ ندرة حالات أقراض آل حمزة لغيرهم، مما يشير إلى الضعف المالي لدى آل حمزة مقارنة بعائلات دمشق أخرى.

- **الخاتمة:** تمثل عائلة ابن حمزة عينة من المجتمع الدمشقي الشعبي، ويظهر ما لها من تأثير في المكانة الاجتماعية داخل المجتمع، والأبرز من ذلك التأثير العلمي والأدبي والثقافي الذي مارسته تلك العائلة، ولم يظهر التأثير الصوفي كما هو شأن كثير من العائلات الدمشقية، وشأن المجتمع بأكمله الذي كان التصوف أساسه.

ورغم أن آل حمزة لم يعنوا بالحرف والصناعات؛ إلا أنهم ساهموا في امتلاك العقارات الحرفية والتجارية، وكانت علاقاتهم الاقتصادية مع فئة العسكر متوثقة من خلال عملية الاستئجار والتأجير والبيع والشراء والقروض.

1) يسمى الحسين المتوفى أو النتيف، وقد كان عالماً بالأنساب، انتسبت إليه عائلات كثيرة خاصة في الشام ومصر، فأولاده الذكور هم إسماعيل وعلي وحسن وأحمد، انظر: الحسيني النجفي، السيد محمد بن أحمد بن عميد الدين، بحر الأنساب أو المشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف، نسخة مخطوطة مصورة عن دار الكتب المصرية بالقاهرة في جامعة مؤتة في الأردن، ق75، (سيشار له: الحسيني النجفي، بحر الأنساب)؛ الحمزاوي، الشيخ محمد بن حسين (ت1395هـ/1975م)، مجموع في نسب وتراجم آل الحمزاوي، مخطوط، اعتنى بإخراجه بسام الحمزاوي، نسخة في مكتبة الأسد بدمشق رقم 16450، ق45، (سيشار له: الحمزاوي، مجموع في نسب وتراجم آل الحمزاوي).

2) أبو البقاء، كمال الدين محمد بن حمزة (ت933هـ/1527م)، مشيخة السيد كمال الدين أبي البقاء محمد بن حمزة بن أحمد الحسيني الدمشقي الشافعي، مخطوط نسخة مصورة في مركز الوثائق بالجامعة الأردنية، شريط 258، ق قبل الأخيرة (سيشار له، أبو البقاء، مشيخة كمال الدين)؛ الأيوبي الأنصاري، شرف الدين موسى (ت1002هـ/1594م)، نزهة الخاطر وبهجة الناظر، 2م، تحقيق عدنان إبراهيم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1991م، 1/114، (سيشار له: الأيوبي الأنصاري، نزهة الخاطر).

3) سجل شرعي رقم 1، ص257، 15 صفة 993هـ.

4) البوريني، الحسن بن محمد (ت1024هـ/1615م)، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، 2م، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق 1959م، 2/375. (سيشار له: البوريني، تراجم الأعيان).

5) يسمى سوق المناخلية بذلك نسبة للمناخل التي تنخل الدقيق وغيره، ويقع هذا السوق في باب الفرج، ويكثر فيه بيع أدوات النجارين والصنّاع، انظر: الشهابي، قتيبة، أسواق دمشق القديمة ومشيداتها التاريخية، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق 1990م، ص 505، (سيشار له: الشهابي، أسواق دمشق).

6) باب الفراديس هو أحد أبواب دمشق القديمة، ويقع بين باب الفرج وباب السلام، وكان يسمى باب الكراديس، وهو يلي حي العمارة، انظر: الإيش، أحمد والشهابي، قتيبة، معالم دمشق التاريخية دراسة تاريخية ولغوية عن أحيائها ومواقعها القديمة، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق 1996م، ص 56، (سيشار له: الإيش والشهابي، معالم دمشق).

7) سجل شرعي رقم 28، ص 44، 29 جلالان 1113هـ.

8) ابن كنان، محمد بن عيسى الصالحي (ت 1153هـ/1740م)، يوميات شامية، أو الحوادث اليومية في تاريخ أحد عشر وألف وميه، بين سنة 1111 وسنة 1153هـ، تحقيق أكرم العلي، دار الطباع، دمشق 1994م، ص 151، (سيشار له: ابن كنان، الحوادث اليومية).

9) العراقي، محمد طه بن يحيى، عاش في نهاية القرن 12هـ/18م، رحلة ابن يحيى العراقي، مخطوط يقع في 111 ورقة، مركز الوثائق بالجامعة الأردنية، شريط رقم 9، ق 30 (سيشار له: العراقي، رحلة العراقي)؛ الرفاعي، أحمد محمود، حوار علمي مع فضيلة السيد عبد الكريم الحمزاوي، نقيب السادة الأشراف بالإجازة بدمشق، مركز علوم الحديث النبوي، ص 12، (سيشار له: الرفاعي، حوار علمي).

10) الحمزاوي، بسام عبد الكريم، (د.ت)، منتخبات من تاريخ نقابة الأشراف ومن تولاهما من آل الحمزاوي، نسخة منه في مكتبة الاسد، ص 47، (سيشار له: الحمزاوي، منتخبات من تاريخ).

11) سجل شرعي رقم 1، ص 257، 15 ص 993هـ.

12) ورد في مخطوط العراقي بأنّ مسجد الحمزاوي منسوب للسيد حسن الحمزاوي نقيب الأشراف، حيث يقول أنه أول ما نزل بالشام نزل بهذا المسجد سنة 1203هـ/1789م، ولكن لا يُعرف متى بني، وما زال قائماً حيث تم تجديد بنائه من قبل آل حمزة أنفسهم، انظر: العراقي، رحلة العراقي، ق 20؛ الحمزاوي، منتخبات من تاريخ، ص 49؛ الصواف، محمد شريف عدنان، موسوعة الأسر الدمشقية، 3 ج، ط 2، بيت الحكمة، دمشق 2010م، 41/2.

13) الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت 1061هـ/1651م)، لطف السمر وقطف الثمر، 2م، تحقيق محمود الشيخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1972م، 556/1، (سيشار له: الغزي، لطف السمر). كما ذكر الحصني وجود مجموعة من قبور لعائلة الحمزاوي بجوار جامع السادات داخل باب الفراديس، الحصني، الحصني، محمد أديب (ت 1358هـ/1940م)، منتخبات التواريخ لدمشق، قدّم له كمال الصليبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979م، ص 1045.

14) الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت 1061هـ/1651م)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، 3 ج، وضع حواشيه خليل المنصور، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م، 44/1. (سيشار له: الغزي، الكواكب السائرة).

15) فضل الله المحيي، ابن محب الله بن محب الدين (ت 1082هـ/1671م)، فيض المنان في تراجم أعيان الزمان، وهو ذيل تاريخ حسن البوريني، مخطوط، نسخة ورقية

مصورة في المعهد الفرنسي للشرق الأدنى بدمشق، ق443(سيشار له: فضل الله، فيض المَنَّان).

16) المحيي، محمد أمين بن فضل الله (ت1111هـ/1699م)، خلاصة الأثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر، 4ج، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، 105/2، (سيشار له: المحيي، خلاصة الأثر).

17) المحيي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين (ت1111هـ/1699م)، نفحة الريحانة وورشحة طلاء الحانة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، طبع بدار إحياء الكتب العربية عيسى الباي الحلبي وشركاه، 7/2 (سيشار له: المحيي، نفحة الريحانة).

18) ابن شاشو، عبد الرحمن بن محمد(ت1128هـ/1716م)، تراجم بعض أعيان دمشق، المطبعة اللبنانية، بيروت 1886م، (نسخة ورقية محفوظة في مركز الوثائق بالجامعة الأردنية)، ص9، (سيشار له: ابن شاشو، تراجم أعيان دمشق).

19) المصدر نفسه، ص16، 27.

20) المرادي، محمد خليل بن علي (ت1206هـ/1792م)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ضبطه وصححه محمد شاهين، 4ج، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م، 28/1، (سيشار له: المرادي، سلك الدرر).

21) الصيادي، أبو الهدى محمد بن حسن (ت1327هـ/1909م)، الروض البسام في أشهر البطون القرشية في الشام، تحقيق أحمد شوحان، مكتبة التراث، دير الزور 1993م، ص74، (سيشار له: الصيادي، الروض البسام).

22) الشطي، محمد جميل بن عمر (ت 1379هـ/1959م)، تراجم أعيان دمشق في القرن13ونصف القرن14هـ، المكتب الإسلامي، دمشق 1946م، ص288 (سيشار له: الشطي، أعيان دمشق).

- (23) سجل شرعي رقم 26، ص 412، 1 ج 1114هـ.
- (24) سجل مشوش رقم 3، ص 81، 17 ذ 1029هـ. كلمة (مشوش) تعني السجلات التي تحوي حججاً شرعية متناثرة، ومختلفة الأزمنة والأمكنة، حيث تم جمعها في سجل واحد لحفظها، وهي السجلات المحفوظة في مركز الوثائق بدمشق.
- (25) سجل شرعي رقم 28، ص 91، 13 ر 1118هـ.
- (26) سجل مشوش رقم 1، ص 379، 4 ر 1062هـ.
- (27) سجل شرعي رقم 11، ص 136، 15 ص 1093هـ.
- (28) سجل شرعي رقم 27، ص 169، 5 م 1118هـ.
- (29) سجل شرعي رقم 7، ص 339 - 340، 12 ج 1059هـ.
- (30) ابن طولون، محمد الصالحي (ت 953هـ/1546م)، إعلام الوري بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط2، دار الفكر، دمشق 1984م، ص 304.
- (31) ابن كنان، محمد بن عيسى الصالحي (ت 1153هـ/1740م)، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، 2ج، تحقيق حكمت إسماعيل، وزارة الثقافة، دمشق 1992م، 61/1، (سيشار له: ابن كنان، المواكب الإسلامية)؛ ابن كنان، الحوادث اليومية، ص 85.
- (32) فضل الله، فيض المنان، ق 443.
- (33) المحيي، خلاصة الأثر، 4/126.
- (34) المحيي، نفحة الريحانة، 2/87.
- (35) فضل الله، فيض المنان، ق 67، والنزل هو ما يكلف به أهالي المدينة التي يمر بها الجيش العثماني في حال ذهابه في مهمة حربية من تقديم للطعام والشراب للجنود والعلوفة

- والإسطبلات لدواجهم، انظر: خليل ساحلي، "ميزانيات الشام في ق16م"، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام عام 1974م، ص502 - 504 .
- (36) المرادي، سلك الدرر، 3/66.
- (37) فضل الله، فيض المنان، ق444.
- (38) كلمة نقيب تعني الوكيل والنائب، ونقيب القوم عريفهم ورئيسهم ورأسهم والمقدم عليهم، لأنه يتعرف أخبارهم ويفتّش عن أحوالهم، والتّقيب هو الأمين والكفيل والرئيس الأكبر، ابن منظور، لسان العرب، مجلد1، مادة نقب، ص769-770؛ الزبيدي، تاج العروس، مجلد2، مادة نقب، ص446.
- 39) A. Havemann. art "Naqīb Al-Ashrāf", E.I.2, Vol7, p926.
- (40) السامرائي، قاسم حسن، نقابة الأشراف في المشرق الإسلامي حتى نهاية الأسرة الجلائرية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية 1999م، ص28.
- (41) صاريجك، مراد، نقابة الأشراف في الدولة العثمانية، ترجمة سهيل صابان، دار القاهرة، القاهرة 2007م، ص79، 83، (سيشار له: صاريجك، نقابة الأشراف).
- (42) البصروي، علاء الدين بن يوسف (ت905هـ/1500م)، تاريخ البصروي، صفحات مجهولة من تاريخ دمشق، تحقيق أكرم العلي، دار المأمون للتراث، دمشق 1988م، ص127 (سيشار له: البصروي، تاريخ البصروي).
- (43) الصباغ، ليلي، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1973م، ص124، (سيشار له: الصباغ، المجتمع السوري)؛ وانظر ما كتبه محقق كتاب الأيوبي الأنصاري، نزهة خاطر، 1/61.

- 44) كيدو، كرم، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ترجمة هاشم الأيوبي، جروس برس، طرابلس - لبنان 1992م، ص 21.
- 45) صاريچك، نقابة الأشراف، ص 77 - 78.
- 46) الرفاعي، حوار علمي، ص 21.
- 47) عابدين، محمد مرشد، الدر الثمين في نسب السادة الطاهرين، دار النعمان للعلوم، دمشق 2002م، ص 13.
- 48) Rafeq، Abdul-Karim. **The Province of Damascus 1723-1783**، Beirut 1966. PP23- 24.
- 49) جب، هاملتون، وبون، هارولد، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989م، 1/193.
- 50) المحيي، خلاصة الأثر، 2/126. أوردت بعض المراجع الحديثة بأن من صلاحيات القاضي في دمشق تعيين نقيب الأشراف بها، ومنها: مبيضين، مهند، أهل القلم ودورهم في الحياة الثقافية في دمشق 1708-1758م، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق 2005م، ص 217، وهذا وارد، ولكن ذلك يتم في حالة واحدة فقط هي عدم وصول قرار من الدولة بتعيين نقيب للأشراف، فيقوم القاضي بتعيين أحد الأشراف مؤقتاً حتى يصل فرمان بذلك.
- 51) فضل الله، فيض المآن، ص 443.
- 52) المحيي، خلاصة الأثر، 3/124، 3/224.
- 53) الحسيبي العطار، ابن أحمد حسيب، تراجم مشاهير القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجري، نسخة مخطوطة مصورة في مركز الوثائق بالجامعة الأردنية على شرائح مايكروفيش من مكتبة الظاهرية رقم 9667، وهي مسودة المؤلف بخط رديء كتبه

سنة 1290هـ، شريحة 8، (سيشار له: الحسيني العطار، مخطوط تراجم مشاهير ق11 و12هـ).

54) الحنبلي، أبو المواهب محمد البعلي (ت 1126هـ/1714م)، مشيخة أبي المواهب الحنبلي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق 1990م، ص98، (سيشار له: الحنبلي، مشيخة أبي المواهب).

55) العلي، أكرم حسن، تكملة شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تراجم القرن 11هـ، دار الطباع للنشر، دمشق 1991م، 1/ 538، (سيشار له: العلي، تكملة شذرات).

56) سجل شرعي رقم 28، ص9 جديد، 18 رَجَبُ 1113هـ.

57) سجل شرعي رقم 11، ص142، 8 رَجَبُ 1093هـ.

58) سجل شرعي رقم 6، ص82، 12 مَحَرَّة 1053هـ.

59) الحنبلي، مشيخة أبي المواهب، ص75.

60) الحسيني النحفي، بحر الأنساب، ص75.

61) القاياتي، محمد عبد الجواد، نفحة البشام في رحلة الشام، دار الرائد العربي، بيروت 1981م، ص125.

62) أبو المعالي الغزي، محمد بن عبد الرحمن بن علي (ت 1167هـ/1753م)، لطائف المنة في فوائد خدمة السنة، تراجم لأعلام من القرن 12هـ، مخطوط مصور في مركز الوثائق بالجامعة الأردنية شريط رقم 158، ق23 (سيشار له: أبو المعالي الغزي، لطائف المنة)؛ المرادي، سلك الدرر، 1/26.

63) ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي العكري الحنبلي (ت 1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 10 ج، تحقيق عبد القادر ومحمود الأرنؤوط، دار

ابن كثير، دمشق وبيروت 1993م، 614/10 (سيشار له: ابن العماد، شذرات الذهب)؛ الغزي، الكواكب السائرة، 160/3، كما أنه وليّ قضاء محكمة قناة العوني ومحكمة الكبرى ومحكمة الدهيناتية ومحكمة الباب.

(64) البصري، تاريخ البصري، ص40.

(65) إنّ أكبر محاكم دمشق هي محكمة الكبرى التي هي مقر قاضي قضاة دمشق الحنفي، وتقع في المدرسة النورية الكبرى، والمحكمة الثانية هي محكمة الباب التي تسمى بمحكمة المدرسة النورية أو محكمة الجوزية، لأنّ موقعها في المدرسة الجوزية، وتسمى أيضاً محكمة باب الأفندي، والمحكمة الثالثة هي محكمة قناة العوني أو العونية الواقعة في محلة العمارة، إضافة لوجود محكمة اختصت بالنظر في تركات ومخلفات العسكريين هي القسمة العسكرية، وأخرى للنظر في تركات المدنيين هي محكمة القسمة العربية، وتسمى أيضاً القسمة البلدية، يلي ذلك محاكم في ظاهر دمشق هي محكمة الصالحية، ومحكمة الميدان، أنظر: الأيوبي الأنصاري، نزهة الخاطر، 192/2؛ ابن كنان، الحوادث اليومية، ص29؛ المحي، خلاصة الأثر، 184/4-200؛ مارينو، بريجت، أوكاوارا، توموكي، دليل سجلات المحاكم الشرعية العثمانية المحفوظة بمركز الوثائق التاريخية بدمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ومركز الوثائق التاريخية، دمشق 1999م، ص16؛

Rafeq, Abdul-Karim, "The Law Court Register of Damascus with Special Reference to Craft Corporations during The First Half of 18th Century", **Les Arabes Par Leurs Archives**, Paris 1976, pp143-145.

(66) الأيوبي الأنصاري، نزهة الخاطر، 210/2.

- 67) المحيي، خلاصة الأثر، 35/4.
- 68) ابن كنان، محمد بن عيسى الصالحي (ت1153هـ/1740م)، المروج السندسية الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحية، تحقيق محمد دهمان، مطبعة الترقى، دمشق 1947م، ص35، (سيشار له: ابن كنان، المروج السندسية).
- 69) سجل شرعي رقم 7، ص45، 1 شتّان 1057هـ.
- 70) سجل شرعي رقم 8، ص118، 22 صتّ 1061هـ.
- 71) فضل الله، فيض المتان، ق234. والمابين تعني تولي القضاء بصورة مؤقتة حتى وصول القاضي المعين رسمياً من الدولة إلى مقر حكمه.
- 72) سجل شرعي رقم 7، ص95، 7 مخزّ 1058هـ.
- 73) سجل شرعي رقم 7، ص46، 4 شتّان 1057هـ.
- 74) سجل مشوش رقم 1، ص243، 28 صتّ 1070هـ؛ سجل مشوش رقم 6، ص64، 9 جلال 1070هـ.
- 75) المحيي، خلاصة الأثر، 105/2.
- 76) المحيي، خلاصة الأثر، 127/4؛ الكمال الغزي، محمد بن محمد العامري (ت1214هـ/1799م)، الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي، مخطوط مصوّر عن نسخة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ق62، (سيشار له: الكمال الغزي، الورد الأنسي).
- 77) فضل الله، فيض المتان، ق393.
- 78) أبو المعالي الغزي، لطائف المننة، ق15-23.
- 79) سجل مشوش رقم 1، ص372، 10 رجب 1075هـ.
- 80) سجل شرعي رقم 17، ص114، 2 جلال 1101هـ.

- 81) سجل شرعي رقم 18، ص 166، 25 ص 1101هـ.
- 82) سجل شرعي رقم 26، ص 24، 21 ص 1112هـ.
- 83) مجهول، مجموعة مستعذبة فيها أسماء قضاة ووزراء وأمراء الحج في دمشق، جمعها مجهول سنة 1220هـ/1805م، مخطوط على شرائح مايكروفيش في مركز الوثائق بالجامعة الأردنية رقم 53/2.
- 84) مجهول، ذكر دمشق الشام وتاريخ وزرها وقضاها ومفتيها أو رسالة في من تولا وقضا وأفتا في مدينة الشام من حين انقضا دولة الجراكسة إلى سنة ألف ومائتين وأربعين [هكذا في الأصل]، مخطوط يقع في 33 ورقة، مصور في مركز الوثائق بالجامعة الأردنية، ق 31 (سيشار له: مجهول، ذكر دمشق الشام)؛ ابن كنان، الحوادث اليومية، ص 104 .
- 85) الإفتاء وظيفه دينية هامة، فالمفتي يأتي بعد قاضي قضاة دمشق في الترتيب الإداري، حيث يُعين المفتي الحنفي من قبل شيخ الإسلام في العاصمة، ويبقى في منصبه حتى وفاته أو استقالته أو تعييه، وتمثل مهمة المفتي بالإجابة عن الأسئلة الفقهية الموجهة إليه، إضافة لمهام أخرى قد يقوم بها، أنظر: الصباغ، المجتمع السوري، ص 122-123؛ المرادي، سلك الدرر، 1/219.
- 86) العلي، تكملة شذرات، 1/578.
- 87) المحي، نفحة الريحانة، 2/90.
- 88) سجل شرعي رقم 28، ص 45 جديد، 16 ص 1113هـ.
- 89) سجل شرعي رقم 26، ص 412، 1 ص 1114هـ.
- 90) سجل شرعي رقم 18، ص 101-102، 19 ص 1101هـ.

- 91) انظر حول علوم هؤلاء في: سجل مشوش رقم 7، ص 7، 20 رَجَب 1129هـ؛ ابن شاشو، تراجم أعيان دمشق، ص 40؛ الكمال الغزي، كمال الدين محمد بن محمد (ت 1214هـ/1799م)، النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد الحافظ ونزار أباطة، دار الفكر، دمشق 1982م، ص 187، (سيشار له: الكمال الغزي، النعت الأكمل)؛ ابن كَنان، المواكب الإسلامية، 1/ 102.
- 92) الصيادي، الروض البسام، ص 74.
- 93) العلي، تكملة شذرات، 1/ 559.
- 94) العلموي، عبد الباسط، ت 981هـ/1573م، مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس، تحقيق صلاح الدين المنجد، مديرية الآثار القديمة بدمشق، مطبعة الترقى، دمشق 1947م، ص 35 - 49.
- 95) الحمزاوي، منتخبات من تاريخ، ص 34.
- 96) سجل شرعي رقم 8، ص 124، ختام ص 1061هـ.
- 97) سجل شرعي رقم 7، ص 52، 4 رَمَضَانَ 1057هـ.
- 98) المحيي، خلاصة الأثر، 2/ 105.
- 99) سجل شرعي رقم 7، ص 45، 1 شَعْبَانَ 1057هـ؛ فضل الله، فيض المَنان ق 234.
- 100) المحيي، خلاصة الأثر، 2/ 437؛ المرادي، سلك الدرر، 1/ 246.
- 101) سجل شرعي رقم 26، ص 412، 1 رَجَب 1114هـ؛ فضل الله، فيض المَنان، ق 393.
- 102) سجل شرعي رقم 12، ص 25، 387 شَعْبَانَ 1095هـ؛ المرادي، سلك الدرر، 3/ 66.

- 103) سجل شرعي رقم 26، ص 29، 26 رَجَزًا 1112هـ؛ ابن كَنَّان، المروج
السندسية، ص 42.
- 104) المرادي، سلك الدرر، 70/4.
- 105) ابن كَنَّان، الحوادث اليومية، ص 318؛ المرادي، سلك الدرر، 154/2
- 106) البارة: تعني فراطة أو فكة، وهي أصغر وحدة نقد عثماني، وقد حَلَّت محل
الآقجة في أواخر القرن السابع عشر الميلادي لكثرة الغش في الآقجة، انظر: خليل
الساحلي، "النقود في البلاد العربية في العهد العثماني"، مجلة كلية آداب الجامعة
الأردنية، عمان، م 2، أيار 1971م، ص 107-109؛ عبد الكريم رافق، "الفئات
الاجتماعية وملكية الأرض"، مجلة دراسات تاريخية، ع 35 و 36، آذار وحزيران
1990، ص 112.
- 107) سجل شرعي رقم 18، ص 51، 21 رَجَزًا 1100هـ.
- 108) المحبي، خلاصة الأثر، 105/2.
- 109) الكمال الغزي، الورد الأنسي، ق 62.
- 110) باعلوي، محمد بن أبي بكر بن أحمد الشلي، عقد الجواهر والدرر في أخبار
القرن الحادي عشر، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة تريم الحديثة، مكتبة الإرشاد،
صنعاء، ص 345 (سيشار له: باعلوي، عقد الجواهر).
- 111) هذا المؤلف مخطوط مكوّن من 255 ورقة، وتوجد منه الورقات الست والثلاثون
الأولى في معهد الثقافة والدراسات الشرقية في جامعة طوكيو اليابانية.
- 112) المرادي، سلك الدرر، 74/3.

- 113) الحسيني العطار، مخطوط تراجم مشاهير ق11 و12هـ، شريحة 8؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، 8 ج، ط16، دار العلم للملايين، بيروت 2005م، 68/1، (سيشار له: الزركلي، الأعلام).
- 114) ابن حمزة، إبراهيم بن محمد الحسيني الحنفي الدمشقي (ت1120هـ/1708م)، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، 3 ج، ط1، المكتبة العلمية، بيروت 1982م، الصفحة الأخيرة من الجز الثالث.
- 115) ابن الراعي، محمد بن مصطفى بن خداويردي، ت1195هـ/1781م، البرق المتألق في محاسن جلق، تحقيق محمد أديب الجادر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 2008م، ص154، (سيشار له: ابن الراعي، البرق المتألق).
- 116) سجل شرعي رقم16، ص27، 13 ربيع الثاني 1100هـ.
- 117) سجل شرعي رقم2، ص192، 11 ربيع الثاني 1036هـ.
- 118) ابن كنان، المواكب الإسلامية، 95/1.
- 119) ابن كنان، الحوادث اليومية، ص139.
- 120) ابن شاشو، تراجم أعيان دمشق، ص41.
- 121) المحبي، خلاصة الأثر، 105/2-107.
- 122) الحمزاوي، بسام، "الحمزاوي نقيب الأشراف"، الموسوعة العربية، 22 ج، ط1، مؤسسة الصالحاني للطباعة، دمشق 2003م، 557/8، (سيشار له: الحمزاوي، نقيب الأشراف).
- 123) الكمال الغزي، النعت الأكمل، ص242-244.
- 124) الكمال الغزي، الورد الأنسي، ق62.
- 125) المحبي، نفحة الريحانة، 18-10/2.

- 126) ابن كنان، المواكب الإسلامية، 268/1.
- 127) فضل الله، فيض المنان، ق392.
- 128) ابن شاشو، تراجم أعيان دمشق، ص16.
- 129) ابن النقيب، عبد الرحمن بن محمد الحمزاوي، ت1081هـ/1670م، ديوان ابن النقيب، تحقيق خليل مردم بك، منشور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م31، ج1، 1 كانون الثاني 1956م، ص4-9.
- 130) باعلوي، عقد الجواهر، ص336.
- 131) المحبي، نفحة الريحانة، 44/2.
- 132) المحبي، خلاصة الأثر، 392/2.
- 133) ابن الراعي، البرق المتألق، ص41-43.
- 134) المرادي، سلك الدرر، 66/3.
- 135) ذكر محقق كتاب الحوادث اليومية لابن كنان أنّ للسيد عبد الكريم الحمزاوي 130 بيتاً من الشعر، إلا أنه أسقطها لاختلاف قافيتها ووزنها وبحورها.
- 136) ابن الراعي، البرق المتألق، ص253.
- 137) ابن شاشو، تراجم أعيان دمشق، ص40.
- 138) سجل شرعي رقم14، ص205، 11 جلاله 1096هـ.
- 139) الخياري المدني، إبراهيم بن عبد الرحمن (ت1083هـ/1672م)، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، 3ج، تحقيق رجاء محمود السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، 103/1، (سيشار له: الخياري المدني، تحفة الأدباء). وانظر أمثلة على مجالس علمية حضرها أعيان من دمشق في: المحبي، خلاصة الأثر، 26/1؛ المحبي، نفحة الريحانة، 78/2؛ ابن شاشو، تراجم أعيان دمشق، ص24؛ المرادي، سلك الدرر، 246/1.

- 140) المحيي، خلاصة الأثر، 475/2.
- 141) أبو المعالي الغزي، لطائف المنة، ق23؛ المرادي، سلك الدرر، 26/1؛ الزركلي، الأعلام، 68/1 .
- 142) ابن العماد، شذرات الذهب، 614/10.
- 143) المرادي، سلك الدرر، 154/2.
- 144) الخياري المدني، تحفة الأدباء، 104/1.
- 145) المشيخات: جمع مشيخة وهي مؤلف يقوم على ذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم المؤلف والإجازات والأسانيد التي حصل عليها مع ذكر بعض التراجم المختصرة لهؤلاء الشيوخ، وترد المشيخة أحياناً باسم آخر هو (ثبت)، ومن أشهر الأمثلة على تلك المؤلفات: مشيخة الكمال الحمزاوي، ومشيخة أبي المواهب، ومشيخة الدكدكجي، وثبت السليمي، ومجموع إجازات الكمال الغزي.
- 146) الكمال الغزي، الورد الأنسي، ق61-62.
- 147) المرادي، سلك الدرر، 32/3.
- 148) انظر حول تولي الشافعيين لمنصب قاضي القضاة ومنصب إفتاء دار العدل في: القلقشندي، أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، علّق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر، 199/4.
- 149) سجل شرعي رقم16، ص13 ، 3 صق 1100هـ.
- 150) سجل شرعي رقم11، ص32 - 33 ، 3 صق 1093هـ؛ وسجل 17، ص70 - 73، 26 صق 1101هـ.
- 151) سجل شرعي رقم5، ص28 ، 25 صق 1047هـ.
- 152) سجل شرعي رقم7 ، ص115، 17 صق 1058هـ.

- 153) سجل شرعي رقم 27، ص 106، 8 رَمَضان 1117هـ.
- 154) سجل شرعي رقم 8، ص 124، ختام صَقَر 1061.
- 155) سجل شرعي رقم 11، ص 136، 15 صَقَر 1093هـ.
- 156) سجل شرعي رقم 11، ص 17، 9 صَقَر 1093هـ.
- 157) ابن كَنان، المواكب الإسلامية، 233/1.
- 158) سجل مشوش رقم 2، ص 138، 21 ربيعان 1091هـ.
- 159) المحبي، خلاصة الأثر، 439/3.
- 160) الحمزاوي، منتجات من تاريخ، ص 33.
- 161) سجل شرعي رقم 22، ص 251، 25 رَمَضان 1111هـ.
- 162) سجل شرعي رقم 11، ص 7، 9 صَقَر 1093هـ.
- 163) سجل 18، ص 68، 16 مَحَر 1101هـ. ووقف آل منجك نسبة للأمير محمد بن منجك وهو من رجال الحكم في زمن المماليك، وقد استحق من ريع وقفه أناس من عائلة العجلاني والحجار والحمزاوي وغيرهم. أنظر: العلي، تكملة شذرات، 601/1.
- 164) ابن كَنان، الحوادث اليومية، ص 116.
- 165) ابن كَنان، الحوادث اليومية، ص 139.
- 166) سجل مشوش رقم 2، ص 138، 21 ربيعان 1091هـ.
- 167) المحبي، خلاصة الأثر، 292/3.
- 168) سجل شرعي رقم 20، ص 23، 19 رَمَضان 1102هـ.
- 169) البوريني، تراجم، 38/1. أوقاف بني المزلق: هي ما وقفه شهاب الدين أحمد بن المزلق وما وقفه شمس الدين محمد بن علي بن المزلق من كبار تجار دمشق الذي توفي سنة 848هـ/1444م، وهي أوقاف كثيرة ومتنوعة في قرى كثيرة من قرى دمشق أبرزها دار

في سوق البزورية وبساتين في قرى جوهر والحديثة وكفر بطنا والقابون وعربيل وقبر إلياس والبقاع العزيزي وغيرها، وهو وقف ذُري استفاد من ريعه أناس من دمشق مثل السيد حسين بن عبد اللطيف بن المزلق، وعائلة الحمزاوي، سجل مشوش رقم 8، ص 40، 7 رَجَب 1106هـ؛

EL-Zawahreh, T, **Religious Endowments and Social Life in the Ottoman Province of Damascus in the 16th and 17th Centuries**, Mutah University, karak, 1995, P167.

(170) سجل مشوش رقم 1، ص 313، 17 رَجَب 1091هـ؛ سجل مشوش رقم 2، ص 138، 21 رَجَب 1091هـ

(171) سجل شرعي رقم 28، ص 45، 16 صَفَر 1113هـ

(172) سجل مشوش رقم 3، ص 43، 15 رَجَب 1101هـ؛ سجل شرعي رقم 18، ص 68، 16 مَحْرَم 1101هـ؛ سجل مشوش رقم 1، ص 313، 17 رَجَب 1091هـ؛ ابن كَنان، الحوادث اليومية، ص 116، 139 .

(173) سجل شرعي رقم 22، ص 253، 26 رَجَب 1111هـ.

(174) سجل شرعي رقم 22، ص 13-15، 19 رَجَب 1112هـ.

(175) سجل شرعي رقم 28، ص 29، 44 رَجَب 1113هـ.

(176) سجل مشوش رقم 1، ص 28، 366 رَجَب 1075هـ.

(177) سجل شرعي رقم 27، ص 169، 5 مَحْرَم 1118هـ.

(178) من العقارات التي باعتها السيدة نجبية الحمزاوي: غراس حاكورة بالصالحية وجنينة وغراس في النيرب وحنوت في سوق الخياطين، وباع إبراهيم الحمزاوي خمسة بساتين و

- ثلثين من غراس ودارين، سجل شرعي رقم 11، ص 23، 105 ربيع الأول 1093هـ، سجل شرعي رقم 16، ص 3، 13 صفر 1100هـ.
- (179) الغزي، لطف السمر، 87/1.
- (180) من أمثلة القروض: استدانة عبد الكريم الحمزاوي 220 قرشاً من يتيم ولي آغا القبولية لمدة سنة، واستدانته 880 قرشاً من حسن القول أوغلي تُسدد على قسطين، سجل شرعي رقم 22، ص 55، 1109هـ؛ سجل شرعي رقم 12، ص 276، 1095هـ.

* قائمة المصادر والمراجع:

- الإيش، أحمد والشهابي، قتيبة، معالم دمشق التاريخية دراسة تاريخية ولغوية عن أحيائها ومواقعها القديمة، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق 1996م.
- الأيوبي الأنصاري، شرف الدين موسى (ت 1002هـ/1594م)، نزهة الخاطر وبهجة الناظر، 2م، تحقيق عدنان إبراهيم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1991م.
- باعلوي، محمد بن أبي بكر بن أحمد الشلي، عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة تريم الحديثة، مكتبة الإرشاد، صنعاء.
- البصروي، علاء الدين بن يوسف (ت 905هـ/1500م)، تاريخ البصروي، صفحات مجهولة من تاريخ دمشق، تحقيق أكرم العلي، دار المأمون للتراث، دمشق 1988م.
- أبو البقاء، كمال الدين محمد بن حمزة (ت 933هـ/1527م)، مشيخة السيد كمال الدين أبي البقاء محمد بن حمزة بن أحمد الحسيني الدمشقي الشافعي، مخطوط نسخة مصورة في مركز الوثائق بالجامعة الأردنية، شريط 258.

- البوريني، الحسن بن محمد (ت 1024هـ/1615م)، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، 2م، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق 1959م.
- جب، هاملتون، وبون، هارولد، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989م.
- الحسيبي العطار، ابن أحمد حسيب، تراجم مشاهير القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجري، نسخة مخطوطة مصورة في مركز الوثائق بالجامعة الأردنية على شرائح مايكروفيش من مكتبة الظاهرية رقم 9667.
- الحسيني النجفي، السيد محمد بن أحمد بن عميد الدين، بحر الأنساب أو المشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف، نسخة مخطوطة مصورة عن دار الكتب المصرية بالقاهرة في جامعة مؤتة في الأردن.
- الحصني، محمد أديب (ت 1358هـ/1940م)، منتخبات التواريخ لدمشق، قدّم له كمال الصليبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979م.
- الحمزاوي، بسام عبد الكريم، (د.ت)، منتخبات من تاريخ نقابة الأشراف ومن تولاها من آل الحمزاوي، نسخة منه في مكتبة الأسد.
- الحمزاوي، الشيخ محمد بن حسين (ت 1395هـ/1975م)، مجموع في نسب وتراجم آل الحمزاوي، مخطوط، اعتنى بإخراجه بسام الحمزاوي، نسخة في مكتبة الأسد بدمشق رقم 16450.
- الحنبلي، أبو المواهب محمد البعلي (ت 1126هـ/1714م)، مشيخة أبي المواهب الحنبلي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق 1990م.

- الخياري المدني، إبراهيم بن عبد الرحمن (ت1083هـ/1672م)، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، 3ج، تحقيق رجاء محمود السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام.
- ابن الراعي، محمد بن مصطفى بن خداويردي، ت1195هـ/1781م، البرق المتألق في محاسن جلق، تحقيق محمد أديب الجادر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 2008م.
- الرفاعي، أحمد محمود، حوار علمي مع فضيلة السيد عبد الكريم الحمزاوي، نقيب السادة الأشراف بالإجازة بدمشق، مركز علوم الحديث النبوي.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، 8ج، ط16، دار العلم للملايين، بيروت 2005م.
- السامرائي، قاسم حسن، نقابة الأشراف في المشرق الإسلامي حتى نهاية الأسرة الجلائرية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية 1999م، ص28.
- ابن شاشو، عبد الرحمن بن محمد (ت1128هـ/1716م)، تراجم بعض أعيان دمشق، المطبعة اللبنانية، بيروت 1886م، نسخة ورقية محفوظة في مركز الوثائق بالجامعة الأردنية.
- الشطي، محمد جميل بن عمر (ت 1379هـ/1959م)، تراجم أعيان دمشق في القرن13ونصف القرن14هـ، المكتب الإسلامي، دمشق 1946م.
- الشهابي، قتيبة، أسواق دمشق القديمة ومشيداتها التاريخية، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق 1990م.
- صاريجك، مراد، نقابة الأشراف في الدولة العثمانية، ترجمة سهيل صابان، دار القاهرة، القاهرة 2007م.

- الصباغ، ليلى، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1973م.
- الصواف، محمد شريف عدنان، موسوعة الأسر الدمشقية، 3 ج، ط2، بيت الحكمة، دمشق 2010م.
- الصيادي، أبو الهدى محمد بن حسن (ت1327هـ/1909م)، الروض البسام في أشهر البطون القرشية في الشام، تحقيق أحمد شوحان، مكتبة التراث، دير الزور 1993م.
- ابن طولون، محمد الصالحي (ت953هـ/1546م)، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط2، دار الفكر، دمشق 1984م.
- عابدين، محمد مرشد، الدر الثمين في نسب السادة الطاهرين، دار النعمان للعلوم، دمشق 2002م.
- العراقي، محمد طه بن يحيى، عاش في نهاية القرن 12هـ/18م، رحلة ابن يحيى العراقي، مخطوط يقع في 111 ورقة، مركز الوثائق بالجامعة الأردنية، شريط رقم 9.
- العلي، أكرم حسن، تكملة شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تراجم القرن 11هـ، دار الطباع للنشر، دمشق 1991م.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي العكري الحنبلي (ت1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 10 ج، تحقيق عبد القادر ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق وبيروت 1993م.

- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت1061هـ/1651م)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، 3ج، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م.
- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت1061هـ/1651م)، لطف السمر وقطف الثمر، 2م، تحقيق محمود الشيخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1972م.
- فضل الله المحيي، ابن محب الله بن محب الدين (ت1082هـ/1671م)، فيض المنان في تراجم أعيان الزمان، وهو ذيل تاريخ حسن البوريني، مخطوط، نسخة ورقية مصورة في المعهد الفرنسي للشرق الأدنى بدمشق.
- الكمال الغزي، كمال الدين محمد بن محمد (ت1214هـ/1799م)، النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد الحافظ ونزار أباطة، دار الفكر، دمشق 1982م.
- الكمال الغزي، محمد بن محمد العامري (ت1214هـ/1799م)، الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي، مخطوط مصور عن نسخة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ابن كنان، محمد بن عيسى الصالحي (ت1153هـ/1740م)، المروج السندسية الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحية، تحقيق محمد دهمان، مطبعة الترقى، دمشق 1947م.
- ابن كنان، محمد بن عيسى الصالحي (ت1153هـ/1740م)، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، 2ج، تحقيق حكمت إسماعيل، وزارة الثقافة، دمشق 1992م.

- ابن كَثَّان، محمد بن عيسى الصالحى (ت1153هـ/1740م)، يوميات شامية، أو الحوادث اليومية في تاريخ أحد عشر وألف وميه، بين سنة 1111 وسنة 1153هـ ، تحقيق أكرم العلي، دار الطباع، دمشق 1994م.
- كيدو، كرم، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ترجمة هاشم الأيوبي، جروس برس، طرابلس- لبنان 1992م.
- مجهول، ذكر دمشق الشام وتاريخ وزرها وقضاتها ومفتيها أو رسالة في من تولا وقضا وأفتا في مدينة الشام، مخطوط مصور في مركز الوثائق بالجامعة الأردنية.
- المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت1111هـ/1699م)، خلاصة الأثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر، 4ج، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.
- المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين (ت1111هـ/1699م)، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، طبع بدار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- المرادي، محمد خليل بن علي (ت1206هـ/1792م)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ضبطه وصححه محمد شاهين، 4ج، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م.
- أبو المعالي الغزي، محمد بن عبد الرحمن بن علي (ت1167هـ/1753م)، لطائف المنة في فوائد خدمة السنة، تراجم لأعلام من القرن 12هـ، مخطوط مصور في مركز الوثائق بالجامعة الأردنية شريط رقم 158.

* المراجع الأجنبية:

-
- Rafeq, Abdul-Karim. **The Province of Damascus 1723-1783**, Beirut 1966. PP23- 24.
 - Rafeq, Abdul-Karim, "The Law Court Register of Damascus with Special Reference to Craft Corporations during The First Half of 18th Century", **Les Arabes Par Leurs Archives**, Paris 1976, pp143-145.
 - A. Havemann. art "**Naḳīb Al-Ashrāf**", E.I.2, Vol7, p926.
 - EL-Zawahreh, T. **Religious Endowments and Social Life in the Ottoman Province of Damascus in the 16th and 17th Centuries**, Mutah University, karak, 1995, P167.

إضراب الثمانية أيام يرفع صوت الجزائر إلى مبنى نيويورك.

د. لوافي سومية - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الجيلالي

ليابس - سيدي بلعباس

الملخص:

يعتبر إضراب الثمانية أيام من 28 جانفي إلى 04 فيفري 1957 حدثا بارزا في مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية، الذي كان نتيجة للنجاح الكبير الذي حققه مؤتمر الصومام التاريخي، حيث نظم العمل الثوري بالداخل والخارج ووضع قواعد تنظيمية للعمل الميداني العسكري والسياسي والإداري والاجتماعي. كما تزامن تنظيم هذا الحدث التاريخي الهام والانتصارات الكبيرة التي حققها جيش التحرير الوطني على العدو، أما في الإطار السياسي الدولي فقد صادف إدراج القضية الجزائرية في برنامج الأمم المتحدة خلال دورتها الثانية عشر. أكد الشعب الجزائري عبر استجابته لنداء الإضراب أنه متمسك بالثورة، ومرتبطة بجهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد له، وكان الإضراب فرصة لوكالات الأنباء ومراسلي الصحف الأجنبية لكشف الصورة الواقعية التي يحياها الشعب الجزائري في ظل الاحتلال، وإيصالها للرأي العالمي، وكذلك الأساليب

القمعية التي تستخدمها السلطات الفرنسية لإفشال الإضراب الذي كان بمثابة انتفاضة شاملة اندفع فيها الشعب وحمل صوت الجزائر عاليا إلى مبنى نيويورك، أين فتح النقاش حول القضية الجزائرية خلال الدورة الثانية عشر لهيئة الأمم المتحدة.

Summary

The strike the eight days 28 January to 04 February 1957 event a prominent in March of the revolution editorial Algerian, who was the result of success great achieved conference SOMMAM historical, where systems work revolutionary at home and abroad and regulations to work field military and political and administrative and social. As synchronization organizing this historic event important victories large achieved by the national liberation Army on the enemy, either in the frame international political have encountered the inclusion of the case of Algerian in the United

nations program through its second ten. Confirmed the Algerian people across its response to call the strike that adheres revolution, and is linked to the Front National Liberation, sole legitimate representative of him, and the strike was an opportunity for news agencies and correspondents of foreign newspapers to expose the photo-realism being experienced by the Algerian people lost in the occupation, and delivery of world opinion, as well as the repressive methods used by the French authorities to thwart the strike which served as a comprehensive uprising pushed the people and carry a high voice Algeria to New York building, where open debate on the Algerian issue during the twelfth session of the United Nations.

تميز وضع الجزائر عشية الإضراب بازدياد عمليات القمع من جانب الحكومة الفرنسية اليسارية التي كان يرأسها "غي موليه" وخاصة بعد أن منحها المجلس الوطني الفرنسي كامل السلطات وبعد تضليلها للرأي العام الفرنسي والدولي لحقيقة القضية الجزائرية¹.

يعتبر إضراب الثمانية أيام حدث بارزا في مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية الذي كان نتيجة للنجاح الكبير الذي حققه مؤتمر الصومام الذي نظم العمل الثوري بالداخل والخارج ووضع قواعد تنظيمية للعمل الميداني العسكري والسياسي والإداري، كما تزامن تنظيم هذا الحدث التاريخي والانتصارات الكبيرة التي حققها جيش التحرير الوطني على العدو أما في الإطار السياسي الدولي فلقد صادف إدراج القضية الجزائرية في برنامج الأمم المتحدة خلال دورتها الثانية عشر في 16 سبتمبر 1957².

الهدف من الإضراب:

تمحور الهدف من تنظيم الإضراب أساسا في بحث كيفية إيصال القضية الجزائرية لمنظمة الأمم المتحدة قصد تدويلها للحصول على المزيد من الدعم السياسي الدولي، لقد كانت معركة سياسية وقعتها جبهة التحرير الوطني لا سماع العالم صوت الجزائر المطالب بالحرية والاستقلال، وفي الحقيقة أن الإضراب

كان ضرورة حتمية لتأكيد التفاف الشعب الجزائري حول قيادة الثورة³ ،
وكاستفتاء لقياس درجة تعلقه بحزب جبهة التحرير الوطني باعتبارها الممثل
الشرعي له⁴ .

كما جاء نتيجة للضغط الكبير الذي كانت تعاني منه مدينة الجزائر،
وسياسة القمع التي اعتمدها الحاكم العام لأكوست وأشرف على تنفيذها قائد
المظليين الجنرال ماسو⁵ .

تطبيقا لقرارات مؤتمر الصومام الرامية إلى تصعيد العمل الثوري والسياسي
واشتراك كامل شرائح الشعب الجزائري في الثورة، يجتمع أعضاء لجنة التنسيق
والتنفيذ يوم 22 جانفي 1957 في العاصمة وبعد اقتراحات اتفق كل من
"عبان رمضان" و"العربي بن مهدي"⁶ و"يوسف بن خدة"⁷، على تاريخ 28
جانفي 1957 لبدء الإضراب وذلك قبيل فتح ملف القضية الجزائرية في
نيويورك، أوكلت المهمة إلى الولايات الستة حيث شكلت عدة لجان داخل
المصالح والمؤسسات مهمتها التوعية والتوجيه ودعوة السكان للتزويد بالمؤونة
طوال أيام الإضراب، وإيجاد الصيغ الكفيلة لمساعدة العائلات المحتاجة وتوزيع
المناشير والبيانات.

جاء هذا الإضراب إثر النداء الذي أصدرته جبهة التحرير الوطني إلى الشعب الجزائري تدعوه فيه إلى المشاركة المكثفة في الإضراب لمدة أسبوع كامل من 28 جانفي إلى 4 فيفري 1957.

وقد جاء فيه ما يلي: "أيها الشعب المجاهد أيها المواطنين من تجار وعمل وموظفين ومحترفين أنكم ستستعدون لأسبوع الإضراب العظيم، أسبوع الكفاح السلمي للأمة والتي خانها شرف الكفاح المسلح ... فامضوا مصممين واصبروا للمحنة والبطش وأنواع العذاب... وجبهة التحرير بجيشها العتيد من ورائكم تشد أزركم وتأخذ بأيديكم إلى النصر إلى الحرية إلى الاستقلال"⁸.

ويذكر الجيلالي مبارك الذي كان عضوا في قيادة الاتحاد العام للعمال الجزائريين أن عبان رمضان لما تحدث إليه ورفاقه حول خطورة الموضوع، أجابهم قائلا: "هذا أمر...".

وهكذا صدر العدد 13 من صحيفة "العامل الجزائري" يوم 26 جانفي 1957، وهي صحيفة التي قامت بإصدارها أمانة الاتحاد، والتي صدر منها 13 عدد، وصدورت كلها باستثناء العدد الأول جاء فيها حول الإضراب ما يلي:

"الطبقة العاملة تثن إضرابا عاما لمدة 8 أيام بمناسبة مناقشة القضية الجزائرية في الأمم المتحدة"، و صدر نداء الإضراب العام على صدر الصفحة الأولى تحت عنوان "المعركة الكبرى"، هذا بعض ما جاء فيه:

"إن العمال الجزائريين بمختلف فئاتهم شأن جميع المواطنين، لفخورون باستحقاق الإعجاب العالمي، والتضامن الدولي، إنهم يدركون جيدا الأهمية القصوى لهذا الهجوم الدبلوماسي والسياسي.

فالمطلوب أولا تركية جبهة التحرير الوطني كناطق وحيد باسم جيش التحرير الوطني وكقائد للثورة الجزائرية المضفرة.

وثانيا دعوة الأمم المتحدة للضغط على حكومة باريس من أجل قبول وقف إطلاق النار مع الاعتراف بحقنا في الاستقلال الوطني.

لكل هذا يخوض العمال الجزائريون الأقوياء بالوحدة الوطنية عبر الجزائر المكافحة كلها المشجعون بالتضامن الدولي النشيط، والمؤمنون بالنصر القريب، يخوضون بشجاعة هادئة معركة الأمم المتحدة الكبرى التي سيحدد تاريخها قريبا"⁹.

وبعد دراسة الأوضاع الداخلية والخارجية للثورة والسبل الكفيلة بتصعيد الكفاح على جميع الجبهات، تقرر شن إضراب 8 أيام وعمق هذا الإضراب ليس احتجاجا ضد رفع قيمة الضرائب،¹⁰ ولا ضد نقص المواد وسوء التوزيع ولم يكن من أجل مطالب اجتماعية، إنما كان إضرابا سياسيا وعسكريا لأنه جاء تدعيما لمبدأ وحدة الشعب ووحدة القيادة ووحدة التراب ...

وكان عسكريا لأنه أرغم العدو على نقل كتائب المضليين من مراكزها خارج المدن إلى داخل المدن الأمر الذي خفض الحصار على الأرياف ولو بقليل.

لقد نظم هذا الإضراب لمدة أيام 28 جانفي ... 04 فيفري 1957 بمناسبة انعقاد الدورة الاستثنائية لهيئة الأمم المتحدة، بهدف إبراز انضمام كل الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني وهذا بعدما سبقتها فترة تحضيرية لهذا الإضراب حيث عقدت قيادات الثورة اجتماعات مكثفة لذلك عملت لجنة التنسيق والتنفيذ على عقد اجتماع بعد شهر من تعيينها في مؤتمر الصومام، كان ذلك يومي 13-14 سبتمبر 1956، وحرصا على اطلاع الرأي العام الفرنسي والعالمي على النوايا السلمية، والتعلق بمطلب الاستقلال، وجهت اللجنة التحضيرية دعوات إلى كبار الكتّاب الفرنسيين أمثال "فرونسوا أموريك"،

و"ألبير كامبي"، "أندري مندوز" والمحامي "بيار ستيب" صديق الوطنيين الجزائريين، ولقد لب هؤلاء الدعوة، وحضروا أشغال المؤتمر، وألقوا كلمتهم أمام المؤتمرين¹¹ لدراسة الوضع في المجالين الوطني والدولي، وبدأت جبهة التحرير تعمل على إظهار شموليتها وزعامتها للنضال الوطني فاستغلت جملة أحداث طرأت على الوضع الدولي قبل اتخاذها قرار الإضراب وتشمل هذه الأحداث: تحويل طائرة أعضاء الجبهة الخمس وما ترتب عن هذه العملية من ردود الفعل في المجالين الوطني والدولي¹².

- العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الإسرائيلي على مصر الشقيقة في 29 أكتوبر 1956.
- تبني الكتلة "العربية - الآسيوية" للقضية الجزائرية وعزمها على عرض القضية على جمعية الأمم المتحدة.
- ولهذا اتخذ قرار الإضراب، والذي جاء بعد دراسة واقعية من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ بالإجماع.

وبصدد التحضير بذكر ياسف سعدي أن أول من دعا للإضراب كان عبان رمضان الذي التقى بالعربي بن مهدي وأخبره بالقرار ليكلف بعدها بالتحضير له وسط العاصمة (القصة)، أين تم اختيار بيت للالتقاء بالجماعة

التي اختيرت لتنفيذ قرار الجبهة وكنت أحد منظميها، فتم تكليفي بمهمة تنظيم الإضراب باعتبارني أعرف العاصمة جيدا بكل أركانها وإحيائها وهنا كان لابد من تحديد من يقوم بالإضراب ... فتم الاتفاق على أن يكون بالمدن الكبرى، واختيرت العاصمة باعتبارها تضم أكبر كثافة سكانية ... لتبدأ أصعب خطوة وهي إقناع 80 ألف ساكن أو أكثر بالاستجابة للإضراب¹³.

وفي هذا السياق، برز دور كل من الاتحاد العام للعمال الجزائريين الذي لعب دورا بارزا في إنجاح الإضراب وكذا الاتحاد العام للطلبة المسلمين إضافة إلى اتحاد التجار في تنظيم قطاع النقل، البريد والمواصلات والمصالح البلدية والأسواق وغيرها، وقصد شل الحركة من العاصمة طيلة المدة المحددة تم إعلام السكان بقرار الإضراب، وفي هذا الصدد عملت اللجان المختصة على مستوى العائلات المحتاجة لتزويدها بالمواد الغذائية والإعانات المالية وغيرها من المساعدات¹⁴.

يواصل ياسف سعدي حول ذلك .. في هذا الصدد أتذكر الممثل المسرحي حبيب رضا، الذي كان يشتغل بالإذاعة يومها فاستنجدت به وكلفته بإحضار الفنانات اللواتي كن يشتغلن معه أمثال فضيلة الجزائرية، قوسم عويشة ليقمن بإحصاء العائلات الفقيرة التي كان علينا تأمين المؤونة لها أيام الإضراب

وصد إنجاحه وضع العربي بن مهدي تحت تصرفي مبلغ بقيمة 10 ملايين فرنك فرنسي لتأمين الأكل للعائلات الجزائرية في فترة الإضراب¹⁵.

أما على الصعيد العسكري فلقد أعطيت الأوامر لجيش التحرير الوطني بتكثيف عملياته عبر كامل التراب الوطني، ومع اقتراب الموعد وزعت كل ولاية مناشير تحدد تاريخ بداية الإضراب ونهايته وتم توجيه نداءات عبر الإذاعة السرية "صوت الجزائر المكافحة" في أول بث لها في ديسمبر 1956، وتعدت الدعوة داخل الوطن لتصل إلى تونس والمغرب وفرنسا لإنجاح هذا الإضراب¹⁶.

سير الإضراب:

خيم صمت رهيب على المدن في صباح ذلك اليوم المنشود، ولم يعكر صفو هذا الصمت سوى مكبرات الصوت التي كان المستعمر يستعملها لإفشال الإضراب...، وتوالت الأيام الثمانية، اليوم تلو الآخر والصمت لا يزال يخيم على المدن بالرغم من تكثيف دوريات العدو للأعمال الإجرامية الوحشية، إننا لا نبالغ إذ قلنا أن الإضراب لم يشمل أصحاب المتاجر والموظفين والعمال فحسب بل تعدى إلى جماهير الشعب التي قاطعت متاجر المعمرين القليلة التي فتحت فقد رفض الشعب أن يشتري من المحلات المفتوحة التابعة للمعمرين الذين أصابتهم حالة الذعر والانهيار، استجابة كل الشرائح

الاجتماعية الجزائرية لتعليمات جبهة التحرير، وشمل الإضراب كل التراب الوطني والخارج أيضا، حيث تتواجد الجالية المهاجرة في فرنسا، وبلغت نسبة الإضراب 90% وتجلت مظاهر الإضراب في غلق الدكاكين ومقاطعة الشراء، حتى يتمكن مسؤولو الثورة في الخارج من استغلال الأحداث وتنوير الرأي العام الخارجي بالقضية الجزائرية¹⁷.

وفي اليوم الأول للإضراب وكذلك في اليوم الثاني كان النجاح تاما وكاملا في جميع التراب الوطني وخصوصا في المدن التي ألحت عليها القيادة فكانت المدن خالية من الناس وكانت جميع المتاجر والمحلات التي يملكها المسلمون مغلقة وجميع العمال والموظفين المسلمين لم يلتحقوا بعملهم.

وفي نهاية اليوم الثاني قام حوالي 10000 جندي من الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال ماسو بتكسير أبواب المحلات التجارية وإتلاف ما فيها ثم أرغموهم على العمل ثم أخذوا يعتقلون بصدفة عشوائية عن الرجال والنساء... وأصبحت المدينة تعيش معركة حربية حقيقية ورغم كل هذا استمر الإضراب¹⁸.

وتداولت الصحف العربية والعالمية نبأ الإضراب فهذه جريدة (الصباح) التونسية وتحت عنوان "إضراب عام بمدينة الجزائر، الجيش يحاصر الأحياء العربية والطائرات العمودية تحلق فوقها" جاء فيه مايلي:

قام أصحاب الدكاكين العربية بالعاصمة الجزائرية منذ صبيحة أمس بإبصاد أبواب محلاتهم، وقد احتشدت قوات كبيرة من الجند بالحلي العربي، وأخذت الطائرات العمودية تحلق فوق الإحياء العربية كما قامت قوات البوليس والجند بتنظيم حملات تفتيش واسعة النطاق بالعاصمة الجزائرية¹⁹.

انطلق الإضراب باليوم المحدد رغم التهديدات التي سبقته من قبل السلطات الاستعمارية، وتحولت المدن النشيطة إلى مدن مشلولة، حيث توقفت حركة النقل والتجارة والفلاحة والتعليم والإدارة لمدة أسبوع كامل²⁰.

ردود فعل السلطات الاستعمارية:

قابلت السلطات الاستعمارية الشعب الجزائري بالقمع والتعذيب، وألقت القبض على عدة أنفار منه وذكرت وكالة الأنباء الفرنسية أن معظم الذي ألقى عليهم القبض ينتمون إلى الحزب الشيوعي الذي وقع حله وقد أرغمت قوات البوليس بعض التجار على فتح أبوابهم غصبا، وألقت على من أبي ذلك منهم²¹.

وقد كشفت الصحف عن الوسائل التي استعملها الجنرال ماسو لحل الإضراب، فضلا عن كبر الدكاكين وإتلافها، قام باكتساح الأحياء العربية وطردها

العمال والموظفين المضرين، وتفنن في الاعتداءات التي لا يمكن وصفها، ومنذ ذلك الحين تكالب جنود المضلات، ففي مدينة الجزائر، تضاعفت عمليات المشط والتطهير بكل ما تتضمن من إتلاف وإنتهاك للحرمات، في حين بلغت الاختطافات والتقتيلات والتعذيبات الحد الأقصى.

وفي بلاد القبائل ضرب الحصار على كامل الناحية منذ عدة أشهر وأصبح الأهالي في مجاعة، وليست لهم أي إمكانية للتموين²².

كما سيقت السلطات الفرنسية للمعلمين والقضاة وموظفي البريد من بيوتهم لأماكن عملهم، وقادت بعضهم إلى مراكز الشرطة لاستجوابهم، وطالت مداهمتهم بيوت المدنيين ليلا ونهارا مستعملين مختلف الأساليب الوحشية لإجبار العمال والموظفين استئناف وظائفهم.

النتائج:

تمخض هذا الإضراب عن نتائج باهرة تمثلت في التفاف الشعب الجزائري حول قاداته في جبهة التحرير والوطني مع إبراز تعلقه بالحرية والسيادة والتحرر من مقولة أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، وهو ما جعل القضية الجزائرية تزداد تأييدا أو مساندة على المسرح العالمي.

رغم الضرر الذي أصاب النظام والتنظيم في مدينة الجزائر فإن الشعب الجزائري سواء في مدينة الجزائر أو في المدن الأخرى أو على المستوى الوطني كله برهن على تضامنه مع جبهة التحرير الوطني ومساندته لها والتعبير على أنها هي الممثل الحقيقي الوحيد له.

- تركية الشعب الجزائري وجمهير المدن بصفة خاصة لمطلب الاستقلال وتعزيز وحدة الشعب.
- كشف المناورات بكل وضوح واتضح الرؤية أمام المناضلين.
- تعرض المواطنين إلى متاعب كثيرة جراء فترة الإضراب وتخطيم المحلات التجارية للمواطنين وتعميمها.
- طرد عدد كبير من العمال والموظفين وإبعاد الكثير من المواطنين عن ديارهم²³.
- اكتشاف السلطات الاستعمارية لنشاط بعض العناصر الوطنية أمثال العربي بن مهدي الذي تم اعتقاله وإعدامه²⁴.
- إسقاط ادعاءات الاستعمار القائلة بأن الثوار عناصر لا علاقة لهم بالشعب.
- تأكيد مساندة الشعب الجزائري لجيش وجبهة التحرير الوطني، تأكيدا عمليا.

- جعل الشعب الجزائري بمختلف شرائحه يساهم في الكفاح والنضال من أجل استرداد استقلاله وحرية²⁵.
- تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة الثانية عشر للجمعية العامة للأمم المتحدة.
- ويستخلص "بن خدة" النتائج التي حصلها هذا الإضراب قائلا²⁶:
- نجاح الإضراب بشهادة الصحف الفرنسية، فصحيفة "لموند" كتبها في عددها الصادر في يوم 29 جانفي 1957 تصف الإضراب بالعاصمة: "سكون مآثر يخيم على مدينة خالية"، وقدرت مجلة "فرانس أبسرفاتور" الأسبوعية نسبة نجاح الإضراب بـ 99%.
- تعزيز وحدة الشعب، وتزكيته مطلب الاستقلال، وفي ذلك ضربة قاسية لمقولة "الجزائر فرنسية".
- كشف املناورة المصالية بكل وضوح التي حاولت معاكسة الإضراب، فأنكشف أمرها للرأي العام الشعبي والفرنسي، حيث انضم الشعب إلى الجبهة بصفة جماعية.
- تجميد الفرقة العاشرة للمضليين، ونهاية الجمهورية الرابعة الفرنسية التي لفظت أنفاسها يوم 13 ماي 1958.

- تزايد الشعور بالخوف وانعدام الأمن عند الكولون رغم وجود الجيش الفرنسي، الأمر الذي كان له أثر في الهجرة الجماعية لهم من الجزائر عشية وغداة الاستقلال.
- تدمير جانب كبير من هياكل الجبهة في العاصمة خاصة، وإلقاء القبض على المواطنين والمناضلين بصفة جماعية وتعذيب وإعدام نخبة من العناصر القيادية ومنهم: "محمد العربي بن مهيدي، المحامي علي منجلي، صالح بوقادوم، ومحمد لانجريط" هذين الأخيرين اللذين جزا بهما إلى زنانات مع الكلاب البوليسية، وقد أصيبا لذلك باختيار عصبي.
- "عبد القادر قدوش" مسؤول الأفواج المسلحة بالعقيبة (أعالي بلكور) الجزائر العاصمة، وقد عذب بـ"شاليمو" حتى لفظ أنفاسه الاخيرة، وإلى جانبه "إبراهيم الشرقي" مسؤول النظام السياسي بمنطقة (الجزائر العاصمة)، الذي عذب عذابا شديدا.
- خروج لجنة التنسيق والتنفيذ من العاصمة تحت ضغط قوات الاحتلال، إلى الولاية الرابعة، ومنها إلى القاهرة عبر تونس والمغرب²⁷.

إن إضراب الثمانية أيام عمل على تغيير كثير من الاستراتيجيات، ونقل الرعب الثوري من الأرياف إلى المدن التي ظنتها فرنسا محصنة من نيران الثورة، ومن جهة أخرى استطاع هذا الإضراب أن يبلغ رسالة للعالم أجمع أن القضية الجزائرية هي قضية شعب يريد الاستقلال ويسعى من أجل تحقيق ذلك بجميع الوسائل التي بين يديه²⁸.

ولعل أهم نتيجة للإضراب ما أدلى به الأستاذ الدكتور "محمد العربي ولد خليفة" قائلا: "الشعب الجزائري... لا يعطي لأية قيادة صكا على بياض، فهو يحكم على الأشخاص من خلال الأفعال، وليس العكس، فإذا تحقق من إخلاصه وتواضعه منحهم ثقته المشروطة بالاستمرار في هذا النهج، وهذا ما حدث بالفعل، فقد وضع شعبنا القيادات المخلصة للثورة والإطارات المتواجدة في مختلف المواقع في منزلة تقترب أحيانا من التقديس... رجال كانت الثورة مدرستهم في مواجهة أجهزة العدو الخبيثة بأساليب الحرب النفسية والإفشال والتشيط، ووسائل القمع والترهيب²⁹.

شهادة المناضل ياسف سعدي بخصوص الإضراب

شهادة المناضل ياسف سعدي أدلى بها خلال الطبعة السابعة للندوة التاريخية لمنتدى الذاكرة في 28 جانفي 2009 التي تشرف عليها جمعية مشعل

الشهيد وجريدة المجاهد تحت عنوان "الذكرى الـ 53 لإضراب 28 جانفي 1957... الدوافع والنتائج".

تمحور الهدف من تنظيم إضراب الثمانية أيام أساسا في بحث كيفية إيصال القضية الجزائرية لمنظمة الأمم المتحدة، قصد تدويلها للحصول على المزيد من الدعم السياسي الدولي، لقد كانت معركة سياسة وقعها جبهة التحرير الوطني لإسماع العالم صوت الجزائر المطالب بالحرية والاستقلال، وفي الحقيقة إن الإضراب كان ضرورة حتمية لتأكيد وإسماع صوته وكفاحه الطويل.

إن التفكير في تنظيم هذا الإضراب التاريخي لم يأت من العدم، حيث سبق ذلك عدة اتصالات مع أبرز قادة الثورة بالعاصمة، وأول من دعا إلى الإضراب كان عبان رمضان الذي التقى العربي بن مهيدي وأخبره بالقرار ليكلف بعدها بالتحضير له وسط العاصمة وبالضبط بالحلي العتيق القصبة، أين اختار العربي بن مهيدي بيت بالمنطقة للالتقاء بالجماعة التي اختيرت لتنفيذ قرار جبهة التحرير وكنت أحد منظميها. فتم تكليفي بمهمة تنظيم الإضراب، باعتبار أنني أعرف العاصمة جيدا بكل أزقتها وأحيائها، وهنا كان لابد من تحديد من يقوم بالإضراب يعني الفئات التي ينبغي أن تشارك فيه فلا يعقل أن

يستجيب له المجاهدون المتواجدون بالجبال وكذا السجناء والفدائيون الذين كانوا يساعدون الثورة، فتم الاتفاق على أن يكون بالمدن الكبرى.

اختيرت العاصمة باعتبارها تضم أكبر كثافة سكانية، وأكد ستلفت الرأي العام العالمي وهو ما كانت تريده الجبهة، وتم الاتفاق على مكان تنظيم الإضراب ووقته، لتبدأ أصعب خطوة وهي إقناع 80 ألف ساكن في العاصمة أو أكثر بالاستجابة للإضراب، وفي هذا الصدد تذكرت الممثل المسرحي المعروف حبيب رضا، والذي كان يشتغل بالإذاعة يومها فاستنجدت به وكلفته بإحضار الفنان اللواتي كن يشغلن معه أمثال فضيلة الجزائرية، قوسم وعويشة غيرهن فأحضرهن وهن لا يدريين لما بعثت الجبهة وراؤهن وراحت كل واحدة منهن تطلق العنان لتفكيرها حول طبيعة المهمة التي ستكلف بها، فرمما ستكون هي نفس مهمة حسيبة بن بوعلي، غير أنه لم يكن من ذلك شيئاً فقد استنجدت بالنساء للقيام بمجرد للعائلات الفقيرة التي كان علينا تأمين المؤونة لها أيام فترى الإضراب.

وقصد إنجاحه وضع العربي بن مهدي تحت تصرفي مبلغ قيمته 10 ملايين فرنك فرنسي لتأمين الأكل للعائلات الجزائرية في فترة الإضراب، وهو

المبلغ الذي لا يكفي حتى لحي واحد لولا التفاف التجار حول الجبهة وتقديم نصف المعونة بالمجان لما عرفوا أن القضية وطنية وتخص جميع أبناء الوطن.

وباقتراب موعد الشروع في الإضراب كانت مخاوفنا تزداد بعدم نجاحه، خاصة وأن فرنسا لما علمت به أطلق قادتها العسكريون تهديدات بغلق جميع المحلات التجارية التي تؤيد مطلب جبهة التحرير الوطني، في صبيحة يوم 28 جانفي تفاجأ الجميع بالاستجابة الواسعة للعائلات الجزائرية لطلب الجبهة فقد انقطعت في اليوم الأول من الإضراب الحركة بالموانئ وفي الشوارع قبل بزوغ الشمس.

وفيما يتعلق بردود فعل الإدارة الاستعمارية تجاه هذا المسعى الذي التف حوله الشعب الجزائري، فقد كانت رهيبة مارستها حكومة لاكوست ضد الجزائريين المشاركين في الإضراب كالقيام باستجواب ما لا يقل عن 40 بالمائة من الشعب الجزائري لاسيما القاطنين بالقصبة وإرسال بعضهم إلى السجون والمحتشدات العسكرية، إضافة إلى تشريد وطرده الكثير من العائلات إلى العراء كمحاولة منها لكسر الإضراب وإجبار العمال والتجار على مزاولة أشغالهم، وذلك من خلال البيانات والوعود الكاذبة التي كانت تسوقها باسم جبهة وجيش التحرير الوطني.

الهوامش:

- ¹ أحمد منقور، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954 – 1962، دار التنوير، الجزائر، 2013.
- ² رشيدة الجواني، إضراب الثمانية أيام مكسب سياسي هام، الجيش، ع 570، جانفي 2011، ص 74، ويذكر يوسف بن خدة عضو لجنة التنسيق والتنفيذ أن الفكرة الكامنة وراء هذا القرار الخطير هي تنظيم تظاهرة احتجاج تكون غير مألوفة لفت أنظار الرأي العام الدولي إلى القضية الجزائرية، بمناسبة مناقشتها في الدورة 11 للجمعية العامة للأمم المتحدة.
- ³ شهادة المناضل ياسف سعدي، خلال الطبعة السابعة للندوة التاريخية لمستوى الذاكرة في 28 جانفي 2009، الجيش، ع 570، جانفي 2011، ص 75. للمزيد ينظر للشهادة كاملة في نهاية المقال.
- ⁴ رشيد الجواني، المرجع نفسه.
- ⁵ ياسف سعدي، الجيش، ع 571، فيفري 2011، ص 52.
- ⁶ ويذكر سعد دحلب، وهو عضو لجنة التنسيق والتنفيذ في شهادته أن المرحوم العربي بن مهيدي هو صاحب الاقتراح الذي حظي بالإجماع من الناحية المبدئية، لكن وقع نقاش حول المدة التي كانت تتراوح ما بين 3 أيام و30 يوما، وفي النهاية اتفق الأعضاء الخمسة وبكل ديمقراطية على 8 أيام وذلك لتحقيق هدفين متكاملين:
- أن تثبت للعالم أن الجزائر ليس فرنسا.
- أن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب والثورة.
- ينظر، محمد عباس، ثوار عظماء، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 385.
- ⁷ - يذكر بن خدة أن مدة الإضراب التي حددت بـ 8 أيام مدة لم تكن مألوفة في الجزائر، حيث أن أطول إضراب لا يتجاوز 48 ساعة، وكذلك شمولية الإضراب الذي امتد عبر الجزائر وخارج حدودها، واتخذ القرار في الثالث الأول من شهر نوفمبر 1956، بمقر لجنة التنسيق الواقع بشارع كريم بلقاسم تيلملي سابقا، رقم 133.

- وكان توقيت الإضراب في البداية يوم 10 ديسمبر 1956، وهو تاريخ مناقشة القضية الجزائرية، كما أعلن بادئ الأمر في الأوساط الأمامية بنيويورك، لكن هذه الأوساط أجلت تاريخ المناقشة إلى 20 ديسمبر فأجل موعد الإضراب، وجاءت أعياد آخر السنة لتؤجل الموعد مرة ثانية، نفسه، ص 370.

⁸ محمد عباس، ثوار عظماء، المرجع السابق، ص 300.

⁹ أ. نور الدين بوعروج، إضراب الثمانية أيام 1957 ودوره في مسار ثورة نوفمبر 1954، الخبر، 3 أوت 2016، ص 20.

¹⁰ محمد الشريف عباس، من وحي نوفمبر، طبعة خاصة، دار الفجر، الجزائر، 2005، ص 95.

¹¹ جاءت لوائح المؤتمر على غرار لوائح تحادي العمال والطلبة تدعو الحكومة الفرنسية إلى الاعتراف بجمبهة التحرير ممثلا وحيدا للشعب الجزائري، والتفاوض معها بناء على ذلك لإيجاد حل سلمي عاجل لحرب الجزائر، وقد توجت أشغال المؤتمر بانتخاب أمانة وطنية على رأسها: "عبار التركي" رئيسا، "السعيد أوزقان" نائبا للرئيس، "أكلي بلول" أمينا عاما، وتيمنا بمستقبل الجزائر المستقلة بادر الاتحاد الوليد بإصدار مجلة دورية بعنوان "الاقتصاد الجزائري"، وبمناسبة إحياء الذكرى الثانية لاندلاع ثورة الفاتح نوفمبر، شارك الاتحاد الوليد في إضراب لمدة 48 ساعة، تبعته موجة من القمع والعقوبات سلطتها إدارة الاحتلال على التجار الجزائريين، وقد أدى ذلك إلى احتجاج هؤلاء بواسطة إضراب آخر يوم 16 نوفمبر استغرق 24 ساعة، ينظر، محمد عباس، ثوار عظماء، شهادات 17 شخصية وطنية، دار هومة، الجزائر، 2012، ص ص 394 395.

¹² المرجع السابق، ص 96.

¹³ شهادة ياسف سعدي، المرجع السابق، ص 75.

¹⁴ رشيدة الجواني، المرجع السابق، ص 75.

¹⁵ المبلغ لم يكن ليكفي حتى لحي واحد لولا التفاف التجار حول الجبهة وتقديم نصف المعونة بالمجان لما عرفوا أن القضية وطنية، ياسف سعدي، المرجع السابق.

¹⁶ رشيدة الجواني، المرجع السابق، ص 75.

- ¹⁷ زهير إحدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954 - 1962، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع الجزائر، 2007، ص 38.
- ¹⁸ زهير إحدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954 - 1962، المرجع السابق، ص 38.
- ¹⁹ إضراب عام بمدينة الجزائر، الصباح، 29 جانفي 1956، ص 1.
- ²⁰ وصف أحد الصحفيين من وكالة أسوشيايتد براس الأمريكية اليوم الأول من الإضراب بمدينة الجزائر بقوله: "أني لم أر في حياتي مدينة يخيم عليها شبح الموت في وضع النهار كمثل القصب في إقبال شوارعها ورهبة السكون العميق النازل على دورها كأن سكانها في سبات عميق، كما كتبت صحيفة "لوموند" الفرنسية، واصفة تلك الأيام في عددها الصادر في 31 جانفي 1957 تقول لمجرد بزوغ النهار استأنفت عملية تكسير المتاجر وشرعت الدوريات في إعطاء الأوامر إلى العمال للالتحاق بأعمالهم، وإلا فإنهم يتعرضون للعقوبات بالسجن.
- رشيدة الجواني، المرجع السابق، ص 76.
- ²¹ إضراب عام بمدينة الجزائر، الصباح، المصدر السابق، ص 4.
- ²² الطلبة الجزائريون مصرّون، الصباح، 17-02-1957، ص 4.
- ²³ زهير إحدادن، المرجع السابق، ص 40.
- ²⁴ شهادة ياسف سعدي، الجيش، ع 571، المرجع السابق.
- ²⁵ عثمان الظاهر عليه، الثورة الجزائرية أجماد بطولات، د ط، منشورات للمتحف الوطني للمجاهد، 1996، ص 135.
- ²⁶ محمد عباس، ثوار عظماء، المرجع السابق، ص 390.
- ²⁷ محمد عباس، ثوار عظماء، المرجع السابق، ص 393.
- ²⁸ أ. نور الدين بوعروج، المرجع السابق، ص 21.
- ²⁹ محمد العربي ولد خليفة، ملتقى الإعلام والثورة المنعقد في 24 - 25 ديسمبر 1996، الجزائر، تغطية لجريدة المجاهد، 7 - 14 جانفي 1997، عدد 1901، ص 12 - 13.

حكومة الرئيس بن بلة الأولى والخيار الاشتراكي لتسيير الدولة الجزائرية سبتمبر 1962 - سبتمبر 1963

د/ جمال بلفردى - قسم العلوم الانسانية - جامعة الشهيد حمة
لخضر- الوادي

الملخص:

حملت التركيبة الهيكلية لأول حكومة بعد الاستقلال بقيادة الرئيس بن بلة تغيرات جذرية في الخريطة السياسية للقيادة التنفيذية للبلاد بالتحاق عناصر مدنية وعسكرية بها، وعلى رأس دوائر وزارية داخل النظام السياسي الجزائري الجديد، في مقابل إقصاء إطارات وشخصيات الحكومة المؤقتة، والعناصر الموالية لها عشية أزمة صيف 1962، وقد تزامنت وتنصيب حكومة الرئيس بن بلة، من أجل استكمال ما حددته المحاور الاشتراكية الكبرى التي جاء بها ميثاق طرابلس ماي/جوان 1962 وتطبيق نصوصه خاصة المتعلقة بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية إلى غاية استفتاء الشعب الجزائري عن دستور الدولة الجزائرية المقبل.

Abstract :

The structural combination carried of the first government after independence under the leadership of President Ben Bella carried a radical changes in the political map of the executive

leadership of the country the enrollment of civilian and military elements in the head of departments and ministries within the new Algerian political system and the exclusion, of same characters of the interim government and their allies during the summer crisis of 1962 , that operation has coincided with inauguration of the government of President Ben Bella, in order to complete the major axes of socialism brought by the Charter of Tripoli, may / June 1962 and the application of its provisions, especially concerning the economic and social aspects till the referendum about the next Constitution of the Algerian state.

مقدمة :

ورثت حكومة الدولة الجزائرية غداة الإستقلال ظروف ومشاكل اقتصادية واجتماعية شكلت في مجملها التركة السلبية للاستعمار الفرنسي، وقد أثار

هذه الوضعية الصعبة حزم الحكومة الجزائرية التي أنهكتها تراكمات أزمة صيف 1962 وإفرازاتها على النخبة الطلائعية التي قادت البلاد والعباد بإنشاء مؤسسات وطنية قادرة على المبادرة لإنجاح المشروع الاشتراكي في الجزائر. فكان تأسيس الحكومة الأولى بعد الاستقلال رغم تأخرها عن موعدها المحدد لها قبل نهاية الفترة الانتقالية للثورة الجزائرية بتاريخ 1962/09/20.

1- حكومة بن بلة الأولى 1962/09/28 :

حددت الجمعية الوطنية التأسيسية مساء يوم 1962/09/28 ، وعلى الساعة الثامنة مساء موعدا لانعقاد دورتها الثالثة⁽¹⁾ لاستماع خطاب رئيس الحكومة السيد أحمد بن بلة بعد افتتاح الجلسة من طرف رئيس المجلس التأسيسي فرحات عباس.

وكما ذهب الباحث كوانت إلى أنه بعد موافقة المجلس التأسيسي على رئاسة الحكومة يوم 1962/09/26 ، وفي اليوم التالي قدم الرئيس بن بلة أحمد قائمة وزرائه إلى الجمعية الوطنية، وبعدها بيومين وافقت الجمعية التأسيسية على أعضاء حكومته، ويصور لنا الباحث نفسه أن هناك اجتماعا آخر للمجلس التأسيسي يوم 1962/09/27، وذهب التبريزي بن صالح

إلى تحديد تاريخ 1962/09/29 لإلقاء الرئيس أحمد بن بلة لخطابه الشهير⁽²⁾.

وبعد الخطاب الوزاري يوم 1962/09/28 عرض الرئيس قائمة وزرائه، دون السماح للنواب بالمناقشة الحرة في ظل الظروف السياسية والاقتصادية للبلاد حسبه، غير أن النائب آيت أحمد حسين عارضه من خلال تدخله في نقاشات الجمعية محاولا التأثير على رأي الكتل البرلمانية عن طريق التشكيك في عمل الرئيس أحمد بن بلة وقدرته على تطبيق برنامج طرابلس 1962 .

فالنائب عن ولاية القبائل آيت أحمد حسين، وبجسبه لم يجد في خطاب زميله السابق في السجن ما يؤسس لدراسة مشاكل الجزائريين مستقبلا. بل لاحظ اختلافات شديدة بين المقترحات ووجهات النظر ووصل إلى قناعة أنها استذكار لما جاء في برنامج طرابلس، كما أكد النائب أثناء تدخله بممارسة صلاحيات الحكومة داخل الجمعية الوطنية التأسيسية المكلفة بتوجيه السيادة الوطنية من خلال تنظيم آليات ممارسة السلطة بين الجمعية التأسيسية والحكومة⁽³⁾.

ولم تفقد انتقادات النائب آيت أحمد من أهمية خطاب رئيس الحكومة، والإعلان العام لسياسة الحكومة كمقترح برنامج منسجم داخل أطر سلطة الجمعية التأسيسية، وتحصلت الحكومة على موافقة نواب الجمعية بواقع (158) صوتا من أصل (178) صوتا لنواب حضروا الجلسة الثالثة لتنصيب أول حكومة جزائرية وامتناع 19 عضوا عن التصويت، وصوت واحد ضد تنصيب

الحكومة ووزرائها، ورغم الفوز الساحق لها اختتم النائب آيت أحمد بالدور المطاط للجمعية الوطنية مستقبلا إن استمرت على هذا المنوال في ممارسة مهامها⁽⁴⁾.

كما أشار الباحث يفصح عبد القادر إلى خطاب الرئيس أحمد بن بلة قبل تنصيب حكومته ، وإمثاله لبرنامج طرابلس وتنفيذه إلى غاية مؤتمر (ج.ت.و) متعهدا في الوقت نفسه بإعادة الإعمار والإسكان، والقضاء على المشاكل الاجتماعية الجمة التي كانت صداع في رأس أول حكومة جزائرية، ومحاولتها لاستجابة لتطلعات الطبقات الاجتماعية العريضة التي تتطلب فريق حكومي متجانس، والرغبة الملحة للرئيس لتحقيق الاشتراكية الجزائرية كما عرج على تنصيب الحكومة في مجلس الجمعية ، والتي بحسبه تحصلت على (159) صوتا و 1 ضد و 19 عضوا امتنعوا عن التصويت⁽⁵⁾.

إن ما يمكن التنبيه إليه أن الباحث الطاهر بن خرف الله قدم إحصائيات لها فوارق مع الإحصائيات التي أوردها كل من كوانت ، والتبريزي، وأنيس صالح، ويفصح إلى حد بعيد جدا فهو يحصى النتائج الآتية : (128) صوتا بالقبول، و 01 صوت ضد و 19 امتنعوا عن التصويت، ويستطرد قائلاً أنها إحصائيات معتمدة من الجريدة الرسمية العدد 1962/3، وهو ما يتناقض وأعداد الجريدة الرسمية المتوفرة التي يشير فيها العدد الثالث إلى تاريخ انعقاد الجمعية التأسيسية والمؤرخة في 1962/07/20 والعدد عشرون إلى تاريخ 1962/09/25⁽⁶⁾. وربما يقصد أعدادا أخرى لشهري أكتوبر ونوفمبر من

نفس السنة. والمحاجاة بما صرح به الرئيس بن بلة في خطابه الوزاري الأول⁽⁷⁾ ، وإعطاء سياقات لبعض الأمثلة مما قاله الرجل، وتطبيقه العكسي للسلطة بعدما تمكن من إضفاء الشرعية التأسيسية على حكومته.

ففيما يخص الدستور وحسب قناعته الظرفية من مهام المجلس الذي يتولى السيادة الوطنية، وعليه يقع وضع الدستور يستجيب لمصالح الشعب الجزائري، ولا دخل للحكومة في وضعه بل وأضاف أنها سوف تقف موقف الحياد.

كما شكلت الثورة الديمقراطية الشعبية أهم الأسس التي تبنى عليها جزائر الصبغة الاشتراكية، وتنفيذ ما جاء به برنامج طرابلس لتحقيق الاستقلال بالبناء والتشييد، والإصلاح الزراعي والصناعي وتوفير الأمن.

ولم يخف الرئيس بن بلة أحمد قواعد وأركان دولته . فالجيش المطالب بتحقيق المهام الشعبية والاقتصادية والإدارية. ثم إن التسليم بما جاء في خطاب الرئيس لا ينزع إلى الزعم أنه طبق قدرا يسيرا مما جاء من مفاهيم إشتراكية مميعة. وسوف نرى فيما بعد مدى تدخلات الحزب "المكتب السياسي" في صلاحيات الجمعية التأسيسية، ويتجلى ذلكفي المناقشات غير الديمقراطية داخلها ، ومن جهة أخرى فإن واقع القوة التي يتطلبها الفريق الحكومي غير متجانس أيديولوجيا يصور تباين التأييد الذي لاقاه من الفئات الرئيسية داخل القيادة السياسية في ذلك الوقت.

وهكذا تحالفت قيادة الجمعية الوطنية ظرفيا ، والرئيس بن بلة والعقيد بومدين من أجل التحكم على النظام السياسي للجزائر المستقلة. فكانت

المناصب الوزارية كما في غيرها في بلدان العالم الثالث بعد حركات التحرير شكلت لديها آلية توزيع المناصب نوعا من أشكال رد الجميل على التأييد السياسي لقيادة المكتب السياسي . خاصة أثناء صراعه مع الحكومة المؤقتة بعد طرابلس إلى غاية 1962/09/05، فكانت التشكيلة التي قادها الرئيس المسؤول الأول أحمد بن بلة على الموافقة على المسودة الأخيرة لها (8)

إن ما يمكن ملاحظته على توليفة أول حكومة جزائرية، وبعد اجتماع التنصيب من طرف لجان الجمعية الوطنية ليوم 1962/09/29، والمتكونة من السادة بن جلية عياش ممثل لجنة الشؤون العامة وسبيحي ميسوم ممثل اللجنة الإدارية ، وحاج سعيد شريفني ممثل الشؤون المالية، ونظرا لما جاء في قرار الجمعية الخاص ليوم 1962/09/26 لتنصيب رئيس الحكومة، والقرار التأسيسي ليوم 1962/09/28 الذي وافقت فيه الجمعية بالأغلبية على تنصيب الحكومة الأولى للجمهورية الجزائرية (9).

كما أشار العدد الأول من الجريدة الرسمية المؤرخ في 1962/10/26 البند الخامس منها، مصادقة رئيس الحكومة على تعيين السادة وكلاء الحكومة بتوقيع رئيس الحكومة السيد أحمد بن بلة يوم 1962/10/05 على مدير الديوان الحكومة رحال عبد اللطيف ورئيس الديوان محمد الحاج إسماعين، ومستشارين تقنيين لرئيس الحكومة وهما هيرفي بورج ، وبن زرفة مجدوب (10).

إن الملاحظة الأولية لتشكيلة أول حكومة بعد الإستقلال هو وجود 17 وزيرا فعليا على رأس كل قطاع، ونائب رئيس الحكومة السيد رابح بيطاط،

ورئيس الحكومة أحمد بن بلة وهما التاريخيان الوحيدان في أول حكومة للجزائر الأول شارك في أشغال مجموعة 22، ثم جماعة (5) ثم مجموعة (6) فمجموعة (9)، وقائد الولاية الرابعة التاريخية ليلة انطلاق أول نوفمبر، والثاني له شرف وجوده في الوفد الخارجي بالقاهرة مع خيضر وآيت أحمد حسين، وكذا عضو في مجموعة (9). بالمقابل تواجد التاريخي الآخر محمد خيضر كأمين عام للحزب وعضو المكتب السياسي مما يوحي أن الحكم والسلطة لم يخرج من جماعة تلمسان بمشاركة المؤيدين لها والمقربين من رئيس الحكومة.

وعلى غرار الثوريين مثل الليبراليين أحمد بومنجل، والدكتور أحمد فرانسيس في الحكومة وفرحات عباس البياني المعروف على رأس الجمعية الوطنية، ومثل الشيوعيين عمار أوزقان. كما أن تواجد زميل وصديق الرئيس أحمد بن بلة ألا وهو محمد صغير نقاش متوافقا في تكوينه الفكري والأطروحة الأيديولوجية الماركسية الراديكالية للرئيس أحمد بن بلة⁽¹¹⁾. ومحمد حبزي وزير التجارة والتاجر الثري بالعاصمة، والعقيد محمدي السعيد الثوري وقائد الولاية الثالثة التاريخية بعد مؤتمر الصومام أوت 1956 إلى غاية جويلية 1957 كوزير لقدماء المحاربين، والراديكاليين بومعزة وبن تومي، ويلاحظ أن تصنيف الأخيرين بالراديكاليين⁽¹²⁾، وهما اللذين كانا معتدلين إصلاحيين قبل تفجير الثورة وتحت لواء المركزين قد أوقع - إن صح القول - الباحث والسفير الأمريكي بالجزائر وليام كوانت في ورطة التصنيفات العديدة، محولا إسقاطها على قيادة الثورة بين 1954-1968، والمثقفين خميستي، وبن حميدة، ومحمد الحاج

حمو دون انتماء حزبي، ومثل العلماء (توفيق المدني) وبهؤلاء التركيبة أكد الرئيس بن بلة سلطته كقائد سياسي للبلاد. ومثل العقيد بومدين القيادة العسكرية للجيش الوطني الشعبي وكانت لأنصاره أماكن تواجههم في الوزارات السيادية: الداخلية أحمد مدغري، والرائد عبد العزيز بوتفليقة وزيراً للشباب والرياضة، والخليفة لعروسي الصناعة والطاقة، وموسى حساني وزير البريد والمواصلات (13).

وقد شددت القيادة الجديدة على إعادة تنظيم واسعة للقوى السياسية والعسكرية بعد الاستقلال ولم يبق من القيادة السياسية أثناء الحرب التحريرية، والممثلين للحكومة المؤقتة للثورة الجزائرية سوى عنصريين وهما توفيق المدني وأحمد فرانسيس.

ومن الوزراء السبعة عشرة حضي أحد عشر وزيراً بخبرة وتجربة سابقة . فأحمد فرانسيس وزيراً للمالية في الحكومة المؤقتة السابقة، وأحمد توفيق المدني وزيراً للأوقاف في نفس الحكومة ، وخليفة لعروسي المهندس الزراعي ودون انتماء حزبي مديراً لديوان وزارة التسليح والمواصلات العامة أثناء الثورة التحريرية ، ومحمد حاج حمو المحامي ومستشاراً بديوان وزارة الإعلام بالحكومة المؤقتة، ومحمد خميسي الطالب بكلية الطب في فرنسا ، والعضو الناشط في حركة انتصار الحريات الديمقراطية سابقاً وعضواً بمكتب (ج.ت.و) بفرنسا، وأحمد بومنجل المحامي والقيادي في الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وعضواً بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية والناطق الرسمي بإسم جماعة وحدة ثم تلمسان أثناء أزمة

صيف 1962، وبن حميدة الذي تحصل على ثقافة في المستوى وباللغتين الفرنسية والعربية، ومحمد صغير نقاش الطيب المعروف في جيش التحرير الوطني، وهواري بومدين عقيدا وقائدا لهيئة الأركان على الحدود 1960-1962 دون انتماء حزبي وأحمد مدغري بمستوى بكالوريا رياضيات ومعلم ودون انتماء حزبي عضوا بقيادة الأركان الغربية، والعضو الفاعل في جماعة وجدة وتلمسان، والعقيد محمدي السعيد خريج زاوية ومعلم قرآن، ودون انتماء حزبي قائدا للولاية التاريخية الثالثة بعد خروج كريم بلقاسم إلى تونس ومنها إلى القاهرة (14).

ويمكن في الأخير توضيح، ولو جزئي يسير من المسار الثقافي والتعليمي كظاهرة مسحية لنخبة الحكومة الأولى للجمهورية الجزائرية بعد الإستقلال، والتي شملت المستوى (الإبتدائي لثلاثة وزراء أحمد بن بلة، وبيطاط، وبومعزة) والثانوي (بومدين بوتفليقة)، والبكالوريا مهنة معلم (أحمد مدغري) ومستوى ثقافي محدود خارج المدارس النظامية (محمدي السعيد)، وتوفيق المدني عضو الجمعية الإصلاحية الكاتب والصحفي والمؤرخ، والجامعيين (عمار بن تومي، ومحمد خميسي، وأحمد فرانسيس، وعمار أوزقان، وخليفة لعروسي، وأحمد بومنجل، ومحمد صغير نقاش، ومحمد حاج حمو) (15).

ومن القيادات السلطة الوزراء وأيضا من كان وراء زننات السجون الفرنسية، ويأتي على رأسهم (بن بلة الرئيس ونائبه الأول رابح بييطاط، وبشير بومعزة، وعبد الرحمن بن حميدة) مما إنعكس على نجاحهم في قيادة الشؤون

الإدارية للحكومة الجزائرية، كما روعي في توزيع المناصب الوزارية التمثيل الجهوي النسبي لمناطق انتمائهم الجغرافي للوطن⁽¹⁶⁾. فكانت قسنطينة مسقط رأس سبعة وزراء (رابح بيطاط بومدين، أحمد فرانسيس ، لعروسي خليفة، عمار بن تومي، بومعزة، موسى حساني) ، ووهران بستة وزراء (أحمد بن بلة ، وأحمد مدغري، وبوتفليقة عبد العزيز، ومحمد صغير نقاش، ومحمد خميستي، ومحمد حاج حمو)، وأربعة وزراء من العاصمة والقبائل (عمار أوزقان، محمدي السعيد، أحمد بومنجل، عبد الرحمن بن حميدة).

2- الخيار الاشتراكي والتسيير الذاتي لحكومة الرئيس أحمد بن بلة :

ورثت الحكومة الجزائرية حالة اقتصادية ومشاكل اجتماعية كتركة استعمارية، وأصبح بعضها ذا طابع بنيوي. فإضافة إلى سقوط أكثر من مليون ونصف مليون من شهداء الثورة التحريرية بين 1954-1962، وإجبار حوالي ثلاثة ملايين شخص على الانتقال من مساكنهم إلى مرابع تجميع (محتشدات، معتقلات سجون) فرنسية، قابعين تحت ظروف إجتماعية صعبة من أجل عزلم عن (ج.ت.و). كما يوجد خمس مائة ألف (500 ألف) لاجئ في تونس والمغرب ، ونزوح أكثر من مليون ونصف المليون شخص نحو المدن . يضاف إليها 400 ألف معتقل سياسي، و400 ألف هاجر إلى فرنسا⁽¹⁷⁾.

إن التركة الاستعمارية لم تكن آثارها تستدعي حزم الحكومة و فقط، بل كان وقعها على الشعب الجزائري أشد نظرا للظروف المعيشية القاسية، ومعاناة سوء التغذية تزداد يوما بعد يوم، وقد خلفت الخسائر المادية الكبيرة التي سببها

الجيش الفرنسي مشاكل خطيرة أثناء فترة الكفاح المسلح فمسح وقبلة ثمانية آلاف بلدة وآلاف القرى، وحرق مئات الآلاف من الهكتارات من الغابات ونقصان عدد رؤوس الماشية التي أصبح عدد الرؤوس فيها لا تتعدى ثلاثة ملايين رأس بعد ما كانت أكثر من 7 ملايين عشية إنطلاق الثورة ، يضاف إليها مخلفات وإنعكاسات خطي شال وموريس، والتي استمرت آثارها السلبية على الأفراد والجماعات ، ومكونات المجتمع الجزائري حتى بعد الاستقلال⁽¹⁸⁾.

ويمكن الإشارة في نهاية هذا المدخل المتعلق بهذا العنصر إلى الأعمال الإجرامية التي قامت بها منظمة الجيش السري الفرنسي في الجزائر أين ارتكبت أعمال وحشية ضد الجزائريين والفرنسيين على حد سواء. غير أنها كثفت عملياتها الإرهابية عشية انطلاق المفاوضات الجزائرية الفرنسية، وبلغ عدد ضحاياها 100 ألف قتيل حتى شهر جويلية 1962، ولم تتوقف عن نشاطها الإرهابي إلاّ في 17/06/1962 إثر اتفاق شوقي مصطفى وجاك سيزيني لتوقيف أعمال المنظمة الإرهابية الفرنسية⁽¹⁹⁾.

إن ما يمكن الوصول إليه في هذا الصدد أن الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين كانت قاسية جدا يضاف إليها تراكمات أزمة صيف 1962 ونتائجها، ووجود هيئة قيادية مؤقتة جديدة ذات سمة استعمارية جديدة، وتحت لوائها قوة قوامها 50 ألف رجل كلها عوامل ساهمت في خلق سباق شاق للإستيلاء على السلطة السياسية بين القيادة الثورية ، وباسم "الشرعية الثورية".

وهكذا تمخضت عن هذه الوضعية الإسراع والمبادرة بإنشاء مؤسسات جزائرية كجمعية وطنية تأسيسية ، وحكومة جزائرية أولى رغم تأخرهما عن الموعد المحدد قبل نهاية الفترة الانتقالية للثورة الجزائرية 1962/09/20.

وأشارت الباحثة الدكتوراه مغنية الأزرق أن المساحة المهجورة بعد إعلان الاستقلال بلغت مليون هكتار، وسبع مئة مشروع صناعي (وحدات صناعية) تحت حماية العمال الريفيين والحضرين في مواجهة أعمال التخريب التي تقوم بها منظمة الجيش السري الفرنسي، وأخذ هؤلاء العمال على عاتقهم مسؤولية الإدارة الخاصة للمنشآت الصناعية والزراعية في ظل الفراغ الحاصل في السلطة السياسية خاصة وأنها كانت منشغلة بالصراع على السلطة من جانب ، ومن جانب آخر كان شطر منها في سباق مع الزمن للقضاء على الأعمال الإرهابية للمنظمة الفرنسية (20).

ويتوافق ما ذهبت إليه الباحثة مغنية الأزرق وما توصل إليه الأستاذ الباحث عبد العالي دبله أن البدايات الأولى للتسيير الذاتي كانت تلقائية، وبقدر عدم اتضاح نية الكولون من الهجرة خوفا من أعمال التخريب للتنظيم الإرهابي الفرنسي وردود أفعال (ج.ت.و) من البناء الاقتصادي والاجتماعي للجزائر والفراغ الكبير في الهيكل الاقتصادي الجزائري ورحيل الإدارة الاستعمارية مما جعل الفلاحين والعمال يقومون تلقائيا من تسيير الوحدات الانتاجية حتى لا يتوقف الإنتاج (21).

إن الذي يهمننا في هذا العنصر أن العمال عقدوا العزم على خلق واقع جديد، وتحت ضغط الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية استولوا على المزارع وشكلوا إدارات ذاتية للمزارع والمصانع وبالتزكية من الأطراف العسكرية التي رأت ضرورة المبادرة العاجلة لأجل القضاء على ظاهرة الفقر غير أنها اصطدمت بفعالها هذا بالتنظيم العمالي النقابي الجزائري وظاهرة البرجوازية الصغير التي أصبحت تؤمن بقدراتها في إدارة مؤسساتها ذاتيا⁽²²⁾.

وهكذا توافقت رغبة العمال بإصدار الحكومة الجديدة لمرسوم 02/62 في 1962/10/22 تتعلق مواده الثمانية بكيفية استغلال لجان الإدارات الذاتية التي لا يتعدى أعضاؤها عشرة عمال فالمواد الأولى والثانية، والثالثة متعلقة بتطبيق قرارات 1962/08/24 التي أصدرتها الهيئة الانتقالية التي أقرت بشغور الممتلكات المهجورة مع كيفية إعادة إحياء تشغيلها إلى حين عودة ملاكها، أما المواد الخمسة الباقية تتعلق بكيفيات الهيئات المحولة لتطبيقها وعلى رأسها وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي⁽²³⁾.

أما المرسوم الثاني 03/62 المؤرخ في 1962/10/23 ، والمتعلق بالتحويلات والمبيعات والإيجارات الخاصة بالممتلكات المهجورة، ويحتوي على ستة مواد والتي أكدت في مجملها حماية العقارات والممتلكات المهجورة حتى يفصل فيها التشريع القانوني. كما أبرزت المادة 4 منها - مثلا لا حصرا- مسؤولية الدولة في تقديم المعونات والاقترحات الفنية والمالية، وتخضع أصول الشركة إلى تحكم الدولة وفي حالة عودة المالك الحقيقي فالوزارات الآتية هي

المكلفة بالأمر حينئذ (المالية، والداخلية، والعمل، والفلاحة، والصناعة والتجارة) (24).

وتفسر المادتين 6 و7 من المرسوم المؤرخ في 1962/10/22 سلطة الدولة في تسيير الوحدات الزراعية الكبرى، وهو ما أعطى الضوء الأخضر للجيش في التدخل فيها، وبالضبط في سهل متيجة وهو ما يفسر ويؤكد التناقض في إدارة الأعمال في تلك المزارع والمصانع من جهة، ورغبة الدولة في الامتلاك أدى آليا إلى إلغاء قرارات التسيير الذاتي كواقع جديد فرضته ظروف استقلال الجزائر. وتعزز المرسومين السالفين بمشروع قرار 38/62 المؤرخ في 1962/11/23 متعلق بلجان المؤسسات الصناعية وتسييرها، ويحتوي أيضا على 6 ستة مواد والذي يقرر في مادتيه 1 و2 كيفية تشكيل لجنة الإدارة الذاتية، والمادة الثالثة تطرقت للجمعية العامة التي تقررها الوزارة، وتقوم الدولة بتقديم الاقتراحات والمعونات للجنة المسيرة في مجال المراقبة الفنية والمراقبة المالية، أما المادتين 5 و6 تمنح للعمال حق الاستغلال في إطار تلك اللجان المرتبطة مباشرة بالدولة (25).

هذه القرارات الرسمية التي لا تتوافق شكلا ومضمونا مع ما صرح به الرئيس بن بلة في حديثه للصحفي روبر ميرل من أن المستثمرات التي أمت - وكما كانت أملاك الدولة- أصبحت مهمة تسييرها للعمال الذين أوكلت لهم مهمة إنتخاب من يكون المسؤول عنهم، ولا تتدخل الدولة إلا في عملية الإنتاج بصفتها المستشار والمنظم المفوض (26).

وبجول سنة 1963 أصبح القطاع المسير ذاتيا، أو الفترة المرحجة للاشتراكية كما عبر عنها الدكتور أحمد بعلبكي في دراسته حول المسألة الزراعية في الجزائر، والتي رأى فيها أنها اشتراكية محرجة لبعض الأطراف في السلطة خاصة في صيغتها الثانية أي تسيير المزارع والمصانع بالاشتراك مع العمال في التسيير والأرباح، وهكذا كان تدخل السياسة الدائم كمشكل سياسي ونظري أعاق نوعا ما كانت تتمناه السلطة الثورية⁽²⁷⁾.

قلنا أنه ومع سنة 1963 أصبح قطاع التسيير الذاتي يمثل تقريبا نصف ما كان يمتلكه الأوربيين وأصبح يضم 782 ألف هكتار من الأراضي الزراعية مقسمة على وحدات إنتاجية تبلغ وحدة المؤسسة فيها 100 هكتار، و300 ألف من الأراضي المستريحة، وحوالي 200 ألف هكتار تضم وحدات إنتاجية تقل مساحتها عن 100 هكتار⁽²⁸⁾.

وهكذا أصبح التسيير الذاتي كميكانيزم لإنجاح الاشتراكية في الجزائر فهو أسلوب لتطوير الإنتاج من جهة، ويقضي بدوره على الفقر والبطالة التي هي نتاج النظام الرأسمالي الذي ساد الجزائر لفترة تزيد عن 132 سنة وأتخذ في البداية - كما قلنا - الشكل العفوي ثم تحول إلى إجراءات سياسية في شكل مراسيم في أكتوبر ونوفمبر 1962، وربما يرجع ذلك إلى مستشاري الرئيس بن بلة أحمد الماركسيين دون الغفلة عن عمل الرئيس المتواصل في البحث عن التأييد الأوساط القاعدة الشعبية، وسندا له لمواجهة القوة المتصاعدة للجيش.

دعمت السلطة السياسية نفسها إشرافاً وتنظيماً على عملية التسيير الذاتي بإصدارها مرسوم 88/63 المؤرخ في 18/03/1963 ومواده (16) الستة عشرة، ومجملها تتعلق بالتعريف بالأملاك الشاغرة وعلى أساس تلك التعريفات ضمنيتها أنها ملكية مهجورة، والمرسوم 95/63 المؤرخ في 22/03/1963 ومواده (16) أيضاً، والمتعلق بتنظيم المؤسسات وكيفية تسييرها ذاتياً خاصة المؤسسات الصناعية والمنجمية والصناعات التقليدية، والأراضي الزراعية الشاغرة. أما المرسوم 98/63 المؤرخ في 28/03/1963 ويحتوي على عشرة (10) مواد ويحدد كيفية استغلال مؤسسات ومستثمرات التسيير الذاتي⁽²⁹⁾.

وتسارع نشاط الدولة من خلال هذه المراسيم كإعطاء صيغة مزارع الدولة وعلاقتها بمزارع المستغلة ذاتياً، والتي تنعتها بعض الأدبيات⁽³⁰⁾ بالمزارع الشعبية، وخلصت إلى أن الصيغة في المزارع الثانية كانت أكثر أهمية إلى المزارع في الصيغة الأولى، وذلك راجع إلى أسباب عدة منها أن مزارع الدولة لا تتناسب والواقع الاجتماعي والاقتصادي للجزائر لأن مشكلة الجزائريين لم تكن مشكلة اقتصادية بل هي اجتماعية ويعني ذلك إيجاد حل لمشكلة الخماسين، والفلاحين، ونظام التوزيع، وأيتام الحرب، وسواعد الرجال البطالين. وكذا عملية التكلفة الباهظة لمزارع الدولة فالإطارات الفنية اللازمة لرعاية التقسيم الأفضل للعمل وإيجاد إدارة مركزية قادرة على تسيير الوحدات الإنتاجية والفنية، ومراقبة التخطيط المركزي، وبالتالي تحاسب على أساس وحدات اقتصادية عامة.

إن التوافق الحاصل بين ضروريات الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، وتحديد الخيارات السياسية جوهرها التسيير الذاتي كبنية هيكلية هرمية لإقامة هذا النظام الجديد قد حددته مواد المرسومين رقم 95/63 الصادر في 1963/03/22، والمرسوم رقم 98/63 الصادر في 1963/03/2 والذي أقر المكونات الهيكلية للمؤسسة الصناعية والمنجمية والزراعية الشاغرة التي تسييرها الهيئات. منها الجمعية العامة للعمال ومجلس العمال، ولجنة تسيير الإدارة الذاتية والمدير، وتقرر هذه الهيئات على ضوء ما جاء في (المادة 1) من المرسوم الأول⁽³¹⁾.

فالجمعية العامة للعمال والتي يطرحها المرسوم من المادة الثانية إلى المادة التاسعة لها حق تحديد عدد أعضاء الجمعية معنويا و(المادة 02) تشترط أن يكون سن المرشح يفوق 18 سنة، وأن يكون جزائري الجنسية وأن لا ينقطع عن العمل لمدة ستة أشهر (المادة 03)، كما يمكن لجمعية العمال الانعقاد من قبل مجلس العمال أو لجنة التسيير في كل ثلاثة أشهر، وتقوم الجمعية العامة للعمال مقام المجلس في المؤسسات وأماكن الاستثمار التي لا يبلغ عدد العمال فيها ثلاثين عاملا (المادة 08)⁽³²⁾.

وفي الباب الثاني تناول مجلس العمال من المادة (10) إلى المادة (14) في المرسوم بنية المجلس المتكون على الأكثر على (100) مئة عضو، ويكون الحد الأدنى عشرة عمال (المادة 10)، وينتخب لمدة ثلاث سنوات ويجدد انتخاب ثلثهم كل سنة (المادة 12) كما يجتمع مجلس العمال مرة على الأقل بقرار من

لجنة التسيير إلا أنه يمكن عقد اجتماع استثنائي بطلب من ثلث الأعضاء (المادة 13) ويقوم أيضا بقبول، أو رفض الأعضاء الجدد كما ينتخب ويراقب لجنة التسيير⁽³³⁾.

أما لجنة التسيير التي جاء تفسير سياقها ابتداء من (المادة 15) وتنتهي (بالمادة 19) وتضم اللجنة ما بين ثلاث وأحد عشرة عضوا منتخبين من طرف مجلس العمال، وتعين رئيسا لها كل سنة من بين أعضائها كما يجري تجديدها كل سنة عند نهاية المدة الانتخابية (المادة 15)، وتتولى مهام التسيير ورسم مخطط التنمية للمؤسسة، وتهيئة البرامج السنوية للتجهيز والإنتاج وترويج التجارة، وإعداد المقررات الخاصة بالعمال لتوزيع المسؤوليات (المادة 16) كما يتولى المدير إدارة مناقشات لجنة التسيير أثناء الاجتماعات (المادة 19)⁽³⁴⁾.

أما المواد (20)، (21)، (22) كلها مواد متعلقة بالمدير الممثل الرئيسي للدولة داخل المؤسسة أو محل الاستثمار ويسهر على السير اليومي لها، وينظر في حسابات المؤسسة (المادة 20) وله كل الحقوق في لجنة التسيير إلا أن صوته استشاري (المادة 21)، كما لا يمكن عزله من وظيفته كمدير إلا عند ارتكاب خطأ كبير، أو عدم كفاءته، أو عندما يسحب المجلس البلدي الخاص بإنعاش التسيير الذاتي موافقته منه (المادة 22)، وهو الباب الفرعي المتعلق بالمدير⁽³⁵⁾.

إن الغموض النظري في المراسيم كانت لها إنعكاسات بحكم أصوله وجذوره . ومن حيث أنه وجه بالتحديد دور البرجوازية التجارية والزراعية

وتجميع العمال والفلاحين حول سلطة الحكم الجديدة، ولم تطبق حتى في صورتها الناقصة فعدم معرفة العمال والفلاحين للمراسيم⁽³⁶⁾ كانت تقريبا بالشكل المطلق نظرا لأنها جاءت نصوصها باللغة الأجنبية (الفرنسية)، وحتى إذ كانت باللغة العربية فالجزائريون حالتهم العامة بعد الاستقلال كحالتهم الإجتماعية البائسة ، وبالتالي كانت معرفتهم للعربية يوازي إن لم نقل أدنى مستوى من معرفتهم للفرنسية.

كما أن التسيير الذاتي الذي أوجدته الدولة، ورسمت له حدود نجاحه . أو فشله من خلال تركيز السلطة الإدارية العامة للمؤسسة في شخص المدير كما مرّ معنا في المواد (20) (21) (22)، وسلطته المطلقة وعلاقته بالمجلس البلدي المخول له قانونا تعيين رئيس المؤسسة المسيرة ذاتيا (المادة 24)⁽³⁷⁾، وانعكس ذلك في بروز ظاهرة البيروقراطية⁽³⁸⁾ . فبدل التوجيه والمراقبة وكيفية الإنتاج والتوزيع من أجل توعية الفلاحين أدت النقاشات النظرية إلى نقد البرجوازية دون تفسير جهود الطبقات الكادحة، بل كانت العملية عبارة عن خطابات سياسية وقياس لمعيار مدى الولاء السياسي لخيارات السلطة القائمة. وربما ليس في هذا الطرح أي وجه للغرابة إذا ما أكدنا أن الشروط الأساسية لعضوية العامل بقيت باهتة وغامضة، فلا فرق بين العامل الدائم والعامل الموسمي، كما أن الفروق بين ملكية المزارع التابعة للدولة أم إن ملكيتها تعود للعمال ! . والمؤكد أن هذا الطرح الأخير غير موجود أصلا⁽³⁹⁾.

يضاف إليها تدخلات المدير الموالي للوزارة التي عينته مباشرة، مهمشا في ذلك دور الجمعية العامة التي لا تمتلك سلطة اتخاذ القرار رغم أنها الهيئة الرئيسية للمؤسسة، وأصبح الدور الذي رسمه المرسوم المؤرخ في 1963/03/25 للمدير أقوى من الجمعية والتي نادرا ما تعقد جمعياتها العامة السنوية⁽⁴⁰⁾، ويذهب أحمد بعلبكي في تحليله أن تحالف الطبقة العامة والبرجوازية الصغيرة داخل خيارات الدولة التي عقبته بناء الدولة بعد الاستقلال قد عصفت بالأسس المشتركة لانتقال وتحقيق الاشتراكية، وضرب مرتكزات هيمنة البرجوازية الرأسمالية فالصراع البيئي في مؤسسات التسيير الذاتي كان على أشده بين محاربة البرجوازية وميلاد برجوازية الدولة "المدير" كمثل للسلطة القائمة، وهكذا برزت رأسمالية الدولة كمرحلة لا بد منها لتنمية القدرات الذاتية والموضوعية للطبقات ذات المصلحة لتحقيق الاشتراكية، غير أن هذه النتيجة في الأخير أدت إلى زيادة ضعف الطبقة العاملة، ولصالح الدولة ولم يمس البرجوازية بشيء⁽⁴¹⁾.

بينما يرى السيد رئيس الحكومة وصاحب القرارات ومراسيم مارس 1963 بأن "البلاد انفجرت أفراحا في طول البلاد وعرضها...، إن الأرض تعود للذين يكدحون فيها، والجزائر تمشي خطوة حاسمة في طريق الاشتراكية...، بفعل قرارات مارس التي أصدرتها حكومتي، والتي أمت الجزء الأعظم من الملكيات العقارية...، ثم كان الخطر الذي يورق رئيس الحكومة هو حلول ملاك جزائريين أكثر غنى من أسلافهم الفرنسيين، وشكلوا برجوازية أهلية أبقته الجماهير الكادحة غارقة في بؤسها، مما اضطر حكومته إلى تأميم

الفنادق، والمطاعم، والمقاهي"⁽⁴²⁾، وإذا كانت المرحلة الأولى من دخول الجزائر في الاشتراكية على ضوء قرارات مارس 1963 على مستوى التخطيط لم تكن بالمشكل بالنسبة للسلطة الحاكمة. بل كانت قيمة مضافة للمؤسسات القائمة ، وفي مقدمتها الهيئة الوطنية للإصلاح الزراعي المنشأة تحت مرسوم 90/63 المؤرخ في 18/03/1963 وتحت إشراف وزارة الفلاحة بقيادة عمار أوزقان⁽⁴³⁾.

وأوكل لهذه الدائرة الوزارية حق الإشراف والوصاية على الشركات الزراعية للإحتياط التي أسست في العهد الاستعماري، وأصبحت تسمى بمراكز التعاونيات الإصلاح الزراعي ، وتقوم بخدمات التسليف القصير الأجل، والتجهيز والتسويق، وصندوق الحصول على الملكية والحياسة الزراعية ومراكز تعاونيات لإستخدام العتاد الزراعي، ويبقى تقرير وإشراف هذه الهيئات ترجع إلى الهيئة الوطنية للإصلاح الزراعي، وعلى كافة الوحدات الانتاجية المسيرة ذاتيا للزراعة⁽⁴⁴⁾، وإختصت شركات أخرى بإشراف الهيئة الوطنية على تكييف مؤسسات أعيدت هيكلتها إسميا بعدما كانت قائمة قبل الاستقلال كالهيئة الجزائرية المشتركة للحبوب والهيئة الوطنية للتسويق ومهمتهما ضبط عملية التسويق المنتج، وتوسط من أجل إصلاح تعاونيات الإصلاح الزراعي على استلام المحاصيل المخزنة "البذور"⁽⁴⁵⁾.

وفي هذه المرحلة التي دخلت فيها مؤسسات الدولة عمليات التجهيز والتسيير كإدارة مركزية ومستحوذة فعليا على الصلاحيات عن طريق المراقبة

المركزية كالتنظيم الإداري والتحكم في شؤون التجهيز كل هذا أدى إلى بروز ظاهرة البيروقراطية حتى على هذه الهيئات، وفي علاقاتها الداخلية والخارجية، وتسارعت التغيرات الاقتصادية الشكلية بسيطرة التيار الشعبي - المهني داخل البرجوازية الصغيرة، والتي تحفزت بتدابير التأميم دعما للتطلعات الاشتراكية، وفي أواسط الفلاحين والعمال مما حدا بالرئيس بإقدامه وسلطته التنفيذية على تأميم الفنادق والمطاعم والمقاهي والمنازل التي أصبحت استثمارات اقتصادية للجزائريين⁽⁴⁶⁾.

وواجه التسيير الصناعي نفس مشاكل التسيير الزراعي، والتي عمد أمر تمويلها إلى البنك المركزي الجزائري، والصندوق الجزائري للتنمية وفقا للمرسوم رقم 64/176 المؤرخ في جوان 1964. فالبنك يقوم بالتمويل عن طريق القروض القصيرة الأجل مع مراقبة المشاريع، والمشاركة في وضع البرامج والمخططات في المقابل يقوم الصندوق بمنح القروض الطويلة الأمد⁽⁴⁷⁾.

إن السبب في اختلاف وجهات النظر بين اللجان التسيير الذاتي الصناعي، والتي أنشئت لتوها والشروط التعجيزية للبنك الذي إتخذ من مسألة تحقيق الأرباح للجان والتسيير الإداري، والمطالبة بتقديم تقريرا على وضعية المؤسسة، والأرباح التي حققتها خلال السنوات الثلاث الأولى لتسييرها، وهو ما يترجمه تصريحات وزير الاقتصاد بشير بومعزة آنذاك حسب الباحث مونيك لاكس: "سوف نحدد عدد اللجان الإدارية التي وفت بالتزاماتها ونحدد على

الأموال المختلفة التي تتحصل عليها استنادا لقرارات مارس ونعطيها للمرة الأولى حق المشاركة في الأرباح" (48).

هذا التضارب الحاصل من خلال مطالبة مؤسسة تنطلق من العدم بأرباح أدت باللحان التسيير الذاتي الصناعي إلى التخلي عنها فأتمت الغالبية منها بعد سنة 1965 مع مجيء سلطة حركة 19/06/1965.

ولاحظ الفلاحون والعمال أن مراسيم مارس 1963، وإن كانت من الناحية الثورية هامة وتنطوي على التغييرات الجذرية في العلاقات الاجتماعية القائمة على الإنتاج، ووقوفها حاجزا أمام البرجوازية الصغيرة إلا أنها لم تستطع أن تقف في وجه البرجوازية الكبيرة (المالكة لرؤوس الأموال) التي أصبحت حائلا دون تطبيق تلك المراسيم.

ومن جهة أخرى يرجع صعوبة فهم نصوصها إلى نقص الثقافة الاشتراكية، وعدم الانتظام في العمل الجماعي التعاوني (قواعد اشتراكية)، وربما يعود ذلك على عدم تغلغل تلك الثقافة في الأوساط الفلاحية والعمال في وحدات والتسيير الذاتي.

ويذهب الباحث جوليان روشيرو (49) إلى أبعد من هذا عندما يكشف أن سياسة التسيير الذاتي ورغم ما توصلت إليها من نتائج ملموسة وفورية لصالح المجتمع الجزائري، ومنها توظيف أكثر من 115 ألف عامل معترفا في الوقت نفسه أنها سياسة مرتجلة وفشلت فشلا ذريعا، وكانت لها انعكاسات خطيرة ظهرت معها بوادرها الأولى في تدفق حركة الهجرة الريفية إلى الحواضر

جنباً إلى جنب مع عملية ترك المساحات الشاغرة التي احتفل بها الفلاح غداة قرارات مارس 1963، وإنخفاض الإنتاج الزراعي أُنذر بمشاكل خطيرة على بنية الدولة الحديثة، وظهرت مشكلة البطالة كحلقة أخرى يضاف إلى سلسلة الضغوطات على سوق العمل رغم هجرة 450 ألف جزائري إلى فرنسا مخففين ولو بنسبة ضئيلة من الضغط المفروض على المدن الجزائرية الكبرى.

الخاتمة:

أدى تراجع القيادة الكلاسيكية للحكومة المؤقتة إثر أزمة صيف 1962، وإنعكاس ذلك على إطاراتها السياسية والعسكرية إلى تغيير جذري في الخريطة السياسية للقيادة التنفيذية الجديدة، وأصبح جيل جديد (سياسيين وعسكريين) وصلوا لتوهم إلى السلطة، ويمثلهم كل من (بوتفليقة وخميسي) هذه الفئة كأصغر وزراء الحكومة الأولى للاستقلال، وقد ترقى الأول بفضل علاقته بالعسكري العقيد هواري بومدين، وأكد الثاني شهرته في القيادة السياسية الجديدة الذي تلقى تزكية مطلقة من السياسي الرئيس بن بلة أحمد.

إن عدم الوضوح في خطوط المهام والصلاحيات بين مؤسسات الحكم بعد الإستقلال أدى إلى تداخل المهام بين الإدارات الذاتية التي عملت منذ البداية على أنها منفذة ومنقذة لإستراتيجية حكومة الرئيس أحمد بن بلة فأخذت تستغل الوحدات والعمال والفلاحين كما لو أنها ملكية خاصة من جهة، ومن جهة أخرى خلقت جهازا بيروقراطيا على مستوى هيئات التسيير والتنظيم المالي، والتسويق مما أدى الى ظهور مشاكل بين العمال والهيئات

التسييرية أثر بطريقة مباشرة على عملية الإنتاج، وإحتكار الدولة عن طريق وكالاتها "القطاع الخاص" وأدى هذا التداخل إلى تراكمات إدارية- بيروقراطية بدل تطوير قوى الإنتاج التي من الممكن لو تم ترشيدها لكانت نتائجه إيجابية على الدولة والمجتمع الجزائريين على الأقل على عهد الرئيس أحمد بن بلة .

الهوامش والإحالات:

- 1 - علما أن الجلسة الأولى للمجلس التأسيسي كانت يوم 1962/09/25 وتم فيها انتخابات رئيس المجلس التأسيسي ونوابه، والجلسة الثانية انعقدت في اليوم الموالي 1962/09/26، وتم فيها تنصيب رئيس الحكومة السيد أحمد بن بلة، ولم تكن الدورة بتاتا يوم 1962/09/20 أي في نفس اليوم الذي تأسس فيه المجلس التأسيسي نفسه، وانتخاب أعضائه، ولم يعقد المجلس التأسيسي يوم 1962/09/27 لإعطاء وقت لرئيس الحكومة لتحديد قائمة وزرائه، وإن كانت الأمور محسومة لصالح أنصار الرئيس بن بلة قبل هذا اليوم بالموافقة على القائمة النهائية لحكومته شكليا. إن ما نود الإشارة إليه هو إيضاح ومقارنة ما ذهبت إليه بعض الأدبيات التاريخية ومنها ما ذهب إليه رابح لونييسي من أن تعيين بن بلة كرئيس للحكومة كان في أول اجتماع للمجلس

التأسيسي يوم 1962/09/20، ينظر: رابح لونيبي، رؤساء الجزائر في ميزان التاريخ، دار المعرفة، 2009، الجزائر، ص ، 70.

William Quandt , **revolution and political leadership Algeria 1954–1968**, Cambridge, London 1969, P 209

Henry. F. - 3

Jackson , **the fln in Algeria** , Berkley, california, USA, 1976. P 80,81.

Anisse Salah-Bey , « L'assemblée nationale constituante algérienne », **annuaire de l'Afrique du nord**, CRESM, Vol1, paris, 1964, P ,122. - 4

5- لقد ذهبت الأدبيات السياسية والتاريخية في عدم التفريق بين الموافقة على الحكومة ومشروع الخطاب والتنصيب طرائق متضاربة وكأن الأمر سيان فالأول تم يوم 1962/09/28 والتنصيب تم في اليوم الموالي أي 1962/09/29، والموافقة على السياسة العامة لحكومة بن بلة وتسليمه للراية البيضاء من طرف الجمعية يوم 1962 /11/20 ، لممارسة مهامه والموافقة على السياسية

- الخارجية يوم 1962/11/26 والمالية يوم 1962/12/30. ينظر:
- Abdelkader Yafsah , « L'armée et le pouvoir en Algérie de 1962-1992 ». **Revue: du monde musulmane et la méditerranée** N :65, **REMAM**, France, 1992, P,98
- 6 - الطاهر بن خرف الله ، النخبة الحاكمة في الجزائر 1962-1989 بين التصور الإيديولوجي والممارسة السياسية، ج2، دار هومة، الجزائر، 2007، ص، 15.
- 7 - يمكن العودة الى خطاب رئيس الحكومة الوزاري أمام الجمعية الوطنية التأسيسية يوم 1962/09/28 كاملا. عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج3، دار الطباعة للنشر والطبع، قسنطينة، الجزائر، 1991، ص-ص: 340-351.
- 8.- Abdelkader Yafsah , op cit, P 99.
- 9- الأمانة العامة للحكومة الجزائرية ، الجريدة الرسمية، العدد (1) بتاريخ الجمعة 1962/10/26، ص، 2.
- 10- نفسه، ص، 15.

Abdelkader yafsah , op cit, P 99. -11

12- يمكن الاستفادة من الرد الوافي والشرح الكافي للأستاذ خيثر عبد النور للتصنيفات الواردة في متن دراسته حول تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية 1954-1962، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر (إشراف) حباسي شاوش، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص ، 61.

13- الجريدة الرسمية، العدد 1، 1962/10/26، العدد السابق.

14- عبد النور خيثر، المرجع السابق، ص- ص: 458-450.

15- على الرغم من اختلافات التكوين الجامعي لأعضاء الحكومة الجزائرية الأولى إلا أن ميزة اختصاص الطب، والحمامة غلب على باقي التخصصات الأخرى، ولا تتوافق هذه الإسقاطات للمستويات التعليمية للوزراء التي أوردتها الباحثة مغنية الأزرق في كتابها نشوء الطبقات في الجزائر. ينظر مغنية الأزرق: نشوء الطبقات في الجزائر "دراسة في الاستعمار والتغير الاجتماعي السياسي" (تر) سمير كرم مؤسسة الأبحاث العربية، 1981، ص ، 92.

16- William quantd , op cit, P211. -17

Abdelhamid Brahimy , **l'économie algérienne**

« hier a Demain » office des publication

ibid , -18universités, 1991, Alger, P,77.

لم يتوقف 19P,78.

النشاط الارهابي لهذه المنظمة عند الحدود المادية والبشرية، بل أتلفت مكتبة جامعة الجزائر وحرقتها لـ 600 ألف مجلد وهو ما يطرح ارتكابها لجريمة التعدي على التراث الثقافي والعلمي للجزائر كبلد مستقل . ينظر: محمود الواعي: "إنشاء منظمة الجيش السري ونشاطها"، المرحلة الانتقالية للشورة الجزائرية من 19 مارس 1962 إلى سبتمبر 1962، منشورات المتحف الوطني

للمجاهد، مطابع قرني، الجزائر، 1995، ص ، 298.

20- مغنية الأزرق، المرجع السابق، ص، 102.

21- عبد العالي دبلة ، الدولة الجزائرية الحديثة، دار الفجر للتوزيع، القاهرة ، 2004، ص ، 29.

22- Monique Laks , **Autogestion**

ouvrière et pouvoir politique en Algérie

« 1962-1965 », études, et documentation

internationales, paris, 1962, P ,138

Ministère de l'orientation nationale , -23

- document sur l'autogestion**, Mars, Alger,
1964, P, 7,8
ibid , P 8,9-.24
ibid , pp, 9,10. -25
- 26- أحمد بن بلة ، مذكرات أحمد بن بلة كما أملاها على رويير ميرل
(تر) العفيف الأخضر، منشورات دار الآداب، بيروت، (د.س.ن)، ص
.179
- 27- أحمد بعلبكي ، المسألة الزراعية أو الوعد الرائد في ريف الجزائر،
منشورات عويدات، ط1، بيروت، 1985، ص ، 144.
- 28- محمد السويدي ، التسيير الذاتي في التجربة الجزائرية والتجارب
العالمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص، 143.
- 29- Ministère de de l'orientations nationale , op
cit, P P , 11-24
- 30- محمد السويدي ، المرجع السابق، ص ، 144، 145.
- 31- Ministres de de l'orientation
nationale , « organisation et gestion des
entreprises Industrielles, minières et

- artisanales ainsi que des exploitation agricoles
vacantes » article1 , op cit, P,14 .
- Gérard Chaliand **et** juiliette Mincees , -32
- L'Algérie indépendance**, paris, 1972, P , 32,33
- 33 محمد السويدي ، المرجع السابق، ص ، 149 ، 150.
- Monique Lakas , op cit, P,155. -34
- Ministers de de l'orientation nationale , op -35
cit, article 20-22, P ,21,22.
- 36 مغنية الأزرق ، المرجع السابق، ص 107.
- Ministers de l'orientation nationale , op cit, -37
P19.
- 38 إن ظاهرة البيروقراطية ظاهرة خاصة في انتخابات أعضاء اللجان
التسييرية وفي انتخابات رئيس المزرعة مع زيادة الوعي النسبي للفلاحين والعمال
إلا أنها أصبحت مشكلا حقيقيا مع مرور الوقت أثرت بشكل مباشر في
نقص العملية الانتاجية، ويضاف إليها الأجر الذي يتقاضاه الفلاح و المنح
التي كان يسمع عنها فقط. ينظر: Gérard Chaliand **et** Juliette
Mincees , opcit, P, 41.42.

- 39- محمد السويدي ، المرجع السابق، ص، 153.
- 40- Monique laks , op cit, P162.163.
- 41- أحمد بعلبكي، المرجع السابق، ص، 179.
- 42- أحمد بن بلة، المصدر السابق، ص - ص: 178 - 176 .
- 43- Monique Laks, op cit , P ,175.
- 44- Abd elahamid Brahimi , op cit, P, 90.
- 45- Chaliand et Juliette Minces , op cit, P ,69
- 46- أحمد بن بلة، المرجع السابق، ص، 178.
- 47- Monique laks , op cit ,P ,190.
- 48- ibid , P P , 191-193
- 49- Rocherieux Julien , « l'évolution de l'Algérie depuis l'indépendance ». **Revus. Sud/nord**,N14, 2001, CAIRN, France, P ,31.

دور الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ الجزائر العثمانية من خلال كتابات

الدكتور عبد الجليل التميمي

أ- مسعود بقادي جامعة عمار ثليجي بالأغواط-ملحقة آفلو-

ملخص المقال

إن فترة التواجد العثماني بالجزائر والتي امتدت لأكثر من ثلاثة قرون، هي فترة حبلى بالأحداث والقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وعلى اعتبار أن دراسة تاريخ وأحداث هذه الفترة تعتمد على الوثائق المادية بالدرجة الأولى فقد اهتم عدد قليل من المؤرخين المغاربة بذلك وعلى رأسهم الأستاذ المتفرد والمتمرس الدكتور عبد الجليل التميمي (أطال الله في عمره) وله في ذلك باع طويل من الدراسات التي تعتمد على الوثائق (الأرشيف) العثمانية. كيف لا وهو الذي يحسن اللغة العثمانية (كان قد درسها بإيعاز من أستاذه "كلود كاهين" "claud cahen") بالإضافة الى العربية والفرنسية والانجليزية، ولذلك ارتأيت أن تكون مقالي هذه بعنوان : دور الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ الجزائر العثمانية من خلال كتابات الدكتور عبد الجليل التميمي وفق النقاط التالية :

1- التعريف بالمؤرخ والمفكر والباحث، الأستاذ عبد الجليل التميمي

2- أهمية الأرشيف العثماني المغاربي عامة والجزائري خاصة

3- نماذج من دراسات الأستاذ عبد الجليل التميمي للتاريخ المغربي في الفترة العثمانية

وختمت هذا المقال باستنتاجات هامة حول فترة التواجد العثماني بالجزائر
بالإضافة الى مجموعة من الملاحق تخدم الموضوع.

abstract

That the period of the Ottoman presence in Algeria which lasted for more than three centuries, is pregnant period the events and issues of political, economic and social, and considering that the study of the history of the events of this period depends on the physical documents primarily the few number of historians Moroccans so and headed by Professor edition veteran of Dr. Abdul Jalil al-Tamimi, may God prolong his life) and the long experience of studies based on documents (archive) Ottoman Empire, how can it not improve the Ottoman language (had studied at the behest of his to Arabic, French "mentor "Claude Kahin "claud cahen the and English, therefore you decide to be my these role of the Ottoman archives in writing the history of Algeria Ottoman Empire through the writings of Dr. :Abdul Jalil Tamimi according to the following points

.1Definition met with historian and thinker and researcher, Professor Abdul Jalil al-Tamimi

.2The importance of the Ottoman Archives General Maghreb Algerian for

.3Examples of case studies professor Abdul Jalil al-Tamimi Maghreb history in the Ottoman period and concluded this article important conclusions on the duration of the Ottoman presence in Algeria to a group of the supplements serve the Subject

يعرّف البحث بأنه تجميع منظم لجميع المعلومات المتوفرة لدى كاتب البحث عن موضوع معين وترتيبها بصورة جيدة بحيث تدعم المعلومات السابقة أو تصبح أكثر نقاءً ووضوحاً. والبحث عملية استقصاء منظمة ودقيقة لجمع الشواهد والأدلة، بهدف اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة أو تكميل ناقص أو تصحيح خطأ. على أن يتقيد الباحث بإتباع خطوات للبحث العلمي وأن يختار المنهج والأدوات اللازمة للبحث وجمع المعلومات¹. ومن أبرز هذه الأدوات خاصة في مجال التاريخ "الوثائق" إذ لا تاريخ بدون وثائق² ومن أهم الوثائق المتعلقة بالتاريخ العربي العثماني تلك المخطوطات الهامة الموجودة في اسطنبول بتركيا التي تبرز الحقبة الزمنية التي كان العرب فيها جزءاً من

الإمبراطورية العثمانية. وتحقيق المخطوط ودراسته باعتباره إرثا حضاريا ليست خاصية من خاصيات التراث العربي الإسلامي وحده، بل هو ثقافة مشتركة بين جميع الأمم ذات الحضارات المتجذرة في أعماق التاريخ³، ولعل أبرز الباحثين العرب الذين اهتموا بهذا الجانب، ذلكم الشاب التونسي الذي سخر جهده وقلمه وكل ما أتاحت له من إمكانيات لخدمة ذلكم الإرث الحضاري المتعلق بالوثائق العثمانية إنه بلا شك الأستاذ الدكتور عبد الجليل التميمي⁴ فالأستاذ عبد الجليل التميمي هو أول عربي استغل الوثائق التركية المحفوظة باسطنبول وتركيا، إذ يعتبر أول مؤرخي المغرب الشبان وأنّ مجموع دراساته هو الدليل القاطع على سعة وشمول وثائقه وسعة معرفته بهاته اللغات الضرورية لتعميق الدراسات حول تاريخ الجزائر وتونس الحديث⁵ ولعل من أهم دواعي إهتمام مؤرخنا الأستاذ عبد الجليل التميمي بتاريخ دول المغرب الثلاث (الجزائر- تونس-ليبيا) أثناء العهد العثماني هو. أولا: محاولته سد الفراغ الكبير الموجود حول تلك الحقبة الزمنية خصوصا وأن الدراسات الأوربية عامة و الفرنسية خاصة هي المصادر المعتمد عليها في معظم كتابات التاريخ العربي أثناء العهد العثماني وثانيا: إعتقاد المؤرخ عبد الجليل التميمي أن الوثائق العثمانية(التي تعد بالآلاف) هي المصدر الحقيقي لكتابة التاريخ العربي العثماني باعتبار أن تلك الوثائق

خاصة المراسلات (الفرمانات) هي التي تؤكد طبيعة ونوعية الحكم الإسلامي العثماني للبلاد العربية عامة وشمال إفريقيا خاصة، والسبب الثالث في نظرنا هو العمل بوصية أستاذه (روبار منتزان) الذي وجهه لدراسة اللغة العثمانية، ضف إلى ذلك إتقانه اللغتين الفرنسية والانجليزية⁶ يضاف الى هذه الأسباب حنكة وتجربة الأستاذ عبد الجليل التميمي بآليات وخطوات البحث العلمي المتكامل . وقد التزم الأستاذ عبد الجليل التميمي بتلك القواعد، إذ أن الوثائق الصادرة من سلاطين الدولة العثمانية إلى حكام الولايات العربية تعتبر مصادر جدّ هامة، وعملية دراستها و الكشف عن أسباب صدورها في الكتابة التاريخية شيء مهم جدا ذلك أنه عندما يتغير نوع الوثيقة أي الرمز أو الشاهد يتغير مفهوم الحدث وبالتالي يتغير النقد والتأليف وبالتالي تتغير ذهنية المؤرخ ونظرته الى الأحداث⁷

أهمية الأرشيف العثماني المغاربي عامة والجزائري خاصة :

لقد اختلف الباحثون العرب في نظرهم التحليلية لطبيعة الدولة العثمانية، فمنهم من اعتبرها دولة استعمارية استغلت ثروات الشعوب التي خضعت لها، ويستشهدون للبرهنة على صحة نظرهم هذه بما يشاهده الزائر للمتاحف العثمانية من ترف وبذخ وثراء فاحش في قصور خلفاء بني عثمان وقصور أمرائهم وولاتهم وقادة جيوشهم، يضاف الى ذلك تلك المظالم والقسوة التي

ارتكبتها الولاة تجاه مختلف الشعوب التي حكموها وفي طليعتها العرب مما خلف شعورا بالكراهية و النفور و المقاومة ، كما أن الكتابات الأوربية عن العثمانيين طبعت بطابع القسوة وصوّرت العثمانيين كأشرار غزاة على استعداد دوما للقتل و التعذيب⁸ ، ورؤية أخرى معاكسة ترى بأن قيام الخلافة العثمانية في أعقاب انهيار الخلافة العباسية قد أعاد للمسلمين وحدتهم ولمّ شملهم ورفع راية الإسلام عاليا ، وعملت الخلافة العثمانية على نشر مبادئ الحق و العدل بنشرها الدعوة الإسلامية⁹ وأمام تنوع هذه الكتابات التي تؤكد اختلاف شعوب المشرق العربي وشعوب المغرب العربي للحكم العثماني فإن طابع ونوعية الظروف التاريخية هي التي جعلت سلاطين الدولة العثمانية ينتهجون أسلوب الحكم هذا أو ذاك في البلاد العربية ، فإذا كانت فتوحات العثمانيين للشام ومصر من منطلق التنافس وسوء العلاقات بينهم وبين المماليك ، فإن التواجد العثماني في بلدان المغرب العربي وبالذات في الجزائر وليبيا قد جاء نتيجة لطلب الأهالي ، الذين طالبوا الدولة العثمانية بتخليصهم من الهجمات الصليبية ضدّ بلادهم¹⁰ ومن هنا فإن الكتابات التاريخية عن فترة التواجد العثماني بالبلاد العربية كثيرة ومتنوعة ، غير أن أغلبها كتابات أوربية (فرنسية بالدرجة الأولى)¹¹ أما الكتابات العربية عن

هذه الفترة فتكاد تكون عامة باستثناء البعض منها الذي يعتمد وثائق مصدرها الأرشيف العثماني¹² وأما الكتابات العثمانية فهي متنوعة، وتعتمد على وثائق أرشيفية هامة¹³ وأمام هذه الرؤية تتغير كتابات المؤرخين، وعندئذ تأتي أهمية الوثائق في هذه الكتابات، ذلك أن عددا من المؤرخين كانوا يذهبون إلى التفكير بأن وثائق وزارة الخارجية الفرنسية و البريطانية مثلا والمتعلقة بالباب العالي تكفي لتوضيح وجهات النظر العثمانية تجاه تاريخ شمال إفريقيا مثلا¹⁴، وبالمقابل فإن دراسة الوثائق التركية من جهة واحدة لا تمكن الباحث من إيجاد نظرة أصيلة وجديدة، لكنه على أية حال فإن تلك الوثائق ستسمح بمقارنة الحوادث بعضها مع بعض والتي ستمكن المؤرخ من تحليل جديد أكثر وعيا لبعض الأحداث التاريخية¹⁵

إن المؤرخ الذي يكتب عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني وجب عليه أن يعرّج على ذلك الكم الهائل من الوثائق الموجود في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، والمعروف بخط همايون والعديد من هذه الوثائق محفوظة بأرقامها الأصلية في مركز الدراسات التاريخية بمدينة الجزائر، وقد أحضرها المرحوم أحمد توفيق المدني وعددها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثيقة، وقد أسند المركز مهمة ترجمتها للأستاذ

التركي فكري طونا¹⁶. كما يحتوي مركز الدراسات التاريخية أيضا على ما يعرف بدفاتر الجزائر العربية والتركية، وهي سجلات الإدارة الجزائرية في العهد العثماني، وقد اهتم بعض الباحثين من دراسة بعضها وعلى رأس هؤلاء المؤرخ عبد الجليل التميمي الذي تمكن من وضع أول فهرس مفصل لها بعنوان موجز الدفاتر العربية والتركية بالجزائر¹⁷ هذا الكم الهائل من الوثائق الموجود بالبلاد العربية عامة والجزائر خاصة يؤكد القيمة التاريخية لهذه الوثائق التي ما يزال بعضها دفين أروقة الأرشيف، وينتظر من ينفذ الغبار عنه والأرشيف العثماني الجزائري الموجود ببئر خادم هو الآخر ينتظر من يوظفه ويبحث فيه الروح من جديد عسى أن يكشف مآثر التاريخ الجزائري بسليباته وإيجابياته في ظل التواجد العثماني بالجزائر¹⁸ وبالفعل فقد تمكن عدد من المؤرخين الجزائريين¹⁹ أن يكتبوا عن التواجد العثماني بالجزائر من وجهات نظر مختلفة، وسنحاول أخذ نموذج عمن كتب عن الأرشيف الجزائري خلال العهد العثماني، إنه الأستاذ و الباحث الجزائري خليفة إبراهيم حماش، الذي بذل مجهودا معتبرا في البحث عن وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني²⁰

ولعل من أبرز الصعوبات و المشاكل التي تعترض الدراسات العثمانية ليس في الجزائر فحسب بل في الوطن العربي ككل نجلها فيما يلي :

المصادر: أنجزت مراكز البحوث المتعلقة بالدراسات العثمانية (عربا أوغير عرب (مجموعة من الكتب لكن تبقى هذه الكتب (التي هي عبارة عن وجهات نظر) إذ أن الكتاب مهما كانت قيمته فإنه يحمل قدرا من الانتقائية، ولم تصبح الوثائق حتى الآن مصادر هذه الفترة²¹(الفترة العثمانية بالوطن العربي)

اللغة والتخصص في الدراسات العثمانية: إذ تشير كثير من الدراسات أن اللغة العثمانية لا تحظى باهتمام جدي في الجامعات العربية، ضف الى ذلك الضعف في عدد الساعات المخصصة لتدريس تخصص الدراسات العثمانية أو عدد الموضوعات المتفرعة عنها²² يضاف الى هذين السببين المشاكل المنهجية، المتمثلة في لا موضوعية كثير من الدراسات العربية وغير العربية الخاصة بتاريخ التواجد العثماني بالبلاد العربية لأسباب متعددة منها عامل الدين الذي يحمل مؤشرات التحيز والعاطفة والمزاج ومن أمثلة ذلك أن المؤرخ المسلم أترت عليه المذهبية(سني أوشيعي) وبذلك أصبحت له رؤية ضيقة ومحدودة للتاريخ العثماني²³ هذا من جهة ومن جهة ثانية، انعدام وجود حوار علمي بين الجامعيين العرب و الأتراك، والذي نتج عنه وجود بعض الكتابات العربية التي

تمقت التاريخ العثماني وقد تجسد ذلك في كثير من الكتب المدرسية التاريخية بالبلاد العربية التي رسمت صورة سلبية جدا للأتراك بالوطن العربي ، وكذا صورة العالم العربي في الكتب المدرسية التاريخية التركية التي أضحت هي الأخرى سيئة جدا²⁴ يضاف الى ذلك الخطاب الإيديولوجي لرجال السياسة العرب ومن أمثلة ذلك خطاب وزير الدفاع السوري العميد مصطفى طلاس في إهدائه لكتابه ،الثورة العربية الكبرى الى الحسين بن علي بقوله : "إلى الحسين بن علي الذي أطلق الرصاصة الأولى في سماء مكة معلنا راية الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك الغزاة الذين دَسَّسوا ترابنا الوطني باحتلالهم البغيض ،أقدم هذا الكتاب عسى أن تجد فيه روحه الطاهرة بعض الوفاء والعرفان بالجميل من بعد هذا المجهود الطويل"²⁵

نماذج من دراسات الأستاذ عبد الجليل التميمي:

بلغ عدد تأليف الأستاذ عبد الجليل التميمي العشرات من الكتب والمقالات²⁶ وما يلاحظ على مؤلفات الأستاذ عبد الجليل التميمي هو الاهتمام بالتاريخ العثماني وكذا تاريخ الموريسكيين الأندلسيين ،والشيء الملفت للانتباه أولا هو تمكنه من عدة لغات كالعثمانية والفرنسية والإنجليزية بالإضافة إلى العربية طبعا، وثانيا اعتماداه في جل أبحاثه ودراساته على الوثائق الأرشيفية ،وسوف نقتصر

في هذه الورقة البحثية على نماذج من مؤلفاته (التي تبرز اعتماده على الوثائق
(ولعل أبرزها :

1 - بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871: هو كتاب مطبوع
صادر عن الدار التونسية للنشر الطبعة الأولى، مارس 1972 يتألف من
437 صفحة، وهو جزء من رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر
من جامعة إكس أون بروفانس (فرنسا) شملت دراسته هذه ستة بحوث مدعّمة
بالمادة الأرشيفية على شكل وثائق، وبسبب خصوصية هذه الورقة البحثية فإننا
سوف نقتصر حديثنا على بحث واحد البحث الثاني من الصفحة (103 الى
ص120) متعلقة بسياسة الباب العالي تجاه انتفاضة شرق الجزائر سنة 1871
،وما يهمننا في هذه الدراسة هو اعتماد الأستاذ عبد الجليل التميمي على
وثيقتين أرشيفيتين نادرتين²⁷ موجهتان من الجمعية الخيرية الإسلامية إلى الصدر
الأعظم محمود ندم باشا إذ أنه رغم الإشكالية التي يطرحها الباحث حول هذه
الجمعية ومصدر الرسالة؟ فإن التساؤلات الأخرى التي تطرح هو ما موقف
الباب العالي من هذه المراسلات؟ وهل تمّ فعلا تقديم المساعدات؟ وما نتائج
ذلك؟؟

إن مثل هذه الوثائق تفتح أبوابا جديدة للمؤرخين (خاصة الجزائريين) لتأليف أبحاث جديدة حول ثورة 1871 بالشرق الجزائري خاصة على ضوء ما شهدته فرنسا آنذاك في صراعها مع بروسيا (ألمانيا الموحدة فيما بعد) ؟

2 - دراسات في التاريخ العربي العثماني 1453- 1918: يحتوي الكتاب على 117 صفحة من الحجم المتوسط، وهو من منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1994، وهو عبارة عن دراسات قدّمت في مؤتمرات دولية تاريخية تتمحور حول بعض إشكاليات التاريخ العربي العثماني، ويسعى الأستاذ التميمي من خلال هذه الدراسة المساهمة في إرساء الحوار العلمي والسياسي بين الأمتين العربية والتركية بعيدا عن صيغ التعميمات والاتهامات والتأويلات التاريخية المضللة التي سادت المناخ العربي والتركي منذ مدة طويلة²⁸ ويشمل هذا الكتاب على ستة دراسات وسنأخذ نموذجا واحدا (مراعاة لشروط كتابة الورقة البحثية المقدمة في هذا الملتقى) أي الدراسة الخامسة بعنوان: العرب والأترك في إطار الدولة العثمانية ابتداء من الصفحة 89 إلى ص 92 وملخص هذه الدراسة يتمثل في قناعة الأستاذ التميمي بجمية الحوار الهادئ و الملتزم بين الفئات المثقفة العربية والتركية لإعادة بناء الماضي العربي العثماني في إطار الدولة الإسلامية التي كانت تمثلها الإمبراطورية العثمانية، وكذا محاولة تناسي الأحقاد وتصحيح الأخطاء التي حدثت في الماضي، ومجمل هذه الدراسة تدور حول محورين رئيسيين أولهما

دعوة المؤرخ التميمي الى تحقيق تعاون بين المؤرخين العرب والأتراك وذلك بتأسيس جمعيات (على غرار الجمعيات الموجودة لدى الدول الأوروبية) لدراسة تاريخ الولايات العربية خلال الفترة العثمانية، وثانيهما الدعوة الى تصحيح بعض المفاهيم والمغالطات التاريخية وإلغاء حاجز عدم الثقة بين المؤرخين الأتراك والعرب من خلال كتابات بعض المؤرخين الأتراك الى العرب (فترة حكم الاتحاديين) والتي كان من نتائجها الإساءة الى تاريخ أربعة قرون²⁹ وثالثهما دعوة الأستاذ التميمي لتصحيح كثير من المفاهيم بواسطة طرح مجموعة من التساؤلات ومنها: هل الحكم العثماني بالبلاد العربية هو استعمار واحتلال كما يذهب إليه عدد كبير من المؤرخين العرب؟ ويجب على ذلك بضرورة وضع مقارنة بين النظام العثماني والأوروبي بالبلاد العربية بواسطة دراسات جادة ومعمقة تعتمد على الوثائق والنظرة الموضوعية للأحداث، ورابعهما تأكيد الباحث عبد الجليل التميمي على أن الطابع العربي والإسلامي والعادات والتقاليد واللغة العربية والثقافة لم تمس أو تحارب خلال الفترة العثمانية تاريخ البلاد العربية ولم تكن هناك قطيعة فاصلة ولا حدود مغلقة بين المشرق والمغرب طوال تلك الفترة³⁰ وخامسهما دعوة الأستاذ التميمي الى إعادة كتابة تاريخ البلاد العربية أثناء الفترة العثمانية من طرف المؤرخين الأتراك والعرب وأنه لا يجب إصدار أحكام على فترة ما دون استحضار كل وثائق البلدان العربية

والتركية على حد سواء مع ضرورة تحكم المؤرخين الأتراك في اللغة العربية وتحكم العرب في اللغة التركية ضف الى ذلك التحلي بالموضوعية و النزاهة، وتقبل النقد البناء وإقرار الواقع التاريخي³¹

3 - دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن 16م :شمل هذا الكتاب على تقديم وست دراسات في حوالي (117 صفحة من النوع المتوسط) إختارنا منها الدراسة الأولى كنموذج وهي بعنوان :عثمنة إيالات الجزائر وتونس وطرابلس على ضوء المهمة دفترى(1559-1595)وما استرعى انتباهنا في هذه الدراسة القيمة هو اعتماد الأستاذ عبد الدليل التميمي على 243 وثيقة من المهمة دفترى ترجمها عن اللغة العثمانية ووضعها كملاحق لهذه الدراسة ،فبالإضافة الى التحليل و الاستنتاج الذي يتمتع به الأستاذ التميمي في قراءاته المتأنية لهذه الوثائق فإنه بين الحين والآخر يطرح تساؤلات عن الظرفية التاريخية التي أحيطت بإصدار سلاطين الدولة العثمانية لتلك الفرمانات ؟ومن أبرز ملاحظتنا على هذه الدراسة مايلي :

- 1- أهمية (المهمة دفترى) كمصدر أرشيفي هام في دراسة الإيالات الثلاث (تونس-ليبيا -الجزائر) والتي تحتوي على 250 مهمة دفترى وتظم ما بين 150000 الى 200000 فرمان سلطاني³²

- 2- أن هاته الفرمانات السلطانية وعددها 243 قد وُجّهت الى بايلربايات الجزائر وتونس وطرابلس في الفترة ما بين 22 جويلية 1559 و 2 سبتمبر 1595 أدّت بطريقة أو بأخرى الى عثمانة الإيالات الثلاث (الجزائر-ليبيا-تونس) وتوّجت بتبني مجموعة من الأنظمة و القواعد والعادات شبيهة بقانون نامة³³ غير مكتوب لكنه مطبق .
- 3- أن الأستاذ التميمي قد بذل جهدا معتبرا في ترجمة هذه الوثائق رفقة الأستاذ خليل الساحلي أوغلو ،اقتناعا منه بحتمية وضع هذه الفرمانات على ذمة المؤرخين والباحثين على اختلاف تخصصاتهم³⁴
- 4- تأكيد الأستاذ التميمي على أن كل فرمان من هذه الفرمانات هو وثيقة من الوثائق التي يمكن أن تثير مجموعة من التساؤلات ،والتي يمكن أن تكون موضوع دراسة معمقة³⁵ تؤلف من خلالها مئات الرسائل الجامعية
- لو قرأنا قراءة متأنية هذه الوثائق التي حواها كتاب الأستاذ عبد الجليل التميمي لاستطعنا أن نستنتج عشرات الملاحظات ولأمكننا طرح عشرات التساؤلات

عن الظروف التاريخية العامة لهذه الوثائق، وكذا مجالها في التطبيق، وعندئذ تطرح إشكالية معالجة هذه الوثائق من طرف المؤرخين العرب والأترك على حد سواء، وهي المهمة التي نادى بها الأستاذ عبد الجليل التميمي غير أنه وبسبب خصوصية (هذه الورقة البحثية) فإننا نحاول التعرض لأبرز ما احتوته هذه الوثائق آملين أن تؤسس جمعيات عربية-تركية لنفض الغبار عن ملايين الوثائق الأخرى سواء في تركيا أو في البلاد العربية واستغلالها في دراسات أكاديمية، ومن أبرز ما تناولته هذه الوثائق ما يلي :

- مكانة الدين في تصور الدولة العثمانية :ويتمثل ذلك في قناعة المسؤولين السياسيين العثمانيين في فترة النصف الثاني من القرن 16م بالدفاع عن المسلمين أينما وجدوا جغرافياً³⁶
- سياسة الدولة العثمانية لفرض الأمن والنظام في الإيالات الثلاث :ذهبت كثير من الدراسات على أن بعض الإيالات العثمانية قد أديرت وفقاً لمزجة وهوى المسؤولين الأترك والإنكشاريين، وهو ما نتج عنه تدمير السكان من تلك السياسة مما توجب على الدولة العثمانية ضرورة إنصاف هؤلاء السكان وتطبيق القانون بواسطة فرض النظام

،وتشير مجموعة من الوثائق التي تطرق لها الأستاذ عبد الجليل التميمي
الى ذلك³⁷

- تجنيد الانكشاريين وتحرير الأسرى المسلمين والمسيحيين ومبالغ الفدية
لفائدة الخزينة المركزية: من بين المواضيع الهامة التي تطرقت لها الفرمانات
السلطانية تلك المتعلقة بتجنيد الانكشاريين في أراضي الدولة العثمانية
الذي يستوجب أخذ موافقة القاضي على ذلك بحيث جاء في إحدى
الفرمانات "نأمر كل القضاة بأن كل عسكري يأتي بسلاحه وعتاده
الحربي للتطوع في البحرية و الركوب في سفن الحاكم ألا يقع منعه من
ذلك بل وجب مساعدته على تسجيل سفنه في سجل المتطوعين
.."³⁸ أما مبالغ الفدية المجمعة على اثر افتداء الأسرى المسيحيين فقد
صدرت أوامر صارمة بذلك "قام ريس البحر المدعو مراد ريس بالقبض
على 80 أسيرا من الكفار (البندقيين) وعندما تمت فديتهم بالأموال
من قبل دولتهم قام الريس مراد بأخذ تلك الأموال لصالحه الخاص
،رغم أنها تابعة لخزينة الدولة ،نطلب منكم أخذ الأموال المتحصل
عليها من تلك العملية وارجاعها الى خزينة الدولة العثمانية بدون
تقصير ولا نقصان"³⁹

هذه إذن مجرد استنتاجات لقراءة عابرة للدراسة التي تناولها الأستاذ عبد الجليل التميمي، في كتابه دراسات في التاريخ العثماني المغربي خلال القرن 16م

الخاتمة

بعد هذا العرض المبسط حول أهمية الأرشيف العثماني تتأكد لنا ضرورة وحتمية اعتماد المؤرخين العرب والأتراك على الوثائق كمصادر هامة جدا في توثيق الحقائق بكل موضوعية وحيادية مثلما فعل الأستاذ المتمرس الدكتور والباحث عبد الجليل التميمي الذي أفنى حياته في البحث والتنقيب والترجمة لمئات الوثائق والتي طالب من خلالها بضرورة إعادة النظر في العلاقات العربية-التركية، كما لا يفوتنا أن نذكر بحقيقة هامة تتمثل في مسؤولية الباحثين(المؤرخين على وجه الخصوص) حول ضرورة بعث التاريخ العثماني العربي بصفة عامة و التاريخ العثماني الجزائري بصفة خاصة وذلك بتسخير أقلام ومجهودات المؤرخين وتكاثف مجهوداتهم (لغلبة هذا التاريخ المتميز) وبذلك فعلى الجيل الجديد من المؤرخين العرب والأتراك تحمل مسؤولياتهم تجاه هذا الأرشيف الضخم سواء في تركيا أو في البلاد العربية. ذلك أن إرث خمسة قرون يستوجب الحوار ومزيد من الجهد المشترك، لتكوين نظرة جديدة الى المستقبل، تفرضها الحدود المشتركة، وحسن الحوار وما يحوي من منافع متبادلة، عندئذ تصبح مسألة إعادة النظر في الدراسات العثمانية مسؤولية مزدوجة على الباحثين العرب والأتراك

الملاحق :



صورة حديثة للأستاذ عبد الجليل التميمي

رئاسة الجمهورية

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الأمانة الصامة



مهمة دفترى رقم 7 صحيفة 889 حكم رقم 2439 الجزائر في 12 / 15 / 976

كـب

حكم الى امير امراء الجزائر

لقد حضر الى سدة سعادتنا خلف الامراء الكرام السيد عبد الملك دام علوه دام شقيق السيد عبد الله حاكم مراكنش (مرانقوش) معلنا ولائهم (عبوديته) وقد اعرب المذكور عن النزاع اندثر بينه وبين شقيقه بخصوص الحكم واستاعى اصدارنا خطابا همايونيا لمخه كانا قريبا من الجزائر لأجل معيشة وكذلك بذل مساعينا لفصل الخلاف القائم بينهما بطريق الصلح والصلاح ودون حرب وقتال كيلا يلحق بالريعية اى اذى ورجا ايضا تعيين كل من السيد ابرو الطيف والسيد احمد انوى والسيد سعيد المصري بن طاشور وهم من علماء وطلحا الجزائر الاصلاح ذات البين بطريق (الرسالة) ومطالبتهم لآخيه باعطائه مدينة (قلعة) فاس .
وانا تعذر ذلك فليطالبوه بمد ينتي تارته وتغله مع توابعها وقد اعرب المذكور بانته هو وشقيقه عبد المؤمن كانا يتلقيات مقدار من الذهب من ارسل لك خطابا شريفا بالعربية بشأن تعيين مكان قريب من الجزائر لاحلال الصلح والصلاح بين الطرفين .
وامسرت :

ان تتصل بالمذكور (هدد الله) حال وصول هذا الحكم وفي حالة موافقته على الصلح والصلاح ، فلتشكل الوفد على الوجه الذى ورد بخطابى الشريف ولتبعث به بالاسلوب والطريقة المناسبة ، وتؤكد عليهم بالمطالبة بمد ينتي فاس اولا وانا لم يوافق فليطالبوه بمد ينتي تارته وتغله القريبتين من الجزائر مع توابعها ودعمهم ايضا يتجسسون ويتبعون اراء الناس خفية كي تظهر نواياهم وارانهم فمعين يرغبونه حاكما عليهم وليحذروا من حيلة وخذ يعة المشار اليه حتى يتم الصلح والصلاح على اتمل وجه .

تعريب محمد داود التميمي

رغم مضمون الحكم يكمل الى هنا الا انه على ما يبدو غير كامل من حيث الدياتحة والخاتمة بالشكل المألوف

مهمة دفترى رقم 07

المصدر: الأرشيف الوطني ببئر خادم الجزائر العاصمة

رئاسة الجمهورية

الإمانة العامة

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الجزائر في :

حكم رقم 625

ص 442 - 443

مهمة دفترى رقم 14

بتاريخ 22/5/87

كتب

ارسل

ليكتب خطاب همايوني الي حاكم فاس الامير عبد المؤمن من

نعلمكم بوصول خطابكم المرسله الى استنانه عدالتنا و
مكرمتنا بواسطه على دام اقباله امير امراء جزائر الغرب وبوساطة
افضل الفضلاء والكمال البلغاء الشيخ محمد البكري وقد جاء في مضمون
خطابكم المشعور بالاخلاص ان اشقائكم لا يحسنون مخالطتكم وانهم قد
عدلوا وانحرفوا عن طريق الشرع الشريف وان الضيم قد حل بالربا
والبرايا واضطرابت احوالهم نتيجة الاوضاع المتقدمة مما اضطرهم بخروج من
البلاد والاستغاثة بعدالة عهبتنا العليا واللجوء الى حمايتنا .
ونظرا لمرادنا الشريف باحلال الوفاق والوثام بينكم وامتثال
لقوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم فقد سبق ارسال خطاب همايوني
بشان اواله الفطور بينكم والتنازل لاشقائكم عن بعض الاماكن التي ورتتموها
بما يتناسب مع اوضاعكم وقد جاء في مكتوبكم المصحوب باخلاصكم ان
شقائكم قد عدلوا وانحرفوا عن جارة الشرع ولم يمثلوا الاوامركم وانهم
حادوا عن سير الصواب وطريق العدالة والفتوه كما ان تصرفاتهم
اصبحت تبعث على الفتنة والاختلال وان كل مما جاء في خطابكم السابق
الصادق والكتاب الحالي المرسل بوساطة المشار اليه الشيخ محمد
البكري قد عرض بالتمام والكمال على سرير سعادتنا واحاط ظمنا الشريف
وشمل كل ذلك هذا وقد اعرينا في خطابنا همايوني السابق عن
رغبتنا باحلال الصلح والصلاح بينكم لا سيما وانكم من سبطين المسلمين
بالاضافة لكونكم من الاشراف والسادات الا ان شقائكم خالفوا اوامرهم
ولم يرتدعوا عن اتباع طريق الضرر وعدلوا وانحرفوا عن جادة
الشرع الشريف وملكوا طريق البغي والعناد وتناولوا على الرعايا و
البرايا بالظلم والتعدى وتصدوا لهم بالجور والاذى وصدرت عنهم اوضاع

مهمة دفترى رقم :14

المصدر: الأرشيف الوطني ببئر خادم الجزائر العاصمة

رئاسة الجمهورية

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الإمانة العامة

الجزائر في :

حكم رقم 429

صحيفة 133

مهمة دفترى رقم 30

بتاريخ 985/3/5

هذا ايضا (اعطى الى احمد ، غلام الكتخدا* محمود
كتخدا* القيودان) .

حكم الى اعيان فاس

وصل الى حضرتنا العلية محضركم الذى يؤمك على انشر احكم منذ تنصيب
جناب الامير عبد الملك - دامت محاليه - حاكما على الولاية المزورة ، وتذكرون ل
بانه اقام العدل بين الرعايا والبريا ، وان فقرا* تلك الديار اصبحوا في ~~ال~~ رغد
من العيش وانهم اصبحوا منصرفين لخير الدعا* بدوام دولتنا واقبالنا .
وقد ظمنا بال تفصيل بكل ما اورد تمه عن ديانه واستقامة المشار اليه
كما احاط ظمنا الشريف بالانبا* التي حطتموها الى الحاج السيد موسى الذى ارسلتموه
الى سدة سعادتنا و ~~ال~~ وامرنا :

بلن توجنوا قلبكم ووجهكم مع المشار اليه - دامت محاليه - بامتثالكم
لاؤامره واصغائكم لاؤواله وطيمكم الا تضيعوا دقيقة والا تتوانوا عن تعظيمه و اكرامه
وتوقيره كي تظلوا على حسن معاشرة معه .

هذا ايضا (عطى الى المذكور)
صورة الى اعيان هرانقوس (مراكش)

هذا ايضا (اعطى الى المذكور)
صورة الى اعيان سوسن (سوسه)

تعريب : محمد داود التميمي

مهمة دفترى رقم :30

المصدر : الأرشيف الوطني ببئر خادام الجزائر العاصمة

الهوامش :

¹ - أجمد قاسم ،تعريف البحث العلمي وأهميته وأهدافه وخصائصه ،موقع آفاق علمية و تربوية ،ليوم 30 آفريل 2012

² - لا تاريخ دون وثائق "قاعدة المدرسة المنهجية الألمانية ردها المؤرخان الفرنسيان "لانقلوا" و "سينبوس" في كتابهما "مدخل إلى العلوم التاريخية" باريس 1898 (بالفرنسية)، إن هذه القاعدة المنهجية صحيحة لكن لا يجوز أن نحصر " الوثيقة التاريخية" في المصادر الرسمية على نحو ما يتصوره المؤرخون الوضعانيون. إن مفهوم "الوثيقة" في علم التاريخ أشمل من ذلك إذ يؤكد مؤسس مدرسة "الحوليات" : لوسيان فيير "لاشك أن التاريخ يكتب اعتمادا على الوثائق المكتوبة إن وجدت، لكن يمكن بل يجب أن يكتب على ما يستطيع الباحث بمهارته وحذقه، أن يستنبطه من أي مصدر : من المفردات و الرموز، من المناظر الطبيعية و من تركيب الأجر، من أشكال المزارع و من الأعشاب الطفيلية، من خسوفات القمر و من مقارن الثيران، من فحوص العالم الجيولوجي للاحجار و من تحليلات الكيمياء للسيوف الحديدية" (نقلا عن : ع، العروى : مفهوم التاريخ ص 428)

³ - محمد صبحي إطلالة على علم تحقيق المخطوط وخطواته ،مجلة أمل عدد 35 : ص،142

⁴ - ولد يوم 1838 /07/21 بالقيروان ،الجمهورية التونسية ،تحصل على دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث من جامعة (أكس أون بروفنس) فرنسا وقد نوقشت في 11 مارس 1972 ، وديبلوم الأرشيف الوطني الفرنسي بباريس سنة 1970 و ديبلوم الأرشيف الوطني بواشنطن سنة 1972 وقد انتدب كخبير في علم الأرشيف ،ثم تولى إدارة الأرشيف الوطني التونسي من سنة 1970 إلى سنة 1972 ، .ثم انتدب سنة 1972 كأستاذ مساعد بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية لجامعة تونس ، وتحصل على رتبة أستاذ كرسي سنة 1977 عين مديرا للمعهد الأعلى للتوثيق في فيفري 1982 وهي مؤسسة جامعية تابعة لجامعة تونس الأولى .وقد نظم خلال ست سنوات بالمعهد سبعة عشر مؤتمرا عربيا ودوليا ، تناولت علم المكتبات والمعلومات والأرشيف والتاريخ العثماني والأندلسي، وسعى لربط المشرق العربي بالمغرب العربي من خلال قنوات الاتصال وتبادل المعلومات، وقد مثل البلاد العربية من 1983 إلى 1988 في كل الاجتماعات السنوية للمجلس الدولي للأرشيف والتي تمت في كندا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي وايطاليا وباريس، وقد سعى لتعميم الاهتمام بأهمية الأرشيف في البلاد العربية والعمل على انشاء دور الأرشيفات الوطنية العربية.

-أسس اللجنة العربية للدراسات العثمانية وانتخب رئيسا لها منذ انشائها سنة 1982 إلى الآن، وهي اللجنة العربية التي نظمت اثنا عشر مؤتمرا عربيا ودوليا، وكان رئيسا للجمعية التونسية للتاريخ والآثار من جانفي 1980 إلى سبتمبر -1991 ويعتبر من المؤسسين للجنة العالمية للدراسات الموريسكية - الأندلسية حيث انتخب رئيسا لها منذ سنة 1983 ونظمت ثلاثة عشر مؤتمرا دوليا وقد انتخب عضوا في الجمعية التاريخية الأكاديمية التركية بأنقرة منذ سنة -1988 كما أنه عضوفي اللجنة العالمية لمؤتمر الفن التركي التي تعقد مؤتمرات دورية كل أربع سنوات.

متحصل على الوسام الثقافي الفرنسي Chevalier de l'Ordre des Arts et des Lettres سنة 1984 من وزير الثقافة الفرنسي

متحصل على الوسام القومي التونسي لعلم التاريخ سنة 1984 متحصل على وسام الاستحقاق الثقافي، الدرجة الأولى خلال شهر ديسمبر 1991 منح الدكتور الفخرية من مجلس جامعة استانبول) في 10 جويلية 1997 تقديرا لجهوده في خدمة التاريخ العربي العثماني والآثار أثناء العهد العثماني. منح جائزة الأمير كلوس ب هولندا سنة . 1997 من كليته بعد تقاعده منها سنة 1998 وقد منحت له درجة الأستاذ المتميز Prof. Emérite كما منح العضوية الشرفية من المجلس الدولي للأرشيف في مؤتمره العالمي الخامس عشر المنعقد بفينا في أواخر شهر أوت 2004

أنشأ المجلة التاريخية المغاربية *Revue d'Histoire Maghrébine* منذ سنة 1974

أسس سنة 1986 على حسابه الخاص مؤسسة بحث دولية : هي مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات والذي أصبح يعرف منذ أفريل 1995 بمؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وهي تعنى بالدراسات التاريخية عن البلاد العربية أثناء العهد العثماني كما يتمتع الأستاذ عبد الجليل التميمي بعلاقات ودية ومثالية مع عدد من المؤرخين والباحثين العرب والدوليين وقد دعي كمحاضر في عديد الجامعات والمراكز العربية والأجنبية . كما شارك في لجان ترقية الأساتذة العرب من الجزائر والأردن والعراق والمملكة العربية السعودية وقطر وسلطنة عمان . ولأربع مرات متوالية، يختار عضو تحكيم في جوائز الملك فيصل الدولية بالرياض . كما دعي سنة 1992، لإلقاء سلسلة من المحاضرات في معهد العالم العربي بباريس و 1998 من طرف جامعة طوكيو كما دعي سنة 1995 لإلقاء سلسلة من المحاضرات في الجامعة الماليزية وقد تم تكريمه في جامعة القاهرة في شهر أكتوبر 1990، للدور الذي قام به في التعاون العلمي بين جامعات المغرب والمشرق العربيين ولمناخ الثقة الذي أرساه بين الباحثين والمؤرخين العرب أولاً وبينهم وبين الأتراك والأوروبيين والأمريكيين وعموما الدوليين من جهة أخرى تجدر الإشارة الى أن الأستاذ التميمي يجيد العربية والفرنسية والإنكليزية والتركية

⁵ - من مقدمة كتاب ،عبد الجليل التميمي ،بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (تونس-الجزائر-ليبيا) من 1816 -1871 الدار التونسية للنشر ،تونس ،ط1 ،مارس 1972 ،ص، 10

⁶ - لاشك أن من أبرز الوسائل المساعدة في علم التاريخ هو علم اللغات ،إذ يتوجب على المؤرخ التزود على الأقل بلغتين او ثلاث ،و الترجمة من لغة الى أخرى عملية صعبة لكنها ممتعة إذ أن لها لذة وشقاء في آن واحد مثلما يذهب الى ذلك الأستاذ عبد الله ابراهيم بقوله: يُغبط المترجم لأنه رحّالة يمضي حياته متنقلا بين الثقافات، ومن الصعب تحديد درجة إحساسه باللذة أو بالشقاء جراء ذلك. لكنه الوسيط القادر على فهم طبيعة النظم الرمزية المعبر عنها بالكلمات، وإيجاد التفاعل فيما بينها، ولا ينفكّ يقوم بمهمة تعريف بين الغرباء الذين خيم عليهم جهل بالألسنة. فهل له أن يتنكب لتقاليد المهنة، فيغيّر بما عهد له من أمانة بحيث يسقط على النصوص ما يراه مناسبا له أو ينزع عنها ما لا يوافق ذائقته ومرجعياته الثقافية أم عليه الالتزام بالشروط المتفق عليها، فلا يلجأ لا إلى الاختصار ولا إلى الإطناب، ويمنع نفسه التزييف، والتمويه، والتقويل، ويتجنب الغموض والإبهام، فلا يدعي ما لم يقله المؤلف، أو يتجاهل ما صرّح به؟ لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يراجع ،د. عبد الله ابراهيم، لذة الترجمة وشقاؤها ، جريدة الرياض ،الخميس 22 محرم 1434 هـ/6ديسمبر 2012 م العدد 16236

⁷ - عبد الله العروي ، مفهوم التاريخ ،مجلة القدس العربي ،ديسمبر 2014

⁸ - أحمد جلال التدمري ، مقدمة وتعقيب -العلاقات التاريخية بين الخليج العربي والإمبراطورية العثمانية ،مجموعة أبحاث -ندوة رأس الخيمة التاريخية الثانية بعنوان ،الصلات التاريخية بين الخليج العربي و الدولة العثمانية ،وزارة الإعلام و الثقافة ،رأس الخيمة -الإمارات العربية المتحدة 21/19 نوفمبر 1988

ص،10

⁹ - أحمد جلال التدمري ، المرجع السابق ،ص،10

¹⁰ - عبد المنعم الجميعي ،الدولة العثمانية و المغرب العربي ،موسوعة الثقافة

التاريخية والأثرية والحضارية ،دار الفكر العربي ،القاهرة،2007 ،ص،03

¹¹ - نذكر نموذجين عن هذه الكتابات على سبيل المثال لا الحصر:

Hammer joseph.Histoire de L'Empire Ottoman depuis son origine jusqu a nos jours ,18vol.paris - 1835-1843

La jonquiere.Histoire de L'empire ottoman depuis les Origines jusqu au traite berlin .02 - vol.paris .1914

¹² - يراجع على سبيل المثال لا الحصر :

- رافق عبد الكريم،العرب والعثمانيون1516-1916 مكتبة

دمشق،1974

- رمضان عبد العظيم التأثير الحضاري للفتح العثماني في المشرق العربي في الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، جمع عبد الجليل التميمي، تونس 1984
- ¹³ - نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : اسماعيل حقي، أوزون جارشلي، نظام الإدارة المركزية و البحرية في الدولة العثمانية، ثلاث أجزاء (صدر الجزء الول عام 1943، و الثاني عام 1945، و الثالث عام 1948)
- يلماز أوزوتا، تاريخ الدولة العثمانية، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استنبول، 1982،
- ¹⁴ - عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، مرجع سابق، ص، 09،
- ¹⁵ - المرجع نفسه، صص، 10/09،
- ¹⁶ - خليفة ابراهيم حمّاش، العلاقات بين ايالة الجزائر و الباب العالي 1798/1830 رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الاسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ الآثار، 1988، ص، 07،
- ¹⁷ - عبد الجليل التميمي، الدفاتر التركية و العربية في الجزائر، مجلة الأصالة، عدد: 15/14 سنة 1973، صص، 35، 41،
- ¹⁸ - تمكنا من الحصول على عدد من الوثائق على شكل مهمة دفترية من مركز الأرشيف الوطني بئر خادم - الجزائر العاصمة - يراجع، ملاحق هذه الورقة البحثية مهمة دفترية رقم: 07، ص، 14 من هذه الورقة البحثية - مهمة دفترية

رقم: 14، ص، 15 من هذه الورقة البحثية - مهمة دفترى رقم: 30، ص، 16،

من هذه الورقة البحثية

19 - أبرز المؤرخين الجزائريين الذين كتبوا عن تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، الأستاذ أحمد توفيق المدني، والأستاذ أبو القاسم سعد الله، والأستاذ محمد العربي الزبيري، والأستاذ ناصر الدين سعيدوني.. يضاف الى هؤلاء باحثين جزائريين شباب نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الأستاذ خليفة حماش (جامعة قسنطينة) الأستاذ حنيفي هلايلي (جامعة تلمسان) الأستاذ أرزقي شويتام (جامعة الجزائر) الأستاذة المرحومة عائشة غطاس (جامعة الجزائر) الخ...

20 - يراجع في هذا الإطار :خليفة حماش ،كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية و التونسية ،منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة- 1431هـ/2010م و الجدير بالذكر أن الأستاذ خليفة حماش يتقن اللغة التركية وله في ذلك مؤلف بعنوان:قواعد اللغة التركية (العثمانية والحديثة) ،منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية-قسنطينة،2011/2012...وقد درست عنده في السنة الأولى ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر وكنا نأمل منه أن يكون (تميمي الجزائر) بما يملكه من ثقافة عالية وتجربة وتحكم في اللغات العربية و العثمانية و الفرنسية،لكنه كان يتدمر باستمرار من واقع الجامعة الجزائرية ؟؟؟؟

- 21- نزار الحديشي ،مشاكل الدراسات العثمانية في الوطن العربي،مجلة ،الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق و المعلومات ،مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم ،زغوان ،تونس ،مارس 1988م ،ص،281
- 22- نزار الحديشي ،المرجع نفسه ،ص،282
- 23- نزار الحديشي ،المرجع نفسه ،ص،283
- 24- عبد الجليل التميمي ،دراسات في التاريخ العربي العثماني (1453-1918) ،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية و الموريسكية والتوثيق و المعلومات،زغوان،تونس 1994، ص،93، 94
- 25- مصطفى طلاس ، الثورة العربية الكبرى ،منشورات مؤسسة طلاس،دمشق،سوريا ،بدون تاريخ ،ص،664
- 26- ثمة عدد هائل من البحوث و الدراسات التي نشرها الأستاذ عبد الجليل التميمي خاصة في المجلة التاريخية المغاربية وكذا في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية و المجلة العربية للأرشيف والتوثيق والمعلومات والعديد من مقالاته مكتوب باللغتين العربية و الفرنسية وقد جمع الأستاذ التميمي كما كبيرا من مقالاته وطبعت على شكل كتب
- 27- يراجع نص هاتين الوثيقتين من الصفحة 124 الى ص 129 من نفس الكتاب

- 28- هذه مقتطفات من مقدمة كتاب الأستاذ عبد الجليل التميمي السابق الذكر، ص، 07
- 29- بخصوص هذه الفترة من حكم الاتحاديين في تركيا يراجع: نادية ياسين عبد، الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية (أواخر القرن 19م) رسالة دكتوراه مطبوعة بإشراف د. كمال مظهر، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2006، طبعت سنة 2014
- 30- يستثنى في هذه الفترة مظالم و تجاوز سلطة الانكشاريين وبعض الولاة وكذا فترة حكم الاتحاديين الذي امتد حوالي عشر سنوات، يراجع نادية ياسين عبد، الاتحاديون دراسة تاريخية، مرجع سابق ص 365 وما بعدها
- 31- عبد الجليل التميمي، دراسات في التاريخ العربي، مرجع سابق، ص، 92
- 32- يراجع كتاب، Muhimme defteri والذي نشرته إيريكا (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (ircica)، أو ارسिका، هو مركز أبحاث ثقافية أنشئ عام 1982 في إسطنبول، تركيا. والهدف الأساسي من إنشاؤه هو الحفاظ على التراث الإنساني والثقافي، كما يهدف إلى الحفاظ على الأرشيف الحالي الموجود في المركز، والذي يتضمن وثائق نادرة وصور أرشيفية نادرة تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتحويلها بالإضافة إلى المطبوعات الأخرى النادرة إلى نسخة إلكترونية متاحة للباحثين والمهتمين في كل أنحاء العالم. وقد أسسه الدكتور أكمل الدين إحسان

أوغلو السكرتير العام لمنظمة التعاون الإسلامي). تحت إشراف الأستاذ خليل
أوغلو، اسطنبول 2003

33- (1453- 1456) صدور قانون نامة محمد الفاتح الذي يحدد
واجبات وحقوق الرعية، يراجع، الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية
والمشرق العربي 1288-1916، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون -
الجزائر - 2007، ص، 282

34- عبد الجليل التميمي، دراسات في التاريخ العربي العثماني، مرجع سابق
، ص 07

35- المرجع نفسه ، ص ، 25

36- تراجع الوثيقة رقم: 17، ص، 180 من كتاب ، ع.م. التميمي، دراسات
في التاريخ العثماني المغربي، مرجع سابق، وكذا الوثيقة رقم: 108، ص، 224
،بالإضافة الى الوثيقة رقم : 61، صص، 202/201

37- تراجع الوثيقة رقم : 25، صص، 183/ 184 ، والوثيقة رقم : 43

، ص، 193، و الوثيقة رقم: 53، ص، 197 من نفس المرجع السابق

38- مهمة دفترتي 10 بتاريخ 27 جوان 1571، تراجع الوثيقة رقم: 41

، ص، 192 من نفس المرجع السابق

39- مهمة دفترتي رقم: 34، بتاريخ 19 آفريل 1578، تراجع الوثيقة رقم

: 137، صص ، 241/240 من نفس المرجع السابق.

مساهمة أعلام وادي سوف في تأسيس الصحافة الإصلاحية في الجزائر (1925 . 1940)

أ- جمال زواري أحمد- قسم العلوم الانسانية جامعة الشهيد حمة
لخضر- الوادي

ملخص:

لقد حرص بعض أعلام وادي سوف على الارتباط بالفكر الإصلاحي منذ بداياته الأولى في الجزائر، خاصة ممن تلقوا تعليمهم في جامع الزيتونة، فكانوا من المبادرين بتأسيس الحركة الإصلاحية، والمشاركة في تصدر مشهدها القيادي الهيكلي والتعليمي والصحفي، طيلة حضورها في الساحة الوطنية خلال النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، كما كان لهم دور ريادي في ظهور الصحافة الإصلاحية كتابة وتأسيسا وإنشاء، في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى (1919 . 1940)، حيث شارك الأستاذ محمد الأمين العمودي في تأسيس صحف ((صدى الصحراء)) و((الإصلاح)) و((المحيم))، وأنشأ جريدة ((الدفاع)) ((La Défense)) باللغة الفرنسية، إضافة إلى مقالاته العديدة في أغلب الصحف الإصلاحية والوطنية باللغتين في تلك الفترة، كما أصدر الشيخ حمزة بوكوشة جريدة ((المغرب العربي)) الإصلاحية، وكتب بدوره في عدد من الصحف الجزائرية والتونسية، وكان عضو تحرير ((البصائر)) في مرحلتها الأخيرة، التي تعتبر أزهى مراحلها وأكثرها انتشارا وطنيا وعربيا، ليكون الشيخ علي بن سعد ثالثهما بمساهمته في مجال الصحافة الإصلاحية من خلال

إصداره لجريدة ((الليالي)) ببعء إصلاحى ووطنى جرىء؁ فى وقت لم تكن فىه الجرأة سهلة فى مواجهة السلطات الاستعمارية وأذناهما ومشروعها؁ إذ تكلف صاحبها الكثر من المتاعب.

Abstract:

Since the foundation of the reformative thought in Algeria, the scholars of Oued Souf shown a great concern to abide by it. Among those scholars those who studied in Azzitouna Mosque. So, they were the first pioneers to found and lead the national reformative movements in the first half of the 20th century. They also took a great part in the foundation of the reformative journalism after the wwII (1919–1940). Among those scholars Mohammed El amen El Amoudi who participated in the foundation of a newspapers like "Sada Sahara"(Sahara echo), "El-isslah"(the reform) , "El-jahim"(the hell) and "Adifaa" (the defence) in French. In addition to many articles in the reformative newspapers in Arabic and French. So did Sheik Hamza Boukosha in the reformative "The Arabic Maghreb" newspaper. He also wrote in a various Algerian and Tunisian papers and was a member of the editors in El-bassair paper in its

last editions. These last editions were the most brilliant and spreading nationally and in the Arabic world. There were also Sheik Ali Ben Saad who contributed a lot in the reformative journalism with his newspaper of "El-laiali " which took reformative and defiant shape. This type of journalism were not tolerated by the French colonization and might cause great troubles to those who adopt it.

مقدمة:

بدأت الحركة الإصلاحية تتبلور في الجزائر بداية من العقد الثاني من القرن الماضي، خاصة بعد عودة الإمام عبد الحميد بن باديس من رحلته المشرقية والحجازية سنة 1913، من خلال النشاط التهذيبي والتعليمي، لتمتد إلى مجال الصحافة سنة 1919 عندما شارك في إنشاء وتحرير جريدة ((النجاح))، ثم الاتجاه إلى تأسيس صحافة إصلاحية خالصة، تخدم الفكرة الإصلاحية، وتوسع دائرة مؤيديها، وتجمع الشباب الإصلاحي، وذلك منذ بروز جريدة ((المنتقد)) سنة 1925، كفاتحة للتواجد الإصلاحي المباشر والمعلن في هذا الميدان، ثم يتوالى توالد الصحف الإصلاحية بعد ذلك قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبعدها، وقد كان لبعض أعلام وادي سوف مساهمتهم الإيجابية في تأسيس وقيادة الحركة الإصلاحية، وظهور صحافتها على المستوى الوطني، ومشاركتهم الفاعلة في تحريرها وإنشائها، حيث بادر بعض

هؤلاء إلى إصدار صحف إصلاحية كانت لها قيمتها ومكانتها وموقعها المتقدم في المنافحة عن الحركة الإصلاحية ومشروعها ومبادئها، والقضية الوطنية عموماً رغم قصر عمرها بميزان الزمن:

- . فما هي علاقة أعلام وادي سوف بالحركة الإصلاحية؟ وكيف كان دورهم في تأسيسها ونشاطها والتمكين لها في أرض الواقع؟
- وفيهم تمثلت مساهمتهم في ظهور وإنشاء وتطور الصحافة الإصلاحية خلال الفترة 1919 . 1940؟

1). علاقة أعلام وادي سوف بالحركة الإصلاحية:

لقد احتضن أهل الجنوب الجزائري عموماً الحركة الإصلاحية منذ إرهاباتها الأولى في الربع الأول من القرن العشرين الميلادي، لتتجسد عملياً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ماي 1931، وتعود أسباب اعتناقهم المبكر للفكرة الإصلاحية واحتضانهم لها إلى:

- طبيعة أهل هذه المناطق وعاداتهم وتقاليدهم العريقة العربية الإسلامية، التي حالت دون انتشار بعض عوامل التفسخ والمسح والانسلاخ، التي حملها الاحتلال الفرنسي معه إلى البلاد.

- وجود بعض المراكز الثقافية العربية الهامة مثل بعض الزوايا التي حافظت على دورها التهذيبي والتعليمي، كزاوية الهامل، وخنقة سيدي ناجي، والزاوية العثمانية، ومسجد عقبة، وزاوية سيدي سالم، وغيرها.

- تمسكهم الشديد باللغة العربية، وحرصهم على تعليم أبنائهم القرآن الكريم والمتون والعلوم الإسلامية، في داخل البلاد وخارجها.

- انتشار المدارس الاستعمارية في مناطق الجنوب الجزائري بكيفية لم تمس جميع مناطقها، وارتكازها خصيصا في المراكز الأساسية ذات الكثافة السكانية المعتبرة أو المتوسطة على الأقل، بينما بقيت مناطق شاسعة بعيدة عن هذا النوع من التعليم، وهو ما جعل أهلها يحرصون على تعليم أبنائهم القرآن الكريم ومبادئ العربية والفقه، ويوجهونهم نحو الزوايا والمساجد، ثم تكون النهاية جامع الزيتونة، الذي كان أغلب خريجيه من أبناء الجنوب في هذه الفترة من رواد الحركة الإصلاحية وعلمائها وأعلامها ومعلميها وكتابها وشعرائها وصحفيها⁽¹⁾.

ومن هؤلاء أهل وادي سوف الذين كانوا: "أرق أفئدة، وأصفى عقولا، وأمتن ديناً، وأسرع إجابة للحق والخير" كما يقول عنهم الإمام عبد الحميد بن باديس⁽²⁾، ويؤكد أنه: "لما ارتفعت دعوة الإصلاح بالجزائر، كان في طليعة رجالها نبهاء من أبناء سوف المثقفين، وعلمائها المستنيرين"⁽³⁾.

حيث كان لعدد من أعلام وادي سوف دور ريادي في تأسيس جمعية العلماء، والتمكين لمشروعها الإصلاحي والتهديبي والتعليمي بعد ذلك، فقد تم توجيه الدعوة لنبهة منهم لحضور الاجتماع العام التأسيسي للجمعية يوم 5 ماي 1931 بنادي الترقى منهم الشيوخ: إبراهيم العوامر، والطاهر وأحمد العبيدي، والميداني موساوي، وعمار بن الأزعر⁽⁴⁾، حضر منهم الأخير إضافة إلى الأستاذ محمد الأمين العمودي، والشيخ حمزة شنوف المدعو بوكوشة،

واختير العمودي أمينا عاما لأول مكتب إداري للجمعية، الذي ترأسه الإمام ابن باديس⁽⁵⁾، لتعزز علاقة الحركة الإصلاحية بمنطقة وادي سوف بانضمام شيخ الطريقة القادرية عبد العزيز بن الهاشمي الشريف إلى جمعية العلماء سنة 1937 بعد تواصله مع الإمام عبد الحميد بن باديس، لينتخب بالإجماع لعضوية مجلسها الإداري⁽⁶⁾، ونظرا لنفوذه الروحي والاجتماعي رتب الشيخ عبد العزيز زيارة لوفد من قيادة الجمعية إلى الوادي في أواخر ديسمبر من نفس السنة التي انخرط في صفوفها، حيث تشكل الوفد من الشيوخ: عبد الحميد بن باديس، ومبارك المليي، والعربي التبسي، ومحمد خير الدين، وحمزة بوكوشة، وقد كان لهذه الزيارة الأثر العميق، والصدى الواسع في أوساط السكان، والتمكين للفكرة الإصلاحية بين صفوفهم⁽⁷⁾، وهو التحول الذي لفت أنظار السلطات الاستعمارية وأقلقها خاصة بعد أن حوّل الشيخ عبد العزيز الزوايا القادرية بالمنطقة إلى مدارس شبه عصرية على نهج جمعية العلماء وحسب برامجها، واستدعى لها بعض خريجي الزيتونة المنضوين تحت راية الإصلاح للتعليم فيها كالشيخين عبد القادر الياجوري وعلي بن سعد، وهو الأمر الذي لم تستسغه سلطات الاحتلال فافتعلت قضية التحضير لثورة وتمرد عليها في أبريل 1938، وانطلقت للقضاء على الخلية الإصلاحية النشطة، والقبض على أعضائها، وضرب أنصارها، وإرهاب وترويع الأهالي لمدة ثلاثة أسابيع كاملة، انتهت باعتقال كل من الشيوخ عبد العزيز بن الهاشمي، وعبد القادر الياجوري، وعلي بن سعد، ومعهم عبد الكامل النجعي، باعتبارهم نواة التعليم بالزاوية القادرية

بالوادي، ورواد التمكين لمشروع جمعية العلماء في المنطقة، ورحّلوا إلى سجن الكدية بقسنطينة أين قضوا فيه ما يقارب السنتين⁽⁸⁾، لا ذنب لهم إلا أنهم قاموا بواجبهم الديني في بلادهم سوف وقراها، ينشرون الإسلام ولغة الإسلام، وينهضون بإخوانهم في دائرة دينهم⁽⁹⁾.

ولقد تقلّد بعض أعلام سوف مسؤوليات قيادية ووظائف مهمة في صفوف الحركة الإصلاحية منذ إنشاء جمعية العلماء، فبالإضافة إلى محمد الأمين العمودي الذي شغل أمينها العام الأول وكان المترجم الخاص لرئيسها، وشارك في عضوية وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي ذهب إلى فرنسا لتقديم مطالب الجزائريين إلى الحكومة الفرنسية سنة 1936⁽¹⁰⁾، وعضوية الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي لمجلسها الإداري سنة 1937 كما ذكرنا من قبل، فإن الشيخ حمزة بوكوشة كذلك اختير لعضوية المكتب الإداري لجمعية العلماء سنة 1938، وكلف بتسيير بعض مدارسها كمدرسة الإصلاح بدلس⁽¹¹⁾، ليتم تعيينه خلال عام 1936 من طرف الإمام ابن باديس كمعلم في مدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، وأستاذ مساعد له في أحد فروع الجامع الأخضر، كما أوفدته الجمعية سنة 1937 إلى مدينة ليون الفرنسية لمساعدة الفضيل الورتلاني في عمله التربوي والتهذيبي في أوساط العمال المهاجرين بفرنسا⁽¹²⁾، كما اسندت له سنة 1944 نيابة الكاتب العام لجمعية العلماء، وفي سنة 1948 عين في هيئة تحرير ((البصائر)) مراقبا عاما للجمعية⁽¹³⁾.

أما الشيخ عبد القادر الياجوري فقد انتخب هو كذلك عضواً في المكتب الإداري لجمعية العلماء سنة 1944، وعين أستاذاً في معهد ابن باديس بقسنطينة بعد إنشائه سنة 1948، ونائب رئيس لجنة التعليم العليا للجمعية⁽¹⁴⁾، ومندوبها المتجول في الناحية الغربية من الوطن⁽¹⁵⁾، كما عمل الشيخ علي بن سعد كمعلم في مدارس جمعية العلماء في عدد من المدن الجزائرية، وكان يحضر مؤتمراتها العامة، ويلقي الخطب فيها كما فعل في مؤتمرها الخامس سنة 1935⁽¹⁶⁾، أما الشيخ الحفناوي هالي فقد عين بدوره أستاذاً في معهد ابن باديس عند تأسيسه، وكاتباً إدارياً بجمعية العلماء، وشارك في تأسيس مدرسة التهذيب بالعاصمة وعمل بإدارتها لسنوات، كما كان من كتاب البصائر⁽¹⁷⁾، وعين أيضاً الشيخ محمد الطاهر التليلي مدرسا وإماما في قرية ((كمبيطة)) ببجاية بعد أن التقى بالإمام ابن باديس والأستاذ الفضيل الورتلاني بقسنطينة، ومحمد خير الدين بيسكرة، ثم كلف بالإشراف على مدرسة ((النجاح)) بقمار منذ تأسيسها⁽¹⁸⁾.

إضافة إلى كل ذلك فقد كانت الجمعية تختار مجموعة من أقدار علمائها ومدرسيها وتوزعهم على أنحاء القطر لوعظ الناس في شهر رمضان من كل سنة، وكان من بين هؤلاء مجموعة من أعلام الإصلاح في سوف، وهم الشيوخ: عبد القادر الياجوري، والحفناوي هالي، والعربي خيرواي، ومحمد الطاهر التليلي، وأبو القاسم الجبالي، وعلي بن سعد⁽¹⁹⁾.

(2). ظهور الصحافة الإصلاحية:

تميز تاريخ الصحافة في الجزائر منذ الاحتلال بظهور الصحف الفرنسية الكولونيالية التي كانت تتبع في طباعتها وإصدارها نفس النمط المتبع في فرنسا، كما أنها كانت في توجهاتها العامة امتدادا للصحافة الفرنسية بأحزابها ومواقفها المختلفة، مع اهتمام زائد بمصالح الكولون في الجزائر، وإهمال مصالح الجزائريين، فكانت جريدة ((المبشر)) الرسمية أول جريدة باللغة العربية يتم صدورها سنة 1848، حيث كانت تتولى نشر النصوص التشريعية والأوامر والبيانات الحكومية، ولم يظهر للجزائريين أي دور في مجال الصحافة إلا في أواخر القرن التاسع عشر عندما أصدر سليمان سمر جريدة ((الحق)) في عنابة سنة 1893 باللغتين العربية والفرنسية، أما الجرائد الوطنية فقد بدأت بالظهور سنة 1908 عندما أصدر عمر راسم جريدة ((الجزائر))، ثم أصدر عمر بن قدور جريدة ((الفاروق)) سنة 1913، كي يعاود عمر راسم إصدار جريدة أخرى في نفس السنة أسماها ((الفاروق)) بعدما أوقفوا له الأولى⁽²⁰⁾.

ومع بدايات القرن العشرين بدأت الصحافة العربية في الجزائر بالظهور بشكل متتالي بعد تجرّبي كل من العمرين راسم وبن قدور، مستثمرة الأجواء التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، وقد ساهمت جملة من العوامل في ظهور الصحافة العربية في الجزائر بشكل لافت في هذه الفترة منها:

- . أثر الصحافة الفرنسية في تنبيه الجزائريين إلى خطورة وأهمية دور الصحافة.
- . التواصل مع الصحافة العربية الوافدة من تونس والمشرق العربي.
- . الجو السياسي والاجتماعي الداخلي والخارجي⁽²¹⁾.

. صدور قانون 4 فيفري 1919 الذي أعطى بعض الحرية للجزائريين لتأسيس الصحف.

- تولى موريس فيوليت الاشتراكي منصب الحاكم العام في الجزائر(1925 .
1927)، حيث عرفت فترته بعض التخفيف عن الجزائريين فأصدروا الكثير من الصحف العربية في هذه الفترة(22).

أما الحركة الإصلاحية فتعتبر من السابقين إلى إدراك الدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه الصحافة في نشر الفكر الإصلاحي، والانتصار لقضايا الأمة، وبث الوعي الوطني في أوساط الجماهير، حيث بدأت صحف الإصلاح في الظهور عندما شعر المصلحون مبكرا بأهمية الصحافة في التعريف بمبادئهم، وانتقاد الأوضاع الاجتماعية والدينية والسياسية التي كانت سائدة، وكذلك منازل خصوم الإصلاح من الطرفين والاندماجين، وقد هيأت الصحافة الإصلاحية عند انطلاقتها الأجواء لرجال الإصلاح وأنصاره للالتقاء والتشاور وتبادل الرأي، والتعود على العمل المشترك، والاتفاق على الخطط المناسبة للتمكين للمشروع الإصلاحي، ومواجهة الفساد الاجتماعي والسياسي، والانحراف الديني، ففي سنة 1919 اشترك الإمام ابن باديس مع عبد الحفيظ بن الهاشمي بقسنطينة في تأسيس جريدة ((النجاح))، فكان أحد محرري مقالاتها، ثم تخلى عنها لما انخرفت عن الإصلاح، وانحازت للإدارة الاستعمارية وحلفائها(23).

وبداية من سنة 1925 بدأت الحركة الإصلاحية في إنشاء جرائدها المعبرة عن فكرها وتوجهها ومواقفها، فكانت جريدة ((المنتقد)) هي الجريدة العربية الإصلاحية الجزائرية الأولى التي جمعت الأقلام الإصلاحية المتمثلة في الشباب العربي المثقف العائد من جامع الزيتونة والأزهر والقرويين ومعاهد الشام والحجاز بعد الحرب، وكان هدفهم واحداً تحت شعار: "الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء"، وخطتهم مشتركة وهي الإصلاح الداخلي أولاً في سبيل إصلاح شامل⁽²⁴⁾، وقد بين الإمام ابن باديس هدف الحركة الإصلاحية من دخول عالم الصحافة في افتتاحية العدد الأول من ((المنتقد)) فقال: "باسم الله ثم باسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم، شاعرين بعظم المسؤولية التي نتحملها فيه، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون، والمبدأ الذي نحن عليه عاملون، وها نحن نعرض على العموم مبادئنا التي عقدنا العزم على السير عليها، لا مقصرين ولا متوانين، راجين أن ندرك شيئاً من الغاية التي نرمي إليها بعون الله ثم بجدنا وثباتنا وإخلاصنا، وإعانة إخواننا الصادقين في خدمة الدين والوطن"⁽²⁵⁾.

وقد بلغ مستوى صدور الصحافة الإصلاحية ذروته خلال العقد الثالث من القرن العشرين الميلادي (1930 . 1940)، خاصة بعد ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931، وفي ظل رئاسة الإمام ابن باديس لها، حيث شهدت هذه الفترة ظهور حوالي ثلاثين جريدة عربية بصرف النظر عن اختلاف اتجاهاتها ونزعاتها، وإن كان أغلبها إصلاحياً وطنياً⁽²⁶⁾.

وقد ساهم توالد الجرائد العربية في هذه المرحلة في ارتفاع نسبة المقروئية مقارنة بما سبق، رغم الظروف الصعبة التي كان يعيشها الشعب الجزائري، حيث يشير أحمد توفيق المدني أنه في سنة 1930 أصبحت الأمة الجزائرية تقرأ شهريا 184000 عدد من الصحف والمجلات أغلبها إصلاحية خاصة العربية منها:

النجاح 5000 عدد يوميا 150000 شهريا

البلاغ 2500 أسبوعيا 10000 شهريا

المغرب 2500 أسبوعيا 10000 شهريا

الشهاب 2000 شهريا 2000 شهريا

الإصلاح 3000 أسبوعيا 12000 شهريا⁽²⁷⁾.

وفي سنة 1933 بدأ الضغط الاستعماري ضد جمعية العلماء بمساعدة صحافة خصومها، وهو ما وُلد تحيدا عكسيا لدى أنصار الإصلاح فدفعهم إلى المبادرة بإصدار الصحف للدفاع عن الجمعية ومواجهة جرائد خصومها، حيث كانت هذه السنة هي سنة إصدار الصحف العربية ومنعها في الجزائر، فقد سجلت أكبر رقم في تاريخ إصدار الصحف في تلك المرحلة، إذا صدر فيها ما يزيد على سبع جرائد، بينما كانت السنوات التي قبلها لا تشتمل إلا على صحيفة أو صحيفتين⁽²⁸⁾.

وقد دفع ازدهار الصحافة العربية خاصة الإصلاحية في هذه الفترة السلطات الاستعمارية سنة 1936، إلى العمل على إصدار دراسة تحليلية للصحف الأهلية مرة كل خمسة عشر يوما، وتعميمها على مراكز السلطة بداية

من الولاية العامة، ونهاية بالبلديات، حتى تتمكن من متابعة تطورات الرأي الإسلامي العام في الجزائر عن كُتب (29).

حيث عرفت الجزائر في هذه المرحلة صحافة عربية راقية عديدة ومتنوعة، امتازت بفصاحة اللغة ونقاوتها في الغالب، وبجمال الأسلوب، وحسن الإخراج، وعمق الطرح، وبالحرص على التبويب والترتيب، كما ازدهرت في هذه الفترة المقالة الصحفية ازدهارا طيبا (30)، وهو ما يتنافى والحكم الذي أصدره أديب مروة عليها لما ذكر أن الصحافة العربية في الجزائر . في هذه الفترة . ظلت صحافة ركيكة اللغة، ضعيفة المبنى والشكل (31)، حيث يلحظ المتتبع لكتابه ((الصحافة العربية نشأتها وتطورها)) رغم شهرته الكثير من الأخطاء في تسمية الصحف العربية الجزائرية وتواريخ صدورها وأسماء مسؤوليها، وكأنه لم يطلع على أغلبها، ومع ذلك يصدر عليها أحكاما غير دقيقة، حيث يسمي جريدة ((البصائر)) مثلاً ب((البشائر)) رغم شهرتها، ويذكر أنها تأسست سنة 1933، والحقيقة أنها صدرت سنة 1935 (32).

ولقد صدر العديد من الصحف الإصلاحية في هذه الفترة سواء باسم جمعية العلماء أو أصدرها بعض رجال الإصلاح وأنصاره، والتي يمكن أن نوردتها في الجدول التالي:

سنة صدورها	الجريدة	سنة صدورها	الجريدة	سنة صدورها	الجريدة

1933	الأمة	1931	النور	1925	المنتقد
1933	الصراط السوي	1931	التلميذ	1925	الجزائر
1934	الثبات	1931	المرصاد	1925	الشهاب
1934	أبو العجائب	1933	السنة النبوية	1925	صدى الصحراء
1934	La Défense	1933	الجحيم	1926	وادي ميزاب
1935	البصائر	1933	الحياة	1926	الحق
1936	الليالي	1933	البستان	1927	البرق
1937	المغرب العربي	1933	الشريعة	1927	الإصلاح
1938	الفرقان	1933	النبراس	1930	ميزاب
		1933	الحارس	1930	المغرب

الصحف الإصلاحية الصادرة في الفترة 1925 . 1940⁽³³⁾.

3). أعلام وادي سوف والصحافة الإصلاحية:

كان لبعض رواد الإصلاح من أعلام وادي سوف دور لافت في ظهور الصحافة الإصلاحية، وكتابة المقالات الضافية على صفحاتها، وإثارة القضايا الفكرية والاجتماعية والأدبية من خلالها، حيث كان بعضهم حاضرا بكتاباته

ومقالاته في أغلب الصحف العربية التي ظهرت في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى، كما بادر بعض هؤلاء الأعلام بإنشاء صحف إصلاحية، وساهموا في تأسيس بعضها الآخر، والإشراف عليها مع غيرهم، بل إن بعضهم كان له قدم سبق في إيصال الفكرة الإصلاحية إلى قراء الفرنسية، والدفاع عنها في أوساطهم، ومن أشهر هؤلاء:

1. محمد الأمين العمودي:

ولد بوادي سوف سنة 1890، تلقى تعليمه بالجامع والمدرسة الابتدائية الرسمية، ثم التحق بالمدرسة الفرنسية - الإسلامية في قسنطينة، التي تخرج منها للعمل في جهاز القضاء، حيث إشتغل ككاتب عدالة في فوج مزالة، ثم مساعد مترجم ووكيل شرعي في كل من بسكرة والجزائر العاصمة، التي ترأس فيها جمعية الوكلاء الشرعيين، ساهم في أغلب الصحف الإصلاحية والوطنية، وشارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتقلد أمانتها العامة في سنواتها الأولى (1931 . 1936)، وكان من المقربين من رئيسها الإمام عبد الحميد بن باديس ومترجمه الخاص، سافر إلى فرنسا ضمن وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936، لتقديم مطالب الجزائريين إلى السلطات الفرنسية، ليرأس جمعية شباب المؤتمر الإسلامي، برع في الكتابة الاجتماعية نثرا وشعرا، اغتالته منظمة ((اليد الحمراء)) الإرهابية في العاشر من أكتوبر 1957، ورمته بجثته إلى جانب خط السكة الحديدية في قرية ((العجيبة)) بالقرب من البويرة، كي يوهما الناس بأنه انتحر⁽³⁴⁾.

بدأ العمودي العمل في الصحافة مبكراً، وكتب في أغلب الصحف الإصلاحية التي ظهرت في النصف الأول من القرن الماضي، فكتب في جريدة ((النجاح)) في عهدهما الأول، وكتب في ((الإقدام)) للأمير خالد بالعربية والفرنسية، وفي ((الإصلاح)) و((صدى الصحراء)) و((الحق)) و((البرق)) و((الجزائر)) ببسكرة، وفي ((المنتقد)) و((الشهاب)) لابن باديس بقسنطينة، وفي صحف جمعية العلماء الأولى قبل ((البصائر))، وفي صحف ((المرصاد)) و((الثبات)) لعباسة، وفي ((الجزائر الجمهورية)) ((Alger républicain)) اليومية التي كانت تصدر بالعاصمة باللغة الفرنسية، بالإضافة إلى بعض الصحف التونسية التي كانت تصل إلى الجزائر في ذلك الوقت⁽³⁵⁾.

وكان العمودي شخصية وطنية ثائرة تؤمن بالحرية والعدالة، وتناضل من أجل الإصلاح في مختلف الجوانب⁽³⁶⁾، وتميز بفكر سياسي ثاقب⁽³⁷⁾، وبرهن عن مقدرة صحافية قل نظيرها في ذلك الوقت⁽³⁸⁾، حيث كان من الصحفيين المسلمين القلائل في الجزائر من ذوي الثقافة الفرنسية، الذين ساهموا بقوة في مجابهة الدعايات اللائكية الفرنسية التي لاقت قبولا وهوى في نفوس الشباب المثقفين ذوي الأصول الإسلامية الجزائرية⁽³⁹⁾.

ويكاد يجمع كل من كتب عن أسلوب العمودي في الكتابة الصحفية باللغتين على احترافية قلمه، وتميزه بأصالة الرأي وعمق التفكير، وموضوعية الطرح، وواقعية التناول، ومحاولاته الناجحة في إثارة الكتاب لمعالجة الموضوعات الجادة التي تمس الجانب الاجتماعي من حياة الأمة الجزائرية⁽⁴⁰⁾، إذ مثل

بأفكاره أبعد ما وصل إليه التفكير الإصلاحي من تحرر، جزاء ما حظي به من إطلاع على الثقافتين العربية والفرنسية، ثم موقفه الفريد الذي استطاع أن يجمع فيه بين الانتماء إلى الحركة الإصلاحية، وفي نفس الوقت الزمالة للشباب المثقف ثقافة فرنسية، وهي المميزات التي جعلته من أنفذ الكتاب الذين سبروا غور المشكل الإصلاحي في تلك الظروف الحرجة⁽⁴¹⁾.

لذلك لم يذهب أحمد توفيق المدني بعيدا عندما وصف العمودي بأنه من رجال الصحافة المبرزين، وكان قلمه فرنسيا بديعا يضاهي أو يفوق أقلام مهرة رجال الصحافة الغربيين، وكانت له صولات وجولات ذات شوكة وذات اعتبار، فوق صفحات جريدته ((لاديفانس)) أي الدفاع، فكانت تلك الصحيفة مرآة مشرقة تصور الرأي العام الجزائري أصدق تصوير، يقرأها أعداؤه فيعتفون له بالمهارة والألمعية⁽⁴²⁾.

ومن الصحف الإصلاحية التي أسسها العمودي أو ساهم في تأسيسها:

1.1 . صدى الصحراء:

وهي جريدة إسلامية، علمية، أدبية، اجتماعية، إصلاحية، انتقادية، كان شعارها: "العمل على درء المفسدة قبل جلب المصلحة"، صدر عددها الأول يوم 23 نوفمبر 1925، وتعتبر أول جريدة إصلاحية تصدرها مدينة بسكرة، مديرها ورئيس تحريرها أحمد بن العابد العقبي، وقد شارك في تأسيسها كل من محمد الأمين العمودي والطيب العقبي ومحمد العيد الشاعر، وكانت

تطبع في قسنطينة وترسل إلى بسكرة لتوزع على قرائها في أنحاء القطر، بل إن كلود كلو ينسبها للأمين العمودي⁽⁴³⁾.

كانت ((صدى الصحراء)) ذات نزعة وطنية إصلاحية، حملت أغلب مقالاتها على البدع والشعوذة، إلى أن توقفت عن الصدور يوم 29 فيفري 1926، بعد أن صدر منها ثلاثة عشر عددا فقط، نتيجة خلاف بين أعضاء إدارتها، لتستأنف الصدور مرة أخرى في 25 ديسمبر 1934، لكن بنزعة معادية للحركة الإصلاحية، حيث هاجمت جمعية العلماء ورجال الإصلاح، ففقدت قيمتها الأدبية والفكرية⁽⁴⁴⁾.

1.2. الإصحاح:

وهي جريدة إسلامية حرة، صاحب امتيازها ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول الشيخ الطيب العقبي، كانت تصدر مرة في الأسبوع ببسكرة ثم بالجزائر، صدر عددها الأول في 8 سبتمبر 1927، ساهم في تأسيسها وتحريرها كل من محمد الأمين العمودي ومحمد العيد⁽⁴⁵⁾، وكان هدفها كما ورد في عددها الأول: "العمل على تحطيم الانحرافات، وهدم الأوهام، كواجب أول لتنوير الأفكار، وتهذيب الرأي العام"⁽⁴⁶⁾، طبعت في تونس في البداية، فلما منعتها السلطات الاستعمارية استأنفت الصدور من بسكرة في 5 سبتمبر 1929⁽⁴⁷⁾، لتتوقف عن الصدور في 25 سبتمبر 1930، ثم عاودت الظهور في 28 ديسمبر 1939 من العاصمة كمرتين في الشهر، لتتوقف أثناء الحرب العالمية الثانية في 22 فيفري 1942، ثم عادت للصدور كأسبوعية في 5

أكتوبر 1947 إلى أن توقفت نهائياً في 3 مارس 1948 بعد صدور ما يقارب ثلاثة وسبعين عدداً⁽⁴⁸⁾.

وعلى صفحاتها خطت يراع العمودي العديد من المقالات الثرية والعميقة التي عبر من خلالها عن مواقفه من بعض القضايا الاجتماعية كالسفور والحجاب، وتعليم المرأة المسلمة، وغيرها⁽⁴⁹⁾.

1. 3. الجحيم:

صدرت جريدة ((الجحيم)) يوم الخميس 30 مارس 1933، كرد فعل على جريدة ((المعيار)) وحملاتها البذيئة على جمعية العلماء وأعضاء إدارتها، وقد كانت حروف لفظ ((الجحيم)) مكتوبة على هيئة أفاع وحيوانات مفترسة، لتكون أهيب في العين، وأرهب للقلب، وأخطف للعقل، أنشأها محمد الأمين العمودي، ومحمد السعيد الزاهري⁽⁵⁰⁾، وقد جاء في عددها الأول ما يعرف بها وبمنهجها وبغايتها بأنها: "جريدة أسبوعية حرة مستقلة، تدافع عن الشرف والفضيلة، شعارها ((العصا لمن عصى))، تشرف على تحريرها هيئة من شباب الزبانية، وتتفنن يوم الخميس من كل أسبوع"⁽⁵¹⁾.

كانت ((الجحيم)) تطبع بطريقة سرية في قسنطينة، ثم ترسل في أكياس إلى العاصمة، حيث يتولى الشباب الإصلاحي توزيعها، وعلى الرغم من أنها لم تعمر إلا زهاء ستة أسابيع، إلا أنها اشتهرت وكتب لها الانتشار، وكالت الصاع الصاعين لجريدة ((المعيار)) ولأصحابها، مما جعلهم يكيّدون لها لدى السلطات الاستعمارية فأمرت بإغلاقها في 11 ماي 1933⁽⁵²⁾.

1. 4. الدفاع (La Défense):

فما كادت جمعية العلماء تنهي سنواتها الثلاث الأولى، حتى فكر العمودي جادا . بدعم من ابن باديس على ما يبدو . في إصدار جريدة باللسان الفرنسي، تكون حاملة لرسالة الجمعية من جهة، لكنها لا تحمل الصفة الرسمية في التكلم باسمها، وبذلك تساهم في نشر الوعي القومي، والإصلاح الاجتماعي، وتقارع السياسة الاستعمارية الفرنسية في كل ميدان يمكن أن يكون في تناوله دفع أذى عن الوطن، أو درء خطر على الإسلام، أو جلب مصلحة للشعب⁽⁵³⁾.

فأنشأ جريدة ((الدفاع)) (La Défense) بالفرنسية، حيث صدر عددها الأول يوم 26 جانفي 1934، واستمرت إلى العدد 222، وتوقفت عن الصدور في 10 أوت 1939، وجعل شعارها الدفاع عن حقوق ومصالح المسلمين الجزائريين⁽⁵⁴⁾، كما لم يرد لها أن تكون جريدة إخبارية لإعلام الرأي العام عن نشاط الحركة الإصلاحية وكفى، وإنما حرص منذ البداية على أن تكون منبرا حرا للرأي، تعني بآراء النخبة المسلمة والصديقة للأهالي، وقد اتسعت الجريدة فعلا إلى العديد من الأقاليم الصحفية، كما حث العمودي المثقفين بالفرنسية على الكتابة فيها، ونشر فيها مجموعة من المقالات المترجمة عن شيوخ جمعية العلماء وأفكارها ومواقفها ومنهجها، وعرف بالنشاط الإصلاحي ورجاله ومشاريعه⁽⁵⁵⁾.

أما عن الدوافع التي جعلته يصدرها فيقول عنها في افتتاحية عددها الأول: "يتفق الجميع على أن قضية الأهالي لم تحظ بالدفاع المطلوب، في حين أن أقل من مليون أوربي رغم تباين مصالحهم يتمتعون بعدد وافر من الجرائد، أما نحن المسلمون ست ملايين فقد نُحجَل من ذكر عدد الصحف التي ترغب في إسماع صوتنا، والتعبير عن مطالبنا.. حقوقنا وتطلعاتنا"⁽⁵⁶⁾، وبين أن الهدف من إنشائها: "هو توسيع إطار الحريات، ومنحنا الحقوق السياسية، وإجراء إصلاحات حقيقية، تمكننا من الحريات الكريمة، والتطور في إطار نظامنا الإسلامي وتقاليدنا وحضارتنا"⁽⁵⁷⁾.

وقد استطاع العمودي من خلال جريدته ((الدفاع)) أن يرسي الكثير من التقاليد الصحفية في ظل أجواء استعمارية لا تساعد على ذلك، حيث يضيف في افتتاحية العدد الأول: "إن كل المحرومين من الكلمة يجدون في هذه الجريدة منبرا حرا لبيسط أفكارهم في صورة صحفية، حتى لو لم نكن نؤيدها... إننا دعاء التفاهم لا نتابنا أية أفكار مسبقة، وسوف نبذل ما في وسعنا من أجل إقامة علاقات حسن الجوار مع غيرنا فوق هذه الأرض الطيبة، دون تمييز في العرق أو الدين"⁽⁵⁸⁾.

لذلك فإنه ونظرا لأهمية ما كان يكتبه العمودي وينشره على صفحات ((الدفاع)) باللغة الفرنسية، كانت السلطات الاستعمارية الإدارية والسياسية والأمنية تتابع ما ينشر فيها بشكل دقيق، لقياس درجة الوعي الاجتماعي والسياسي لدى المسلمين الجزائريين، ونوعية مطالبهم⁽⁵⁹⁾.

وتكفي شهادة الإمام ابن باديس في جريدة ((الدفاع)) ودورها الريادي في الدفاع عن الفكرة الإصلاحية والقضية الوطنية لما قال عنها: "جريدة ((لاديفانس)) الصادقة الثابتة الجسورة"⁽⁶⁰⁾.

2. حمزة بوكوشة:

ولد بوادي سوف سنة 1907 من أب يتعاطى التجارة في مدينة بسكرة، وهي المدينة التي أخذ فيها تعليمه الأولي، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة، الذي تخرج منه سنة 1930 بشهادة التطويع، حيث عاد ليشترك في تأسيس جمعية العلماء، ويعمل في مدارسها في كل من دلس والجزائر العاصمة وقسنطينة عندما كان مساعدا للإمام ابن باديس، كما عمل في هياكل الجمعية الإدارية وفي صحفها حتى إعلان الثورة التحريرية أين تعرض للاعتقال من طرف قوات الاحتلال الفرنسي سنة 1957، ليستأنف عمله في التعليم الثانوي بعد الاستقلال كأستاذ في اللغة العربية، مع استئناف عصامي للتعليم ومتابعة الدراسة في الحقوق، حيث حصل على شهادة الليسانس من جامعة الجزائر سنة 1971، ليعين مستشارا في مجلس القضاء الأعلى، ثم يفتح مكتبا للمحاماة بعد تقاعده⁽⁶¹⁾، ليظل في نشاطه الفكري والصحفي حتى وفاته يوم الجمعة 16 نوفمبر 1994⁽⁶²⁾.

كان الشيخ حمزة متعدد المواهب، مجيد في مجالات عدة، فهو كاتب اجتماعي، وشاعر وجداني، وناقد بصير، وفقه إسلامي، وحقوقي مدني، توزع

معظم نشاطه في الصحافة والتعليم والتجارة، وأخيرا في القضاء والمحاماة، ترك بصماته في كل الميادين التي خاضها وخاصة في الصحافة⁽⁶³⁾.

لما تم انتخابه عضوا في المكتب الإداري لجمعية العلماء سنة 1938 عرّفه الإمام ابن باديس وهو يقدم أعضاء المكتب الإداري: "الشيخ حمزة بوكوشة الكاتب المعروف، والناقد اللاذع، الذي كان أصدر جريدة ((المغرب العربي)) بمدينة وهران بتلك الروح العربية الإسلامية الصافية الوثابة، فلم تلبث أن لقيت ما يلقاه أمثالها"⁽⁶⁴⁾.

ويقول عنه الشهيد أحمد رضا حوحو في ركن ((في الميزان)) الذي كان يكتبه في ((البصائر)): "الشيخ حمزة بوكوشة أديب ساخر، وناقد ماكر، جريء في آرائه، تحتل نفسه ثورة متزنة، أثقلت جوانبها الحكمة والعقل، قليل الكلام، كثير التفكير، منخفض الصوت، مقل الإنتاج ولكنه مجيد، تاجر لا يحسن التجارة ولا يؤمن بها، اشتغل بها خطأ، واستمر في هذا الخطأ عن إصرار وعناد... خير له من أن يكون أديبا ناجحا من أن يكون تاجرا مخفقا"⁽⁶⁵⁾.

وقد بدأ الشيخ حمزة بوكوشة الكتابة الصحفية مبكرا بدوره، وكان قلمه قوي العبارة، عميق الفكرة، جريء النقد، فكتب في عدد من الصحف الإصلاحية الجزائرية وكذا التونسية كجريدة ((الوزير))، كما أصدر جريدة ((المغرب العربي)) وترأس تحريرها، وساهم أيضا في إصدار جريدة ((الليالي))⁽⁶⁶⁾.

1.1 . المغرب العربي:

تأسست بوهراڤ وصر عددھا الأول يوم 21 ماي 1937، وھي لسان حال الشباب المسلم، تقاوم الفساد الإداري والاجتماعي، فھاجمت القياد والياشاغوات والنواب الذين يعملون ضد مصلحة الأهالي، وقد كان مديرها وصاحب امتيازھا السيد محمود بله من كونين بوادي سوف هو أيضا، الذي تعاقد في البداية مع الأستاذ محمد السعيد الزاهري ليحررها، فلما تبين له أنه يريد محاربة جمعية العلماء من خلالها بعد أن انفصل عنها عدل عن ذلك، ليتكفل بتحريرھا الشيخ حمزة بوكوشة⁽⁶⁷⁾.

كانت ((المغرب العربي)) جريدة إصلاحية وطنية، شددت النكير على الحكام المحليين، مما عرّضها إلى مضايقات شديدة من طرف السلطات الاستعمارية، حيث تم استدعاء رئيس تحريرھا حمزة بوكوشة من قبل عامل عمالة وهران، ووجه إليه تهديدا صريحا بتعطيلھا إن هي استمرت بملاحقة الحكام المحليين، وقد نشر رئيس التحرير المحادثة التي تمت بينه وبين كاتب العمالة تحت عنوان ((إلى من نشتكى عنت الليالي)) تعريضا بالظلم والتعسف، فضايقت الإدارة صاحب امتيازھا⁽⁶⁸⁾، فتوقفت عن الصدور بعد أربعة أعداد، حيث صدر عددھا الرابع والأخير يوم 18 جوان 1937 فقال عنها أحمد رضا حوحو: "فعاشت بعض الوقت، ثم ماتت جوعا، وھي في عهد الرضاة"⁽⁶⁹⁾.

وقد كان من المشاركين في تحرير((المغرب العربي)) إلى جانب رئيس تحريرھا حمزة بوكوشة كل من علي مرحوم، والشاعر جلواح العباسي، وبما أن الإدارة الاستعمارية منعت توزيعھا عبر البريد، فقد أضطر صاحبھا إلى

الاستعانة بالشباب الإصلاحية لتوزيعها في أمهات المدن، فكان يبعث بها إلى العاصمة ثم توزع منها إلى باقي المدن والجهات، كما كان يبادل بها الصحف العربية الكبرى من مصر وتونس والمغرب⁽⁷⁰⁾، وكانت إدارتها بنهج كافينياك بوهران وتسحب 2000 نسخة⁽⁷¹⁾.

3. علي بن سعد:

ولد بقمار بوادي سوف سنة 1908، حفظ القرآن الكريم وتعلم المبادئ الأولية على يد شيوخ بلدته، ثم ارتحل إلى جامع الزيتونة أين تحصل على شهادة التطويق، ثم رجع إلى قمار سنة 1932، عمل معلما ضمن مدارس جمعية العلماء في كل من قمار وبسكرة وباتنة وبوفاريك وغليزان وسيدي بلعباس، ومدرسة الزاوية القادرية بالوادي رفقة زميله عبد القادر الياجوري استجابة للشيخ عبد العزيز بن الهاشمي الشريف بعد انضمامه لجمعية العلماء، حيث كان مصير الثلاثة سجن الكدية بقسنطينة بعد أحداث سنة 1938 الشهيرة بالوادي، وبعد الاستقلال انخرط في التعليم الثانوي كأستاذ للغة العربية أين لفظ أنفاسه الأخيرة وهو يلقي درسه أمام تلاميذه في القسم في إحدى ثانويات العصمة سنة 1974⁽⁷²⁾.

أما عن نشاطه الصحفي فقد أصدر الشيخ علي بن سعد جريدة ((الليالي)) الإصلاحية، التي كان يحرر الكثير من فصولها، ويوزعها بنفسه⁽⁷³⁾.

1.1. الليالي:

صدرت بالجزائر العاصمة يوم 8 فيفري 1936⁽⁷⁴⁾، ورغم أن الشيخ علي بن سعد هو مديرها المسؤول ورئيس تحريرها، فقد شاركه في إنشائها الشيخ حمزة بوكوشة، والأستاذ محمد الأمين العمودي بالنصيحة والتوجيه في طريقة ظهورها وشكل عنوانها، حيث قام كل من علي بن سعد وبوكوشة باكتتاب جماعة من أهل سوف بالعاصمة لتمويل إصدار الجريدة بواسطة الأزهاري بن بلقاسم التاجر، وجمعية محمد بن نصر، حيث تحصلا منهم على ما يطبع عددها الأول، فطبعت بمطبعة أحد الأجانب كانت قريبة من دار عامل عمالة العاصمة، وصاحب امتيازها كان الفرنسي المسلم المناصر للحركة الإصلاحية محمد الشريف جوكالاري⁽⁷⁵⁾.

كانت جريدة ((الليالي)) ذات نزعة إصلاحية وطنية واضحة، وأسلوب أدبي جميل، اهتمت بنقد الأوضاع الداخلية وما فيها من فساد إداري واجتماعي، وانحراف ديني، مما جعلها تلاحق مدير الشؤون الأهلية المسيو ((ميو)) بمقالات نقدية تهكمية، حيث كانت صريحة في مخاطبة السلطات الاستعمارية، فهي عندما عرضت مطالب الأمة على حكومة الواجهة الشعبية قالت: "أما الكلمة التي نوجهها للأمة فهي السعي وراء غاية واحدة، وخلف مقصد واحد، ذلك هو إفهام الحكومة أن سياسة التماطل والتسويق لا بد لها من حد تنتهي عنده، وأما الحكومة فمن اللائق بها في الوقت الحاضر أن تغتنم رضا الشعب الجزائري... فإذا ضيعت الفرص فإنها ستندم عن قريب، ولآت ساعة مندم... " (76).

كما طالبت ((الليالي)) باستقلال الجزائر صراحة في أحد أعدادها، وهو ما ضاعف حقد الإدارة الاستعمارية وأذنبها عليها، فمنعت توزيعها عبر البريد، مما جعل مؤسسها ومديرها علي بن سعد يشرف على بيعها وتوزيعها بنفسه، ويكلف الأطفال لبيعوها في شوارع العاصمة وهم يصيحون: "الليالي لا تبالي"⁽⁷⁷⁾، كما كانت ((الليالي)) تحمل تحت عنوانها هذا البيت: "الليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبة"، كما كانت تصدر في أربع صفحات من الحجم المتوسط، وممن كتبوا فيها إضافة إلى مؤسسها الشيخ علي بن سعد، كل من حمزة بوكوشة، ومحمد السعيد الزاهري، والطاهر بوشوش، ومفدي زكرياء، وقد صدر منها ما يقارب العشرين عددا ثم توقفت من تلقاء نفسها في حوالي مارس 1937⁽⁷⁸⁾.

خاتمة:

لقد كان لظهور الحركة الإصلاحية على مسرح الأحداث في الجزائر في الربع الأول من القرن الماضي، وتبويبها بتأسيس جمعية العلماء بعد احتفالية القرن باحتلال مدينة الجزائر من طرف السلطات الاستعمارية سنة 1930، التأثير البالغ على تطور الأوضاع الثقافية والفكرية والدينية وحتى السياسية للشعب الجزائري، والمرابطة خاصة على ثغور هويته الوطنية ببعدها العربي الإسلامي، وفق ثلاثية شعارها: "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا"، وقد استخدمت الحركة الإصلاحية في سبيل تحقيق ذلك كل الوسائل التي كانت متاحة بين أيديها وفي مقدمتها الصحافة، حيث كان للصحافة الإصلاحية

حضورها الفاعل في تلك المرحلة، وقد كان لبعض أعلام وادي سوف مساهمة لافتة سواء في تأسيس الحركة الإصلاحية في حد ذاتها والتمكين لمبادئها، أو في إنشاء الصحف الإصلاحية والإشراف عليها وتحريرها، ويمكننا أن نلخص كل ذلك في النقاط التالية:

1. ارتبط عدد معتبر من أعلام وادي سوف خاصة من خريجي جامع الزيتونة بالحركة الإصلاحية منذ إرهاباتها الأولى، وساهموا في الحراك الإصلاحي والوطني على المستوى الفكري والعلمي والأدبي والصحفي من بدايته خاصة في منطقتي بسكرة وقسنطينة ثم العاصمة بعد ذلك، حتى قبل تأسيس جمعية العلماء.

2. كان لبعض هؤلاء الأعلام مشاركة فاعلة في تأسيس جمعية العلماء سنة 1931، وتبوؤوا مواقع قيادية فيها منذ مكتبها ومجلسها الإداري الأول، وأشرفوا على مدارسها وهيئاتها التعليمية والصحفية في الجزائر وحتى في فرنسا، في كل من عهدي رئيسها الأول والثاني الإمامين ابن باديس والإبراهيمي، من أمثال: محمد الأمين العمودي، وحمزة بوكوشة، وعبد العزيز بن الهاشمي، وعبد القادر الياجوري، والحفناوي هالي، وغيرهم.

3. أدرك رواد الحركة الإصلاحية مبكرا أهمية الصحافة ودورها في تنمية الوعي الوطني، والتمكين للفكر الإصلاحي، ومحاربة الانحرافات الدينية والاجتماعية، فعملوا على إنشاء الصحف والكتابة فيها منذ سنة 1919 تقريبا، ليستمر توالد الصحافة الإصلاحية طيلة النصف الأول من القرن الماضي، سواء باسم جمعية العلماء بعد تأسيسها، أو باسم بعض رجالها وأعلامها وبمبادرة منهم،

وقد كانت الفترة (1919 . 1940) المرحلة الذهبية للصحف الإصلاحية من ناحية العدد والحضور والتأثير، إذا أضفنا إليها مرحلة ((البصائر)) الثانية إلى غاية توقيفها سنة 1956.

4 - أسهم بعض أقطاب الإصلاح من وادي سوف في تأسيس الصحافة الإصلاحية وتحريرها وكتابة المقالات الفكرية والأدبية والاجتماعية وحتى السياسية على صفحاتها في الفترة سألقة الذكر، كما بادر بعضهم بإنشاء صحف إصلاحية وطنية باسمهم الخاص، كان لها دور مهم في خدمة الفكرة الإصلاحية والقضية الوطنية عموما، ويأتي على رأس هؤلاء كل من محمد الأمين العمودي، وحمزة بوكوشة، وعلي بن سعد.

5 - يعتبر الأستاذ محمد الأمين العمودي أول أمين عام لجمعية العلماء، من أشهر رجال الصحافة في الجزائر في المرحلة الزمنية التي غطاها البحث، حيث كان له حضوره الفاعل بقلمه المتمكن من اللغتين العربية والفرنسية في أغلب الصحف الإصلاحية والوطنية التي ظهرت خلال هذه الفترة، وتفرّد من بين رجال الإصلاح في الجزائر باقتحام ميدان الصحافة الناطقة باللغة الفرنسية من خلال تأسيس جريدته ((الدفاع)) (**La Défense**) سنة 1934، للمناخنة عن الفكرة الإصلاحية والحقوق الوطنية في الأوساط المثقفة باللغة الفرنسية، ومواجهة حملات الصحافة الاستعمارية الناطقة بهذه اللغة.

6 . كان الشيخ حمزة بوكوشة كذلك من بين الذين أبلوا اليلاء الحسن في الميدان الصحفي الإصلاحي تأسيسا وكتابة، وكان قلمه من أرقى الأقلام الإصلاحية

خاصة من الناحية الأدبية والنقدية باعتراف الكثيرين من فرسان هذا المجال حينها، كما كان بدوره من المبادرين بإنشاء بعض الصحف الإصلاحية والإشراف عليها ورئاسة تحريرها كما هو الحال مع جريدة ((المغرب العربي)) بوهران سنة 1937.

7- يضاف إلى الأستاذين العمودي وبوكوشة من أعلام سوف الذين اهتموا بالعمل الصحفي الإصلاحي، وشاركوا في تأسيس الصحافة الإصلاحية الشيخ علي بن سعد أحد رجال الإصلاح البارزين خاصة في ميدان التعليم العربي الحر الذي أسست له جمعية العلماء، حيث بادر بإنشاء جريدة ((الليالي)) سنة 1936 بطابعها الإصلاحي الوطني، وبجرأة قلّ نظيرها في ذلك الوقت، منها نقده اللاذع لمدير الشؤون الأهلية، ومطالبته الصريحة باستقلال الجزائر، مما عرضه إلى الكثير من المضايقات والمتابعة من طرف السلطات الاستعمارية.

الملاحق:

الملحق 01:



جريدة ((الدفاع)) (La Défense) التي أصدرها الأستاذ الأمين العمودي سنة 1934⁽⁷⁹⁾.

جريدة ((الليالي)) التي أصدرها الشيخ علي بن سعد سنة 1936⁽⁸⁰⁾.

الهوامش:

1. عمار هلال: (الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري تطوراتها ورجالها)، مجلة الثقافة، ع 101، 1988، ص ص 132 . 133.
2. عبد الحميد بن باديس: آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، 1991، ص 408.
3. نفسه، ص 159.
4. أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 102.
5. سهيل شنوف: ما رأيت وما رويت للأستاذ الشيخ شنوف حمزة بوكوشة، [ب، ن]، الجزائر، 2012، ص 44.
6. عبد الحميد بن باديس: المصدر السابق، ص 398.

- ⁷ . عاشوري قمعون: العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة (1907 . 1994)، دار الثقافة، الوادي، 2011، ص 42.
- ⁸ - أبو القاسم سعد الله: خارج السرب، دار البصائر، الجزائر، ط2، 2009، ص 123.
- ⁹ . عبد الحميد بن باديس: المصدر السابق، ص 408.
- ¹⁰ - مازن مطبقاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931 . 1939، عالم الأفكار، الجزائر، 2011، ص 174.
- ¹¹ . عاشوري قمعون: المرجع السابق، ص 28.
- ¹² . نفسه، ص ص 34 . 35.
- ¹³ . نفسه، ص 40.
- ¹⁴ . أبو القاسم سعد الله: خارج السرب، المرجع السابق، ص ص 128 . 129.
- ¹⁵ . نفسه، ص 131.
- ¹⁶ . جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: سجل المؤتمر، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 176.
- ¹⁷ - علي غنابزية: دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية، مديرية الثقافة لولاية الوادي، 2011، ص 81.
- ¹⁸ - إبراهيم رحمان: الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء، مطبعة سخري، الوادي، 2011، ص ص 26 . 31.
- ¹⁹ . محمد خير الدين: مذكرات الشيخ محمد خير الدين، مؤسسة الضحى، الجزائر، ط 3، 2009، ج 1، ص ص 221 . 224.

- 20 - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص ص 71 . 73.
- 21 - محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص ص 28 . 30.
- 22 - (. ، -) :المقالة الصحافية الجزائرية، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص ص 44 . 45.
- 23 . مازن مطبقاني: المرجع السابق، ص 62.
- 24 . محمد ناصر: الصحف العربية، المرجع السابق، ص 55.
- 25 . المنتقد: ع 1، 2 جويلية 1925.
- 26 . محمد ناصر: الصحف العربية، المرجع السابق، ص 23.
- 27 - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، دار الكتاب، البلدة، ط 2، 1963، ص 348.
- 28 - مفدي زكرياء: تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003، ص 179.
- 29 . محمد ناصر: الصحف العربية، المرجع السابق، ص 46.
- 30 - عبد المالك مرتاض: (نشأة الصحافة العربية وتطورها في الجزائر)، مجلة الثقافة، ع 33، يونيو - يوليو 1976، ص 34.
- 31 . أديب مروة: الصحافة العربية نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960، ص 396.
- 32 . نفسه، ص 395.
- 33 . محمد ناصر: الصحف العربية، المرجع السابق، ص ص 439 . 442.

- 34 - عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 187.
- 35 - حفناوي قصير: الأستاذ الأمين العمودي حياته ونشاطاته المختلفة، [ب، ن]، الوادي، 2008، ص 52.
- 36 - عمر بن قينة: المرجع السابق، ص 188.
- 37 - عمار هلال: المرجع السابق، ص 109.
- 38 - أحمد بن ذياب: (جوانب نضالية من حياة الشهيد محمد الأمين العمودي)، مجلة الثقافة، ع 86، مارس - أبريل 1985، ص 234.
- 39 - علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، تر: محمد عيتاني، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 131.
- 40 - محمد ناصر: الصحف العربية، المرجع السابق، ص 142.
- 41 - (-، -): المقالة الصحفية، المرجع السابق، ص 100.
- 42 - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، دار البصائر، الجزائر، 2009، ج 2، ص ص 499 .500.
- 43 - محمد ناصر: الصحف العربية، المرجع السابق، ص 107.
- 44 - نفسه، ص 109.
- 45 - مفدي زكرياء: المصدر السابق، ص 2003.
- 46 - محمد ناصر: الصحف العربية، المرجع السابق، ص 138.
- 47 - نفسه، ص 140.
- 48 - نفسه، ص 145.
- 49 - عمر بن قينة: المرجع السابق، ص 193.

- 50 - عبد المالك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830 . 1962، دار هومة، الجزائر، 2009، ج 2، ص 239.
- 51 . محمد ناصر: الصحف العربية، المرجع السابق، ص 203.
- 52 . عبد المالك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية، ج 2، المرجع السابق، ص 240.
- 53 . أحمد بن ذياب: المرجع السابق، ص 243.
- 54 . حفناوي قصير: المرجع السابق، ص 59.
- 55 . محمد بك: محمد الأمين العمودي ودوره في الإصلاح من خلال جريدة الدفاع، (رسالة ماجستير في تاريخ الأوراس الحديث)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2008، ص 64.
- 56 - **La Défense**, N1, 26 Jan 1934. نقلا عن محمد بك: المرجع السابق، ص 63.
- 57 . نفسه.
- 58 . نفسه.
- 59 . حفناوي قصير: المرجع السابق، ص 60.
- 60 - عمار طالبي: ابن باديس حياته وآثاره، دار الأمة، الجزائر، 2012، ج 3، ص 317.
- 61 . عمر بن قينة: المرجع السابق، ص 375 . 376.
- 62 - علي غنابزية: مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900 . 1986، مديرية الثقافة لولاية الوادي، 2014، ص 55.
- 63 - محمد الصالح رمضان: (حمزة بوكوشة العالم المصلح)، مجلة الثقافة، ع 106/105، نوفمبر . فيفري 1995، ص 100.

- 64 . البصائر، ع 137، 28 أكتوبر 1938، ص 2.
- 65 . البصائر، ع 268، 23 أبريل 1954، ص 5.
- 66 . سهيل شنوف:المصدر السابق، ص 71.
- 67 . نفسه، ص 74.
- 68 . محمد ناصر:الصحف العربية، المرجع السابق، ص 302.
- 69 . عاشوري قمعون:المرجع السابق، ص 56.
- 70 . محمد ناصر:الصحف العربية، المرجع السابق، ص 302.
- 71 . سهيل شنوف:المصدر السابق، ص 74.
- 72 . سعد العمامرة وأحمد منصورى:أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، جمعية الجماعة السوفية، الوادي، 2006، ص 79.
- 73 . محمد ناصر:الصحف العربية، المرجع السابق، ص 296.
- 74 . مفدي زكرياء:المصدر السابق، ص 185.
- 75 . سهيل شنوف:المصدر السابق، ص 72.
- 76 - الليالي: ع 15، 10 جانفي 1937 نقلا عن محمد ناصر:الصحف العربية، المرجع السابق، ص 294.
- 77 . نفسه، ص ص 295 . 296.
- 78 . عبد المالك مرتاض:أدب المقاومة الوطنية، ج 2، المرجع السابق، ص 245.
- 79 - فوزي مسمودي:تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة وإقليمها من 1900 إلى 1956، دار الهدى، عين مليلة، 2006، ص 118.
- 80 . محمد ناصر:الصحف العربية، المرجع السابق، ص 290.

محطات في معركة التسليح في الثورة التحريرية الجزائرية 1954 – 1958

د. عبدالمالك بوعريوة -رئيس قسم العلوم الإنسانية- جامعة
أحمد دراية. أدرار

الملخص: كانت قضية التسليح من أهم وأخطر القضايا التي أولتها قيادة الثورة التحريرية أهمية بالغة، وذلك باعتبارها عصب الكفاح المسلح ضد العدو الفرنسي، الذي كان - ولا يزال - من القوى العسكرية الكبرى في العالم. ولهذا، فإن جبهة التحرير الوطني عملت منذ البداية على توفير ما أمكن من السلاح، لضمان استمرارية ثورتها وتوسعها، وقد بذلت في سبيل ذلك جهدا كبيرا، معتمدة في البداية على المصادر الذاتية الداخلية، التي شكلت حجر الزاوية في انطلاق الكفاح المسلح في الأول من نوفمبر 1954، لكن ذلك لم يكن كافيا مع تطور الثورة وشموليتها من جهة، وحجم الامكانيات العسكرية التي سخرها العدو من جهة ثانية، مما جعلها تلجأ إلى مساعدات الدول الشقيقة والصديقة، لاسيما المغاربية منها التي جعلت أراضيها الحدودية قواعد خلفية لعمليات التسليح من الحدود الشرقية والغربية للوطن، سواء عن طريق الدور الذي لعبته القاعدة الشرقية في هذا المجال، أو عن طريق قوافل التسليح الخاصة بالولايات خصوصا بين سنتي 1954 و 1958.

Résumé :

La question de l'armement, durant la guerre de

libération algérienne, a été un des problèmes, les plus cruciaux, auxquels le commandement de la révolution algérienne devait faire face, et lui accordait l'intérêt qu'il mérite, du fait que l'armement constituait le nerf vital du combat livrée contre l'ennemi et dès les premiers jours de la guerre, Le **FLN**, s'est penché sur ce problème, pour assurer la continuité de la Révolution, dans ce sens, beaucoup d'efforts ont été enregistrés. Tout d'abord, en s'appuyant sur les moyens propres dans le déclenchement, mais avec l'évolution de la révolution l'aide des pays frères et amis est devenu indispensable, en particulier les pays maghrébins, ceux-ci ont mis à la disposition de révolution leurs zones frontalières, pour les utiliser comme bases arrières dans l'acheminement d'armes. Ainsi, le problème de l'armement a vu des jours meilleurs par le rôle joué par la Base de l'Est et par la multiplication des caravanes d'acheminement d'armes propres à chaque Wilaya historique entre 1954- 1958.

مقدمة: يشكل السلاح عصب المعارك والحروب وعمودها الفقري؛ إذ لا يمكن لأي جيش أو قائد في العالم أن يفكر في اللجوء إلى الحرب والغزو لأي

هدف كان، الا اذا كان يمتلك من العدة والعدد ما يؤهله لدحر العدو وهزمه، اللهم الا اذا فرضت عليه الحرب فرضا - تحت أي ظرف -، فانه يرد العدوان بما توفر له من سلاح، معتمدا على الارادة والعزيمة، والروح الوطنية والدينية اذا تعلق الأمر بالدفاع عن الوطن والدين والعرض والشرف. وهكذا، فإننا نجد الأمم والشعوب تعمل على تأمين سلامتها وأمنها في أوقات السلم وقبل الحرب؛ من خلال تشكيل الجيوش وتسليحها، والسعي إلى اقامة الصناعات الحربية والمدارس والكليات العسكرية استعدادا لأي طارئ، وقد حث الله سبحانه وتعالى المسلمين على ضرورة اعداد العدة للحرب قبل اشتعال فتيلها وذلك في محكم تنزيهه بقوله: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم..."¹، وقد قال العرب قديما "لا خير في حق لا تحرسه قوة"

واذا كانت الأمم مطالبة بالاستعداد للحرب قبل وقوعها، فكيف يكون الأمر بالنسبة لمن وقع عليه الغزو والاحتلال، والقهر والظلم والاستغلال، وعزم على افتكاك حريته واستقلاله بالكفاح المسلح، على غرار ما قامت به حركات التحرر في مختلف بقاع العالم، ضد الاستعمار الأوروبي الحديث، وجبهة التحرير الوطني واحدة من هذه الحركات، التي كانت رائدة في هذا المجال؛ لأنها أعلنت الثورة التحريرية ضد الاستعمار الفرنسي في الأول من نوفمبر 1954 بقوة الايمان والروح الوطنية الصادقة، قبل أن تعلنها بقوة السلاح؛ لإدراكها أن القوة العسكرية التي كان العدو يمتلكها مقارنة

بإمكانياتها التي يمكن وصفها بالتافهة اذا ما وضعت في الميزان مع هذه القوة. انطلاقا مما سبق، فإننا سنحاول في هذا المقال الوقوف عند بعض المحطات، والمجهودات التي قام بها جيش و جبهة التحرير الوطني في مجال عمليات التسليح خلال الفترة الممتدة بين عامي 1954 و 1958، أي من اندلاع الثورة التحريرية إلى ميلاد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وذلك من خلال العناصر الآتية:

- مقدمة

- 1- مصادر تسليح الثورة التحريرية (1954-1957).
- 2- القاعدة الشرقية ودورها في تسليح الولايات الداخلية.
- 3- قوافل التسليح الموجهة نحو الحدود الشرقية.
- 4- قوافل التسليح الموجهة نحو الحدود الغربية.
- 5- خاتمة.

أولا: مصادر تسليح الثورة التحريرية (1954 - 1957):

كان قادة الكفاح المسلح مدركين لأهمية السلاح في مشروعهم الثوري، وذلك حتى قبل اعلان الثورة التحريرية؛ حيث طرحوا هذا الأمر منذ تأسيس المنظمة الخاصة (O.S) في فيفري 1947، بحكم أن هذه الأخيرة جاءت للعمل على بلورة هذا المشروع، الذي كانت الجماهير تنتظره بشغف، لاسيما بعد مجازر الثامن من ماي 1945 الرهيبة، ومما يدل على هذا الأمر ما أورده المرحوم حسين آيت أحمد قائد المنظمة المذكورة بعد محمد بلوزداد؛ حيث

قال: "... (..) ينبغي أن يكون التسليح على رأس اهتمامات الحزب وأولوياته..."²، كما أعلن خلال اجتماع زدين (بعين الدفلى) في ديسمبر 1948 بأن المنظمة حددت هدفها في مجال التسليح بدقة، ألا وهو العمل على توفير الحد الأدنى من السلاح لضمان استمرار الكفاح المسلح عند إطلاقه³.

لهذا، فإن مناضلي المنظمة الخاصة شرعوا في جلب السلاح من ليبيا نحو منطقة الأوراس، وذلك منذ نهاية الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، وقد تمكنوا من الحصول على دفعة أولى بعد تأسيس منظماتهم قدرت بـ 300 قطعة، بينما تم جمع الدفعة الثانية وشرائها من منطقتي القبائل والجزائر العاصمة⁴، وتم تخزين ما جلب في مخابئ سرية، وعند اندلاع الثورة في الأول من نوفمبر 1954 أرسلت 275 بندقية ستاتي نحو المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني)، وكميات أخرى لكل من المنطقة الثالثة (القبائل) والرابعة (الجزائر)، كما أعطيت تعليمات صارمة للمناضلين لجمع الأسلحة من عند الأقارب ومناضلي ومحبي الحركة الوطنية، سواء كانت أسلحة حرب أو بنا دق صيد، وتم تكليف آخرين بجمع وشراء الأسلحة والذخيرة من بعض التنظيمات المسلحة، لاسيما من حراس الغابات وجمعيات الصيد وحتى بالهجوم على بعض مراكز الشرطة⁵، وقد سجلت المنطقة الأولى (الأوراس) سبق في مجال جمع الأسلحة وتخزينها، تحضيراً لاندلاع الثورة، ومما يدل على ذلك أن مصطفى بن بوالعيد شرع في صنع القنابل وتخزينها بالأوراس، وقد

انفجر مخزن منها خطأً بباتنة في 17 جويلية 1953 وهذا حسب شهادة محمد بوضياف⁶.

مع العلم أن مجموعة الست كانت قد خططت منذ البداية لجعل المنطقة الأولى معقلا للثورة ومهداها الأول، بحكم ما كانت تمتلكه من السلاح مقارنة بغيرها من المناطق، ناهيك عن وعورة تضاريسها وتجزد النضال بين سكانها، لأن عددا لا بأس به من مناضلي المنظمة الخاصة لجأوا إليها بعد اكتشاف أمرها، ومن تم أسهموا في نشر الوعي الوطني بها، وبهذا تحملت هذه المنطقة ضغطا كبيرا في الأشهر الأولى من الثورة، حتى وجدت انطلاقتها في بقية المناطق⁷.

من جانب آخر، وبالتعاون مع بعض الجزائريين الذين كانوا في صفوف الجيش الفرنسي وكانوا متعاطفين مع القضية الوطنية، فقد تم اخراج كمية من الأسلحة من بعض الثكنات، الى درجة أن قادة الجيش الفرنسي قرروا تجريد بعض العسكريين من السلاح في بعض المناطق⁸.

عند اندلاع الثورة التحريرية طرحت مشكلة التسليح بالحاح، خصوصا وأن نقص السلاح تسبب في تواضع الانطلاقة في معظم مناطق الوطن، باستثناء الأوراس - كما أشرنا - ثم منطقة القبائل بنسبة أقل، لهذا كانت هذه المشكلة الشغل الشاغل لقادة الثورة منذ انطلاقتها، ومما يعبر عن القلق الذي كان ينتاب القادة في هذا المجال، ما أورده محمد بوضياف عن العربي بن مهيدي قائد المنطقة الخامسة (وهران)، عندما التقاه عند وادي ملوية قرب

الحدود الغربية، وكان يلح عليه قائلا: " السلاح والا اختنقنا"⁹.

كما أدى قرار مصطفى بن بوالعيد قائد المنطقة الأولى بالتوجه الى المشرق لبحث مسألة التسليح مع الوفد الخارجي بصورة جديدة، الى وقوعه في الأسر في فيفري 1955¹⁰، مما يدل أن الرجل كان يولي المشكل أهمية بالغة. وهكذا عملت جبهة التحرير الوطني منذ الوهلة الأولى على توفير ما أمكن من السلاح، معتمدة على مصدرين أساسيين هما:

- المصادر الداخلية (المحلية):

شكلت هذه المصادر حجر الأساس في اندلاع الثورة، بحكم أن شرارة هذه الأخيرة انطلقت بها من جهة، ولكونها تعد تمويها ذاتيا اعتمد على الشعب الجزائري بالدرجة الأولى من جهة ثانية، وعلى رأس هذه المصادر بنادق الصيد التي كان عدد كبير من الجزائريين يمتلكونها برخصة أو بدونها؛ حيث شكلت فرقا كلفت بجمعها من أصحابها، وكانت هذه الفرق تسابق الزمن والسلطة الاستعمارية، هذه الأخيرة التي تفتنت لهذا الأمر واتجهت بدورها الى استدعاء أصحاب البنادق المرخصة لجمعها وحرمان الثورة منها، ولهذا فان الملاحظة الجديرة بالتسجيل في هذا المجال، أن القسم الأكبر من البنادق الذي تمكنت فرق جبهة التحرير من جمعه من أفراد الشعب الجزائري كان غير مرخص، وقد فضل العديد من أصحابها التجنيد في صفوف الثورة بها، بينما فضل البعض تسليمها لعدم قدرته على خوض غمار الحرب¹¹.

كما عمل جيش التحرير الوطني - ومنذ البداية أيضا - على افتكاك

السلاح من يد العدو أثناء الكمائن والمعارك التي خاضها في الأشهر الأولى، وقد استمرت هذه العملية طيلة سنوات الثورة التحريرية، ومما يؤكد هذا الأمر ما قاله ديدوش مراد قائد المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) لأحد المناضلين في صيف 1954 عندما طرح عليه مشكل نقص السلاح؛ إذ أجابه بالقول:¹² " إذا كنت تمتلك رصاصتين لبندقيتك فهما كافيتان لتستولي على سلاح عدوك..."، وقد شكلت هذه الغنائم مصدرا مهما من مصادر التسليح الداخلي، خصوصا في المناطق: الثانية، الثالثة والرابعة التي كانت تقع في عمق التراب الوطني،¹³ وفي هذا السياق ينبغي أن نشير الى الطريقة الذكية التي واجهت بها قيادة المنطقة الثالثة وعلى رأسها كريم بلقاسم، محاولة الاختراق التي قام بها العدو في اطار عملية " الطائر الأزرق"¹⁴، والتي تمكنت من خلالها من الحصول على ما يربو عن ستمائة قطعة سلاح (600)، بعد أن تم تسليح هذا العدد من الرجال من قبل قيادة الجيش الفرنسي، ليلتحقوا بجيش التحرير الوطني، على أمل أن ينقلبوا عليه في الوقت المناسب لضرب الثورة في العمق والقضاء عليها بهذا الاختراق.

وهكذا يمكن حصر المصادر الداخلية للسلاح الذي استعملته ثورتنا في مرحلة الانطلاق (1954-1956) فيما يلي:

- 6- بنادق الصيد المرخصة وغير المرخصة، وهذه الأخيرة كانت الأكثر.
- 7- غنائم العمليات العسكرية (المعارك، الكمائن، الهجمات الخاطفة على مراكز العدو).

8- سلاح الجنود الجزائريين الذين جندوا في الخدمة العسكرية الفرنسية اجباريا؛ حيث فر العديد منهم بأسلحتهم.

9- القنابل التي تلقيها طائرات العدو وقذائف المدفعية التي لم تنفجر؛ حيث يقوم المجاهدون بتفكيكها بحذر ويستعملون بارودها.

10- بالإضافة الى غنائم عملية " العصفور الأزرق " بالنسبة للمنطقة الثالثة (القبائل)، التي وجب التنويه بها، نظرا لأهمية الكمية المتحصل عليها من قطع السلاح.

لهذا وفي ظل الظروف الصعبة التي عاشتها الثورة في مرحلة الانطلاق، التي زاد من تعقيدها تعثر التنظيم الثوري في معظم المناطق من جهة، وردود الفعل الفرنسية القاسية والصارمة على كافة المستويات من جهة ثانية، اتجه القادة المحليون الى انتهاج أسلوب المبادرة الفردية لجمع الأسلحة والذخيرة وتوفيرها بكافة الطرائق والسبل، للمحافظة على استمرارية الثورة والدفع بها نحو الشمولية¹⁵، وفي هذا المقام يمكن للباحث أن يقف على العديد من عمليات التسليح الناجحة، التي شهدتها مختلف المناطق، والتي ارتبطت في معظم الأحيان بأسماء قادة محليين، على غرار ما قام به مصطفى بن بوالعيد في المنطقة الأولى، وديدوش مراد في المنطقة الثانية..¹⁶

- المصادر الخارجية لدعم الثورة بالسلاح:

ظل البحث عن مصادر السلاح الشغل الشاغل لقادة الثورة، وذلك لأنهم كانوا يدركون بأن استمرار كفاحهم المسلح يتوقف على هذا الأمر

الحساس، ولهذا فانهم لم يكتفوا بما تمكنوا من جمعه من سلاح في الداخل، وانما توجهوا للبحث عن ذلك في الخارج لدى الدول الشقيقة والصديقة وفي السوق الدولية للسلاح، لاسيما أمام النقص الفادح المسجل في المجال المذكور، وترسانة الأسلحة المتطورة التي كان العدو يمتلكها.

ولاشك أن هذه العملية معقدة، لأن صفقاتها تتم في سرية تامة وتتطلب المبالغ المالية الكبيرة، يضاف الى ذلك المخاطر التي تصاحبها وعلى رأسها احتمالات الفشل والوقوع في أيدي العدو¹⁷، وبذلك فإنها كانت تتم بحذر وحيطة شديدين.

وما تجدر الاشارة اليه أننا لن نتطرق لجميع المصادر الخارجية التي أسهمت في تدعيم ثورتنا بالسلاح، وذلك لتعددتها وتوزعها بين مختلف الدول الشقيقة والصديقة في افريقيا وأوروبا وآسيا، ولكون العديد من المصادر والمراجع قد أعفنتنا من ذلك، لهذا فإننا سنذكر بعض النماذج المتعلقة بأهم الدول العربية التي لعبت دورا محوريا في هذا المجال، مستشهدين ببعض التصريحات الجريئة والمشرفة لرؤسائها.

تعود فكرة تمويل الثورة بالأسلحة والذخيرة من الخارج الى صائفة عام 1954؛ حيث باشر في هذا التاريخ كل من محمد بوضياف ومصطفى بن بوالعيد ومحمد العربي بن مهدي مهمة تشكيل الأنوية الأولى لشبكات الدعم اللوجستيكي، من خلال البحث عن مصادر التسليح من الخارج، وتهيئة ما أمكن من الظروف والوسائل لضمان استمرارية الكفاح المسلح

وشموليته، إلا أن جهود هؤلاء لم تكن لتثمر وتعطي النتائج لولا الدور الهام الذي قام به الوفد الخارجي للثورة بالقاهرة وعلى رأسه أحمد بن بلة، كما لعب قادة الثورة في المناطق الحدودية، الأولى والثانية والخامسة دورا رياديا في المرحلة الأولى من الثورة (1954-1956)، من خلال البحث عن مصادر التسليح خارج الحدود، وقد ارتبط هذا الأمر بحركة قادة المناطق المذكورة، وموقعها الاستراتيجي، وفي هذا المجال يكفي أن نذكر بالمجهودات التي قام بها كل من مصطفى بن بوالعيد ولزهرشريط وغيرهما من المنطقة الأولى، والعربي بن مهيدي من المنطقة الخامسة، كما كانت قضية التمويل بالأسلحة والعلاقة مع الوفد الخارجي من أهم القضايا التي طرحتها قيادة المنطقة الثانية وعلى رأسها زيغود يوسف، في إطار الاستعدادات لهجمات 20 أوت 1955.¹⁸

لقد ارتبط الامداد بالسلاح من الخارج وبالدرجة الأولى بالدول الشقيقة مشرقا ومغربا، التي أعلنت منذ البداية مساندة اللامشروطة للثورة الجزائرية، وفي هذا المجال نسوق بعض الأمثلة، للدلالة على المواقف الشجاعة، التي أعلنها بعض الرؤساء العرب تجاه قضية تسليح الثوار الجزائريين، لمساعدتهم على طرد العدو الفرنسي من بلادهم، ويتمثل المثال الأول فيما أورده فتحي الديب ضابط المخابرات المصرية في مذكراته، حول موقف الرئيس المصري جمال عبد الناصر في المجال المذكور؛ حيث كتب ما يلي:¹⁹ "(...) التزاما منا بتنفيذ قرار الرئيس جمال عبد الناصر بدعم

الثورة الجزائرية بالأسلحة والذخيرة الحربية... باشرنا التحضير لتزويدهم... باحتياجاتهم الضرورية من الأسلحة الخفيفة والذخيرة... وخلصنا من دراستنا بالاشتراك مع أحمد بن بلة،... الى امكانية اختصار نصف طريق المواصلات وسرعة نقلها الى الحدود التونسية في طريقها الى الحدود الجزائرية... وذلك بتكليف بعض الاخوة الليبيين المتخصصين في تهريب السلاح... وبالفعل فقد تم تنظيم شبكة عن طريق الملحق العسكري المصري بالسفارة المصرية في ليبيا السيد أمين صالح... وقد تمكن أمين صالح وجماعته من توفير كميات كبيرة من الأسلحة... ووصلت هذه الشحنة الى جبال الأوراس..."

من جانب آخر نقف عند رد فعل الملك الليبي ادريس السنوسي، الذي استقبل ممثلين عن الوفد الخارجي²⁰ في 15-05-1956 لمناقشة مسألة مرور السلاح الى الجزائر عبر التراب الليبي، فكان رده مشجعا ومشرفا، ومما جاء فيه ما يلي:²¹ "... ان ليبيا حكومة وشعبا لا تؤيد الكفاح التحرري الجزائري فقط بل هي تشترك فيه روحا وبدنا... أما السلاح الجزائري، فقد أصدرت أمري لقائد الجيش وهو أصدر أمره لقائد الحدود بأن يدخل حرا طليقا... اعتبروا حكومة ليبيا حكومتكم الخاصة، وما أردتم أن تتوسط لكم في شراء السلاح أو مسعى سياسي أو دبلوماسي الا وكانت مستجيبة لكم فورا"

ان المتأمل في النصين المذكورين يذكر أنهما على صلة ببعضهما البعض، وذلك لأن الموقف الثاني ترتب عن الموقف الأول، خصوصا اذا ما علمنا أن الاطار الزمني لهذا الأخير كان في حدود ربيع عام 1955، مما يدل أن التنسيق كان قائما بين الأطراف الثلاثة؛ الوفد الخارجي والحكومتين المصرية والليبية، ولاشك أن الباحث في تاريخ ثورتنا المباركة، يذكر أن هذين الموقفين لم يبقيا حبيسا الأدرج أو شعارين للاستهلاك، على غرار ما حدث ويحدث اليوم في مغربنا العربي، وانما كانت الحكومتين المذكورتين خير معين للثورة الجزائرية طيلة سنواتها، ليس فقط في مجال التسليح، بل في مختلف الميادين، لاسيما في المجالين السياسي والدبلوماسي، وما أحوجنا اليوم لمثل هذه المواقف.

لقد تمت مناقشة الخطط العملية لتنفيذ الوعد بين قادة الجيش الليبي، وتم التنسيق مع الطرف المصري؛ حيث تم الاتفاق على تخصيص مطار أو مطارين بجنوب ليبيا، وطائرة أو اثنتين لا يصلح الأسلحة الى الجنوب الجزائري، وكنتيجة لذلك وضع مطار بلدة نالوت ومطار آخر يقع جنوب فزان بعد اصلاحهما من طرف لجنة حربية مصرية تحت سلطة جبهة التحرير الوطني، كما وضعت طائرات من نوع " داكوتا " لانجاز المهمة النبيلة؛ اذ تحمل هذه الطائرات السلاح بعد وصوله الى الحدود الليبية جوا بوساطة مصرية، ويكفي أن نقول بأن الثورة الجزائرية لم تتلق السلاح جوا الا عن طريق ليبيا²².

كما قرر الرئيس جمال عبد الناصر مطلع عام 1955 - بعد جولات التشاور بين المسؤولين المصريين وأعضاء الوفد الخارجي بالقاهرة - استخدام احدى قطع الأسطول البحري المصري لنقل شحنة هامة من الأسلحة على جناح السرعة، فأصدر أوامره لقائد الجيش عبد الحكيم عامر لتنفيذ هذه المهمة، فوضع السلاح والذخيرة في صناديق صغيرة الحجم لتنقل بعد ذلك الى اليخت " انتصار "، باعتباره سيقوم برحلة بحرية تدريبية في البحر المتوسط، وقد وقع الاختيار على أحد الموانئ القديمة الواقعة شرق طرابلس الليبية لانزال الشحنة، ومن هناك نقلت هذه الأسلحة بالشاحنات التي كان بن بلة والقائم الليبي عبد الحميد درنة بتأمينها حتى بيت هذا الأخير، وبعد نجاح هذه العملية توالى الشحنات من المشرق باتجاه المغرب، لتحط الرحال في النهاية اما على الحدود الشرقية للجزائر أو على حدودها الغربية، لتأخذ طريقها الى المجاهدين في الداخل²³.

وكانت المنطقة الخامسة(وهران) بدورها نقطة ارتكاز حيوية بالنسبة لعمليات التسليح، وذلك بحكم موقعها الاستراتيجي الذي يمتد على طول الحدود البرية مع المغرب الأقصى، من مرسى بن مهدي شمالا الى بشار جنوبا، وعلى الجبهة البحرية من الشمال، مما جعل دورها رياديا في تزويد كتائب جيش التحرير الوطني بما يحتاجه من أسلحة ومؤونة منذ المرحلة الأولى من الثورة الجزائرية، رغم الوضع الصعب الذي كان المغرب يمر به.²⁴

لقد حرص بن مهدي على توطيد العلاقة مع قيادة المقاومة

المغربية في هذه المرحلة، مقابل ذلك اتصل بمحمد بوضياف مطلع عام 1955 في مدينتي تطوان والناظور، اللتين كانتا خاضعتين للاستعمار الاسباني، واللتين تحولتا الى قاعدتين خلفيتين، حيث أصبحت الناظور بوجه خاص مركزا رئيسيا لإمداد المنطقة الخامسة بالسلاح منذ هذه السنة، وهذا بعد معاينة أحمد بن بلة، الذي قام بزيارة المدينة عدة مرات، وقد تمكنت الثورة بفضل هذه الجهود من الحصول على شحنة هامة من الأسلحة نقلتها الباخرة " دينا " (Dina) في مارس من السنة المذكورة، وهي أول شحنة من السلاح المصري تصل الى الحركتين التحريريتين الجزائرية والمغربية، وقد أكد محمد بوضياف في العديد من شهاداته أن ما وقع الى غاية أكتوبر 1956 في المغرب في مجال تسليح الثورة لم يكن سوى بداية²⁵.

ومن سوريا نسجل موقفا مشرفا لرئيسها شكري القوتلي، الذي سلم اعانة مالية لوفد لجنة السلاح بقصر الرئاسة بدمشق بتاريخ 15-03-1957، على هامش أسبوع الجزائر الذي أقيم هناك، وأصر حينها بأن مساعدته رمزية معربا للوفد على استعداد سوريا لتزويد الثورة الجزائرية بالسلاح والذخيرة وذلك بالقول:²⁶ " (...) اذا أردتم سلاحا أمددناكم بالسلاح... وأنا أكلم قائد الجيش السوري هنا أمامكم لنفتح مخازن الأسلحة، ولنفتح مخازن الذخيرة حتى يأخذ المجاهدون الجزائريون...".

وكانت سوريا بالفعل عند وعدها، لأنه وبصفة عامة، فان

المساعدات في مجال التسليح من الدول العربية كان مصدرها الأساسي مصر وسوريا، اذ وعدت الأولى بـ 50.000 قطعة سلاح والثانية بـ 30.000 قطعة متنوعة²⁷.

ثانيا: القاعدة الشرقية ودورها في تسليح الولايات الداخلية:

قبل الحديث عن دور القاعدة الشرقية في مجال تسليح الولايات الداخلية، ينبغي علينا التعريف ولو بصفة موجزة بهذه القاعدة، التي لعبت دورا حيويا في المجال المذكور على مدار قرابة السنتين من عمر الثورة التحريرية(من خريف عام 1956 إلى نهاية عام 1958)، لاسيما بالنسبة للمناطق الثلاث: الأولى، الثانية والثالثة.

فالقاعدة الشرقية هي المنطقة الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي من الوطن، يحدها شمالا البحر المتوسط، بداية من عين باب البحر بلدية "أم الطبول" شمال شرق مدينة القالة حتى عنابة، ومن الجنوب والجنوب الشرقي تبسة، سدراتة(الولاية الأولى) ومن الشمال الغربي عنابة وقلمة(الولاية الثانية) ومن الشرق الحدود التونسية²⁸ تتميز بتضاريسها الوعرة، ومنها جبل المسيد(1400م) وجبال القالة التي نذكر منها: كاف الشهبه، الدير، بني صالح..، ناهيك عن كثافة غاباتها²⁸

عند اندلاع الثورة التحريرية كانت هذه المنطقة تحت قيادة الشهيد "باجي مختار" الذي قام بإعداد الخلايا الأولى للمجاهدين، والتحضير للانطلاقة بها كناحية من نواحي المنطقة الثانية²⁹ (الولاية الثانية بعد

الصومام، إلا أن استشهاده يوم 1954/11/20 من جهة، ثم استشهاد قائد المنطقة الثانية "ديدوش مراد" يوم 1955 /01/18، وما كانت تعرفه هذه المنطقة من نقص في السلاح وضعف الاتصال بالمنطقة الثانية من جهة ثانية، فتح هذه الناحية أمام طموح المنطقة الأولى (الأوراس) بقيادة " شيهاني بشير"، لتوسيع العمليات العسكرية نحو جبال سوق أهراس وبني صالح حتى بلوغ ناحية القالة، ويظهر أن هذا الطموح أصبح أكثر جدية بعد معركة الجرف الشهيرة³⁰. في هذه الظروف أرسلت المنطقة الأولى (الأوراس) فوجا بقيادة "أحمد الأوراسي" نحو هذه الناحية حيث استقر بجبال بني صالح في مارس 1955، دون أن يعلن قادة الأوراس عن نيتهم في ضم هذا الجزء إلى منطقتهم³¹، فأصبحت هذه الناحية تتنازعها المنطقتان (الولایتان) الأولى والثانية³²، وهو ما جعلها تعرف فراغا قياديا) من خلال تداخل القيادة بين المنطقتين الأولى والثانية)، والمشاكل الداخلية التي برزت إلى السطح أوائل سنة 1956، وكان أساسها الصراع على قيادة الناحية بين القادة الأوراسيين ومجاهدي المنطقة، وعلى رأسهم "جبار اعمر" أحد القادة البارزين، وقد تمت تصفية هذا الأخير يوم 1956/04/11 وهو ما عمق المشاكل أكثر، وجعل قادة هذه الناحية يعملون على عقد اجتماع خلال شهر جوان 1956³³ لتشكيل قيادة لولاية سوق أهراس، ورفض الانتماء لأية ولاية من الولايتين المتنازعتين عليها³⁴. ومن ثمة اتجهوا إلى تكوين قيادة عامة لولاية سوق أهراس³⁵، وحاولوا إرسال تقريرين، أحدهما إلى البعثة الخارجية، والآخر أرادوا تبليغه إلى مؤتمر الصومام مع مبعوثين

هما: "الحفناوي رماضية" و "عمار بن زودة"، لكنهما أخيرا وهما في الطريق بأن أشغال المؤتمر قد انتهت.

وبحكم أهمية ولاية سوق أهراس- كما سميت- الاستراتيجية، باعتبارها منطقة متاخمة للحدود التونسية، وبوابة العبور نحو الداخل والخارج، خصوصا بعد استقلال تونس في مارس 1956، ومحاولة من لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.E) تبليغ قرارات مؤتمر الصومام للمناطق التي لم تحضره، والإسراع للقضاء على الخلافات والصراعات في مختلف المناطق، فقد أرسلت ممثلا عنها وهو "عمر أوعمران" لإيجاد حل لمشكل القيادة في هذه الناحية؛ حيث حل بها على الأرجح في نهاية 1956، واجتمع بقيادة ناحية القالة وسوق أهراس³⁶، وأكد لهم أن إنشاء ولاية على رقعة ضيقة يتنافى ومقررات الصومام، رغم توفرها على الهيكل البشري وشروط إنشاء الولاية، وعلى رأسها الفيالق والكتائب، وأبلغهم قرار قيادة الثورة تسمية ولايتهم بـ "القاعدة الشرقية"، كمنطقة مستقلة عن الولايتين المجاورتين، ومقابل ذلك كلفت لجنة التنسيق والتنفيذ هذه المنطقة بـ:

- أ- تموين ولايات الداخل (الثانية الثالثة والرابعة) بالأسلحة والذخيرة³⁷.
- ب- تدريب وتسليح وإيواء القوافل التي تأتي من الولايات الأخرى³⁸.
- ج- ضمان أمن عبور القوافل وتموينها، وتبليغ التعليمات وأوامر القيادة العامة³⁹.

لقد كانت عمليات تسليح الولايات الداخلية من أعقد العمليات وأخطر

المهام التي اضطلعت بها القاعدة الشرقية عامة والمنطقة الشمالية منها خاصة، ويعود ذلك إلى طبيعة العمل والمخاطر والصعوبات التي تحيط به، بحكم أن هذه الولايات تقع في عمق التراب الوطني، أين تكثر مراكز العدو وتشتد مراقبته، ناهيك عما أصبح خطأ "شال" و"موريس"⁴⁰ يسببانه من مصاعب أمام تحرك الفرق عبر الحدود، وبحكم أن نجاح الثورة كان مرهونا بنجاح مثل هذه العمليات، فإن هذه المنطقة لم تدخر جهدا في مد الولايات الثانية والثالثة والرابعة بما أمكن من الأسلحة⁴¹، في الفترة الممتدة بين نهاية 1956 و1958، وهي الفترة التي عرفت فيها باسم "القاعدة الشرقية"؛ حيث ستعرف بعد تكوين ما يسمى بقيادة العمليات العسكرية في أبريل 1958، بتسمية جديدة هي: المناطق الحدودية، أو جيش الحدود، بقيادة هيئة أركان الشرق التي كان على رأسها "محمد السعيد"⁴² قائد الولاية الثالثة، في الفترة الممتدة بين نهاية 1956 إلى مطلع 1957.

انطلقت إذن، القاعدة الشرقية في مهمة إيصال الأسلحة إلى الولايات الداخلية مطلع 1957، بعبور قوافل تتكون كل منها من كتيبة أو أكثر، وكانت تنطلق راجلة من الحدود التونسية، فتمر تارة عبر سلسلة الأطلس التلي، وتخترق السهول تارة أخرى، على ما في ذلك من مخاطر⁴³، فتعبر في الحالة الأولى طريقا يمتد عبر جبال بني صالح⁴⁴، حمام النبائل⁴⁵، الدباغ⁴⁶، القل، البابور⁴⁷، تاكسانة⁴⁸، وأخيرا غابة أكفادو⁴⁹ بالولاية الثالثة، لتتولى هذه الأخيرة تسليم الأسلحة و الذخيرة إلى الولاية الرابعة⁵⁰. كما كانت مقابل ذلك

تقدم خدمات جليلة لقوافل التسليح التي كانت ترسلها الولايات، وذلك حتى قبل تأسيسها رسمياً، مما جعل العقيد عميروش - الذي استفاد من خدمات مائة و خمسين جندياً للقاعدة عام 1957، ساعدته على حمل السلاح-⁵¹ يوجه لقيادتها رسالة شكر على المساعدات التي قدموها لقوافل الولاية الثالثة، وذلك بتاريخ 08 مارس 1958⁵²، كما أكد الرائد " الطيب صديقي " بأن الولاية الثالثة قد تلقت قافلة أو اثنتين من جنود جيش الحدود، حملت لها السلاح⁵³.

استعملت قوافل التسليح في البداية البغال والجنود لحمل الأسلحة و الذخائر، إلا أن التجربة أثبتت عدم نجاعتها لسهولة اكتشافها، فحل محلها المجاهد الذي يحمل سلاحه الخاص و أربع قطع من الأسلحة الخفيفة، و خمسمائة طلقة (خرطوشة). أما بالنسبة للسلاح الثقيل فإن كل مجاهد يحمل قطعة سلاح و سلاحه الشخصي و ذخيرة مدفع هاون من عيار 45 ملم إلى 120 ملم⁵⁴.

والحقيقة أن انتقال قوافل التسليح من الحدود التونسية إلى عمق التراب الوطني، سواء من قوافل القاعدة الشرقية المكلفة بهذه المهمة، أو فرق وكتائب الولايات التي تتجه إلى الحدود ذهاباً و أياباً، يعتبر نموذجاً للتعاون في مجال التسليح، بحكم صرامة التعليمات المطبقة من نقطة الانطلاق إلى غاية إكمال المهمة، ويكون ذلك باحترام المراحل الآتية:

- قبل انطلاق الكتيبة أو القافلة تكون الولاية المعنية على علم بذلك،

- ويسلم قائد الكتيبة قائمة الأسلحة و الذخيرة التي سيتم إيصالها إلى الولاية المعنية، بالإضافة إلى "رخصة مرور" تسمح له بدخول الولايات التي يعبرها.
- يحمل قائد الكتيبة رسالة من قائد القاعدة الشرقية أو من نيوبه، إلى قائد الولاية المعنية، توضح اسم قائد الكتيبة و نوابه و المهمة التي أوكلت له.
- بعد بلوغ الكتيبة الولاية المعنية، وعزمها على العودة، يضع قائد الولاية ختم ولايته و توقيعها على قائمة الأسلحة، مع تسجيل ملاحظاته المتعلقة باستلامه لجميع الأسلحة و الذخيرة الموجودة في القائمة ، مع الإشارة إلى النقص الذي وجدته، إن حدث ذلك، ليتولى قائد الكتيبة تسليم هذه القائمة من جديد إلى قائد القاعدة الشرقية أو من نيوبه.
- يسلم قائد الكتيبة دفترًا صغيرًا يحتوي على مجموعة من رخص المرور الرسمية لاستعمالها داخل الولاية التي يسلمها الأسلحة، و التي يمكن بها عادةً لأيام قليلة، كما يستعمل هذه الرخص عندما يرسل فوج الاستطلاع داخل الولاية، أو عند إرسال أحد أفراد الكتيبة للاتصال بقائد من القادة في الولاية، أو برئيس مركز من مراكز الأكل.
- للاحتياط يسلم قائد الكتيبة مبلغًا من المال لاستعماله عند الضرورة، ويجب عليه أن يشعر قيادة القاعدة الشرقية عن طريق جهاز اللاسلكي أو الرسائل التي تصل عن طريق الولايات التي تمر بها الكتيبة (إذا تعطل الجهاز) ، عند الوصول إلى كل نقطة من نقاط المسافة الفاصلة.
- يرافق الكتيبة دليل عسكري و دليل من المسبلين التابعين لكل دشرة تمر

بها الكتيبة، وتمنح الكتيبة كلمة السر لكل منطقة تحل بها، ويكون لها كلمة سر خاصة تتغير كل أربع و عشرين ساعة.

- يرافق هذه الكتيبة عادة ممرض وكاتب في كل فصيلة من الكتيبة⁵⁵، ويمكن لهذه الكتيبة أن تستفيد من الخدمات الصحية للولايات التي تمر بها إذا دعت الضرورة لذلك، وهذا ما أكد عليه الدكتور "الأمين خان" طبيب الولاية الثانية⁵⁶ سنة 1956 - 1958.

مقابل كل هذه المراحل التي تمر بها قافلة التموين من نقطة الانطلاق حتى نقطة الوصول، كانت تزود بتعليمات صارمة تنص أساسا على عدم التدخل في شؤون الولايات التي تمر عبر ترابها⁵⁷، وكذا عدم الاشتباك مع العدو إلا للضرورة القصوى، لأن مهمتها تتمثل في إيصال الذخيرة والسلاح إلى عمق التراب الوطني وليس الكمائن و الاشتباكات⁵⁸.

لقد كانت سنة 1957 حافلة بتسليح الولايات الداخلية بالأسلحة الأوتوماتيكية؛ حيث تذكر بعض المصادر و المراجع التي تناولت تاريخ القاعدة الشرقية، أن عدد الأسلحة التي سلمتها هذه القاعدة إلى الولايات الداخلية بواسطة القوافل بلغت ثلاثة آلاف و سبعة عشر (3017) قطعة⁵⁹ سلاح أوتوماتيكية، من البندقية والرشاش الصغير الحجم والكبير إلى مدافع الهاون المختلفة العيارات، وقد استمرت هذه العملية حتى أواخر 1958، وهي السنة التي أصبحت فيها هذه المنطقة تعرف بالمناطق الحدودية، فعرفت تنظيما جديدا تحت قيادة هيئة أركان الشرق بقيادة "محمد السعيد"، حيث بقيت

الفيالق مرابضة داخل الحدود التونسية بعد أن قدمت من الداخل لنقل الأسلحة، لكنها استقرت و لم تعد⁶⁰.

ومن الأمثلة التي نريد أن نسوقها حول قوافل و كتائب التسليح التي أرسلتها القاعدة الشرقية نحو الولايات الداخلية، والتي أجمعت عليها جل المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ المنطقة ما يلي:

1. عبور كتيبة بقيادة "محمد القبائلي" في بداية 1957 إلى الولاية الثالثة

بعمق التراب الوطني، و قد استشهد قائد الكتيبة، بعد أداء المهمة.

2. عبور قافلة بقيادة "شمام عمار" (المدعو شكاي عمار) وذلك نهاية

سنة 1957، وعودتها بسلام إلى مركز القيادة بعد أداء المهمة في

الولاية الثالثة.

3. عبور كتيبة بقيادة "يوسف لطرش" سنة 1957، حيث وصلت إلى

غاية البرواقية بالولاية الرابعة، ثم عادت إلى مركزها.

4. عبور قافلة بقيادة "أحمد البسباسي" في ربيع 1957، إلى الولاية

الثالثة، ثم العودة إلى مقر قيادة الفيلق الأول بسلام.

5. عبور قافلة تتكون من كتيبة، تحت قيادة "قنون سليمان" المدعو

سليمان لاصو) سنة 1958 وذلك نحو الولاية الثالثة.

6. عبور كتيبتين تحت حماية الفيلق الرابع، بقيادة "محمد الأخضر سرين"

في شهر أوت من سنة 1958. والجدير بالذكر أن الكتيبتين كانتا

من كتائب تمويل الولايات بالأسلحة، وقد بدأ تحركهما منذ شهر

ماي، حيث قام الفيلق السابق الذكر بقطع الأسلاك الشائكة و نزع الألغام أمام الكتيبتين، و قد أدى هذا التحرك إلى وقوع معركة بين قوات العدو و الفيلق الرابع من جهة، وقوات العدو والكتيبتين من جهة ثانية؛ حيث كانتا بعيدتين عن الفيلق ببضع كيلومترات، وقد انتقلت هذه المعركة من منطقة إلى أخرى حتى حدود الولاية الثانية، وبالضبط إلى منطقة ماونة⁶¹.

7. عبور كتيبة بقيادة "محمد حيدوش" مسلحة تسليحا حديثا، ومجهزة بأجهزة اتصال، وجهتها الولاية الثانية، وقد اشتبكت في معركة كبيرة مع العدو بوادي سيوس على مشارف مدينة عنابة⁶².

إن موقع القاعدة الشرقية على الحدود التونسية، هو الذي جعلها تضطلع بعمليات التسليح وعمليات العبور، سواء عبر خطي "شال و موريس" - بعد إقامتهما- إلى الأراضي التونسية، ثم الدخول إلى أرض الوطن، أو العبور عبر الولايات، انطلاقا من نقاط مختلفة نحو الولايات الداخلية، خصوصا المنطقة الشمالية الشرقية للقاعدة (الطارف)، التي أعلنت في إطار تنظيماتها التي كانت تسير التطور العسكري والتنظيمي عن تأسيس أربعة فيالق، شكل الفيلق الرابع منها خصيصا، للعبور نحو عمق التراب الوطني لإيصال الأسلحة و الذخيرة⁶³، وذلك في مطلع سنة 1958 بالقواعد الخلفية، بعد تجميع عناصره من الفيالق الثلاثة السابقة الذكر. وهذا نظرا لازدياد عدد المتطوعين في صفوف جيش التحرير من الشباب.

ومما تجدر الإشارة إليه أن تدريب هذا الفيلق قد شرع فيه في فيفري سنة 1958، مع جنود كتائب الولاية الثانية لإعدادهم للمهام المستقبلية التي تنتظره، والمتثلة أساسا في مهام قتالية ضد العدو، وتأمين ومرافقة قوافل المجاهدين القادمين من الولايات والعائدين إليها، وقد خاض معارك عديدة كانت أكبرها معركة سوق اهراس الكبرى يوم 1958/04/26، التي كان سببها الرئيس حماية قافلة لنقل الأسلحة كانت متوجهة نحو الولاية الثانية، و التي شاركت فيها ثلاث كتائب⁶⁴ من هذه الولاية، وقد استشهد فيها جنود من مختلف جهات الوطن.⁶⁵

وحول دور القاعدة الشرقية في تسليح الولاية الثانية، فإن أحد قادة هذه الأخيرة وهو "الطاهر بودربالة" المسؤول العسكري لنفس الولاية يؤكد بأنه " (...) منذ نهاية عام 1957 لم تصل قطعة سلاح واحدة من القاعدة الشرقية إلى الولاية الثانية"⁶⁶.

وما يفهم ضمنا من شهادة المسؤول العسكري للولاية الثانية، أن هذه الأخيرة قد استفادت من قوافل تسليح القاعدة الشرقية قبل نهاية 1957 بشكل أو بآخر، وقد أكد مجاهدو هذه القاعدة في هذا الشأن، بأن عدد القوافل المرسله في الأشهر الستة الأولى من سنة 1957 هو خمس قوافل، بمعدل (120) مائة وعشرين جنديا لكل قافلة، يحمل كل واحد من الجنود بندقيتين وحوالي ثماني مائة (800) طلقة وقنبلتين يدويتين.⁶⁷

ثالثا: قوافل التسليح الموجهة نحو الحدود الشرقية:

اتجهت عمليات جلب السلاح منذ البداية إلى الحدود الشرقية و الغربية، وكان وضع الولايات (المناطق قبل الصومام) مختلفا انطلاقا من موقعها الجغرافي؛ حيث نجد الولايات: الأولى، الثانية والخامسة في وضع أحسن، بحكم قربها من الحدود وقصر الطريق الذي تسلكه قوافلها نحو مصادر التسليح الذي لعبت فيه القاعدة الشرقية دورا مميزا كما أشرنا، و من ثمة قلة الأخطار التي كانت تواجهها⁶⁸، في الوقت الذي نجد فيه وضع الولايات الأخرى صعبا للغاية، و خصوصا الولايتين الثالثة والرابعة الواقعتين في عمق التراب الوطني، فكان عليهما بذل مجهودات كبيرة للحصول على السلاح.

لقد عينت لجنة التنسيق و التنفيذ بعد مؤتمر الصومام العقيد بن "عمار بن عودة" من الولاية الثانية و"عمر أوعمران" من الولاية الرابعة؛ الأول مكلف بتزويد الولايات بالأسلحة و الثاني مكلف بالشؤون السياسية والعسكرية، وفي 1956/11/20 تمكن بن عودة من إدخال كمية من الأسلحة وزعها على الولايات كالاتي:

- الولاية الأولى: تحصلت على أربعمائة(400) بندقية رشاشة مع الذخيرة.
- الولاية الثانية تحصلت على أربعمائة (400)بندقية رشاشة مع الذخيرة.
- الولاية الثالثة تحصلت على أربعمائة وخمسين(450) بندقية رشاشة مع الذخيرة.
- الولاية الرابعة خمسمائة وخمسين (550)بندقية رشاشة مع الذخيرة.
- القاعدة الشرقية مائة (100)بندقية رشاشة مع الذخيرة⁶⁹.

وعلى الرغم من وصول هذه الشحنة من الأسلحة نحو الولايات، من المكلفين بمهام التسليح، بما في ذلك القاعدة الشرقية وجيش الحدود فيما بعد، فإن اضطراب العلاقات بين مختلف القيادات على الحدود الشرقية، جعل الولايات تواصل بعث قوافل التسليح لهذه المناطق.

وقد كانت قوافل تسليح الولاياتين الثالثة و الرابعة تتجه عبر الولاياتين الثانية والأولى والقاعدة الشرقية نحو الحدود الجزائرية التونسية، وعبر الولاية الخامسة بالنسبة للولاياتين الرابعة (التي استفادت من الجبهتين الشرقية و الغربية) والسادسة، نحو الحدود الغربية.

وكانت هذه القوافل تجدد كل الدعم والمساعدة من الولايات التي تعبرها، بداية من مراكز الاتصال التي نصبت على طول الطريق الذي تسلكه، إلى الحصول على خدمات أخرى في مختلف المجالات، فكانت الولاية الثانية مثلا، " الممر الآمن لقوافل الولاية الثالثة التي كانت تذهب لتونس لجلب السلاح، كما كانت الممر الآمن لخروج قادة الولاية الثالثة والرابعة نحو تونس شتاء 1957، كريم بلقاسم وعمراً وعمران و مرافقوهم..."⁷⁰، وقد أشار إلى ذلك قائد الولاية الثانية العقيد "علي كافي"، حينما تطرق إلى علاقة ولايته بالولاية الثالثة بقوله: " علاقة عادية بخصوص المرور و التمير " (جنود، بضائع و سلاح) غير أن الاتصال غير منتظم⁷¹.

كما لعبت الولاية الثالثة دور الوسيط بين قوافل التسليح لجيش الحدود والولاية الرابعة، حيث ترسل هذه الأخيرة مبعوثين إلى منطقة القبائل لهذا

الغرض على غرار ما حدث في أواخر عام 1957؛ حيث أرسل كل من "مصطفى بن عمر" و"الطيب الجعلاي" نحو الولاية الثالثة⁷²، وكثيرا ما كانت الولاية الرابعة ترسل قوافلها إلى الحدود الشرقية والغربية على السواء، إلا أنها كانت أكثر كثافة باتجاه الشرق، على الرغم من الوضع الخاص الذي كانت تعرفه الحدود الشرقية التي لم تكن خاضعة لقيادة ثورية واحدة؛ حيث نجد القسم الشمالي من الحدود الشرقية تابعا لقاعدة سوق اهراس (القاعدة الشرقية) التي تشترك معها الولاية الثانية، في الوقت الذي تشترك فيه هذه الأخيرة مع الولاية الأولى في القسم الأوسط من الحدود.

وقد انعكس هذا الوضع سلبا على عمليات التسليح وساعد - حسب البعض - على وضع الأسلاك المكهربة، حيث أصبح كل فريق من الثوار يعتمد على مقاومة الفريق الآخر لخطة وضع هذه الأسلاك، ولم يتكلف بها أي قسم بصورة جدية وفعالة، مما جعل العدو ينجح في إغلاق الحدود تدريجيا، و يقلل من سير القوافل من الداخل إلى الخارج⁷³، ولو أن بعض الكتابات الأجنبية تذكر بأن "عمارة بوقلاز" الذي أصبح قائدا للقاعدة الشرقية، قد ترك القوات الاستعمارية تعمل بكل حرية في مد الأسلاك الشائكة، لأن ذلك يسمح له بإيجاد مصدر للاشتراكات من العمال الجزائريين الذين استعملتهم فرنسا في مدها لهذه الأسلاك، كما ينظر إلى إمكانية استعمال هؤلاء كمرشدين في اختراق هذه الخطوط مستقبلا⁷⁴.

وإذا كان الأمر يبدو منطقيا، وأثبتته الواقع التاريخي لعمليات التسليح،

حيث اعتمدت قوافل تسليح الولايات - فعلا- على العديد من الأدلة الذين اشتغلوا في الخطوط المكهربة، فإن الأمر الأول المتعلق بجمع الاشتراكات يبدو بعيدا عن المنطق، لأن "بوقلاز" لم يكن بمقدوره أن يمنع القوات الاستعمارية من مد هذه الأسلاك حتى ولو أراد ذلك، لأن القيادة العسكرية الفرنسية كانت قد صممت على غلق الحدود، باعتبارها مصدر السلاح بالنسبة للثورة التحريرية، بتسخير إمكانيات كبيرة، رغم أن هذا لا يمنع من دفع الاشتراكات من طرف العمال، ولهذا فإن تفكك القيادة واضطراب العلاقات على الحدود الشرقية يبدو في نظرنا العامل المساعد الأقوى الذي حال دون مقاومة إقامة السدين المكهربين " شال و موريس " .

فالموضع المتداخل بين الولايتين الثانية والأولى والقاعدة الشرقية، فيما يخص القيادة في هذه المناطق من جهة، واضطراب الأوضاع بين هذه الأطراف، خصوصا الولاية الأولى من جهة ثانية، جعل قوافل تسليح الولايتين الرابعة والثالثة تتعرض للمضايقات من طرف وحدات المنشقين بالولاية الأولى التي تصل أحيانا إلى حد اغتيال بعض جنودها⁷⁵.

وقد ذكر لنا ضابط الولاية الثالثة "عبدالحفيظ أمقران" بأن كتائب تسليح الولاية الثالثة كانت تسأل من طرف المنشقين إذا كانت من جبهة التحرير أم من جيش التحرير، وهي إشارة واضحة للتأثيرات التي خلقها مبدأ " أولوية السياسي على العسكري " الذي أقره مؤتمر الصومام، والذي وجد معارضة شديدة من العديد من قيادة الولاية الأولى (أوراس النمامشة)، وكانت هذه

الكتائب كثيرا ما تضطر إلى اقتسام السلاح معها⁷⁶، وفي نفس السياق ذكر المؤرخ الفرنسي " Gilbert Meynier " (جيلبير مينييه) أن "محمد لعموري" وبعد تنصيبه على رأس الولاية الأولى في ديسمبر 1957، لم يتردد في مضايقة قوافل التسليح الخاصة بالولايتين الثالثة⁷⁷ والرابعة، و استيلائه على أسلحتها لتقوية فرقه العسكرية، بل إن " عيسى مسعود " - حسب نفس المصدر - وهو أحد الذين أعلنوا عدم اعترافهم بقرارات مؤتمر الصومام منذ البداية، لم يتردد في اغتيال مائة و ستة و أربعين (146) شابا من منطقة القبائل، كانوا متوجهين نحو تونس لجلب السلاح⁷⁸.

ولم تكن العلاقة بين قائد الولاية الثانية " عبدالله بن طوبال " - الذي تولى قيادة الولاية بعد استشهاد زيغود يوم 1956/09/25 - و"عمارة بوقلاز" قائد القاعدة الشرقية على ما يرام، نتيجة لاستمرار "بن طوبال" في المطالبة باسترجاع القاعدة الشرقية كمنطقة حدودية تابعة للولاية الثانية، حسب ما أقره مؤتمر الصومام، وهذه الوضعية جعلته يتخوف من احتمال الإبقاء على الأسلحة المخصصة لولايته مكدسة على الحدود⁷⁹.

إن العلاقات المتوترة على الحدود الشرقية بين الأطراف السابقة الذكر من جهة، وإقدام المنشقين على عرقلة تسليح الولايتين الثالثة والرابعة، يجعلنا نتساءل عن الأسباب التي تقف وراء هذا الاضطراب والتوتر، فإذا كانت العلاقة بين الأطراف السابقة الذكر قد اضطرت بفعل الصراع على القيادة منذ الفترة التي سبقت انعقاد مؤتمر الصومام، وعلى المنطقة الحدودية مع تونس

كقاعدة لوجيستكية ذات أهمية خاصة في التمويل والتسليح - كانت محل مساومة من الوفد الخارجي و الولايات الداخلية ممثلة في لجنة التنسيق و التنفيذ - فإن السؤال الذي يبقى مطروحا هو: لماذا لم تطبق قرارات مؤتمر الصومام في مسألة إعادة ضم القاعدة الشرقية إلى الولاية الأم (الشمال القسنطيني)؟ و على ما يبدو فإن إقدام لجنة التنسيق والتنفيذ على تثبيت القاعدة الشرقية كقاعدة مستقلة عن الولايتين الثانية والأولى، إنما يعود إلى محاولتها وضع حد للخلاف وعدم تعميقه بين العناصر المتنازعة، وسحب ورقة الضغط التي كانت تسام بها العناصر المناوئة للمؤتمر، وهي القاعدة الشرقية التي كانت أكثر ميلا لرفض قرارات مؤتمر الصومام، أما اعتراض المنشقين لقوافل تسليح الولايتين الرابعة والثالثة، فنعتقد أنه لا ينفصل بدوره عن تأثيرات مؤتمر الصومام و مهمة "عميروش" في الولاية الأولى.

إن تمكن الاستعمار من تدعيم الخطوط المكهربة في سنة 1958، قد أدى إلى التقليل من إرسال القوافل نحو الحدود، حيث أصبح ذلك يخضع إلى إعداد مسبق و تخطيط كبير، كما أدى بالمقابل إلى تجميع عدد كبير من مجاهدي الولايات: الأولى، الثانية، الثالثة و الرابعة على الحدود، فتكونت النواة الأولى لما عرف بجيش الحدود. وفي هذا الشأن كتب "بوالطمين جودي لخضر" ما يلي: "... إن بقاء عدة قوافل من الولاية الثانية و الولاية الثالثة التي كانت تمر عبر الولاية الثانية، كانت النواة الأولى لتكوين جيش تحرير جزائري في التراب التونسي، و كان السبب في إنشاء قيادة أركان

جيش التحرير بالحدود، ولكنها قيادة لم تستطع فك الحصار الذي فرضه العدو على الداخل...⁸⁰.

و بحكم هذه الوضعية المضطربة فقد اتجهت لجنة التنسيق والتنفيذ إلى إنشاء ممثلات للولايات لاستقبال قوافل التسليح والانفاق عليها في تونس، مقابل تقليص دور القاعدة الشرقية، بعد أن كانت هي المكلفة بعملية التسليح من الخارج⁸¹؛ فأرسلت الولاية الرابعة بعثة أولى نحو الولاية الأولى بقيادة " سعيد موسوني " للإشراف على عمليات التسليح الخاصة بها، نظرا لما كانت تعرفه منطقة الأوراس من مشاكل، ثم بعثة ثانية بقيادة " الطيب الجغلالي "⁸²، وفي 1957/12/05 تم تمديد مهمة الملازم الأول " سعيد موسوني " للقيام بنفس المهام من طرف الولاية الرابعة، حيث سلم له " إجراء " للقيام بذلك، و لتسهيل حركته بكل حرية بالولاية الأولى تسلم " جواز مرور " من قيادة المنطقة الأولى للولاية الأولى بتاريخ 1959/10/20.

وحول فصائل تسليح الولاية الرابعة الذين تم توجيههم نحو القاعدة الشرقية كتب الرائد " لخضر بورقعة " ما يلي: " كان توجه فصائل مقاتلي الولاية الرابعة إلى القاعدة الشرقية معهودا، و أذكر أن عدد مجاهديها الذين استشهدوا في الولاية الأولى في ذهابهم و مجيئهم بلغ ثماني (08) كتائب (...). أما دور مبعوث الولاية الرابعة النقيب سي موسوني فلم يكن مقصورا على تمثيل قائده سي محمد، بل تعداه إلى تقديم عروض شاملة و دقيقة عن مجمل الأحداث و الحوادث التي تنشأ هنا و

هناك، وهي بدورها تحول في تقرير مفصل إلى القيادة في الخارج، وقد تحمل نفس المسؤولية إشارات آخرون، أذكر من بينهم الطيب الجفلاي و عمر محجوب (...)، ليست من المبالغة في شيء إذا أكدنا أن ما تحمله مجاهدونا ، وهم في طريقهم إلى مناطق الحدود الشرقية، على غرار مجاهدي الولاية الثالثة، يتجاوز كل تقدير (...). رغم هم هذه المسؤولية و إقدام الرجال عليها خدمة لواجب الثورة، تجرأ بعض أصحاب الفتنة من الدس على كتائبنا من المجاهدين و التشكيك في نواياهم، و ذهب بهم الأمر إلى تجريدهم من السلاح، بل إلى الإجهاز عليهم و تصفيتهم جسديا ...⁸³.

في الوقت الذي نجد فيه الولاية الثانية تعين "عبدالقادر عيفة" (المعروف باسم محجوب) ممثلاً لها يختص في الإشراف على التسليح، على غرار ما فعلته الولاية الرابعة. وقد كانت المنطقة الثالثة من الولاية الثانية منطقة عبور لقوافل التسليح نحو المناطق الأخرى للولاية الثانية، بعدما كلفت بذلك من طرف قائد الولاية⁸⁴ أما الولاية الثالثة فقد كان ممثلها الذي يشرف على عملية نقل السلاح بينها وبين الولاية الأولى هو الضابط "عبدالقادر البريكي".

و رغم الدور الذي لعبته ممثلات الولايات في عمليات التسليح على الحدود الشرقية ، فإنها كانت - حسب بوقلاز - سببا من أسباب فشل القوافل، حيث أدى ذلك إلى تداخل دورها و مهامها مع دور القاعدة الشرقية، وسهل على المخابرات الفرنسية في تونس، معرفة تاريخ تحرك القوافل نحو

الداخل، و خط سيرها مسبقا، وهو ما جعلها تتلقى الضربات الموجعة⁸⁵؛ حيث لا يعود من جنودها في بعض الأحيان إلا الثلث، وأحيانا يباد بعضها عن آخره⁸⁶. وقد ساهم جيش الحدود في دعم قوافل التسليح التي كانت الولايات تبعثها، حسب تأكيد العديد من المصادر، إلا أنه كان من الأجدر أن يواصل بنفسه هذه المهمة، نظرا للأخطار التي تعترض هذه القوافل خصوصا من الولايتين الثالثة و الرابعة البعديتين عن الحدود.

رابعا: قوافل التسليح الموجهة نحو الحدود الغربية:

اختلفت عمليات التسليح من الجهة الغربية عن سابقتها الشرقية؛ وذلك لكون الولاية الخامسة قد عرفت استقرار قيادتها منذ النشأة في الأراضي المغربية (قرب مدينة وجدة)؛ حيث يسيرونها عن بعد، وكانت مراقبة سير العمليات في الميدان لا تتم إلا بإرسال بعثات من حين لآخر، في حين أن المنهجية المتبعة في تعيين عضو مجلس الولاية هي تسمية أحد رؤساء المناطق، ثم مطالبته بالالتحاق بمركز القيادة بالخارج⁸⁷.

بالإضافة إلى الميزة المذكورة ، فإن القوافل التي كانت تتجه نحو الحدود الغربية قليلة، لكون عمر الولاية السادسة لم يتعد - عمليا - ثلاث سنوات و نصف، نظرا لتأخر ظهورها إلى ما بعد الصومام، ثم إقدام لجنة التنسيق والتنفيذ على حلها مرتين بين سنتي 1957 - 1958، ناهيك عن كون الولاية الرابعة كانت توجه قوافلها نحو الحدود الشرقية في معظم الأحيان.

لقد أدى هذا الوضع الخاص، إلى بروز بعض المصاعب في مجال التسليح

من الحدود الغربية عبر الولاية الخامسة؛ حيث أقدم بعض قادة المنطقة السابعة من الولاية المذكورة على احتجاز الأسلحة التي كانت موجهة إلى الولاية الرابعة في صيف 1957⁸⁸؛ إذ بقيت قيادة الولاية الرابعة تنتظر هذه الشحنة من الأسلحة، و قد أثار ذلك " (...) جدالا أخذ أبعادا أخرى بفعل طول الانتظار من جهة، و موقف كل من الرائد سليمان (قائد أحمد) لصالح الولاية الخامسة، وعمر أوصديق لصالح الولاية الرابعة"⁸⁹، و بعد الحوار بين قيادة المناطق و على رأسها المنطقة السابعة من الولاية الخامسة، و قيادة الولاية الرابعة ممثلة في قائدها " محمد بوقرة " و قادة آخرين، تسلمت هذه الأخيرة شحنة الأسلحة.

وحسب "محمد لمقامي" أحد قادة الولاية الخامسة، فإن الفترة الممتدة ما بين الفصل الأخير من 1957 حتى أواخر 1958، شهدت إرسال ما لا يقل عن 15 سرية خاصة باتجاه الولايتين الرابعة والسادسة" (...) بعض هذه السرايا كانت تنقل الأسلحة من جبال تلمسان إلى جبال الونشريس، وتقطع المسافة ما بين شهرين إلى ثلاثة..."⁹⁰

الخاتمة:

من خلال ما سبق نستنتج النتائج الآتية:

- 1- ادراك قادة الثورة التحريرية لأهمية السلاح في مشروعهم الثوري، وذلك منذ تأسيس المنظمة الخاصة في فيفري 1947، من خلال جمع الأسلحة وتخزينها لبلورة هذا المشروع على أرض الواقع.

- 2- اعتماد هؤلاء القادة عند اندلاع الثورة التحريرية في الأول من نوفمبر 1954 على المصادر الذاتية في عملية التسليح، من خلال جمع بنادق الصيد المرخصة وغير المرخصة، والاتجاه الى افتكاك السلاح من أيدي الأعداء بشتى الوسائل والطرائق.
- 3- نجاح هؤلاء القادة في مواجهة مشكلة نقص السلاح عند اندلاع الثورة، وذلك بالاعتماد على ما توفر للمنطقة الأولى (الأوراس) مقارنة بالمناطق الأخرى، بالإضافة الى اللجوء الى تكوين القواعد الخلفية للثورة من خلال التجنيد المدني (المسبلين)، ريثما يشتد عود الكفاح المسلح.
- 4- تمكن جبهة التحرير الوطني من كسب تعاطف الدول الشقيقة والصديقة في مجال التسليح؛ حيث تحصلت على شحنات هامة من السلاح والذخيرة من العديد من الدول العربية في الفترة الممتدة بين 1954-1958 خصوصا من مصر وسوريا.
- 5- اتجاه عمليات تسليح الثورة الجزائرية منذ اندلاعها الى الحدود الشرقية والغربية، وذلك عن طريق المبادرات الفردية لقادة المناطق الحدودية في البداية، وتكليف القاعدة الشرقية بعمليات التسليح بداية من خريف 1956، وارسال الولايات لقوافل التسليح في مرحلة لاحقة بعدما اشتدت الحاجة الى السلاح مع اتساع لهيب الثورة.
- 6- ان اعتماد قادة الثورة التحريرية على الحدود الشرقية والغربية في

عمليات التسليح، واستعداد القيادة السياسية لكل من ليبيا، وتونس والمغرب بعد نيل استقلالهما - وحتى قبل ذلك -، جعل للثورة قواعد خلفية في هذه الدول، لاسيما في الدولتين الأخيرتين، وليس أدل على ذلك من تأسيس " لجنة العمليات العسكرية " (C.O.M) على الحدود المذكورة (الشرقية والغربية) في أكتوبر 1958، واقامة العدو الفرنسي للخطوط الشائكة المكهربة في هذه المناطق.

7- أدى الوضع المذكور الى تسجيل محطات ناصعة في عمليات التسليح، التي كان لها الأثر الكبير على اشتداد لهيب الثورة الجزائرية بين 1954-1958.

¹ قرآن كريم، سورة الأنفال، الآية. 60

² Hocine ait ahmed ; « L'affaire des armes du slovenija », **Historia Magazine**, n° 238 du 10. 07. 1972, p 1275.

³ Mohamed Harbi : **Les Archives de la révolution algérienne**, éditions jeune Afrique, paris 1980, p 33.

⁴ الطاهر جبلي، الامداد بالسلاح خلال الثورة الجزائرية 1954-1962، دار الأمة، الجزائر 2013، ص 44.

⁵ عبد الرحمن عمراي، " التسليح أثناء الثورة " ، في التسليح والمواصلات أثناء الثورة التحريرية 1956 - 1962، م.و.د.ب.ح.ث. أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر 2001، ص ص 95-96.

- ⁶ شهادة محمد بوضياف لمحمد عباس، ثوار...عظماء شهادات 17 شخصية وطنية، دار هومة، الجزائر 2003، ص 18.
- ⁷ عمارقليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، ط 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1991، ص 231.
- ⁸ عبد الرحمن عمراي، المرجع السابق، ص 96.
- ⁹ نقلا عن عمارقليل، المرجع السابق، ص 234.
- ¹⁰ محمد عباس، المرجع السابق، ص ص 54-55.
- ¹¹ عمار قليل، المرجع السابق، ص 235.
- ¹² نقلا عن محمد لحسن أزغيدى، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص 56.
- ¹³ عمار قليل، المرجع السابق، ص 235.
- ¹⁴ هي مؤامرة دبرها قادة الجيش الفرنسي بالتنسيق مع الحاكم العام " جاك سوستيل "؛ حيث عملوا من خلالها على تجنيد عدد هام من رجال منطقة القبائل وتسليحهم على غرار كتائب جيش التحرير الوطني ليندسوا بين جنوده، ثم لينقلبوا عليه بعد ذلك، وقد شرع في التمهيد لهذه المؤامرة في شهر نوفمبر 1955 وانتهت بالتحاق من تم تسليحهم بالثورة في سبتمبر 1956 (للمزيد حول هذه المؤامرة أنظر، يحي بوعزيز، الثورة في الولاية الثالثة 1 نوفمبر 1954 - 1962، ط 1، دار الأمة، الجزائر 2004، ص ص 113-126)
- ¹⁵ الطاهر جبلي، المرجع السابق، ص 139.
- ¹⁶ للاطلاع على أهم هذه العمليات، أنظر المرجع نفسه، ص ص 140 - 168.
- ¹⁷ عمار قليل، المرجع السابق، ص 259.

- ¹⁸ للمزيد حول هذه القضايا، أنظر الطاهر جبلي، المرجع السابق، ص ص 169-198.
- ¹⁹ نقلا عن عمار قليل، المرجع السابق، ص ص 263-264.
- ²⁰ هم: توفيق المدني، الأمين دباغين، أحمد فرانسيس وفرحات عباس
- ²¹ أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مع ركب الثورة التحريرية، ج 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 170.
- ²² سعيدي وهيبية، الثورة الجزائرية ومشكلة السلاح 1954-1962، دار المعرفة، الجزائر 2009، ص 79.
- ²³ عمار قليل، المرجع السابق، ص 265.
- ²⁴ الطاهر جبلي، المرجع السابق، ص ص 183-184.
- ²⁵ الطاهر جبلي، المرجع السابق، ص ص 185، 189.
- ²⁶ نقلا عن، سعيدي وهيبية، المرجع السابق، ص ص 64-65.
- ²⁷ المرجع نفسه، ص 66.
- ²⁸ عبد الحميد عوادي، القاعدة الشرقية، أصولها، نشأتها، تنظيمها، دورها وتطورها، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1993، ص 54
- ²⁹ هي الناحية الأولى من المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) .
- ³⁰ يوسف مناصرية، " واقع الثورة العسكري في خلال السنة الأولى، 1954-1955 " في، مصطفى بن بوالعيد والثورة الجزائرية، جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس (باتنة)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1999، ص 36.
- ³¹ إبراهيم العسكري، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية، ودور القاعدة الشرقية، دار البعث ، قسنطينة، الجزائر 1992، ص 135.

- ³² عمار قليل، ج 2، المرجع السابق ص 59.
- ³³ للاطلاع أكثر على المشاكل الداخلية، والصراعات التي عرفتھا القاعدة الشرقية، أنظر، إبراهيم العسكري، ص ص 136-139، و عبد الحميد عوادي، المرجع السابق، ص ص 50-52، و تابلت عمر، القاعدة الشرقية، نشأتها ودورها في الامداد وحرب الاستنزاف، ط 1 دار الأملية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011، ص ص 45-90.
- ³⁴ تتفق العديد من المصادر والمراجع أن هذا الاجتماع انعقد في "الماء الأحمر" بمنطقة "أولاد ضياء"، ناحية سوق أهراس.
- ³⁵ عمار قليل، ج 2، المرجع السابق، ص 59.
- ³⁶ حول أسماء النواة الأولى لقيادة منطقة سوق أهراس، أنظر عبد الحميد عوادي، المرجع السابق، ص ص 52-53، وتابلت عمر: المرجع السابق، ص ص 45-90.
- ³⁷ المرجع نفسه، ص 53.
- ³⁸ إبراهيم العسكري، المرجع السابق، ص 141.
- ³⁹ الطاهر سعيداني، مذكرات الرائد الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقية، قلب الثورة النابض، ط 1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2001، ص 46.
- ⁴⁰ حول فكرة إنشاء الأسلاك الشائكة وخطي شال و مورييس، ومواصفاتها ودورها) أنظر المصدر نفسه، ص ص 126-184)
- ⁴¹ الملتقى الولائي لكتابة تاريخ الثورة، تقرير المنطقة الشمالية للقاعدة الشرقية، للفترة الممتدة، من 1958 إلى 1962، ج 1، الطارف، 1986/9/11، ص 07.
- ⁴² عبد الحميد عوادي، المرجع السابق، ص ص 91،92.
- ⁴³ المرجع نفسه، ص 80.

- 44 من جبال منطقة سوق أهراس.
- 45 من دوائر ولاية قالمة.
- 46 من دوائر ولاية قالمة وقد اشتهرت بحمامها الذي عرف " بمحام المسخوطين "
- 47 جبال تفصل بين جيجل وسطيف كانت منطقة عبور اساسية لقوافل التسليح.
- 48 من دوائر ولاية جيجل، تمتاز بكثافة غطائها النباتي، ومتحدراتها.
- 49 من غابات الولاية الثالثة، وتشرف على حوض الصومام، وكانت مقرا لقيادة الولاية، نظرا لكثافتها.
- 50 إبراهيم العسكري، المرجع السابق، ص ص 193-194.
- 51 علي العياشي، " لقاء مع المجاهد العقيد عمارة بوقلاز " مجلة أول نوفمبر، العددان 112-113، الجزائر 1990، ص 19.
- 52 انظر نص الرسالة في المرجع نفسه، ص ص 86-87.
- 53 علي العياشي، " لقاء مع المجاهد الطيب صديقي " مجلة أول نوفمبر، العددان 108-109، الجزائر 1989، ص 28.
- 54 الطاهر سعيداني، المصدر السابق، ص ص 91، 92.
- 55 ابراهيم العسكري: المرجع السابق، ص 202، 205.
- 56 عمار قليل: المرجع السابق، ج 2، ص 307.
- 57 في حالات استثنائية كانت تحدث تجاوزات، على غرار ما حدث مع قائد الكتيبة الثالثة " سليمان لاصو " الذي أرسل بشحنة السلاح نحو الولاية الثالثة كعقوبة، وعند دخوله أراضي الولاية الثانية ارتكب تجاوزات، كما أنه رفض تسليم هذه الشحنة للولاية المعنية (ينظر عمار قليل، المرجع السابق، ص 64).

⁵⁸ كما ذكر لنا الضابط عبد الحفيظ أمقران - من ضباط الولاية الثالثة - في لقاء يوم 2003/02/09، أن قوافل التسليح كانت تتعرض في بعض الأحيان لمساومات من أجل أخذ نصيب من الأسلحة في حدود الولايتين الأولى و الثانية، وذلك حسب ما كانت ترويه هذه القوافل نفسها عند وصولها إلى الولاية الثالثة، و بأية حال فإن هذا السلاح و في حالة أخذه فإنه سيستعمل ضد العدو دون غيره، وهو ما يقلل من خطورة العملية، حسب نفس المصدر.

⁵⁹ الطاهر سعيداني، المصدر السابق، ص 105.

⁶⁰ ابراهيم العسكري: المرجع السابق، ص 196، (يذكر الرائد الطاهر سعيداني في المرجع السابق، أن القطع المنقولة هي 5500 قطعة سلاح (ص 102).

⁶¹ تقرير المنطقة الشمالية للقاعدة الشرقية، المصدر السابق، ص ص 11 - 12. والجزير بالذكر أن الرائد الطاهر سعيداني، عضو قيادة القاعدة الشرقية يؤكد هذه الحقائق مع الاختلاف الطفيف في بعض التواريخ، حيث يرجع عبور كتيبة أحمد القبائلي إلى أواخر 1956 بدل مطلع 1957، (ينظر مذكرات الطاهر سعيداني، المصدر السابق، ص 101).

⁶² تقرير المنطقة الشمالية للقاعدة الشرقية، المصدر السابق، ص، 10.

⁶³ المصدر نفسه، ص 07.

⁶⁴ كتيبة تابعة لناحية الطاهير ولاية جيجل، بقيادة يوسف بوعجمي (المدعو البونيظ) و عدد أفرادها (135) مائة و خمسة و ثلاثون مجاهدا، وكتيبة تابعة لولاية سكيكدة بقيادة محمد يسعد، و عدد أفرادها (125) مائة و خمسة و عشرون مجاهدا (انظر عبد الحميد عوادي، المرجع السابق، ص 118.

⁶⁵ المرجع نفسه، ص 118.

- ⁶⁶ عمار قليل، ج2، المرجع السابق، ص، 65.
- ⁶⁷ تقرير المنطقة الشمالية للقاعدة الشرقية، المصدر السابق، ص 129.
- ⁶⁸ Mohamed Tegua, **L'armée de libération nationale en Wilaya 4**, préface de medeleine Reberoux, casbah éditions, Alger 2002, P,63.
- ⁶⁹ عبدالرحمن عمراني، المرجع السابق، ص ص 96-97.
- ⁷⁰ شهادة بوالطمين جودي لخضر للباحث بتاريخ 2003/12/14.
- ⁷¹ شاوش حباسي، من وثائق تاريخ الثورة الجزائرية، محاضر جلسات اجتماع لجنة العشرة (11 أوت الى 16 ديسمبر 1959)، "مجلة دراسات انسانية القسم الأول، العدد الأول، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2001، ص 310.
- ⁷² مصطفى بن عمر، الطريق الشاق إلى الحرية...، دار هومة، الجزائر 2003، ص 153.
- ⁷³ بوالطمين جودي لخضر، لمحات من ثورة الجزائر، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987، ص ص، 81، 82.
- ⁷⁴ Gilbert meynier, **Histoire intérieure du F.L.N 1954 - 1962**, préface de Mohamed harbi, casbah éditions, Alger 2003, p 403.
- ⁷⁵ Mohamed Tegua, **L'Algérie en guerre** , o.p.u, Alger 1988, P P,321- 322.
- ⁷⁶ شهادة عبدالحفيظ أمقران، بتاريخ 2004/02/09، المصدر السابق.
- ⁷⁷ أكد ذلك ضابط الولاية الرابعة، محمد تقيية، في المصدرين السابقين.

Gilbert meynier, Op, cit, P, 395.⁷⁸

⁷⁹ Ibid , P, 403.

⁸⁰ بوالطمين جودي لخضر، " وقائع و صور من زمن التحدي، " مجلة أول نوفمبر، عدد 163، الجزائر 2000، ص 14.

⁸¹ علي العياشي " لقاء مع المجاهد العقيد عمارة بوقلاز "، مجلة أول نوفمبر، المرجع السابق، ص 19.

⁸² Mohamed Tegua, **L'Algérie en guerre** , Op,cit, P P,321 , 322.

⁸³ لخضر بورقعة، مذكرات سي لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، ط 2، شركة دار الأمة، الجزائر، 2000، ص ص، 22- 23.

⁸⁴ بوالطمين جودي لخضر، "وقائع و صور من زمن التحدي"، المصدر السابق، ص 13.

⁸⁵ علي العياشي، المصدر السابق، ص 19.

⁸⁶ المرجع نفسه، ص 28 .

⁸⁷ محمد صايكي، مذكرات النقيب محمد صايكي، شهادة تائر من قلب الجزائر، ط 2، دار الأمة، الجزائر 2003، ص ص، 237-238.

⁸⁸ المصدر نفسه، ص 238.

⁸⁹ مصطفى بن عمر، المصدر السابق، ص 153.

⁹⁰ شهادة محمد لمقامي، محمد عباس ، يومية الشروق، عدد، 1591، الجزائر، 23. 01. 2006، ص، 16.

المصادر والمراجع المعتمدة: أولاً: المصادر

- 1- بورقعة لخضر، مذكرات سي لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، ط2، دار الأمة، الجزائر 2000.
 - 2- بوالطمين جودي لخضر، لمحات من ثورة الجزائر، ط2، م.و.ك، الجزائر 1987.
 - 3- سعيداني الطاهر، مذكرات الرائد الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، ط1، دار الأمة، الجزائر 2001.
 - 4- صايكي محمد، مذكرات النقيب محمد صايكي، شهادة تائر من قلب الجزائر، ط2، دار الأمة، الجزائر 2003.
 - 5- عوادي عبد الحميد، القاعدة الشرقية، أصولها، نشأتها، تنظيمها، دورها وتطورها، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 1993.
 - 6- بن عمر مصطفى، الطريق الشاق الى الحرية...، دار هومة، الجزائر 2003.
 - 7- المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، مع ركب الثورة التحريرية، ج3، ش.و.ن.ت، الجزائر 1982.
- ب - الشهادات في الصحف والمجلات:
- 1- بوالطمين جودي لخضر، "وقائع من زمن التحدي" مجلة أول نوفمبر، العدد 163، الجزائر 2000.
 - 2- صديقي الطيب (المجاهد)، مجلة أول نوفمبر، العددان 108 - 109، الجزائر 1989.
 - 3- بوقلاز عمارة (العقيد)، مجلة أول نوفمبر، العددان 112 - 113، الجزائر 1990.
 - 4-

5- محمد لمقامي، محمد عباس، يومية الشروق، عدد، 1591، الجزائر، 23. 01. 2006

ج - الشهادات الشفهية:

1- أمقران عبد الحفيظ، شهادة للباحث، المجلس الاسلامي الأعلى، الجزائر العاصمة
2004.-4-9

2- بوالطمين جودي لخضر، شهادة للباحث، فسنتينة 14-12-2003.

د- التقارير الولائية لكتابة تاريخ الثورة:

الملتقى الولائي لكتابة تاريخ الثورة، تقرير المنطقة الشمالية للقاعدة الشرقية، للفترة الممتدة،
من 1958 إلى 1962، ج 1، الطارف، 1986./9/11

2- باللغة الفرنسية:

¹ Harbi Mohamed, **Les Archives de la révolution algérienne**, éditions jeune Afrique, paris 1980.

2 Teguia Mohamed, **L'armée de libération nationale en Wilaya 4**, préface de medeleine Reberoux, casbah éditions, Alger 2002.

³ Teguia Mohamed, **L'Algérie en guerre**, o.p.u, Alger 1988.

¹ Ait ahmed Hocine, «L'affaire des armes du slovenija », **Historia Magazine** n° 238 du 10. 07.1972.

ثانيا: المراجع

1- أزغيد محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية،

- م.و.ك، الجزائر 2004.
- 2- بوعزيزيحي، الثورة في الولاية الثالثة 1 نوفمبر 1954-1962، ط1، دار الأمة، الجزائر 2004.
- 3- تابليت عمر، القاعدة الشرقية، نشأتها ودورها في الإمداد وحرب الاستنزاف، ط1، الألفية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر. 2011
- 4- جبلي الطاهر، الإمداد بالسلاح خلال الثورة الجزائرية 1954-1962، دار الأمة، الجزائر 2013.
- 5- سعدي وهيب، الثورة الجزائرية ومشكلة السلاح 1954-1962، دار المعرفة، الجزائر 2009.
- 6- عباس محمد، ثوار...عظماء، شهادة 17 شخصية وطنية، دار هومة، الجزائر 2003.
- 7- العسكري عمار، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية، دار البعث قسنطينة، الجزائر 1992.
- 8- قليل عمار، ملحمة الجزائر الجديدة، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر 1991.
- ب - المقالات في الصحف والمجلات:
- 1 يوسف مناصرية، " واقع الثورة العسكري في خلال السنة الأولى، 1954-1955" في، مصطفى بن بو العيد والثورة الجزائرية، جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الوراس (باتنة)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1999
- 2-عمراني عبد الرحمان، "التسليح أثناء الثورة"، في التسليح والمواصلات أثناء

الثورة التحريرية 1956-1962 ، م.و.د.ب.ح.و.ث. أول نوفمبر 1954،

الجزائر 2001.

2 باللغة لفرنسية:

⁹⁰ Gilbert meynier, **Histoire intérieure du F.L.N**

1954 – 1962, préface de Mohamed harbi, casbah

éditions, Alger 2003.

"بين جبل الأوراس والواحات: ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الاباضية بالزاب (ق 8-9م / ق 2-3هـ) - علاوة عمارة

ترجمة: أ/ عبد القادر مباركية. جامعة 08 ماي 1945 قالمة.

Abstract

After the widespread among the Pastoralist communities in Tripoli, Ibadism spread rapidly in the Aures and the oasis which were situated in the north of the Sahara. The Hawwâra, BaniBirzâl the Miknasa and BaniKimlân adopted this religious current, giving a birth of the Ibadit province called by the Arabic texts Zab. Nomadism, which was the dominated lifestyle in this area, favored the spread of this religious current and led to the integration of rural communities in the territory of the Imamate of Tahart. After a half century, however, the Ibadit communities 'Zab' reorganized into two rival branches the Wabhisme and Nukkârisme. This new situation coincided with the intensification of the propaganda activity of both Shi'ite and Sunni Maliki in the urban centers of Zab provoked a military response from Nukkârisme under the command of Abu Yazid. Threatened by the dynasties of the northern Maghreb, Ibadit communities were gradually pushed to the oases of the Sahara or disappeared from the stage. This loss of land was accelerated after the arrival of the BanuHilal, causing the formation of a new socio-religious map in the

region.

إذا كانت التجربة السياسية للإباضية ببلاد المغرب قد شكلت موضوعا للعديد من الأعمال ذات القيم المتفاوتة (زروقي، 1987. Rebstok, 1983. 1983. Shwartz, 1983. مجاز، 1985)، فإنه يوجد عدد قليل من الدراسات حول التجمعات الإباضية المستقرّة بالمناطق الريفية للمغرب الأوسط. إذن من اللازم هنا أن نطرح إشكال عن حضورهم في هذه المناطق، لقد انطلق لوفيتشكي في هذا التخمين بدراسة التوزع الجغرافي للإباضية بالمغرب الوسيط، وعلى الخصوص في تونس Lewicki, 1958. Lewicki, 1957. Lewicki, 1958 (b) [.(a).] مجددا للتيارات التأسيسية للإباضية (Lewicki, 1958 (b)). وقد ركز كذلك على واحدة من تياراتها المعارضة للوهبية- المذهب الرسمي الذي دافع عنه رستمّي تاهرت- في مقاله الذي خصّه حول بني مسالمة المملكة المنشقة (Lewicki, 1968). إن أغلب الدراسات المنجزة منذ ذلك الحين ساهمت بصورة واسعة في تحسين معارفنا حول التوطين الاباضي في بعض مناطق بلاد المغرب خاصة جبل نفوسة، الجنوب التونسي، ومنطقة ورقلة (Lewicki, 1957. Ib, 1958. مزهودي، 2006. باجية 1976. Prevoست, 2006. Ib, 2008. 2007). كما شكل إباضيّ الصحراء الليبية كذلك موضوع دراسة (Thiry, 1995). في حين أن الزاب وهو مجال واسع يمتد من الأوراس إلى بداية المناطق الواحية بقي غير معروف في الدراسات الحديثة. من

بين الأسباب الرئيسية لتشكّل هذه الصورة الهامشية ضياع التراث المكتوب للنكاريين وهو المذهب الغالب محليًا. من اللازم إذن إجراء بحث حول التوطين الإباضي في هذا الفضاء من البداية الأولى لانتشار المذاهب الإباضية إلى غاية انتشار المذهب المالكي بالمنطقة الذي حدث أساسا خلال القرنين 6-7هـ/12-13م. الكثير من الأسئلة وجب طرحها من قبيل: متى وكيف أصبح الزاب ذو أغلبية إباضية؟ ماهي مراحل ذلك؟ هل يمكننا التعرف على تركيبة هذه التجمعات الإباضية؟ ما موقع هذه المنطقة ضمن مواجهة المراقبة المتقدمة للدول القائمة شمال بلاد المغرب؟ في النهاية ما هي الظروف التي انحسرت فيها الإباضية بهذه المنطقة؟ إن تتبع هذه المسيرة ليست مهمة سهلة بسبب أن الجماعات الإباضية المختلفة بالزاب لم تترك آثارا مكتوبة باستثناء التفسير القرآني الذي ألفه هود بن محكم الهواري، لا بد إذن أن نبحث عن المعلومات في النصوص الأخرى مع الاعتماد على الطوبونيميا الحديثة وعلى المعطيات الأثرية.

المصادر

إن النصوص الإخبارية الإباضية-الوهبية التي سنستخدمها تُصنّف في إطار أدب قداسي نحضوي يهدف: "بالحاح لانتاج ماضي مقنع يمنح معنى للحاضر المتشكّل" (Bernard Guenée cité dans Borrut, 18 : 2011). في المقابل لا يتقبل كُتّاب الفرع الإباضي الوهبي الفروع الأخرى المنتسبة للإباضية. أبو زكرياء الوارجلاني (ت بعد 474هـ/1081م)، أبو الربيع الوسياني (ت بعد 557هـ/1161م)، أبو العباس أحمد بن عبد الله

الفرسثائي (ت 504هـ/1110م)، وكذلك الدرريني (ت 670هـ/1271م) كلهم ألفوا كتب جامعة للتراجم تتعلق بالمناطق الرئيسية الآهله بأتابع مذهبهم مثل جبل نفوسة، جرية، الجرید، أریغ ووارجلان (عمارة، 2008: 31-40). بينما لا يوجد أي أثر لرواية بيوغرافية تتعلق بالزاب، باستثناء روايتين نُقلتا عبر أشخاص ينتمون إلى فرع بني واسين المستقرين في قرية محصنة تقع في أقصى جنوب الزاب. الأمر نفسه بالنسبة للنصوص الوصفية التي ألفها غير الإباضية، في أغلبها سنّية وشيعية، فهي تتضمن تعدادا للقبائل الإباضية بالزاب دون أي تحديد لتوزّعها الجغرافي. بالإضافة إلى أن هذه الأوصاف تصبح قليلة انطلاقا من منتصف القرن 6هـ/12م، وذلك بعد خضوع طرق الاتصال لمراقبة وسيطرة القبائل الهلالية.

تبقى النصوص الاسماعيلية والنصوص المتعلقة بالفاطميين كبقية النصوص الأخرى ذات أهمية بالغة بالنسبة لهاته الدراسة. لقد لعبت منطقة الزاب دور هام جدًا في تاريخ المغرب تحت حكم الفاطميين حتى قبل تأسيس الخلافة بالمهدية حيث استقر مبعوثون إسماعيليون شرق جبل الأوراس في عمق الجماعات الإباضية بهواره ومزاته. ثم إن هذه النصوص تتعلق بالحملات التي قام بها الفاطميون للسيطرة على الزاب وكذلك السيطرة على طريقين محوريين نحو المغرب الأقصى. لقد شكّل انتقال سكان طبة نحو المذهب الإسماعيلي (Ibn al-Haytham, 2001: 64) وتأسيس المسيلة من قبل الفاطميين بداية دخول هذه المنطقة السهلية ضمن هذا التيار. وهنا تصبح المعلومات عن الزاب متوفرة، كما أن هذه المنطقة شكلت ولسنوات طويلة مسرحا للمعارك

بين الجنود الفاطميين ضد المعارضين الاباضيين، خاصة بالأوراس. بفضل الأوصاف الدقيقة للمتابعة التي قام بها الخليفة المنصور ضد القائد الاباضي أبي يزيد فإن معارفنا بالتوطين والتاريخ الاباضي تعتبر مؤسسة.

بعد القرن الفاطمي تصبح المعلومات عن الزاب قليلة وهذا ما يلاحظ على النصوص الاباضية الوهبية. لا نملك إلا بعض القطع المبعثرة انتقلت عبر عدد قليل من الرحالة الذين أقاموا بالمنطقة مثل ابن الحاج النميري الذي رافق السلطان المريني أبو عنان أو ابن خلدون الذي أمضى وقتا بيسكرة تحت حكم بني مريني.

من الزاب إلى الزيبان

قبل التعامل مع إشكالية الإباضية بالزاب لابد علينا أولا تحديد هذا المجال مثلما صورته المؤلفون العرب القروسطيين. لقد تم استعمال لفظة الزاب من قبل المؤلفين العرب لتحديد مقاطعة واسعة - في الفترة الإسلامية الأولى - تمتد من تبسة إلى هاز غرب المسيلة. يبقى أصل هذه الكلمة غير محدد، لكننا نعلم أن واحدة من المدن الكبرى بالزاب كانت تحمل اسم زابي جوستينيانا (Zabi Justiniana) وتقع قرب المسيلة. إن الإشارات الأولى للزاب تتركنا نشعر بأن مجال هذه المقاطعة كان في غاية الأهمية في بداية العصر الوسيط كما في نهايته. كما أن اليعقوبي (1861:130) يعتبر الزاب كبلد واسع عاصمته طبنة ويتضمن مدن كثيرة مثل باغاي وبلزمة، كما أن

التضاريس الأكثر حضوراً في هذا الفضاء وقد تحدث عنها المؤلفون العرب كثيراً هي جبل الأوراس. إن قراءة هذه النصوص الجغرافية تسمح لنا بتحديد مقاطعة الزاب بين نواحي تبسة وغرب المسيلة مع جبل الأوراس، ومن الجنوب تحدد بالواحات الواقعة بعد بسكرة على الطريق المؤدية إلى أريغ وواد سوف. وبذلك يكون مجال هذه المقاطعة محدداً طبوغرافياً، فهي محددة شمالاً بجبل الأوراس وفي الجنوب برمال الصحراء ومحاطة بالهضاب العليا الصحراوية وتشكل بذلك حوض يتميز بحضور عدد من الشطوط خاصة شط الحضنة (Biro, 1953: 401-405).

لقد عرف الزاب تطوراً إقليمياً هاماً، فبعد انقسامه إلى جزئين خلال القرن 6هـ/12م -الزاب الأعلى والزاب الأدنى- (ابن عذاري، 1980: 5/1)، فإن ناحية الحضنة، ضمن الزاب الأعلى، انفصلت عن المقاطعة لتشكّل كيانه جغرافياً وبشريا منفصلاً. لم يعد الزاب خلال القرن 8هـ/14م يتضمن سوى ناحية السهوب المشغولة بواحات النخيل يعني بسكرة ونواحيها. هذه الناحية تنقسم إلى ثلاث مناطق: الزاب الغربي مركزه طولقة، الزاب الأوسط عاصمته بسكرة، والزاب الشرقي مركزه بادس (ابن خلدون، دت: 405/6. Lewicki, 1978: 22). انطلاقاً من هذه الفترة عوضت كلمة زيبان (جمع كلمة زاب) كلمة زاب لتحديد المناطق الثلاثة لهذه الناحية. خلال القرن 8هـ/14م كانت مناطق الزاب المعروفة جيداً خاصة: بسكرة، طولقة، الدوسن، ملبان، لميودة، بادس (بادياس)، جمونة، مليلي،

تهودة وملشون (ابن خلدون، دت: 405/6). ومن المؤكد أن شساعة مجال الزاب الكبير خلال القرون الأولى ساهمت في نشر تعاليم الفرع الثالث للإسلام "الإباضية".

جذور الإباضية في الزاب:

بعد تهدئة بلاد المغرب من قبل الحكام الأمويين المستقرين بالقيروان أخذت بلاد البربر تعرف نهضة عامة تبعا لنشاط دعوي مخطط له من قبل دعاة الصفرية والإباضية. لقد شكلت الجماعات الرعوية التي تنتجع في السهول والهضاب العليا الممثلين الرئيسيين لهذا الاتجاه الجديد الثوري الموجه ضد السياسة الأموية. هؤلاء الرحل وأشباه الرحل الذي يشغلون الفضاء الجغرافي الممتد من برقة إلى جنوب تلمسان يتشكلون غالبا من زناتة (ازناتن)، ولواتة (إلواتن)، وهوارة وزواغة (ابن عذاري، 1980: 8/1-24). دون الدفاع عن الأطروحة التي تخلق رابط بين المذهب الخارجي والدوناتي (Gautier, 1928: 260-262 - Bulliet, 1981: 113-115). Savage, 1997: 115)، فإنه من الواضح أن إباضية بلاد المغرب قد وجدت صدى إيجابيا في نواحي ترسّخت فيها التقاليد المسيحية الدوناتية وأكدتها الاكتشافات الأثرية.

رغم أن النصوص الإباضية المتأخرة قد جعلت من سلمة بن سعيد أول داعية للحركة ببلاد المغرب (الدرجيني، 1974: 11/1) فإنه من الصعب

وعلى وجه الدقة معرفة تاريخ ومكان أنشطته، حتى وإن كانت الأحداث التي وقعت بطرابلس تترك لنا إمكانية الاعتقاد بأن نجاح أفكار المساواة كانت في البداية عند نفوسة ولواتة بهذه الناحية، قبل نجاحها عند الجماعات الرعوية بالظهير التونسي وبالهضاب العليا للمغرب الأوسط. وعلى شاكلة الطالبي (1982:31) يعتقد العديد من الباحثين أن بداية انتشار الاباضية ببلاد المغرب تعود إلى القرن 1هـ/7م. رغم أن الزاب مجال مزود بعدة مراكز حضرية فإنه يعتبر كذلك فضاء واسع للبدو، وكما لاحظته جوتيي (1927:270) Gautier يوجد رابط دقيق بين انتشار الخوارج والرحل وهم الذين يفضلون الانتقال والانتشار الكبير لهذا التيار. زناة ولواتة (لغاتة/ايلقاتن) هما الجماعتين الكبيرتين بالزاب لكنهما توقفتا عن الانتجاع بين العديد من النواحي بالصحراء الليبية، في جنوب إفريقية، وفي المغرب الأوسط. هذا الأسلوب الحياتي ربط هذه التجمعات بصنف البتر في التقسيم الكلاسيكي للمؤلفين القروسطيين (مفاخر البربر، 2005: 158)، أي الرحل رعاة الإبل⁽¹⁾. أحيانا لا تُظهر نصوصنا الإشارات الأولى للاباضيين بالزاب إلا في منتصف القرن 2هـ/8م. يذكر ابن عذراي المراكشي (1980: 75/1) وهو أكبر مؤرخ جماعة بالمغرب الوسيط مراحل التحالف الاباضي-الصفري الذي تمّ تحت قيادة إمام تاهرت عبد الرحمان بن رستم والذي فشل في مواجهة حاكم

(1) / إشكالية الثنائية بتر/برانس تمت دراستها بطريقة معمقة من قبل عدة باحثين بنظر:

(Bulliet, 1981 : 104-116 ; Modéran, 2003 : 685-808).

القيروان، عمرو بن حفص. بالنسبة لهذه الفترة، لا يوجد نص يمكنه أن يؤكد تجذر الإباضية بالزاب وهو الإقليم الخاضع لرقابة حاكم القيروان من مدينة طنبنة المحصنة (ابن خرداذبة، 1886:87). غير أنه وعلى بعد 25 كم من بسكرة في طريق طولقة (Cambuzat, 1986:2/61) نسجل في الزاب حضور لطوبونيم "مليلي" يعرف كذلك في العصر الوسيط باسم "مليلة" يمكنه أن يشكل شاهدا على بداية انتشار الإباضية بالزاب. في الواقع هذا الاسم يعني فرع من هوارة الذي مثل اليد القوية للإمام الإباضي بطرابلس أبي حاتم الملزوي (الوارجلاني، 1979: 52).

إن اهتمام حكام القيروان بالزاب يوحي جيدا بأن هذه المقاطعة لها أهمية كبيرة في استمرار الولاية الأموية ثم العباسية وأغلب حكام هذه المقاطعة وصلوا بعد ذلك إلى حكم ولاية إفريقية (خليفة، 2009: 205) عبر حملات تهدئة تم تنظيمها دوريا. ثم إن رواية تنسب لابن القطان مؤرخ مراكش ونقلها ابن عذاري (1980: 107/1) تحدثت عن حملة بقيادة عيسى بن ريعان الأزدي ضد قبائل لواتة، زواغة ومكناسة على الحدود الشرقية للزاب في سنة 224هـ/838م، وهي التجمعات نفسها التي ذكرت لاحقا على أنها إباضية المذهب.

إن الروايات التي جمعها ابن سلام اللواتي (ت نحو 274هـ/887م) لا تمنح أية مكانة لإباضية الزاب لكنها تشير إلى هوارة وزناتة التي احترفت

البدواة في المجال الممتد من طرابلس إلى الزاب. النص نفسه يسمح لنا بالاعتقاد أن الدعاة الأوائل كانوا عربا قدموا من المشرق وتفرغوا لتقديم تعليم عقائدي للبربر (ابن سلام، 1985: 142-143، 149). كذلك فإن رواية ابن الصغير حول الأئمة الرستميين لا تذكر جبل الأوراس ولا الزاب إلا في الحديث عن هود بن محكم الهواري الذي دُعي لشغل منصب قاضي بتاهرت (ابن الصغير، 1984: 49). لكن النص يتحدث عن انتجاع الجماعات الإباضية بالزاب التي تصل إلى غاية ناحية تاهرت خلال فصل الربيع فقبائل مزاتة ومكناسة وهوارة ترتحل بحثا عن المراعي لقطعانهم (ابن الصغير، 1984: 41).

تعتبر أول صورة حول الوضعية الدينية في الزاب من إنجاز الرحالة الشيعي اليعقوبي (توفي نحو 284هـ/897م)، الذي زار بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م، أي فترة قليلة قبل تأسيس الخلافة الفاطمية. في كتابه البلدان، ذكر التجمعات الحضرية والريفية بالزاب خاصة الأفارقة والروم المستقرين في المراكز الحضرية الكبرى مثل طبنة (Thubunae)، باغاي (Bagai)، بسكرة (Vescera) وواحاتها (اليعقوبي، 1992: 350-351). لكن بالنسبة لأرياف الزاب فقد اتبعت اتجاهها دينيا آخرا الذي أشار إليها مؤلفنا بلفظة "شراة"⁽²⁾ أو يسميهم بدقة

(2) كلمة شراة تستعملها النصوص للإشارة إلى الخواص من الممكن تنوع مفسر. واحدة من المراحل التي عرفها الفكر السياسي الإباضي تسمى الشراة: تعني التضحية -حرفيا بيع النفس- التي لا بد أن يتحلى بها أنصار الحركة للدفاع عن المؤمنين ضد الحكم الظالم (الدرجيني، 1974: 364/2. مجموع، 2008: 551/1-552).

إباضيين. بالنسبة لهاز وهي مدينة تقع غرب المسيلة يقول اليعقوبي أن بني دمر، تجمع يعتبر زناقي، كانوا شراة يسيرهم قائد يدعى مصادف بن جرتيل (اليعقوبي، 1992: 351). يوحى هذا الاسم بأن الهوية الاسمية لهؤلاء البربر الاباضيين بالحضنة لم تتعرب بعد. نعلم كذلك أن بني دمر يمارسون الزراعة وتربية الماشية. إن الحضور الاباضي في الزاب يطبعه حضور ملحوظ من قبل هواره وبني زنداج وبني برزال وهم الذين ذكرهم اليعقوبي في جبل الأوراس ونواحيها الغربية بالقرب من مقرة. في الأخير يسمح لنا نص اليعقوبي بتحديد تواجد إباضي بالأوراس ممثلا بالمستقرين أو على الأقل بأشباه الرحل من هواره (اليعقوبي، 1992: 351). وبذلك اليعقوبي كأغلبية المؤلفين غير الاباضيين لم يميز بين مختلف إتجاهات الاباضية الموجودة بالزاب.

ثورة الزاب الاباضي (10/هـ 4م)

معلوماتنا لا بأس بها عن الزاب خلال القرن 4/هـ 10م بفضل إسهامات النصوص الإسماعيلية، النصوص الاباضية الوهبية، والنصوص السنية. يسوق لنا القاضي النعمان (ت 363/هـ 973م) شهادة مهمة في كتابه افتتاح الدعوة الذي ألفه خلال سنة 346/هـ 975م، وفيه كتب أن بني عفنيث، فرع من كتامة، إباضية منذ القديم ما يؤكد اختراق هذا التيار للسفوح الجبلية شمال جبال الأوراس (القاضي النعمان، 1986: 111). لكن معطيات

القاضي عياض توثق كذلك حضور تواجد عربي ليس إباضي في المراكز الحضرية الكبرى بالزاب مثل طبنة وباغاي (في السفوح الشمالية للأوراس)، ولانتشار الاسماعيلية في شرق الأوراس نتيجة للدعوة الممارسة من قبل داعيتين قدما من المشرق لأكثر من قرن سابق لتأسيس الخلافة الفاطمية: أبو سفيان والحلواني (القاضي النعمان، 1986: 26-29).

تحت حكم المهدي حاول الفاطميون فرض سلطتهم على الاباضية في الأوراس دون الوصول إليهم كثيرا. مباشرة بعد وصول المهدي إلى ايقجان في سنة 297هـ/909م، فقد عين يحيى بن سليمان الملوشي حاكما للزاب وكلف الداعي الكبير أبي عبد الله الداعي لتهدة ثورات هذه المقاطعة التي تسبب فيها المعارضين الاباضية الزناتيين موجهين بقائدهم محمد بن خزر. لقد أكمل مهمته بنجاح كبير فقضى على الثورة ونقل حركة القائد الاباضي نحو الصحراء (ابن حماد، 1984: 23. إدريس عماد الدين، 1981: 26-27). هذا النجاح العسكري لم يمنع الفاطميين من مواجهة صعوبات كبيرة لمراقبة مجال تمت استعادته. كذلك في سنة 310هـ/922م القائد الفاطمي أبو معلوم فحلون الكتامي تم قتله في الأوراس مع جنوده بعد أن هاجمه السكان (ابن عذاري، 1990: 187/1). كان أغلبية زناتة الزاب إباضية وحاولوا التحكم في المقاطعة ومطاردة الحكام الفاطميين. لقد سير الخليفة المهدي شخصا حملة تهدئة استهدفت بني برزال ومختلف التجمعات الاباضية بالزاب الغربي. ولضمان هدوء قبائل مزاتة وهوارة وصدينة وعجيسة

الإباضية فقد قام برهن أعيانهم وثبتهم بالمهدية. من باب الانتقام ففي القسم الغربي للأوراس الإباضيون بني كملان، مزانة، وكيانة عوقبوا بقسوة كبيرة وتم تهديم حصنهم قلعة عقار (إدريس عماد الدين، 1981: 51-52). ونظرا لصعوبات مراقبة هذا المجال فقد قرر الخليفة الفاطمي تأسيس مدينة محصنة هي المسيلة على إقليم بني برزال وبني كملان الإباضيين بهدف إعاقة تقدم زنادة (ابن حماد، 1984: 24. إدريس عماد الدين، 1981: 53. ابن عذارى، 1990: 190/1). هذه الحملة كانت لها نتيجة تتمثل في بداية نفي زنادة الإباضية نحو المناطق الواحية. لكن أربع سنوات بعد ذلك تقريبا في سنة 317هـ/929م تمكن قائد زنادة الإباضي القوي محمد بن خزر وبدعم من أموي قرطبة من السيطرة ولبضعة أشهر على قسم كبير من الزاب (ابن حيان، 1979: 258. ابن عذارى، 1990: 194/1)، لكن هذه الجماعات تعرضت للهزائم في ضواحي بسكرة أمام فرق من الجيش الفاطمي يقودها مسعود بن غالب (إدريس عماد الدين، 1981: 70). هذه الهزيمة الجديدة تسببت في نزوح زنادة ومغراوة نحو المغرب الأوسط وبعض العناصر عبرت البحر واتجهت للاستقرار في الأندلس (ابن حيان، 1979: 304).

لقد تحسنت معارفنا حول التواجد الإباضي بالزاب انطلاقا من النصف الأول من القرن 4هـ/10م. ويتتبع مراحل الثورة التي قام بها القائد الإباضي أبو يزيد مخلد بن كيداد يمكننا الحصول على تصور واضح حول التوزع

الجغرافي الاباضي النكاري بالزباب. لقد شكّل أصيل قسطنطينية أبو يزيد واحدا من قادة الجماعة الاباضية النكارية ببلاد المغرب، فبعد خسارته لأول معركة عسكرية ضد حاكم تقيوس فقد تم تحريره من قبل أتباعه ووصل إلى مرتفعات الأوراس وتم استقباله من قبل بني كملان الفرع الأكثر قوة من هواره. يسمح الطوبونيميين الحاليين وهما سريانة ومستاوة اللذان ذكرا في المصادر الوسيطة ويقعان في الجبل المطل على المدينة الصغيرة مروانة بتحديد بانتشار الجماعات الاباضية النكارية في القسم الغربي للأوراس المطل على مدينة طبنة (Tubunae في العصر القديم). مثل أغلبية الأعمال العسكرية التي قامت بها الجماعات الرعوية ببلاد المغرب ضد الفاطميين فقد ربط أبو يزيد أنشطته مع الخلافة بقرطبة⁽³⁾ ليقود ما يسمى بجهاد الشيعة الزنادقة (ابن حيان، 1979: 258). بالنسبة لثورة أبي يزيد (332-336هـ/943-947م) لن تتكرر تفاصيلها هنا (Halm, 1996: 310-325)، سأكتفي بالإشارة إلى بعض الأحداث التي لها علاقة مع السكان الاباضيين بالزباب. إن اثنيات وألقاب مناصري القائد الاباضي النكاري تجعلنا نقول أن الجماعات الاباضية كانت منتشرة على طول الأوراس من ناحية تبسة إلى غاية غرب المسيلة. من هذه الجماعات نجد هواره بناحية باغاي منها اثنين كانا قائدين ضمن جيش أبي يزيد (منصور بن منصور الهواري وأحمد

(3)/ أرسل أبو يزيد ابنه أيوب إلى قرطبة لطلب المساعدة من الخليفة المنصور لكن وأثناء عودته وقع في كمين من قبل حاكم تاهرت الفاطمي.

الهُواري). في ناحية بسكرة ينتجع مربوا الجمال من لواتة ومزته⁽⁴⁾، الذين شاركوا كذلك في الثورة بقيادة يدراس المزاتي ورقو المزاتي. لقد استقرت مكناسة بالمنطقة الجبلية الواقعة شرق بسكرة. في الزاب الغربي استقرت هناك تجمعات عديدة: مستاوة، بنو كملان وهوارة-سريانة في الناحية الحالية لمروانة. قليلا نحو الغرب بين المسيلة وبرج الغدير سكن بنو برزال وعجيسة مجموعة من الحصون والقرى الصغيرة بجبل سالات "جبل محمي جدا تعيش فيه عدة قبائل بربرية مذهبها خوارج إباضية" (إدريس عماد الدين، 1981: 207-208). وفي سهول الزاب الغربي تنتجع زناتة التي تتبع مذهبها إباضيا لا نعرفه على وجه الدقة (إدريس عماد الدين، 1981: 80-112). إن غلبة النكارية بالزاب مشهود له برسالة الخليفة الفاطمي القائم التي استنسخها إدريس عماد الدين (1981: 112)، تتعلق بالزامية المشاركة في الجهاد ضد الخوارج النكارية: "يجب إعلان الحرب ضد سكان الأوراس إنهم مذنبون، كفار وزنادقة".

لكن لا يجب أن نعتقد أن كل الإباضيين الذين شاركوا في ثورة أبي يزيد يمثلون قسما من النكاريين لأنه قد تلقى الدعم من الإباضية الوهبية مثل بني واسين الذين سكنوا قسطيلية وأقصى جنوب مقاطعة الزاب. وقد عاد أشخاص من هذه المناطق إلى القوات الفاطمية بعد انسحاب أبي يزيد من

(4) / ذكر أبو زكرياء الوارجلاني (1979: 120) زيارة فضل ابن أبي يزيد إلى مجموعات مزاتة المنتجة (الضعائن).

القيروان (إدريس عماد الدين، 1981: 149). إن أغلبية زناتة الزاب الغربي إباضية المذهب وقائدهم محمد بن خزر المغراوي الذي قاتل الفاطميين أعلن من واحة الأغواط استسلامه للقائد المنصور. لكن واحد من أبنائه، تعتبره النصوص الاسماعيلية خارجي إباضي بامتياز، يظهر أنه "معبد" قرر الاستراحة مع والده وأن يعلن الحرب ضد الفاطميين بجانب فضل ابن أبي يزيد (إدريس عماد الدين، 1981: 283). في الزاب الغربي وعلى وجه الدقة في واحات بنطوس الواقعة غرب بسكرة تستقر هناك سدراتة الإباضية التي تعرضت للمذابح من قبل الخليفة المنصور عندما تقدم في متابعة أبي يزيد (ابن حماد، 1984: 41).

النصوص ليست صريحة حول التنظيم الهيكلي للإباضية النكارية بالزاب. نعلم أن هواره الأوراس كان لها قاضي فليح بن محمد الهواري (إدريس عماد الدين، 1981: 137). ونعلم كذلك أن هذه الجماعات كانت تسيّر من قبل مجلس أعيان (وجوه) من الممكن أن يتوافق مع تجمعات الجماعات البربرية الريفية. بما أن كل التجمعات الإباضية الزابية المذكورة في النصوص رعوية بالجنوب وفلاحية داخل الجبل مثل هواره-سريانة التي مارست تربية المواشي (إدريس عماد الدين، 1981: 149). لكن من خلال تاريخ ابن حماد الصنهاجي يمكننا الحصول على فكرة حول التركيبة العامة للمذهب الإباضي النكاري الذي كان له قائد روحي هو أبو عمار عبد الحميد بن عبد الله الحجري وقائد سياسي وعسكري هو أبو يزيد مخلد بن كيداد. هذا الأخير

حمل لقب شيخ المسلمين ويساعده مجلس عزابة (ابن حماد، 1984: 30-31).

في الزاب الاباضي استقر الأتباع عموما في قرى محصنة تسميها النصوص "قلعة"، حصن أو قصر. والمنطقة أكثر توصيها هي جبل سالات الذي تحصن به أبي يزيد قبل وفاته. لقد كتب أن بني برزال وهوارة ومصراتة وعجيسة سكنوا قلاع الحجاره، شاعر وكيانه (ابن حماد، 1984: 41-43). إدريس عماد الدين، 1981: 223-232). كذلك ذكر حصن "تامقرا" يقع شرق الزاب وتسكنه مكناسة (إدريس عماد الدين، 1981: 209).

إن هزيمة أبي يزيد وتراجعه نحو قلعة كيانه في سنة 336هـ/947م كانت لها نتيجة مميته بالنسبة للتجمعات الاباضية بالزاب التي عانت من مجموعة حملات عقابيه فاطميه. رغم محاولات فضل ابن أبي يزيد ومعاد ابن محمد بن خزر لاستعادة السيطرة على المراكز الحضريه الكبيره بالزاب فقد توصل الفاطميون في الأخير لوضع حد للتمردات الاباضيه ولتفريق التجمعات الاباضيه النكارية بعد حملات عديدة انطلقت من صيرة المنصوريه. كذلك عانت لواته من القتل والمتابعه لغايه السهول الواقعة جنوب تاهرت (إدريس عماد الدين، 1981: 287-288). تعرض بني واسين بقسطيلية ومكناسة بالزاب الشرقي للطرد من حصونهم خاصة في مواس وهي قرية صغيره محصنه.

هؤلاء المكناسيون كانوا تحت قيادة بشر بن منصور المكناسي وهو مناصر متحمس للمذهب الاباضي النكاري (إدريس عماد الدين، 1981: 301-302). وأخيرا بعطيظ بن يعلى بن بعطيظ الزناتي حليف الفاطميين تمكن من القضاء على فضل آخر أبناء أبي يزيد قرب باغاي واضعا النهاية للتمرد الإباضي النكاري (ابن حماد، 1984: 46. إدريس عماد الدين، 1981: 310-311).

قبل الانتقال إلى مصر أرسل الخليفة المعز بلكين بن زيري في حملة بالأوراس لتأديب الاباضيين. وتمكن قائد صنهاجة من تهدئة المنطقة متسببا في هجرة جماعية للاباضيين من جبل الأوراس نحو جنوب الزاب ونحو المناطق الواحية. والبعض منهم وصل إلى جنوب الصحراء الكبرى (ابن حماد، 1984: 48-49).

تراجع الاباضية وبداية انتشار المذهب المالكي:

من خلال النصوص الجغرافية يمكننا أن نلاحظ بقاء الاباضية في العديد من مناطق الزاب رغم الحملات القمعية الفاطمية. ابن حوقل (توفي نحو 367هـ/977م) لما وصف الطريق الرابط بين القيروان وفاس مرورا بالزاب ذكر هواره، بنو برزال، بنو زنداج، ومزاتة لكن لم يحدد انتماءهم المذهبي. لقد ضمّن كلامه بوصفهم أنهم أناس سيئين وأنهم يدفعون ضريبة مالية "خراج" (ابن حوقل، 1996: 84-85). ولما وصف الطريق الذي يربط إفريقية بالمغرب الأقصى قام باحصاء مدن ووحدات الزاب دون الحديث عن

السكان. لكن بالنسبة لجبل نفوسة فقد قال: "مدن الخوارج هي نفزاوة، بادس وبسكرة" (ابن حوقل، 1996: 93). يظهر إذن أن الزاب الشرقي مثل الزاب الغربي لم يضيع خلال هذه الفترة هويته الإباضية مثلما حدث مع مدن ونواحي أخرى أشار إليها ابن حوقل مثل قسطيلية، قفصة، نفطة، الحامة، سوماتة، بشرى وجبل نفوسة.

سجلت سنة 358هـ/969م هذه المرة آخر ثورة إباضية وهبية كبيرة في الزاب. لشرح هذه الحركة التي قادها أبو نوح وأبو خزر وهما عالمان ينتميان إلى بني واسين بالجريد فقد تحدثت النصوص الإباضية الوهبية سلفاً عن إعدام الفاطميين للعالم الإباضي أبي القاسم يزيد بن مخلد (الوارجلاني، 1984: 142-143. الدرجيني، 1974: 126-135). إضافة إلى جزء من مدينة الحامة بالجريد فإن الثورة مست كذلك مدينة باغاي الواقعة في السفوح الشمالية لمرتفعات الأوراس وفاز بها واحداً من شيوخ زناتة الزاب وهو المنتصر بن خزرون. بعد تعبئة إباضية الزاب، ورقلة، الجريد وأريغ، حاصر المتمردون مدينة باغاي ولم ينجح حاكمها في هزيمتهم بسبب الظروف السيئة (Prevost, 2006:206).

سنتان بعد ذلك أصبح الزاب من جديد مسرحاً للخروج على الفاطميين لأن حاكم المسيلة جعفر بن علي بن حمدون عبأ بني برزال الإباضية ضد الخليفة المعز. وإعلاناً لولائهم لخلافة قرطبة فقد أقدم بني حمدون على وضع

نهاية لسلطة الفاطميين بالزباب الغربي وقضوا على جند صنهاجة. لكن الزيري ولكن تمكن من القضاء على بني حمدون وحلفائهم بني برزال مما تسبب في انتقلهم بقوة نحو الأندلس وهناك دخلوا في خدمة المنصور بن أبي عامر وأسسوا بعد ذلك الإمارة البرزالية بقرمونة (عبد الله بن بلكين، 1995: 91. ابن حماد، 2005: 135). مع الهجرة الجماعية لبني برزال عرف السكان الاباضيون بالزباب تراجع حقيقي خاصة من محيط مدينة المسيلة⁽⁵⁾. في سنة 361هـ/971م قتل بلكين بن زيري وشرّد زناتة في الزاب وفي ناحية تاهرت متسببا في هجرة جماعية نحو سواحل الأطلسي، جنوب المغرب الأقصى وخاصة نحو واحات الصحراء (مفاخر البربر، 2005: 97). ثار محمد بن خزر المغراوي قائد زناتة القوي هو الآخر ضد الفاطميين وقد اعترف بسيادة الخليفة الأموي المستنصر وأسس مملكة في المجالات الآهلة بزنانة (ابن الخطيب، 1964: 153-154). إن الولاء السياسي للخليفة الأموي بقرطبة ترافق مع انتقال بني يفرن من المذهب الاباضي الى المذهب المالكي السني مثلما أشار إليه ابن حزم بصفة متأخرة.

بعد استقرار الفاطميين بمصر تولت صنهاجة السيطرة على أغلب بلاد المغرب بالقوة خاصة ضد زناتة. وبهدف تأمين فضائها السياسي فقد قامت

(5) / لدراسة الشعب والانوماستيا بالأندلس:

H.deFelipe(1997)etM. Haqqi(2001).

ontmontréal'établissementssurceterritoiredeplusieurstribusberbèresconsidéréescommekhârijitesauii^e/viii^esiècle(lesMiknâsa, lesHawwâra, lesZanâtaetlesBanûBirzâl).

بتحصين مراكزها الحساسة مثل أشير وتاهرت وقاموا بمجموعة من حملات التهذئة. لم يكن الزاب ليؤخذ على أنه فجوة ولم يترك ليعاني المصير السيء. في سنة 398هـ/1004م أسس الأمير حماد -مؤسس الأسرة الحمادية- عاصمته القلعة في وسط مجال بني برزال وعجيسة (Amara,2001:197-218). ويتعلق هذا الأمر بتأسيس أول دولة في مجال الزاب الذي كان إلى غاية هذه الفترة في غالبته على المذهب الاباضي. إضافة إلى ذلك فقد وضع الأمير الناصر (454-482هـ/1062-1088م) أحاه خزار على نقاوس (Nicivibus في العصر القديم) لتسيير الأوراس من الداخلة (ابن خلدون، دت: 173/6). يفسر سبب هذا الاختيار بإرادة الحماديين السيطرة على إباضية هواره بالأوراس. في الزاب الشرقي القائد المحلي القوي صنديل اشكى من سلطة الباديسيين بصيرة في سنة 415هـ/1024م. وتحت حكم الأمير الرابع بلكين (447-454هـ/1055-1062م) خضعت بسكرة وناحيتها للحماديين وتم تولية أمورها للعائلة المحلية القوية بنو رمان، وبعد ذلك نجح بنو جعفر وبنو سندي في تسيير المقاطعة (ابن خلدون، دت: 172/6).

إن انشاء هذه الشبكة من المدن أدى إلى استبدال سيطرة الجماعات القبلية على الإقليم. لقد وجدت الجماعات الاباضية نفسها في مواجهة وضعية جديدة وقاومت بشدة السياسة الضريبية والدينية القاسية المتبعة من قبل سلالاتي صنهاجة المالكيين. أورد البغطوي (2009: 31) مناظرة بين

أبي إسحاق الأشيري العالم المالكي الكبير من المغرب الأوسط والعالم الاباضي من جادو مما يشهد على الانتشار الهائل للمذهب المالكي. لقد كانت السلطة السياسية تحت ضغط الفقهاء المالكية خاصة السيوري (ت. 460هـ/1067م) الذي أصدر عدة فتاوى مشهورة فيها اعتبر الاباضيين إما مرتدين أو مشركين (البرزلي، 2002: 336/1). في فتوى فقهية أخرى يظهر مترددا قائلاً أنه يمكن اعتبارهم "ملاعين" بسبب أنهم مسلمين لكنهم يرتكبون الكبائر (البرزلي، 2002: 295/3). لقد منع السيوري تزويجهم النساء السنيّات خوفاً من تحولهن إلى مذهب أزواجهن. وفي فتوى فقهية متأخرة تبعلنا إجابته نلتمس أنه يعتبرهم مثل "المشركين" (البرزلي، 2002: 317/2). وقد اعتبر أيضا الاباضيين مثل الكفار التفافاً لإضفاء الشرعية على قضية إبادتهم.

تحدث النصوص السنية وكذلك الاباضية-الوهبية عن الحملات المنفذة من قبل الحماديين والباديسيين بالجريد والزاب. يعود استئصال الجماعة الاباضية ببغاي إلى مؤسس الدولة الحمادية، هذا الأخير وضع النهاية لمزاة في مدينة تامرينت التي انسحب منها السكان نحو واحات الصحراء مرافقين لقائدهم اسماعيل بن بشر بن ابراهيم بن ملال المزاتي (الدرجيني، 1974: 413/2). بالنسبة للباديسيين فقد ارتكبوا عدة مجازر ضد الاباضيين خاصة خلال سنة 429هـ/1037م متسببين في تهجير قسري للعديد من القرويين

(ابن الأثير، 1983: 460/9-461. النويري، 1983: 208/24). في سنة 440هـ/1048م دمر جنود الأمير المعز بن باديس القرية المحصنة بقلعة درجين والناجين من الجرزة توجهوا نحو الجنوب لتأسيس قرية أسوف "واد سوف" (الدرجيني، 1974: 407).

نقل ابن حزم القرطبي (ت 456هـ/1063م) شهادة أبي محمد بويكني البرزالي إباضي من بني برزال مستقر بالأندلس تتحدث عن انتقال واسع للإباضية نحو المذهب السني في عدة تجمعات مثل بني مغراوة وبني يفرن في حين أن بني واسين وبني برزال استمروا في انتمائهم المذهبي (ابن حزم، 2001: 494).

في فترة متأخرة قليلا الصورة التي رسمها البكري التي بناها على جغرافية محمد بن يوسف الوراق وعلى معلومات شفوية يعطينا مؤشر حول وضعية الزاب بعد نصف قرن من السياسة التي مارستها صنهاجة المالكية. بعد أن أشار إلى الإباضية في جبل نفوسة وصف البكري أنه في الأوراس أقام أبي يزيد الشهير وأن مزاتة سكنت هذه الناحية. فيما يخص بسكرة فقد قال أن سكانها قد تحولوا نحو المالكية وأن ناحيتها أهلة ببربر سدراتة ومغراوة (البكري، 2003: 229/2-230). الجغرافي نفسه ذكر كذلك حضور بني برزال وعجيسة الإباضيين في الجبال الواقعة شمال المسيلة وهوارة ذات المذهب نفسه في الغدير. حضور إباضي كذلك مثلته هوارة ومكناسة تمت الإشارة إليه

في واحدة من الحصون الثلاثة لبنطيوس وفي جنوب تهودة (البكري، 2003: 254/2-255). يظهر أن المعطيات التي قدمها البكري تتعلق بقرن سابق بسبب كونها لا تلمح إلى الحضور الهلالي بالمنطقة. إذن معلوماته تعود إلى القرن 4هـ/10م وهي الفترة التي عاش فيها الوراق مصدره الرئيسي. وجب علينا أن نعود إلى المصادر الإباضية الوهبية للحصول على معلومات أكثر حول تأثير السياسة المتبعة من قبل صنهاجة. انطلاقاً من النصف الثاني من القرن 5هـ/11م كل الروايات نقلها مؤلفون كان لهم نشاط أو تنقل بجنوب الزاب خاصة في القرية المحصنة الأهلة من قبل بني واسين الذين كانوا في علاقة مباشرة مع واحدة من المنازل الإباضية الأخرى، مثل أسوف في غالبيتها أهلة بـ لواتة (الفرسطائي، 2009: 599/2). إن الرواية التراجمية لهذه الناحية التي جمعها أبو الربيع الوسياني (2009: 350/1-358) تسمح بملاحظة أن التجمعات الإباضية لهذه الناحية واجهت ثلاثة تهديدات، الأول كان من مغراوة التي أصبحت تحت توجيه قائدها زيري بن محصن معادية للإباضية بعد إجبارهم على التنازل على مذهبهم والهجمات المستمرة على جماعاتهم. التهديد الثاني جاء من الحماديين الذي وجهوا حملات في هذه النواحي لفرض سلطتهم. بينما التهديد الثالث فقد تمثل في الهلاليين الذين قاموا بغزو القصور.

أورد أبو الربيع الوسياني (2009: 413/1-414) الشهادة الوحيدة

على استمرارية الاباضية النكار بالأوراس خلال القرن 5هـ/11م، يتعلق الأمر بمراسلة بين عالم نكاري وعالم وهي من أجلو. إن الاباضية طيلة هذه الفترة كذلك انتشرت في جنوب الزاب وخصوصا في قلعة بني واسين، وقد كان للعالم الاباضي الوهي أبو الربيع سليمان بن يخلف المراتي (ت. 471هـ/1078م) تلاميذ كثر في هذه الناحية (الوسياتي، 2009: 448).

التغيير العميق للنسيج الاجتماعي والزوال التدريجي للإباضية.

عرف الزاب حضورا هلاليا ملحوظا انطلاقا من منتصف القرن 5هـ/11م. إذا كانت الإشارات حول هذه الناحية قليلة فإنه يظهر في المصادر المكتوبة أن النسيج الاجتماعي لهذه الناحية قد عرف تغيرا عميقا وطويلا. تعتبر جغرافية الإدريسي (ألفها في سنة 548هـ/1153م) أقدم شهادة عن هذه الوضعية الجديدة، فهي كذلك تشير إلى امتلاك العرب لأراضي تابعة لقرى الزاب مثل بادس وحصن بشر (الإدريسي، 1989: 264/1-270). لم يشر الإدريسي إلى البربر سوى في ضواحي بغاي ولم يذكر الاباضية إلا في حديثه عن ورقلة (الإدريسي، 1989: 276/1، 296). هذه الخريطة الجديدة تؤكدها النصوص القليلة التي نمتلكها حول الزاب في القرون اللاحقة. لقد لاحظ التيجاني (2005: 125، 128، 186)، في رحلته التي قام بها سنوات 706-708هـ/1306-1308م، أن الاباضية يسكنون الجريد وجبال بجاية وقسنطينة في حين أن شهادته حول

الجريد وجربة وزوارة كانت قائمة على ملاحظة مباشرة، تبقى المعلومات التي أوردها حول الحضور الاباضي في جبال قسنطينة وبجاية تحتاج إلى إعادة النظر فيها. إن روايته تكشف لنا في المقابل أهمية الزوايا الريفية في التحول نحو الملكية (التحاني، 2005: 190). فيما يتعلق بالزاب يعتبر مثل الجريد كإقطاع الذئاب الهلالية في الملعبه وهي قصيدة كتبها الكفيف الزرهوني (1989: 62) لوصف حملة السلطان المريني أبي الحسن (731-752هـ/1331-1351م). مرافقا للسلطان المريني أبي عنان (749-759هـ/1349-1359م) وفي رحلته بالزاب خلال سنة 758هـ/1356م قدم لنا ابن الحاج النميري معلومات مهمة حول وضعية هذه المنطقة في منتصف القرن 8هـ/14م. في رحلته فيض العباب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ذكر وجود اختراق هلالى للزاب غير كلية هذه الناحية حيث عوضت القرى المحصنة (قصور) المدن القديمة للسيطرة على المجال على شاكلة القصر الذي بناه عثمان بن علي بن الرياحي أو ذلك الذي بناه أخوه سليمان على أنقاض لامباز القديمة (حول عرض للقصور الهلالية بالأوراس والحضنة الغربية: حسن: 2003، 42-45، Meouak, 2008: 121-123). يبرز لنا الوصف الجغرافي فضاء خاضع لسيطرة شيوخ قبيلة رياح، كما أصبحت إذن بسكرة عاصمة للزاب وتخضع لسيطرة بني مزني وهم هلاليين كذلك (ابن الحاج، 1990: 422-435). لم يذكر البربر هنا إلا إشارة إلى لواتة التي تعرضت للاستعباد وعملت لحساب

المهيمين الجدد، قبيلة رياح (ابن الحاج، 1990: 415). لم يكن اغتصاب القبائل الهلالية لأراضي البربر بالزاب استثناء فالعديد من الفتاوى التي أوردتها السيوري تبين مصادر المجالات الزراعية من قبل الهلاليين بعد قتل أو استعباد البربر (الونشريسي، 1981: 593/9).

يكمل ابن خلدون (ت. 808هـ/1406م) -الذي أمضى تقريبا ستة سنوات ببسكرة- المعلومات التي أوردتها ابن الحاج النميري، وتؤكد خاصة هيمنة رياح على الزاب وتشكيل شبكة حضرية جديدة انطلاقا من المدن الواحية والقصور المؤسسة حديثا بعد تشرذم زناتة ومكناسة. كتب ابن خلدون كذلك أن الهلاليين: "هيمنوا على قرى الزاب والمغرب الأوسط بسبب أن زناتة لم تعد قادرة على الدفاع عن نفسها" (ابن خلدون: 19/4). إن الحضور الهلالي في إقليم الزاب لم يفرغ بشريا كل المدن والقرى المحصنة لكن سكانها تحولوا إلى قبيلة تابعة للأسياذ الجدد. مع ذلك نلاحظ وجود إعادة تشكيل للفضاء: أولاد، وطن، أحياء أصبحت مصطلحات لتوزيع قبلي واسع هيمنت عليه مختلف فروع رياح خاصة الداوودة (ابن مرزوق، 2008: 306. ابن خلدون، 2009: 122. عمارة، 2009: 24).

في الجدول الذي يتضمن قبائل البربر وظف ابن خلدون فكرة الجيل فيما يتعلق بالبربر الذين احتضنوا ذات يوم الاباضية ثم الصفرية لكنهم في زمن المؤلف أصبحوا سنين ويدجون كذلك ضمن الجيل الثاني. إن التجمعات

البربرية المختلفة المعنية بهذا التحليل هي هوارة، لواتة، لماية، بني يفرن، بني مغراوة، بني برزال، وعجيسة. بالنسبة للأوائل كتب ابن خلدون (6/141-142) أنهم مارسوا البداوة في زمنه في الناحية الممتدة بين مرماجنة وبجاية وأنهم جاؤوا بني سليم. وبعد خضوعهم للاستعباد فقد تأثروا بأسلوب حياة القبائل العربية. كذلك فإن جماعة عجيسة في الجبال المطلّة على مدينة المسيلة تعرضت للاستعباد وتم استبدالها بـ عياض (ابن خلدون: 6/145). بالنسبة لزناتة فروعها الرئيسيّة مثل بني يفرن، بني مغراوة، وبني برزال فقد تخلّوا في أغلبهم عن الزاب وقرروا الانتقال إلى جنوب تلمسان وإلى المغرب الأقصى وكذلك في واحات الصحراء. ومن بقي بالزاب أصبح تابعا للهلاليين (ابن خلدون: 7/7-8). لم يحدد ابن خلدون في فترته أي رابط بين الاباضية وزناتة وقد أكد أن زناتة اعتمدت المذهب المالكي. من بين كل زناتة الزاب بني سنجاس وحدهم من بقي على المذهب الاباضي في زمن ابن خلدون (7/47). نظرا للوضعية الحالية لمعارفنا فمن الصعب تحديد موقع هذه الجماعة الصغيرة، ومن من المحتمل أن تكون مستقرة بجنوب الزاب قريبا من ثقرت أين نجد بربر ريغة لا يزالون إباضية وهبية ونكار خلال القرن 8هـ/14م (ابن خلدون، 7/48) في النهاية بني برزال هجروا كلية الجبل الواقع شمال قلعة بني حماد تبعا للضغوط الفاطمية ونزحوا جماعيا نحو الأندلس (ابن خلدون، 7/53).

لقد تسبب وصول الهلاليين في حركة هجرة نحو الغرب والجنوب -ابن خلدون (7: 51) وقد ذكر خاصة تأسيس زناتة لعدة قرى محصنة في ورقلة- إن فكرة الاقتلاع الكلي للجماعات البربرية تحتاج إلى إعادة نظر. يبدو أن القادمين الجدد أصبحوا أسيادا للسهول والهضاب وقاموا بتقليص الجماعات البربرية الموجودة عن طريق الاستبعاد أو عبر الإلحاق السكاني. لكن في الجبال حافظت التجمعات البربرية على سيطرتها على المجال على شاكلة هوارة في الأوراس التي كانت هدف غزوة السلطان الحفصي أبي إسحاق في سنة 648هـ/1250م (ابن الشماخ، 1984: 76).

خلاصة: تأملات حول أسباب زوال الإباضية من الزاب.

في أي فترة بالضبط وبأي عملية انتقلت الجماعات بالزاب من المذهب الإباضي إلى المذهب المالكي؟ للأسف فإن المؤشرات ضعيفة للإجابة عن هذا السؤال. في دراسته حول الصحراء الليبية رفض جاك تيري (1995: 233) الأطروحة الهلالية واعتقد أن زوال الإباضية من الواحات الليبية يعود إلى: "...زوال طويل وتدرجي للمذهب بسبب وجود تقارب بين الكتلة المالكية عرب-بربر وقد استطاعوا توفير الحماية بفضل تركيباتهم السياسية بينما الجماعات الإباضية لم تكن قوية لتوفيرها بعد سقوط تاهرت". من جهتها فسرت ف. بريفو (V. Prévost) (2008: 307-318) زوال الإباضية بالجزيرة التونسية بعدة عوامل مثل الحروب بين الموحدين وبني غانية الميورقين،

التنافس بين الوهيبية والنكارية، ظهور الحركات الصوفية، انتشار المذهب المالكي مدعماً بالقضاة، وكذلك انعزال الجماعات الاباضية. بالنسبة للزاب فإن الصراع الداخلي بين الاتجاهات المختلفة للاباضية لعب دور كبير في تراجع هذا التيار الإسلامي، إذ لم تستطع تحقيق التوازن في هذه الناحية بسبب كون غالبيتها تعود إلى اتجاه واحد، الاتجاه النكاري. إن الفرضية التي طرحها جاك تيري معقولة ولدينا مثال للعديد من الاباضيين الذي دخلوا في خدمة قوات الأسر السنوية الحاكمة مثل إبراهيم بن وانوي المراتي الذي أصبح واحداً من قادة جيش الأمير المعز (أبو العباس الفرستائي، 2009: 572/2). هؤلاء الاباضيين أصبحوا بعد ذلك مستبعدين من أصحاب مذهبهم. ومثلما أشارت إليه ف. بريفو، ظهور شبكة صوفية سنوية مارست تدريجياً نشر المذهب المالكي بين السكان. كذلك تحدث ابن الطواح التونسي (1995: 52) عن انتشار الصوفية في النواحي ذات الأغلبية الاباضية بفضل التعليم الذي وجهه في بجاية القطب الكبير أبي مدين إلى أشخاص كثر من هذه النواحي خاصة حسن بن محمد بن عمران النفطي (ت. 621هـ/1224م) و طاهر المزوغي (ت. 646هـ/1248م). هذا الأخير استقر بعد ذلك في واحة أسوف المركز الرئيسي للاباضية جنوب الزاب. في دراسته التي أعدها حول الولاية في داخل إفريقية بين صالح علواني (2010: 144-156) الدور الذي لعبه قاسم بن مرا تلميذ الدهماني وسعادة الرحماني في نشر الأفكار

الصوفية السنية في الوسط القبلي. بالنسبة للزاب فقد مثل سعادة الرحماني وهو من رياح أصل الحركة التي حولت هذه الناحية إلى التصوف السني. بينما ارتبطت بسكرة بالشبكات الفقهية وظهرها في الجهاز الفقهي المالكي في نهاية العصر الوسيط (ابن خنتاش المسيلي، 2011: 73-74) سجل الزوال التام لاباضية الزاب. تحدثت كتب التراجم المالكية كذلك عن صدى الحراك الجغرافي لفقهاء أصلهم من الزاب مثل أبي العباس أحمد النقاوسي ولد في نقاوس بالأوراس ومؤلف للعديد من كتب الفقه المالكي (أحمد بابا التنبكتي، 2000: 91/1-92). لقد أحدث استقرار قبائل رياح بالزاب تغييرا هاما في النسيج الاجتماعي مما أدى إلى تضعف الجماعات البربرية التي فقدت سيطرتها على الغالبية العظمى من المجالات.

السندات البيليوغرافية:

المصادر:

- عبد الله بن بلكين، 1995، كتاب التبيان، تح. أمين توفيق الطيبي، الرباط، عكاظ.
- النويري، 1983، نهاية الأرب في فنون الأدب، نشر. حسين نصار وعبد العزيز الأهواني، القاهرة، الحياة المصرية، مج.24.
- البغطوري، 2009، سيرة مشائخ نفوسة، نشر. توفيق عباد الشقروني، ليبيا، مؤسسة توات.
- البكري، 2003، المسالك والممالك، نشر. جمال طلبة، بيروت، دار الكتب

العلمية، مج.2.

- البرزلي، 2002، جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، نشر، محمد الحبيب الهيلة، بيروت دار الغرب الإسلامي، 7مج.
- الدرجيني، 1974، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، نشر. ارباهيم طلاي، قسنطينة، دار البعث، 2مج.
- الفرستائي أبو العباس أحمد، 2009، السير، تح. سليمان بوعصبانة، مجموعة سير الوسياني، مسقط، وزارة التراث، 3مج.
- ابن عذارى المراكشي، 1980، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح. ايفاريسست بروفنصال وجورج.س. كولن، بيروت، دار الثقافة، 2مج.
- ابن الحاج النميري، 1990، فيض العباب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تح. محمد بن شقرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- ابن الأثير، 1983، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، مج.9.
- ابن الهيثم، 2001، كتاب المناظرات، تح. وتر. ويلفردمادلونغ وبول وولكر،
The Advent of the Fatimids: A Contemporary Shi'I Witness Volume editor: Paul E. Walker, Wilferd Madelung, Translated by: Paul E. Walker, Wilferd Madelung
- ابن الخطيب، 1964، كتاب أعمال الأعلامن تح. أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، الدار البيضاء.
- ابن الصغير، 1984، أخبار الأئمة الرستميين، تح. محمد ناصر وإبراهيم بحاز، الجزائر، المطبوعات الجميلة.
- ابن الشماع، 1984، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح. محمد طاهر المعمرى، تونس، الدار العربية للكتاب.

- ابن الطواح، 1995، سبك المقال في فك العقال، تح. محمد مسعود جبران، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- ابن حماد الصنهاجي، 1984، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح. جلال أحمد البدوي، الجزائر، م.و.ن.ت.
- ابن حوقل، 1996، كتاب صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة.
- ابن حيان، 1979، المقتبس في خبر بلد الأندلس، تح. بيدرو شاملتا، الرباط، كلية الآداب.
- ابن حزم، 2001، جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن خلدون، 2009، الرحلة، تح. محمد بن تاويتالطنجي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- نفسه، العبر، بيروت، مؤسسة جمال، مج 6-7.
- ابن خنتاش المسيلي، 2011، نهاية المرام في تيسير مطالعة الأحكام، تح. أحمد بن علي، بيروت، دار ابن حزم.
- ابن خرداذبة، 1886، المسالك والممالك، ليد، بريل.
- ابن مرزوق، 2008، الديوان، تح. سلوى الزهيري، المناقب المرزوقية، الرباط، وزارة الأوقاف.
- ابن سلام، 1985، بدء الإسلام وشرائع الدين، تح. فيرنر شفاتر وسالم بن يعقوب، بيروت، دار إقرأ.
- إدريس عماد الدين، 1981، عيون الأخبار وفنون الآثار، تح. فرحات الدشراوي، تونس، الاتحاد العام التونسي للشغل.
- الكفيف الزهوني، 1987، الملعبة، تح. محمد بن شريفة، الرباط، المطبعة الملكية.

- مفاخر البربر، 2005، تح. عبد القادر بوباوية، الرباط، دار أبي رقرق.
- المقدسي، 1996، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار صادر.
- القاضي نعمان، 1986، كتاب افتتاح الدعوة، تح. فرحات الدشرواي، تونس، ش.ت.ت، الجزائر، د.م.ج.
- الشماخي، 1883، كتاب السير، قسنطينة.
- التيجاني، 2005، الرحلة، تح. حسان حسني عبد الوهاب، تونس، الدار العربية للكتاب.
- التنبكي أحمد بابا، 2000، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح. محمد مطيع، الرباط، وزارة الأوقاف، 2مج.
- الونشريسي، 1968، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب، تح. محمد حجي وآخرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 9مج.
- الوسياني أبو الربيع، 2009، السير، تح. سليمان بوعصبانة، مجموعة سير الوسياني، مسقط، وزارة التراث، 2مج.
- اليعقوبي، 1992، كتاب البلدان، تح. ميشال جان دوفوج، نشر، فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية.

الدراسات:

ALOUANI Salah, 2010, *Tribus et marabouts. A'râb et walâya dans l'intérieur de l'Ifrîqiya entre le VI^e/XII^e et le XII^e/XVIII^e siècles*, Helsinki, Academia scientiarum fennica, 307 p.

AMARA Allaoua, 2001, « La Qal'a des Banî Hammâd, l'histoire d'un déclin », *Archéologie Islamique* 11,

Lyon, p. 97-118.

—, 2008, « Remarques sur le recueil ibâdite-wahbite siyar al-mašâ'ih : remarques sur son attribution », *Al-Andalus-Magreb* 15, Cadix, p. 31-40.

—, 2009, "المجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب", مجلة الآداب والعلوم الانسانية 10, قسنطينة, ص. 9-25.

بحاز إبراهيم, 1993, الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والفكرية, القرارة, جمعية التراث, 475ص.

- BIROT Pierre et DRESCH Jean, 1953, *La Méditerranée et le Moyen-Orient*, vol. I, *La Méditerranée occidentale physique et humaine*, Paris, PUF, 552 p.
- BORRUT Antoine, 2011, « La fabrique de l'histoire et de la tradition islamiques », *REMMM*, 129, Aix-en-Provence, p. 17-30.
- BULLIET W. Richard, 1981, « Botr et Beranès : hypothèses sur l'histoire des Berbères », *Annales, histoire, sciences sociales* 36, Paris, p. 104-116.
- CAMBUZAT Paul-Louis, 1986, *L'évolution des cités du Tell en Ifrîqiya du VII^e au XI^e siècle*, Alger, OPU, 2 vol. 227+275 p.
- DE FELIPE Helena, 1997, *Identidad y onomástica de los Beréberes de al-Andalus*, Madrid, CSIC, 446 p.
- DECRET François et FANTAR Mhamed, *L'Afrique*

du Nord dans l'Antiquité, des origines au V^e siècle, Paris, Payot, 1981, 393 p.

- GAUTIER Emile Félix, *L'islamisation de l'Afrique du Nord: les siècles obscurs du Maghreb*, Paris, Payot, 1927, 432 p.
- GOUJA Moncef, 2003, *Aux origines de la pensée arabe*, Paris, Transbordeurs, 212 p.
- HALM Heinz, 1996, *The Empire of the Mahdi. The Rise of the Fatimids*, Leyde, Brill, 452 p.

- حقي محمد، 2001، البربر في الأندلس، دراسة لتاريخ مجموعة اثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية، الدار البيضاء، المدارس، 342ص.
- حسن محمد، 2003، الجغرافية التاريخية لأفريقية، بيروت، دار الكتاب الجديد، 312ص.

KHELIFA Abderrahmane, 2009, « Les Aurès au moment de la conquête musulmane », *L'Aurès antique*, Kenchela, Centre universitaire, p. 197-217.

LEWICKI Tadeusz, 1957, « La répartition géographique des groupements ibadites dans l'Afrique du Nord au Moyen Âge », *Rocznik Orientalistyczny XXI*, Cracovie, p. 301-343

—, 1958a, *Les Ibadites en Tunisie au Moyen Âge*, Rome, Bibliothèque de l'Académie polonaise de Rome, 16 p.

—, 1958b, « Les subdivisions de l'Ibâdiyya », *Studia Islamica IX*, Paris, p. 71-82.

—, 1968, « Un royaume ibâdite peu connu : l'État des Banû Masâla », *Rocznik Orientalistyczny XXXI*, Cracovie, p. 7-15.

—, 1978-1983, *Études maghrébines et soudanaises*, Varsovie, Éditions scientifiques de Pologne, 2 vol., 94+99 p.

- مزهودي مسعود، 2003، جبل نفوسة من انتشار الاسلام حتى هجرة بني هلال إلى المغرب (21-422هـ/642-1053م)، ليبيا، مؤسسة تاوالت، 315 ص.

MEOUAK Mohamed, 2008, « Le Hodna occidental entre régions méditerranéennes et plaines désertiques : organisation des terroirs, communautés rurales et productions agricoles au Moyen Âge », *REMMM* 126, Aix-en-Provence, p. 117-139.

MODERAN Yves, 2003, *Les Maures et l'Afrique romaine IV^e –VII^e siècle*, Rome, École française de Rome, 900 p.

- معجم المصطلحات الاباضية، 2008، مسقط، وزارة الأوقاف والشؤون الاجتماعية، 2 مج، 1291 ص.

- PREVOST Virginie, 2006a, « La révolte de Bâgâya (358/969) : le dernier soulèvement des ibâdites maghrébins », *Journal of Near Eastern Studies*, 65-3, Chicago, p. 197-206.
- —, 2006b, « Une minorité religieuse vue par les géographes arabes : les Ibâdites du sud tunisien », *Acta Orientalia* 59, Budapest, p. 193-204.
- —, 2007, « L'influence de l'État rustumide dans

- le Sud tunisien », *Acta Orientalia* 68, Oslo, p. 113-133.
- —, 2008, *L'aventure ibâdite dans le Sud tunisien. Effervescence d'une région méconnue*, Helsinki, Academia scientiarum Fennica, 480 p.
 - REBSTOCK Ulrich, 1983, *Die Ibâditen im Magrib (2./8. – 4./10. Jh.)*. Die Geschichte einer Berberbewegung im Gewand des Islam, Berlin, Klaus Schwarz Verlag, 366 p.
 - SAVAGE Elizabeth, 1997, *A Gateway to Hell, A Gateway to Paradise : The North African Response to the Arab Conquest*, Princeton, New York, The Darwin Press, 206 p.
 - SCHWARTZ Werner, 1983, *Die Anfänge der Ibaditen in Nordafrika : der Beit einer islamischen Minderheit zur Ausbreitung des Islam*, Wiesbaden, Otto Harrassowitz, 349 p.
 - TALBI Mohamed, 1982, « La conversion des Berbères au ḥariġisme ibadito-ṣufrite et la nouvelle carte politique du Maghreb au II^e/VIII^e siècle », *Études d'histoire ifriqienne et de civilisation musulmane médiévale*, Tunis, Publications de l'université de Tunis, p. 13-80.
 - THIRY Jacques, 1995, *Le Sahara lybien dans l'Afrique du Nord médiévale*, Leuven, Peeters, 604 p.
 - ZEROUKI Brahim, 1987, *L'Imamat de Tahart, premier État musulman du Maghreb (144-296 de l'hégire)*, Paris, l'Harmattan, 224 p.

معتقل تفلفال النسوي بالاوراس أثناء الثورة الجزائرية 1955/ 1962

من خلال الرواية الشفوية وشهادات المعتقلات

د. جمعة بن زروال - جامعة باتنة -1- - الجزائر

ملخص المداخلة باللغة العربية :

تتناول هذه الورقة البحثية دور الرواية في كتابة التاريخ الشفوي للمرأة من خلال نماذج من شهادات النساء المعتقلات في السجون الفرنسية أثناء الثورة الجزائرية 1954/ 1962، معتمدين في هذه الدراسة علي معتقلات سجن تفلفال النسوي بالاوراس الذي يعتبر أول معتقل للنساء في الجزائر أثناء الثورة التحريرية والذي تأسس سنة 1955 وخصص لسجن زوجات المجاهدين .

اعتمدنا في دراستنا علي عدة نقاط أهمها:

- دراسة نماذج من شهادات النساء المعتقلات مع أطفالهن في سجن تفلفال ، بسرد ظروف وأسباب الاعتقال والحياة اليومية داخل المعتقل وأساليب التعذيب الجسدية والنفسية التي تتعرض لها المعتقلات .

- استقراء بعض الشهادات لمعتقلات سجن تفلفال النسوي مثل / شهادة ذهبية عبید الله ، وشهادة الشامخة بن رحمون ، وشهادة جمعة سليمان... أكثر من عشرين امرأة معتقلة .

- تحليل ومقارنة هذه الشهادات الشفوية بإبراز مدي مصداقيتها التاريخية من خلال الوثائق الأرشيفية والمصادر المكتوبة.

- إبراز معاناة المرأة الريفية البسيطة ومدي تحملها مسؤولية الثورة مع أخيها الرجل من اجل تحرير وطنها .

ملخص باللغة الانجليزية :

This paper deals with the role of testimony in writing the oral history of women, through models of detainees testimonies of women in French prisons during the Algerian revolution 1954/1962, Relying in this study on the detainees of Tifelfel prison in Aures which is the first prison for women in Algeria during the

revolution, which was founded in 1955 and was provided to detain the wives mujahideen.

- Definition of women's jail of Tifelfel addressing the causes and circumstances of its founding in 1955 by the French colonialism, and the motives behind its allocation to the wives of Mujahideen and rebels.

- Study models of women detainees testimonies with their children in the prison of Tifelfel, listing the circumstances and reasons for the detention and daily life inside the prison and methods of physical and psychological torture suffered by detainees.

- Extrapolate some testimonies of women detainees in women's prison of Tifelfel Example / the testimony of Dhehbiya Obaidullah, the testimony of Achamkha Ben Rahmon, and the

testimony of Djemaa Soleimani More than
twenty women detained.

تعد روايات المرأة الشفوية مصدر من مصادر التاريخ، باعتبارها مادة حية يعتمد عليها الباحث في تأريخ حياة المرأة المعاصرة، خاصة المرأة الريفية الأمية التي لم تتعلم بسبب الاستعمار، نتناول في هذه الدراسة التاريخ الشفوي للمرأة من خلال شهادات نساء جزائريات معتقلات أثناء الثورة التحريرية 1962/1954 من طرف الاحتلال الفرنسي ، معتمدين في بحثنا علي شهادات سجينات معتقل تفلال النسوي بغسيرة (1) بجبال الاوراس(2) في فترة 1962/1955 .

فالإشكالية المطروحة في هذا البحث تتمثل في عدة تساؤلات أهمها:

- ما دور و أهمية الرواية الشفوية للمرأة في كتابة التاريخ الوطني للشعوب ؟
- كيف كانت أوضاع وظروف النساء المعتقلات في سجن تفلقال النسوي ؟

قبل الإجابة عن هذين السؤالين يجدر بنا أن نتطرق إلى أهمية الرواية الشفوية في التأريخ لحياة المجتمعات المعاصرة بدأ الاهتمام بالمنهج الشفوي عند العرب المسلمين منذ القرون الهجرية الأولى معتمدين على منهج الإسناد بهدف تدوين الحديث الشريف والسيرة النبوية وسير أعمال الصحابة الأقربين وتاريخ الفتوحات الإسلامية، ظهر اهتمام الباحثين الأكاديميين بموضوع التاريخ الشفهي منذ النصف الثاني من القرن العشرين حيث جعلوا لدراسة الماضي خاصة حياة الأقليات والمجتمعات الفطرية التي لا تعرف الكتابة بتسجيل تاريخهم فمثلا قام " العالم الغربي المعاصر (أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية) بتجميع الشهادات الشفوية من نساء ورجال عاصروا الحرب العالمية الثانية 1939 / 1945 وقد اتجهت هذه الشهادات نحو الأرشيف ومراكز التوثيق ونحو النشر كمذكرات وروايات وقصص وأفلام ليستخدمها أهل الاختصاص المحترفون فمثلا في سنة

1948 تبتت جامعة كولومبيا مشروع للتاريخ الشفهي كان يهدف في أساسه إلى جمع مذكرات لشخصيات أمريكية عامة.⁽³⁾

أما في بريطانيا فقد انصب اهتمام رواد التاريخ الشفوي في الخمسينات و الستينات بتسجيل خبرات الطبقة العاملة البسيطة ، فأنشأ عدد كبير من المؤرخين الاجتماعيين ببريطانيا والعالم جمعية التاريخ الشفهي البريطاني في بداية السبعينات ضمن الوسط الأكاديمي الجامعي، أما في جنوب إفريقيا فقد قامت لجنة الحقيقة للمصالحة التي أنشئت بعد إلغاء قانون التمييز العنصري بجمع الشهادات الشفوية لضحايا العنف النسوي وكل خرق لحقوق الإنسان. وتم عقد مؤتمرات ولقاءات دولية حول التاريخ الشفوي منها مؤتمر العلوم التاريخية في مدينة بوخارست في رومانيا 1980 بمشاركة مؤرخين من أنحاء العالم وقد نظم هذا المؤتمر من طرف اللجنة الدولية للعلوم التاريخية ونشرت أعماله في ثلاثة مجلدات بدعم مالي من منظمة اليونسكو، وتم عقد مؤتمر بمدينة أكسفورد بإنجلترا عام 1987 وتقرر في هذا المؤتمر عقد اجتماعات نصف سنوية لمناقشة التاريخ الشفوي. واللقاء الدولي الذي عقد في اسطنبول عام 2000 واللقاء الذي عقد في جامعة نتال بجنوب إفريقيا عام 2002 والمؤتمر الذي عقد في الجامعة الإسلامية في فلسطين عام

2006، فهذه المؤتمرات ساهمت في تشجيع استعمال التاريخ الشفوي في الأبحاث الأكاديمية في العلوم الإنسانية. (4)

في هذا البحث سنتطرق لشهادات النساء المعتقلات في السجون الفرنسية أثناء الثورة التحريرية، حيث كان للمرأة الجزائرية منذ الاحتلال الفرنسي دور في النضال الثوري لمواجهة الاستعمار بمشاركتها في المقاومات الشعبية مثل / انتفاضة لالا فاطمة نسومر⁽⁵⁾ في منطقة جبال جرجرة بالقبائل 1851/ 1857 التي واجهت جنرالات فرنسا للدفاع عن الوطن والدين والشرف ، وساهمت المرأة في تموين الثورات الشعبية وكانت القاعدة الخلفية للثوار إذ كانت تزودهم بالمؤن والغذاء وبالأدوية والتطبيب والحراسة ونقل الأخبار ...

بعد اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية 1954/1962 توسع نشاط

ونضال المرأة وتوزع ما بين المدينة والريف فمنطقة الأوراس كانت أولى المناطق في الجزائر التي اندلعت فيها الثورة التحريرية ، بتعيين مصطفى بن بولعيد⁽⁶⁾ على رأس المنطقة الأولى "الأوراس" والذي وضع النواة الأولى لجيش التحرير الوطني،

وقسم جيشه إلى تسعة وثلاثين فوجا شاركوا كلهم في تفجير ليلة أول نوفمبر 1954 إذ نجح ثلاثة وثلاثون فوجا في أداء مهامهم، وكان جيش المنطقة الأولى يضم بين 1000 و1500 رجل يملكون من سلاح ست بنادق ورشاش، وهذا الجيش مسلح بنسبة 75% سلاح صيد .

في صيف 1954 أمر مصطفى بن بولعيد أعضاء المنظمة السرية أن يستخرجوا السلاح من مطامر القرية الحجاج بديار عزوي ومسجد اينركب بأريس الذي جمع فيها منذ 1948م⁽⁷⁾، ليتم توزيعه ابتداء من يوم 08 أكتوبر 1954م على خمس مراحل:

المرحلة الأولى: تكفل مصطفى بن بولعيد وشيخاني بشير وبعزي لخضر بحمل كمية من الأسلحة إلى تيزي وزو.

المرحلة الثانية: نقلت شاحنة أسلحة إلى ذراع ميزان بالقبائل، تكفل بها بن بولعيد وشيخاني.

المرحلة الثالثة: نقلت شاحنة أسلحة إلى بركة.

المرحلة الرابعة: في يوم 12 أكتوبر 1954 أخذ عمار معاش 45 بندقية من قرية الحجاج.

المرحلة الخامسة: ليلة 21 أكتوبر 1954 وزع السلاح على مناضلي قرى الأوراس⁽⁸⁾، وقد عمت الثورة جميع النواحي، وكانت قواتها العسكرية تتكون من 1500 إلى 2000 مجاهد بالإضافة إلي وجود 3000 رجل احتياطي تحت تصرف جيش التحرير الوطني⁽⁹⁾.

في ليلة منتصف الاثنين أول نوفمبر 1954 حدد موعد انطلاق الثورة المسلحة⁽¹⁰⁾، وتعهد مصطفى بن بولعيد على أن تصمد منطقة الأوراس لـ 8 أو 10 أشهر حتى تنتشر الثورة في كامل ربوع الوطن، وقد اتجهت الأفواج المجمعّة قبل الفاتح من نوفمبر، وكان عددهم يفوق 350 مجاهداً، نحو باتنة، بسكرة، سريانة، إشمول، عين لقصر، وخنشلة⁽¹¹⁾.

بادر "مصطفى بن بولعيد" بتعيين القيادة العامة مباشرة بعد توزيع الطلائع الأولى على أهدافها ليضع الجميع أمام مسؤولياتهم، وكان اختياره لشيخاني

بشير ليغطي الجوانب الثقافية والسياسية كنائب أول له، واختياره عباس لغرور وعاجل عجول ليحقق الفعالية في ميادين التنظيم والتجنيد، حيث أن بن بولعيد لم يخطئ في اختيار هؤلاء النواب الثلاثة الذين كانوا بحق قيادة متكاملة على أصعب مرحلة و أنجحها في نفس الوقت، وبذلك سميت المرحلة الذهبية للأوراس التي غطت السنوات الأولى للثورة من 1954 إلى 1956⁽¹²⁾.

اعتبر الاستعمار الفرنسي منطقة الاوراس من المناطق المحرمة وطبقت عليه عدة قوانين استثنائية كقانون حالة الطوارئ الذي صدر في 03 افريل 1955، وأصدرت عدة مراسيم مثل مرسوم 26 سبتمبر 1955 الخاص بإنشاء مراكز للمصالح الإدارية المتخصصة

SECTION

ADMINISTRATIVES

SPECIALISEES

في الأرياف تعرف باسم (SAS) وتعد منطقة الاوراس أولى المناطق في الجزائر التي أنشأت فيها هذه المؤسسات وهي عبارة عن تنظيمات شبه عسكرية تعمل في إطار العمل المزدوج الاجتماعي والسيكولوجي ولاستخباراتي للجيش الفرنسي المتخصص في عملية التهدئة في القرى والأرياف⁽¹³⁾، فقد فكانت بمثابة أداة

أساسية في الحرب تسعى إلى إحصاء كل السكان لضبط عدد المتهمين والأبرياء⁽¹⁴⁾ ومن بين مناطق الاوراس التي أسست فيها هذه المراكز العسكرية الفرنسية قرية تفلفال بغسيرة التي انشأ فيها مركز للمصالح الإدارية المتخصصة وبجانبه معتقل تفلفال النسوي .

1- أسباب وظروف تأسيس معتقل تفلفال النسوي 1955 / 1962:

يعتبر معتقل تفلفال النسوي أول سجن فريد من نوعه في تاريخ الثورة الجزائرية أنشأته فرنسا لنساء المجاهدين الثوار الأوائل الذين فجروا الثورة في منطقة جنوب الاوراس لمنعهم من الاتصال بأزواجهم و لتهديد الثوار بنسائهم و أبناءهم وبسبب العمليات العسكرية المكثفة للمجاهدين ، تأسس المعتقل في شهر أوت 1955⁽¹⁵⁾ من طرف الجيش الفرنسي وهو عبارة عن ساحة صغيرة مغلقة تحتوي علي غرف وضعت فيها نساء المجاهدين مع أطفالهن من عدة مناطق من قري غسيرة ومن أوائل سجينات هذا المعتقل في سنتي 1955/1956 :

- ذهبية عبيد الله زوجة المجاهد مخلوف عبيد الله وابنتها الصغيرة زكية عمرها ثلاث سنوات .

- جمعة سليمان زوجة موسى سليمان .

- فاطمة بلعايش زوجة علي بن الحاج بن جديدي (16) وولداها بن جديدي فطيمة أربع سنوات ومحمد سنتان (17).
- فاطمة زغدود زوجة بن سي عمر الطيب.
- فاطمة بن زروال زوجة عثمان بن عمر .
- همامة بن زروال زوجة عمار بن الصادق بن جديدي.
- عائشة مفتاح زوجة عبد السلام مفتاح وبنيتها حدة وفاطمة مفتاح (18).
- زوجة السبتي وزاني بن الطيب .
- زوجة إبراهيم بن العجمي .
- زوجة خذري محمد امزيان .
- زوجة يحي احمد.
- زوجة خذري عمار بن عجول .
- زوجة الهاشمي مزياني .
- زوجة محمد الصالح بن سالم (19)
- 2- نماذج من شهادات النساء المعتقلات:

اعتمدنا في دراستنا الميدانية علي شهادات بعض المعتقلات كنموذج لهذا البحث من خلال الروايات الشفوية التي أدلت بها بعض الأسيرات عبر اللقاءات المباشرة والمسجلة والمصورة ، ومن أهم هذه الشهادات التي استطعنا أن نلتقي معها :

1/ شهادة المعتقلة ذهبية عبید الله :

تعتبر السيدة ذهبية عبید الله⁽²⁰⁾ احدي المعتقلات الأوائل التي زج بهن في سجن تفلفال النسوي ، والذي دخلته بعد فتحه في شهر أوت 1955 إذ تقول في موضوع اعتقالها " ... في أواخر صيف 1955 هجمت مجموعة من الجيش الفرنسي علي منزلي الكائن بقرية كاف العروس بغسيرة ، وأخذت عنوة مع ابنتي الصغيرة زكية إلي قرية تفلفال وتم وضعنا في السجن مع مجموعة كبيرة من النساء حوالي أربعين امرأة كان ذنبا الوحيد أننا زوجات مجاهدين ثوار ضد الاحتلال الفرنسي وكان عمري في تلك الفترة يقارب مابين 14 إلي 15 سنة " .

تقول الشاهدة ذهبية عن ظروف حياتهم داخل المعتقل " يتكون المعتقل من ساحة صغيرة مغلقة ومن عدة غرف يمنع خروج النساء والأطفال منها وتحت

حراسة مشددة من طرف الجيش الفرنسي وفرق الحركي⁽²¹⁾ واللفيف الأجنبي⁽²²⁾ ، وكانت تمنع علينا الزيارة من طرف أهاليها الذين كانوا يزودوننا بالغذاء والمثونة والذي يتكون من دقيق القمح والشعير والتمر ويقوم وقاف القرية بتقسيم المثونة علي النساء المعتقلات ، وكنا نطبخ في مجموعات في ساحة المعتقل ونزود بمياه للشرب عبر صهريج يوضع في الساحة ولا يسمح لنا بالاتصال بأهاليها طيلة فترة الاعتقال

وتسترسل الشاهدة ذهبية عبيد الله بقولها عن موقف الثوار من اعتقال زوجات المجاهدين " .. لما سمع مجاهدو جيش التحرير الوطني باعتقال بعض النساء والأطفال من أبناء منطقة غسيرة قرر قائد المنطقة المجاهد محمد بن مسعود بلقاسمي ونائبه المجاهد علي بن جديدي والمجاهد مخلوف عبيد الله الذي اعتقلت فرنسا زوجاتهم وأطفالهم، ففي شهر أكتوبر شن المجاهدون هجوما بعد صلاة المغرب علي مركز الشؤون الإدارية المتخصصة لاصاص بتفلفل وكانت حصيلة هذا الهجوم مقتل ضابطين فرنسيين احدهما برتبة ملازم وثلاثة عشر جنديا وذلك أثناء إنزال العلم الفرنسي في المساء ولكن النساء لم يستطعن الفرار من المعتقل بسبب صغر سن أطفالهن ."

وعن ردة فعل القوات الفرنسية علي هذا الهجوم تقول الشاهدة ذهبية عبيد الله " ... كان رد فعل الجيش الفرنسي في نفس الليلة وبعد العملية استنجد بتعزيزات عسكرية من فرق الحركي واللفيف الأجنبي من منطقة تكوت وارييس وقام بالمهجوم علي معتقل النساء بالخناجر والأسلحة كالبنادق ، فأرادوا الانتقام من الثوار بذبح أطفالهم فوجدو عددهم يفوق اثني عشر طفلا ، فقرروا في النهاية وضع قبلة فوق غرفة الأسيرات وتم تفجيرها في منتصف الليل فتم تدمير الغرفة علي مجموعة كبيرة من النسوة مع أطفالهن

كانت نسبة الخسائر كبيرة وتمثلت في :

- استشهاد فاطمة بلعائش زوجة المجاهد علي بن جديدي وولديها بن جديدي فطيمة وبن جديدي محمد .
- استشهاد مفتاح عائشة بنت عمر وبناتها ، مفتاح حدة بنت عبد السلام ومفتاح فاطمة بنت عبد السلام .
- استشهاد يمينة وزاني ابنة السبتي .
- استشهاد رقية صايغي ابنة علي بن عمار ، وتم دفنهن جماعيا بردمهن في حفرة .

وكرد فعل علي الهجوم حرق الجيش الفرنسي سكنات ومنازل المجاهدين
 كمنزل بن جديدي علي ودار بلقاسمي بوبكر وبلقاسمي احمد والطيب
 وقلع أشجار النخيل العائدة لعائلة بلقاسمي محمد بن المسعود قائد الهجوم ونائبه
 علي بن جديدي وأشجار عائلة عمار بن جديدي بن الصادق ... ونهب حلي
 النساء من الفضة وبعض المواشي لبعض سكان تفلال "

وتذكر الشاهدة ذهبية عن النساء المعتقلات " بعد سقوط الغرفة تم تحويل
 النساء إلى سجن آخر والذي مكثنا فيه مدة عام إلى غاية أكتوبر 1956
 " (23) .

2/ شهادة المعتقلة جمعة سليمان :

المعتقلة جمعة سليمان من مواليد قرية كاف لعروس عرش أولاد يحي
 بغسيرة تزوجت ببن عمها المجاهد موسى سليمان ، اعتقلت من منزلها بكاف
 لعروس ووضعت بسجن تفلال النسوي في أواخر صيف 1955 بسبب
 انضمام زوجها للثورة التحريرية الجزائرية ، إذ تقول الشاهدة عن ظروف حياتها
 داخل المعتقل " .. كنا نتعرض للضرب والتعذيب والتهديد بالسلاح الأبيض لقد

قضيت في المعتقل مدة عامين لا يسمح لنا الاتصال بأهالينا وتعرض لأبشع أنواع الاهانة والتعذيب النفسي والجسدي²⁴

3/ شهادة المعتقلة الشامخة بن رحمون :

الشامخة بن رحمون هي زوجة المجاهد بن رحمون محمد اعتقلت في سجن تفلال لمدة سنتين من 1956 إلى 1958 إذ تروي في شهادتها عن حياتها في المعتقل " .. كان المعتقل يستقبل حوالي 300مئة امرأة من نساء المجاهدين اللواتي خضعن للإقامة الجبرية في السجن ابتداء من الساعة الخامسة إلى غاية الساعة السابعة صباحا ، لتعود النسوة إلى بيوتهن في الصباح لترعى شؤون البيت من طبخ وزراعة ورعي ... وفي المساء يذهبن إلى المعتقل ففي كل ليلة علي الساعة العاشرة يأتي الضباط الفرنسيون لإحصاء عدد النسوة المتواجدات في المعتقل ، وكنا في الليل نفتش أكوام من القش وبعض الأغطية الرثة وكانت حياتنا جد صعبة في المعتقل "²⁵

3- الآثار الجسدية والنفسية علي النساء المعتقلات:

حسب شهادات النساء الأسيرات فان السنوات التي قضتها هؤلاء النسوة في المعتقل خلفت عدة آثار جسدية ونفسية علي حياتهن والتي مازالت آلامها إلي غاية الفترة المعاصرة بسبب المعاناة التي عايشنها في المعتقل والتي تنقسم إلي مايلي :

1/ الآثار الجسدية :

تعرضت المرأة المعتقلة إلي الضرب والاعتصاب من طرف الجيش الفرنسي ومن طرف جنود اللفياف الأجنبي إذ تذكر الشاهدة فاطمة زغدودي في روايتها عن حياتها في المعتقل " .. دخلت إلي المعتقل مع ابني الصغير وكنا نتعرض للضرب الجسدي والتهديد بالسلاح الأبيض ، إذ أصبت في احدي قدمي بعدة جروح والتي مازلت أعاني من أثارها وسببت لي ببطء في المشي والحركة" ²⁶ ، أما المعتقلة ذهبية عميد الله فتذكر في شهادتها " لقد تعرضت في المعتقل إلي الضرب من طرف الحركي و بعد تفجير القنبلة جرحت مع ابنتي زكية وانتشلت من الردم الذي سقط علي كتفي إذ جرحت من الظهر والكتف والفخذ والتي مازالت أثارها بارزة علي شكل ندابات ، أما ابنتي زكية ثلاث سنوات فقد جرحت في رأسها وبقيت تعاني من آثار جروحها إلي غاية وفاتها "

أما عن حالات الاغتصاب التي تعرضت لها النساء المعتقلات في سجن تفلال في فترة 56/55 فتذكر الشاهدة ذهبية عبيد الله " .. يتم اغتصاب النساء في كل ليلة من طرف جنود الليف الأجنبي باختيار مجموعة من النسوة اللواتي ليس هن أطفال صغار ويجولن إلي أمكنة خاصة ، أما النساء اللواتي هن أطفال فيقمن بضرب ووخز أطفالهن لكي لا يقترب إليهن الجنود ولإثارة الانتباه و الفوضى في السجن وهناك معتقلة تم اختطافها من السجن من طرف مسؤول ضابط لاصاص ونقلها إلي المركز وهي السيدة العطرة يخلف زوجة المجاهد بشير تابليت التي ظلت أسيرة في المركز لدي الفرنسيين من صيف 1956 إلي نهاية سنة 1959 (27) ، وبسبب شكاوي النساء المعتقلات من اعتداءات بعض الجنود علي نساء المجاهدين وتعاون مع أهالي المعتقلات قرر ضباط الجيش الفرنسي وضع حراس من السكان المدنيين في المعتقل لحراسة النساء وهما : زروال الصادق وهنداوي رمضان وامرأتان هما : علجية عثمانى ومنصورة زروال (28) وبهذا توقفت اعتداءات الجنود علي النساء الأسيرات .

2/ الآثار النفسية :

إن الحديث عن الآثار النفسية الناجمة عن التعذيب الجسدي والاعتصاب للنساء المعتقلات في سجن تفلال ليس بالأمر الهين بسبب غياب الدراسات الميدانية المتخصصة والوثائق الأرشيفية ، وعزوف اغلب النساء عن الإدلاء بشهادتهن عن الأوضاع التي عايشنها في هذا المعتقل بسبب حساسية الموضوع ، خاصة بالنسبة للمرأة الريفية المحافظة وبسبب العادات والتقاليد التي تمنع التصريح بتلك الأفعال .

فمن خلال استقراءنا لشهادات بعض النساء المعتقلات نلاحظ أن نسبة كبيرة منهن تأثرن نفسياً بما وقع لهن في المعتقل من اعتداءات وتعذيب .

فمثلاً تذكر المعتقلة جمعة سليمان في شهادتها "...عندما أتذكر سنوات الاعتقال في سجن تفلال ارتعش من الخوف وابكي ولا أستطيع القيام بأعمال شؤون بيتي اليومية ، وفي بعض الفترات تتنابني كوابيس وعندما أمر بالسيارة علي منطقة تفلال أغمض عيني لكي لا أرى هذه القرية لأنها تذكرني بسنوات المعتقل القاسية ..." ²⁹

أما السيدة فاطمة زغدودي فتذكر في شهادتها عن سنوات الأسر " ..مازلت إلي يومنا الحاضر أعاني من عدة آثار نفسية بسبب الاعتقال كالخوف

الدائم من الليل ، وخوفها من نور المصباح لأنه يذكرها بهجمات المجندين الفرنسيين وفرق الليف الأجنبي علي المعتقل كل ليلة لتخويفهن والاعتداء عليهن بالتهديد والضرب " (30)

في شهادة السيدة ذهبية عبيد الله التي تحدثت عن الآثار النفسية إذ تقول " ..عندما أتذكر فترة الاعتقال تتابني نوبات تسارع مفاجئة وخفقان في القلب وتصلب عضلي وحالة ارتعاش، وهي نوع من الآثار النفسية الجسدية " (31)

4- تحليل ومقارنة الشهادات الشفوية من خلال الوثائق الأرشيفية والمصادر المكتوبة:

تعتبر الشهادات الشفوية مصدرا من مصادر التاريخ الإنساني لأنها تؤرخ لحياة الأمم والشعوب ، كحياة المرأة في السجون والمعتقلات الاستعمارية أثناء فترة الثورة الجزائرية ، وتعد مادة تساعد علي كتابة التاريخ إلا أن هذه الشهادات الشفوية ليست مطلقة ، إذ يجب علي الباحث أن يعرضها للنقد والتحليل والمقارنة ويتمثل ذلك عبر النقاط التالية :

- إن الرواية الشفوية تعد مصدرا ثانويا في حالة وجود الوثيقة ومصدرا أساسيا عند انعدام الوثائق الأرشيفية والمصادر المكتوبة فعلي الباحث أن يعتمد علي النقد والتحليل في استقرائه للشهادات نظرا لوجود ارتفاع في نسبة الذاتية في الرواية الشفوية.

- علي المؤرخ أن يعتمد علي المصادر الأرشيفية ويقارنها مع الروايات الشفوية لان الأرشيف ثابت والرواية تتغير أحداثها من شخص إلي آخر بالإضافة إلي دور عامل الزمن والسن للراوي.

- يجب علي الباحث أن يحلل أحداث الروايات الشفوية ويقارنها ببعضها البعض ولا يعتمد علي رواية واحدة في دراسته.

- إن الرواية الشفوية لها القدرة علي سد الثغرات والإجابة عن الأسئلة التي لم تذكرها الوثائق ، إذ تساهم الرواية في استنطاق المسكوت عنه وإثارة بعض القضايا المحظورة مثل / التعذيب ، الاختطاف ، الاغتصاب ، الاغتياالات

إن الرواية الشفوية رغم أهميتها وقيمتها التي تكشف عن الكثير من الحقائق، إلا أنه يجب على الباحث أن يسلك أسلوب علمي في التحقق من صحة الرواية ونسبتها إلي صاحبها(31)، من أجل التثبت من صحة الروايات

المنقولة شفويا ومطابقتها مع الواقع الذي نتحدث عنه خاصة أننا نواجه في الرواية الشفوية مزاج الراوي وعواطفه وميوله وتحزبه التي تبعدنا عن الحقيقة أحيانا .

الهوامش والإحالات :

1) غسيرة : تقع بلدية غسيرة بولاية باتنة بالاوراس الجزائر تتكون من عدة قرى أهمها : تفلفال ، مسعودة ، أولاد بوعكاز ، تاحمامات ، أولاد هلال أولاد إدير، أولاد عابد ، تابعليت ، حيزة (شرفة) ، أولاد فاتح ، أولاد ورياش غوني ، أولاد ميمون، كاف لعروس .

2) الاوراس : تقع جبال الاوراس في سلسلة الأطلس الصحراوي شرق الجزائر والتي يفوق علو قمم جبالها عن 1800م أهمها جبال شليا والتي توجد بها اعلي قمة جبلية في شمال الجزائر - قمة كلثوم - والتي يقدر ارتفاعها ب 2328 م ، وجبال المحمل التي يقدر علو قممها ب 2321م ، وجبال احمر خدو تقدر ب 1975م وجبال بوعريف 1646م وجبل الازرق يقدر علوه ب 2172م ومرتفعات انوغيسن وارييس، تشرف هذه الجبال في الشمال علي مدينة تيمقاد و الجنوب علي منطقة سيدي عقبة وحنقة سيدي ناجي وزربية الواد ، يرجع أصل سكان الاوراس إلى الجيتول والليبيون . ثم شهدت المنطقة عدة هجرات مشرقية كالفينقيين اذ يرجع المؤرخون العرب أصل السكان إلى

المشرق، كالمؤرخ العربي ابن خلدون الذي ينسبهم إلى مازيغ بن كنعان بن سام بن نوح فالامازيغ أبناء عم العرب والفينيقيون وهم قوم أشراف يدعون أنفسهم الأمازيغ أي السادة الأحرار وكانوا يرعون الماشية ويلبسون البرانس من صوفها وجلودها ويأكلون لحومها مع ما تنبت لهم الأرض. وأغلب سكان أوراس ينتمون إلى الامازيغ ويعرفون بالشاوية، ويتكون سكان الاوراس بدورهم من عدة قبائل منها: أولاد عبيدي وبني بوسليمان وأولاد داود التوابة وبني اوجانة وأولاد سلام وأولاد زيان وقبائل أحمر خدو وأولاد فاطمة وقبائل النمامشة وأولاد سلطان والغواسير والسراحنة والشرفاء وبني فرن.....وينقسمون إلى عرب و امازيغ .

3) وافية نفطي، الرواية الشفوية بين المقاربة العلمية والضرورة الحتمية في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية 62/54، ملتقى وطني بجامعة باتنة -الجزائر- حول - إشكالية كتابة التاريخ الثورة بين المصادر الرسمية والذاكرة الحية - المنعقد يوم 09 / 10 نوفمبر 2015،ص،

4) ميري عبد زيد عبد الحسين و أ.م.د. جبار رشك شناوة، «مدى استعمال التاريخ الشفوي كمدخل من مداخل تدريس مادة التاريخ في المرحلة الثانوية من وجهة

نظر مدرس ومدرسات هذه المادة»، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد 9، العددان 3 و4 سنة 2010، ص، 177

5) لالا فاطمة نسومر: ولدت لالا فاطمة في 1246هـ / 1830م ونشأت نشأة دينية . وكان لها أربعة أخوة ، أكبرهم سي الطاهر ، تولت أمور الزاوية الرحمانية بعد وفاة والدها . كسرت لالا فاطمة نسومر القاعدة بمقاومتها للاستعمار بعد أن كانت مقتصرة على الرجال فقط ، وقاومت زحف الجيش الفرنسي في بلاد القبائل حيث كانت متابعة للأوضاع وللأحداث في المنطقة خاصة بعد معركة « ثادميت » التي قادها المجاهد « الحاج عمر بن زعموم » ضد قوات الجيش الفرنسي عام 1844، ورغم تصوفها وتبحرها في أمور الدين لم تكن غافلة على تمركز الفرنسيين في تيزي وزو بين 1845 و 1846 وفي « دلس » ثم محاولة الجنرال « راندون » دخول « الأربعاء ناث ايراثن » عام 1850، والتي هزم فيها هزيمة منكرة ، وشاركت بجانب بوبغلة في المقاومة والدفاع عن منطقة جرجرة وفي صد هجمات الاستعمار على الأربعاء ناث ايراثن وقطعت عليه المواصلات ، ولهذا انضم إليها عدد من قادة الأعراش وشيوخ الزوايا والقرى .

وأشهر معركة قادتها فاطمة نسومر هي تلك المعركة التي خاضتها الى جانب الشريف بوبغلة في مواجهة الجيوش الفرنسية الزاحفة بقيادة الجنرال روندون وماهون ، فكانت المواجهة الأولى بربوة « تمزقيدة » حيث أبدت مقاومة بالغة ،

لكن عدم تكافؤ القوات عدداً وعدة اضطر الشريف بوبغلة للأخذ بنصيحة فاطمة نسومر للانسحاب نحو « بني بني » ودعيا للجهاد المقدس ، فاستجاب لهما شيوخ الزوايا ووكلاء مقامات أولياء الله ، فجندوا الطلبة والمؤيدين وأتباعهم واتجهوا نحو «واضية» لمواجهة زحف قوات الاستعمار بقيادة « راندون ويوسف المملوك» ومعهما الباش آغا الخائن الجودي ، فاحتدمت المعركة ، وتلقت قوت العدو هزيمة نكراء ، وتمكنت فاطمة نسومر من قتل الخائن الجودي بيدها ، واستطاعت أن تنقذ من موت محقق رفيقها في السلاح الشريف بوبغلة ، حينما سقط جريحاً في المعركة ، الرغم من الهزيمة التي منيت بها قوات «راندون» فإن ذلك لم يمنعه من مواصلة التغلغل بجمال جرجرة ، فاحتل «عزازقة» عام 1854، ووزع الأراضي الخصبة على المستعمرين القادمين معه ، وأنشأ معسكرات في كل المناطق التي تمكّن منها ، وواصل هجومه على كل المنطقة ، وهذا كله لم يمنع لا لا فاطمة نسومر من إكمال مشوارها في المقاومة ، فحققت انتصارات بنواحي «يللتن» و«الأربعاء» و«تخت» و«عين تاوريغ» مما أدى بالجيش الفرنسي لطلب قوات إضافية ، فاضطرت على إثرها إعطاء الأوامر بالانسحاب بقواتها إلى قرية «تاخليجت ناث عيسي» لا سيما بعد اتباع قوات الاحتلال أسلوب التدمير والإبادة الجماعية بقتل كل أفراد العائلات دون تمييز . ولم يكن انسحاب لا لا فاطمة نسومر انهمازماً وإنما لتكوين فرق سريعة من المجاهدين لضرب مؤخرات العدو وقطع طرق المواصلات والإمدادات عليه ، وهذا ما أربك قوات الفرنسيين وعلى رأسهم الجنرال راندون المعزز بدعم

قوات الجنرال «ماكماهون» القادم من قسنطينة ، وخشي هذا الجنرال من تحطم معنويات الجنود فجند جيشاً قوامه 45 ألف جندي بقيادته الجنرال «ماكماهون» صوب قرية «آيت تورغ» حيث تتمركز قوات فاطمة نسومر المتكونة أساساً من جيش من المتطوعين قوامه 700 فرداً ، ولما احتدمت الحرب خرجت لالا فاطمة نسومر في مقدمة الجميع وهي تلبس لباساً حريياً أحمر كان له الأثر البالغ في رعب عناصر جيش الاحتلال ، وعلى الرغم من المقاومة الباسلة فإن الانهزام كان طبيعياً مما دفع لالا فاطمة لطرح مسألة المفاوضات وإيقاف الحرب ، لكن السلطات الفرنسية نقضت العهد وغدرت بالوفد المفاوض وتم اعتقالهم بمجرد خروجهم من المعسكر ثم أمر الجنرال بمحاصرة فاطمة نسومر وتم أسرها . وخشية من الثورة مجدداً ببلاد القبائل أبعَدَتْ لالا فاطمة نسومر مع 30 شخصاً من رجال ونساء لبني سليمان بتابلاط وبقيت لمدة سبع سنوات تحت الإقامة الجبرية إلى أن توفيت رحمة الله عليها وهي لم تتجاوز 33 سنة بعد مرض عضال تسبب في شللها .

6) مصطفى بن بولعيد : (1917-1956) هو أحد مفجري الثورة الجزائرية 1954 ، قائد المنطقة الأولى "الأوراس" ، التحق بحزب الشعب بعد أحداث 08 ماي 1945م، وانظم إلى المنظمة الخاصة عند تأسيسها، وكان من مؤسسي اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وترأس اجتماع ال22. أسر بالحدود

التونسية الليبية، ثم فر من سجن الكدية بقسنطينة في 10/11/1955م،
واستشهد يوم 22 مارس 1956 بجبل الأزرق بضواحي نارة.

⁷ محمد الطاهر عزوي، الثورة الجزائرية، أحداث وتأملات، جمعية أول نوفمبر،
1994، ص 51.

⁸ وهيبة سعدي، الثورة الجزائرية ومشكلة السلاح 1962/1954، دار
المعرفة، ص ص 23، 24.

⁹ يوسف مناصرية، "قوات جيش التحرير الوطني المتمركزة على الحدود
الشرقية"، نشأة وتطور جيش التحرير الوطني، منشورات وزارة المجاهدين،
الجزائر، 2005م، ص 121.

¹⁰ الشهيد مصطفى بن بولعيد، المتحف الوطني للمجاهد، سلسلة الثورة
الجزائرية 1962/1954، ص 71.

¹¹ عمار ملاح، محطات حاسمة في ثورة نوفمبر 1954، دار الهدى للطباعة
والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2012، ص 110.

¹² محمد الصغير هلايلي، شاهد علي الثورة في الاوراس، دار القدس العربي،
2013، ص 77.

Les archives d'outre mer – aix-en 13)
provence- Boit n° 6SAS₁₅→ Constrution des

S.A.S. 1956.1962. Medina –Teniet, Tifelfel et
Tikout.

¹⁴ رشيد زبير ، جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة (1956-1962)، الجزائر: دار الحكمة، 2010، ص: 41-43 .
15) عمر تابليت ، دور غسيرة في ثورة التحرير ، الجزء الأول ، مطبعة المعارف،
عناية الجزائر ، 2008، ص، 143.

16) بلقاسم زروال، فرسان في الخطوط الأولى صفحات من رحلة الجهاد في
الاوراس والصحراء ، دار الاوراسية ، 2012، ص، 14.
17) شهادة المعتقلة ذهبية عبيد الله ، يوم 13/مارس/ 2015، من الساعة
10 صباحا إلى 12 زوالا بمدينة باتنة
18) عمر تابليت ، مرجع سابق ، ص، 135، 134

19) ذهبية عبيد الله :من مواليد قرية غوفي بغسيرة تزوجت بابن عمها عبيد
الله مخلوف الذي يعتبر احد مفجري الثورة الجزائرية في الاوراس إذ شارك مع
الثوار في تفجير عملية ليلة أول نوفمبر 1954 بمدينة بسكرة بقطع الطريق
والأسلاك الكهربائية علي مدينة بسكرة ووضع قبلة قرب فندق يؤمه مجندين
فرنسيين انفجرت علي مجموعة منهم ، اعتقلت ذهبية عبيد الله بسبب أنها
زوجة احد الثوار ووضعت في سجن تفلقال النسوي لأكثر من عام .

20) فرق الحركي: الحركي كلمة تطلق على كل شخص جزائري خائن التحق بصفوف العدو الفرنسي وأخذ على عاتقه كشف أخبار المجاهدين والمناضلين لمساعدة الفرنسيين جيشا ومخابرات على ملاحقة الوطنيين واضطهادهم وقتلهم. ومهما اختلفت الدلالة اللغوية للحركي فإن معناها الاصطلاحي عند الجزائريين هو ببساطة الذين اختاروا الصف الآخر، الصف الفرنسي ووقفوا ضد إخوانهم الجزائريين إما عن كره أو طواعية.

21) اللفيف الأجنبي : مصطلح أطلق علي المجندين غير الفرنسيين في الجيش الفرنسي ، اغلبهم من أبناء المستعمرات الفرنسية من غرب إفريقيا " السنغال ، مالي ، المغرب الاقصي ، تشاد ... " استغلتهم فرنسا كفرق عسكرية في جيشها في الجزائر ، لمواجهة جيش التحرير الوطني الجزائري في فترة 1962/1955 .

22) لقاء مع المعتقلة ذهبية عبيد الله يوم 13/ مارس /2015 بمدينة باتنة ، من الساعة 10 صباحا الي 12 من منتصف النهار .

23) لقاء مع المعتقلة جمعة سليمان يوم 20 ديسمبر 2015 بغسيرة ، من الساعة 9 الي 11 صباحا .

24) شريط مسجل عن معتقل تفلفال النسوي إبان الثورة التحريرية ، من إنتاج المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية والثورة التحريرية ، إخراج كمال غضبان .

25) شهادة فاطمة زغدودي ، شريط مسجل عن معتقل تفلغال النسوي ، مصدر سابق .

26) شهادة ذهبية عبيد الله ، مصدر سابق .

27) عمر تابليت ، مرجع سابق ، ص ص ، 137 ، 142.

28) شهادة جمعة سليمان، مصدر سابق .

29) شهادة فاطمة زغدودي ، مصدر سابق .

30) شهادة ذهبية عبيد الله ، مصدر سابق .

31) إبراهيم بيضون ، مسائل المنهج في الكتابة التاريخية العربية، دار المؤرخ العربي، 1995، ص.127

الحياة اليومية داخل المعتقلات الفرنسية بالولاية الخامسة

أثناء الثورة التحريرية 1954-1962

أ. جلامة عبد الوحيد- قسم التاريخ- تلمسان- جامعة أبي بكر بلقايد.

الملخص:

عرفت الجزائر خلال الثورة التحريرية ما بين 1954-1962م، انتشار واسع لبناء المعتقلات الاستعمارية الفرنسية؛ بصفة عامة في الجزائر وبصفة خاصة في الولاية الخامسة، حيث اعتمدت فرنسا على هذه السياسة الجديدة التي عوضت بها سياسة النفي والإبعاد خارج البلاد ولتغطي على جرائمها الواسعة، كما عكست هذه السياسة حقيقة الاستعمار الاستيطاني في الجزائر، لما كان لها من انتهاك للحقوق الإنسان والممارسات اللاإنسانية من خلال التعذيب داخل المعتقلات.

-مقدمة:

اعتقدت السلطات الاستعمارية أنها سوف تقضي على الثورة في وقت قصير جدا، بإقامة المعتقلات، وقد مهدت لذلك بسن مجموعة من القوانين التعسفية، وإطلاق يد غلاة الاستعماريين في القتل والإبادة الجماعية،

واعتقال كل شخص يشتبه فيه أنه ينتمي أو يتعاطف مع الثورة في كثير من الأحيان دون محاكمة.

ولهذا أنشأت السلطات الاستعمارية عقب اندلاع الثورة معتقلات ، استقبلت ضحاياها من بين الذين كان لهم نضال سياسي معروف ومواقف وطنية ، رغم عدم وجود أدلة تثبت اشتراكهم الفعلي في حمل السلاح، حيث كانوا يوجهون نحو المعتقلات للشبهة فقط.

ولقد كان الهدف من إنشاء المعتقلات تحقيق مجموعة من الأهداف نوجزها في ما يلي:

-إبعاد المواطنين عن الإسهام الفعلي في الثورة.

-تسليط الإرهاب و القمع على العناصر التي تتعاطف مع الثورة قصد ضرب معنوياتهم

و بالتالي ضمهم إلى الجانب الفرنسي.

-العمل على بث التفرقة السياسية و النعرات الجهوية وإيجاد تضارب بين أبناء البلد الواحد للقضاء على الوحدة الوطنية.

-تهيئة العناصر المستسلمة بواسطة المصالح السيكلوجية إلى قبول الإصلاحات المضادة

لمبادئ الثورة و أهدافها¹.

1- تعريف المعتقل:

يختلف المعتقل عن السجن، وهو ليس من نوع خاص، ويطلق على كل مكان يجمع فيه الناس وتقيّد حرّيتهم فيه، ويساقون إليه نتيجة لفوضى طارئة أو لثورة قائمة، فلا يتعرّض من في المعتقل للمحاكمة⁽²⁾.

ويمكنون هناك مرهونين بما نسبت إليهم الإدارة الفرنسية من أعمال، أمّا فيما يخصّ نوع المعتقلين كان في البداية من السياسيين والمتقّفين والطلّبة وعند انتشار الثورة عمل العدو على إدخال كل من كانت له علاقة بالثورة⁽³⁾.

والمعتقلات نوعان: المدنية والعسكرية، وتختصّ العسكرية باستقبال الأسرى من المجاهدين العسكريين، وغالبا ما كان يعدم هؤلاء على إثر كلّ عملية عسكرية يقوم بها الثوار ضدّ مراكز العدو فينتقمون من المجاهدين الذين وقعوا في الأسر⁽⁴⁾.

لقد بدأ الفصل الأوّل من المعتقلات في الجزائر في سنة 1840 وما بعدها عندما اتّبع

الجنرال "بيجو"⁽⁵⁾ سياسة الأرض المحروقة مع المقاومة الوطنية، حيث يقوم بحشد المؤيدين لها من قبائل وأعراش في محتشدات رهيبة يمنعهم فيها حتّى من حقّ الترحال والرّعي وزراعة أراضيهم، أمّ فيما يخصّ الفصل الثّاني من المعتقلات فقد بدأ مع اندلاع ثورة نوفمبر 1954، عندما جعلت فرنسا أرض الجزائر منظومة واسعة⁽⁶⁾ من:

- السّجون، المحتشدات، المعتقلات، مراكز التعذيب، التّكنات العسكرية، مكاتب الضّباط الشّؤون الأهلية (لصاص)⁽⁷⁾.

ومّا سبق يتبيّن لنا وجود فوارق مختلفة بين السّجن والمعتقل، فالسّجن قدس قدم ظهور الحضارات، بينما المعتقل لا يظهر إلّا في الحروب والصّراع بين الدّول، وفيه يحشر ذوو الأفكار الحرّة ومختلف الاتجاهات السّياسية، وإذا زالت الحروب زالت معها المعتقلات؛ ولا يبقى في هذه الحالة إلّا السّجن وهو مستمرّ ما استمرّت الحياة المدنية والاجتماعية المنظّمة لأنّها تحدّ من طغيان الانحراف، وإذا تعرّضت أي دولة للاحتلال⁽⁸⁾ فإنّ معتقلاتها تغلق ويطلق سراح من فيها، بينما سجونها تستمرّ بساكنيها لأنّ السّجن يتمتّع بالاستقلال الإداري والمالي

ويخضع لنظام معين، أمّا المعتقل فهو رهين الظروف حيث يكون تابعا للهيئات العسكرية⁽⁹⁾.

2- أنواع المعتقلات:

*مراكز الفرز والعبور (les centres de treillages et de transit):

هي مراكز مخصّصة للتعرف على الأشخاص العاملين في صفوف الثورة يقضي فيها المعتقلون مدة تتراوح ما بين الشهر وثلاثة أشهر⁽¹⁰⁾ في انتظار ترحيلهم إلى المعتقلات أو تسريحهم بعد عودتهم منها⁽¹¹⁾ ويلاحظ في هذه المراكز قاعات المكتب الثاني⁽¹²⁾ المسير من طرف ضباط الجيش الفرنسي وهؤلاء الضباط يتمتعون بكامل السلطات، ولهم الحق في قتل المعتقلين أو إبقائهم على قيد الحياة ممّا يجوّل لهم العمل بكامل الحرية وصلاحيّة التصرف المطلق⁽¹³⁾ وهي أكثر المراكز عددا وأهمّها⁽¹⁴⁾ ويلزم فيها المعتقلون بالعمل الشاق بالمزارع المجاورة بالسّخرة في الثكنات العسكرية⁽¹⁵⁾ وقد تقدّمت بعثة الصليب الأحمر بانتقاداتها اللاذعة لهذه المراكز لما كان يشهده المعتقلون من الاستغلال إمّا للأعمال الشاقة أو استغلالهم في العمليات العسكرية، وكذا

التعذيب الذي كان يسلط عليهم إمّا بواسطة الماء أو بواسطة الكهرباء أثناء الاستنطاق⁽¹⁶⁾

* مراكز الإيواء (les centres d'hébergement):

أنشئت في أكتوبر 1955 من طرف عالمة الأعراق "جرمان تيون"، وهي جزء من التدابير ذات الطابع الاجتماعي الاقتصادي وتكملة للتدابير السياسية والعسكرية⁽¹⁷⁾ وهي من الإجراءات القمعية الاضطهادية التي طبقتها فرنسا في الجزائر لمحاولة خنق وتطوير الثورة بعزل الشعب عنها ومنع وصول أي مدد أو مساعدة سواء كانت سلاحاً أو غذاءً أو دواءً، رغم أنّها لم تأخذ طابعها الرسمي والمنظم إلا في سنة 1956 بعد صدور قانون الطوارئ في أبريل 1955⁽¹⁸⁾ الذي بموجبه تمّ تطبيق العديد من الإجراءات التي تنتهك الحريات الإنسانية، ومن بين هذه الإجراءات:

منع حركة الناس أو المركبات في الأماكن والأوقات التي حددها المرسوم.

بموجب هذا المرسوم تمّ تحديد مناطق الحماية أو الأمن أين تكون سلامة الأشخاص منظمّة داخلها.

منع البقاء في أي منصب في الإدارة لجميع الأشخاص الذين يسعون إلى عرقلة العمل الحكومي بأي شكل من الأشكال.

وقد حققت هذه المراكز نجاحا أثار الحذر في أوساط الجيش نفسه، بينما يمقتها غلاة المحافظين لأنهم لا يرون بؤس الجزائريين أو أنهم يرون هذا البؤس طبيعيا، وبالتالي فهم لا يفهمون فائدة إقامة هذه المراكز للشعب الذي هو في نظرهم حامي المتمردين يجب معاقبته⁽¹⁹⁾.

*المعتقلات السوداء (les camps noirs) :

تحت هذا المصطلح تتجمع عدّة أنواع من المعتقلات التي ليس لها أي وجود رسمي، وهي أيضا مشدّدة ولا يوجد أي نصّ رسمي يبرّر وجودها، إنّ الأشخاص الموقوفين سواء من قبل مصالح الشرطة أو عن طريق إحلال السلام أو بعض السّجاء الذين يطلق سراحهم ثمّ يوضعون مرّة أخرى تحت الأسر أو الإقامة الجبرية⁽²⁰⁾، فيتمّ توجيههم إلى:

1- معتقلات الإختيار ومنها: "وادي عيسى" و "البرج العسكري" بتيزي وزو، حيث يتمّ استجواب الأشخاص المحتجزين من قبل ضباط أو رجال الشرطة تبعا

ل طرق التعذيب التي أصبحت كلاسيكية في الجزائر منذ مدة طويلة، فيمّ إطلاق سراح البعض أمّا الباقون فيوضعون تحت الإقامة الجبرية في معتقلات رسمية

2- معتقلات التعذيب حيث كان يزرع فيها بالآلاف من الأشخاص خضع أغلبيتهم للتعذيب بالكهرباء أو الماء أو بإخضاعهم للعمل الشاق سواء في خدمة الجيش (العناية بأمّاكن إقامة الجند، تجهيز السّاحات...)، أو في خدمة المعمرين المقيمين في جوار المعتقل.

3- معتقلات الإبادة منها: باليسترو "palestro" و معتكاس "maatkas" وكانت يتمّ

اعتقال المشتبه فيهم بعد عمليات التمشيط في باليسترو، ثمّ يعدمون وفي الغد تنشر في الجرائد عناوين عريضة تحمل أسماء 20 أو 30 متمرّد -حسب تعبيرهم-، حيث كان المعتقلون يعيشون داخل هذه المعتقلات ككباش كلّ واحد ينتظر دوره ليتّم قتله، أمّا فيما يخصّ معتقل معتكاس "maatkas" فإنّ معتقليه كانوا يستعملون كأهداف للرماية

3- نماذج عن المعتقلات الاستعمارية في الجزائر خلال الثورة الجزائرية 1956_ 1962 بالولاية الخامسة:

إنَّ اشتداد الثَّورة التَّحريرية والتفاف الشَّعب حولها جعل الاستعمار الفرنسي يفكّر في كيفية القضاء عليها، لدى عمل على عزلها عن الشَّعب كما تعزل السَّمكة من حوضها المائي، ولهذا أقام عددا من المعتقلات الرّهيبية من أجل تحقيق هدفه كان من أهمّها ما يلي:

*معتقل بوسوي:

يعتبر معتقل بوسوي من أكبر المعتقلات في الجزائر. (21) يقع هذا المعتقل جنوب سيدي بلعبّاس في دائرة تلاغ، على بعد 57 كم في أعالي جبال الضاية على ارتفاع 1350م محاط بأشجار الصنوبر حيث الظروف الطبيعية القاسية، برودة شديدة في الشتاء وحرارة عالية في الصيف وكان عبارة عن ثكنة عسكرية داخل، يعود بناؤها إلى عام 1845 من طرف الإدارة الفرنسية ساهم فيها جزائريون غالبيتهم من المساجين وبني بشكل هندسي كولونيا لي وهو الطّابع الغالب بشكل ملفت للنظر في منطقة سيدي بلعبّاس، كان أوّل الأمر مركزا لاعتقال الجزائريين، سيما المحكوم عليهم بالإعدام، وتحوّل خلال الحربين العاميتين الأولى والثّانية كمعتقل للجنود الإيطاليين والألمان وحتى الأفارقة (22).

كان بوسوي معتقلا للسياسيين الجزائريين في الحرب العالمية الثّانية، وقد فتح في 16 أوت 1955 (23) لاستقبال الجزائريين بعد اندلاع الثَّورة التَّحريرية،

قدّرت طاقته الاستيعابية بحوالي 1500 معتقل موزعين على 82 مرقد، لا يُرى من داخله إلاّ السّماء⁽²⁴⁾ كما كان يحتوي على زنانات ضيّقة يبلغ طولها 3 أمتار وعرضها 1.2م بلغ عددها 15 زنانة يحشر بكلّ واحدة منها العشرات من المعتقلين⁽²⁵⁾.

ومع اشتداد وانتشار الثّورة خصوصا في الغرب الجزائري بعد 1955م، بنى الاستعمار الفرنسي بجانب المعتقل القديم معتقلا جديدا.⁽²⁶⁾ قد قسم المعتقل إلى ثلاثة أقسام، المنطقة 0 مخصصة للمعتقلين السياسيين و المنطقة 1 و المنطقة 2، لا يسمح للمعتقلين الدخول أو التجول بين المناطق الثلاثة إلا في بعض الأحيان حيث يتم فتحه من أجل بعض اللقاءات العائلية، لأن بعض الأفراد كانوا من عائلة واحدة، لكن موزعين فرادى على أقسام مختلفة.

*معتقل أركول:

يقع هذا المعتقل شرق مدينة وهران⁽²⁷⁾ وهو معتقل للتّعذيب المدني والنّفسي ومحطّة للعبور بحيث كلّما جيء بمعتقل من المعتقلات الأخرى إلاّ ويمرّون عليه فينالون تعذيبا وتهديدا رهيبا⁽²⁸⁾. وقد مرّت به كلّ الإطارات الجزائرية من المعتقلين السياسيين، كما تميّز بالإرهاب والتّعذيب حيث توجد به قاعة كبيرة للتّعذيب تطبّق فيها مختلف أنواع القمع من أجل الإقرار والاعتراف⁽²⁹⁾، وزبائنه

أغلبهم من الإسبان لا يسلم من أدهم أيّ واحد من المعتقلين، وأحيانا يضطر مسؤولوهم للقيام بالحيلولة دون التّنكيل ببعض الشّخصيات الهامة خوفا من تسرّب الأخبار إلى الصّحافة العامّة⁽³⁰⁾.

*معتقل بودانس:

يقع في منطقة إستراتيجية (بلدية بلعربي حاليا) بسيدي بلعباس، دشن في جوان 1956 من قبل أحد المعتقلين، كانت طاقته الإستيعابية تصل إلى أكثر من 200 معتقل واستعملت ضدهم أشنع أنواع التعذيب، ولا زال بعض معتقله على قيد الحياة لكنهم معطوبين جسديا ونفسيا³¹.

*معتقل سيدي الشحمي:

يقع المعتقل جنوب شرقي مدينة وهران، وقد ملئ في البداية بمعتقلين نقلوا من معتقل بوسوي

وأرزيو والجرف وغيرها من المعتقلات الصغرى التي تعتبر مراكز للتجميع المؤقت، وقد فتح في صيف 1957م، إضافة إلى معتقلات كبرى في الغرب الجزائري وهو قريب من معتقل أرزيو وأركول³².

*معتقل الصفصاف:

كانت هذه الثكنة المشؤومة تبعد بخمسة كيلومترات من مدينة تلمسان وسط سهل خصب، يسيرها ضابط سامي برتبة عقيد محاط بمساعدين جلهم من الليف الأجنبي زائد جماعة من الحركة، كان هؤلاء الوحوش يستعملون كل الوسائل الممكنة لإذلال المعتقلين الذين كان عددهم يقدر بحوالي 500 معتقل، وكان المعتقل متخصص في استقبال المناضلين الذين اعتقلوا وهم مسلحين ومن ضمن وسائل التعذيب المستعملة داخل المعتقل ما يلي:

كماشات، الكهرباء، منشار ميكانيكي، وطرق أخرى يستحي المرء ذكرها لدناءتها، أما الشيء الذي ميز هذا المعتقل هو استخدام أفعى ضخمة وزن 80 كيلوغرام وطولها 7 أمتار؛ دربت من طرف جندي فرنسي من أصل هندي أو صيني على الالتفاف على أجسام الأشخاص لاستنطاقهم³³.

*معتقل المهديّة (بيردو):

أنشئ معتقل المهديّة (بيردو) سابقا في عام 1858م، على أرض زراعية واسعة الأرجاء، تقع شرق مدينة تيارت على بعد 45 كلم، وبمحاذاة مدينة المهديّة حاليا يقابله من الناحية الجنوبية الشرقية سلسلة جبال مترامية الأطراف، في بداية الأمر كان المعتقل يتشكل من خيم، تحيط بها أسلاك شائكة محاطة بأبراج مراقبة من طرف فيلق عسكري يؤمن الحراسة ليلا ونهارا

مدعم بكلاب مدربة للحراسة، بلغ عدد المعتقلين داخل المعتقل إلى أزيد من 1280 معتقل جيء بهم من مختلف مناطق الوطن خلال عمليات التمشيط الكبرى.³⁴

4- طرق وأساليب التعذيب داخل المعتقلات خلال الثورة التحريرية 1954-1962:

يختلف التعذيب باختلاف أنواع المعتقلات وباختلاف أنواع المعتقلين⁽³⁵⁾ وللتعذيب درجات متفاوتة تختلف حسب شدتها وحسب الغرائز البهيمية التي يستلهمها الجلادون⁽³⁶⁾ ومع اشتداد الثورة الجزائرية شددت الإدارة الفرنسية الحناق على المعتقلين لتجعل من المعتقلات جحيما حقيقيا⁽³⁷⁾ مستعملة في ذلك مختلف طرق ووسائل التعذيب سواء الجسدي أو النفسي:

4-1- التعذيب النفسي:

سعى الاستعمار من خلال هذا النوع من التعذيب إلى تحطيم معنويات المعتقلين وتغيير أفكارهم وذهنياتهم⁽³⁸⁾ وذلك بخلق جوّ من الخوف والرعب داخل المعتقلات؛ ممّا يخلف إصابة بعض المعتقلين بإضرابات نفسية توصل صاحبها في بعض الأحيان حتّى الجنون أو الموت إثر سكتة قلبية أحيانا

أخرى⁽³⁹⁾ ولتحقيق هذا الغرض أنشأت داخل المعتقل مصالح خاصة بالدعاية النفسية، كما يستقبل الوافدين الجدد على المعتقل بالضرب حيث كان الجلّادون يصطقّون صفّين متوازيين يمرّ بينهما المعتقلون وهم مكبلين فيشبعونهم ضربا وإهانات خصوصا تلك الموجهة إلى النخبة المثقفة من رجال دين وسياسيين وأطباء ومحامين ومعلمين⁽⁴⁰⁾ ثمّ يوضع المعتقلون بعد ذلك في جناح مؤمن لمدة معينة؛ حتى يتمّ تسجيلهم وترقيمهم، وبالانتهاء من عملية التسجيل يقسّم المعتقلون إلى أفواج ثمّ يرسل كلّ فوج إلى جناح خاصّ به فيجبروهم بالحبو على أركانهم حاملين أغظيتهم وصحونهم ومختلف أشياءهم الخاصة، كما يلزمون بالسّير سريعا على تلك الحالة والحراس من ورائهم يلهبون ظهورهم بالسّيّاط⁽⁴¹⁾، والقصد من هذه العملية هو إذلال المعتقلين وتشبيهم بالبهايم.

كما كان الجلّادون يقومون بتعذيب مجموعة من المعتقلين أمام المعتقل الجديد ذلك لزرع الرعب في نفسه وجعله يعترف دون المساس به⁽⁴²⁾، كما كان الجنود الاستعماريون يأتون بأفراد عائلات المعتقل فينزعون ثيابه أمامه ثمّ يعدّبونه وينكّلوا به ويمارسون الفاحشة عليه أمام مرأى الجميع⁽⁴³⁾، وهذا ما يخلف أثرا نفسيا رهيبا على المعتقل حيث يتخلّى في بعض الأحيان عن عائلته أو ينطوي على نفسه خجلا مبتعدا عن الآخرين.

ومن الأساليب أيضا حرمان المعتقلين من النوم سواء بتفتيش الجيش لزناناتهم ليلا أو لكثرة الصياح⁽⁴⁴⁾ أو عن طريق وضع مكبرات الصوت في مختلف هياكل وأجنحة المعتقل؛ حيث أصبحت تشكل اعتداء واضحا على المعتقلين الذين يمتطون بأخبار زائفة ابتداء من الساعة السابعة صباح إلى غاية الساعة الثامنة مساء عن طريق إذاعة "صوت البلاد"⁽⁴⁵⁾، كما يفرض على المعتقلين لخطب كلّ الحكام الفرنسيين في الجزائر حيث يبيّن لهم أنّ فرنسا قضت على جبهة التحرير الوطني كما تبثّ مكبرات الصوت صباحا ومساءً مقاطعا من الموسيقى العسكرية التي يكون وقعها رهيبا على نفسية المعتقلين فتجعلهم يسيرون من مكان إلى آخر دون وعي منهم هروبا من صوتها⁽⁴⁶⁾.

وبهذه الأساليب وأخرى حاولت الإدارة الاستعمارية استمالت بعض المعتقلين إلى جانبها، وبالتالي تشكيل قوّة ثالثة للقضاء على الثورة التحريرية لكنّها فشلت في ذلك- رغم نجاحها في استمالة بعض ضعاف النفوس- بفضل التنظيم الذي أقامته جبهة التحرير الوطني داخل المعتقلات.

4-2- التعذيب الجسدي:

1- التعذيب بواسطة الأشغال الشاقة:

اشتهرت هذه الطريقة في معتقل "قصر الطير" حيث يستخدم المعتقلون في أشغال شاقّة لا تعود بأي فائدة عليهم، والقصد من هذه الأشغال هو التعذيب لا غير⁽⁴⁷⁾ حيث كان الجنود الفرنسيون يذهبون بالمعتقلين تحت الحراسة من المعتقل إلى ضيعات أو مراكز القيادة العسكرية⁽⁴⁸⁾ المجاورة للمعتقل، فيجبرون على حفر التراب ونقل الماء وجمع ما يجدون أمامهم من التبن والأشواك اليابسة والأسلاك الشائكة المقطّعة والزجاج المكسّر وخلطها مع التراب بالأرجل الحافية⁽⁴⁹⁾ ثمّ ينقلون ذلك المعجون العجيب إلى مكان الصّنع لصبّه في قوالب معدّة له، ويمارس المعتقلون هذه المهنة طوال أيّام السنّة، سواء في البرد القارص أو الحرّ الشّديد ومن طلوع الفجر إلى غروب الشّمس بدون توقّف⁽⁵⁰⁾.

2- التعذيب بواسطة كسر الحجارة:

هذه الطريقة كلاسيكية ومعروفة منذ القدم، وهي طريقة مرهقة ومؤلمة، حيث يؤمر المعتقلين بجمع الحجارة ونقلها وتكسييرها ببعضها⁽⁵¹⁾ وتبدأ هذه العملية من طلوع الشّمس إلى غروبها، حيث يعانون منها إرهاقا شديدا يضرّ بأجسادهم ونفسياتهم، كما ينتج عن تطاير الشّظايا إصابات في العيون فتجرّحها إلى حدّ العمى أحيانا⁽⁵²⁾.

3- الحفر والرّدم والبناء والهدم:

تتمثل هذه الطريقة في حفر حُفْرٍ عميقة في الأرض، وبعد إتمام عملية الحفر يؤمر المعتقلون بعدها بدمها⁽⁵³⁾ وتكرّر هذه العملية طوال اليوم، وقد ينقل المعتدّبون إلى أماكن بعيدة لينوا أسوارا، وبعد إتمامها يؤمرون بدمها وتكرّر هذه العملية مرارا حتى يرهق المعتقلون ويستنفذون طاقتهم⁽⁵⁴⁾.

4- التعذيب بالكلاب:

من الطرق المستعملة للتعذيب داخل المعتقلات " الكلاب"، حيث تكون مدربة خصيصا للتكيل بالإنسان وغالبا ما تكون من الفصيلة الألمانية التي تستعمل للحراسة⁽⁵⁵⁾ وتتم عملية التعذيب بالكلاب بعدة طرق أهمها:

أ- الصراع الفردي:

في هذه الحالة يواجه المعتقل لوحده شراسة الكلاب المدربة التي تطلق عليه محاولةً افتراسه() مع العلم أنّ المعتدّب يزود بمخروطين من الجلد يدخل فيهما يده إلى المرفقين فيشتدّ بينهما الصراع، وأمام قوة الكلب الذي يتمتع بالصحة الجيدة وحالة المعتقل الضعيفة، فينهار هذا الأخير مرهقا على الأرض ليكون فريسة سهلة للكلب⁽⁵⁶⁾.

ب- الصراع الجماعي:

في هذه الحالة تطلق مجموعة من الكلاب على معتقل واحد، تدور حوله وتهاجمه وتنهشه من كل جانب، فتمزق ثيابه وجسمه إلى أن ترديه أرضاً (57).

بالإضافة إلى هذه الطريقة هناك طريقة أخرى تقوم على جمع عدد من الأشخاص في مكان رحب محاطين بالأسلاك الشائكة ثم تدخل الكلاب البوليسية الضارية عليهم، فينشب صراع بينها وبين

المعتقلين الضعاف، وقد ينتهي هذا الصراع بوقوع وفيات.

5- التعذيب بواسطة الوقوف والسكون:

تسلط عقوبة الوقوف جماعيا على المعتقلين، حيث يؤمرون بالوقوف طوال النهار وبدون حركة ولا إلتفات من طلوع الشمس إلى غروبها هذا من جهة، ومن جهة أخرى يركع المعتقلين على ركبهم ويرفعون أذرعهم موازين إلى الأرض، جاعلين صدورهم ورؤوسهم منتصبين ولا يسمح لهم بأي حركة (58).

6- التعذيب بالنار:

أما التعذيب بالنار فإنه لا يساويه شدة وقساوة إلا جنون الذين يعملون به، وهاهي بعض ألوانه:

تشدّ الرّجلان عاريتين وتوضع تحتها شمعة موقدة، وقد خلّفت هذه العملية ثقبوا في أرجل بعض المعذبين⁽⁵⁹⁾، كما يوثق المعذب على طاولة ويصبّ البنزين على مختلف أجزاء جسمه ثمّ تشعل النار فيه⁽⁶⁰⁾، وهذه الطّريقة المباشرة تجعل المعذب يقفز من شدّة الألم.

7- التعذيب بالكهرباء:

تنجز هذه العملية بدقّة فائقة حيث أنّها لا تبقى أثرا باديا للعيان؛ إذا عولجت بقاياها، وتنقذ هذه العملية ليلا؛ فيمدد المعذب عاريا وتقيّد رجلاه ويدها ثمّ يفرغ على جسمه وعاء من الماء لتعميم التيار الكهربائي ثمّ يسلّط التيار على الأعضاء الحساسة من جسمه⁽⁶¹⁾، كما يجلس المعذب على كرسي من حديد فتربط يده ورجلاه بإحكام إلى أرجل الكرسي⁽⁶²⁾، فيرسل الجلاّد تيارا كهربائيا بواسطة قلم حديدي مسنون يغرّز في لحم المعذب، وهذه العملية تترك على الجسم آثارا تبقى ظاهرة لأكثر من عشرين يوما في بعض الأحيان.

8- التعذيب بالماء:

في هذه الحالة كان المعذب يعلّق من رجله بواسطة سلك حديدي ثمّ يغمس رأسه و صدره في إناء ماء ضيقّ مملوء بالماء حتّى يشرف على الإختناق ثمّ يخرج

لبضع لحظات ليغمس فيه من جديد⁽⁶³⁾، كما كان المعذب الذي تملأ الجروح جسمه يجبر على الوقوف والاستحمام بماء ساخن حتى درجة الغليان وهذا ما يسبب له حروقا⁽⁶⁴⁾ متفاوتة الخطورة، كما كان الجلادون يقومون بوضع قُمع داخل فم المعذب ويفرغ فيه الماء حتى يمتلئ البطن وينتفخ بالماء، ويقفز أحد الجلادين ويقع مستويا على رجليه فوق بطنه فيتطاير الماء من فمه وبقية مخارج الجسم⁽⁶⁵⁾.

9- التعذيب بواسطة الموت البطيء:

من وسائل التعذيب أيضا القتل البطيء؛ بواسطة إتلاف الجسم عضوا، عضوا؛ وتتم هذه العملية بالشكل التالي:

يقوم الجلادون بصلب المعذب في خشبة على هيئة صليب، ثم يشرعون في تعذيبه مصوبين أسلحتهم اتجاهه، فإن أجاب بما يريدون بادروا إلى قتله⁽⁶⁶⁾ والانتهاء منه وإن امتنع صاروا يطلقون النار على يديه ورجليه، وقد يستعملون في ذلك حراهم فيعطونه بنفس الطريقة⁽⁶⁷⁾.

5- نشاط المعتقلين في المعتقلات:

ظنت فرنسا أنه بمجرد فصل المعتقلين عن الثورة وعن المجتمع سيستكينون للهموم والأحزان، ويقضون جلّ أوقاتهم في التأسّف على الماضي، ولا ينتظرون إلاّ الخروج من المعتقل، هكذا ظلّ الاستعمار بالجزائريين في محتهم⁽⁶⁸⁾. لكن جبهة التحرير الوطني سرعان ما لجأت إلى عملية تسللت من خلالها إلى داخل المعتقلات من أجل تنظيم المعتقلين في إطار واحد يوحد جهودهم في مقاومة المستعمرين ، وذلك بخلق تنظيم موازي للإدارة الاستعمارية داخل المعتقل عن طريق خلق عدد من اللجان تمثلت في ما يلي:

1-5 لجنة التنظيم:

أنشأت هذه اللجنة في تنظيم هرمي، يكون الرئيس معروفا لدى المعتقلين و ليس معروفا لدى الفرنسيين وهذا التنظيم يكون في شكل لجنة سرية تسهر على تسيير و تنظيم المعتقلين

ومحاربة الانتماءات الحزبية، بحيث لا يكون الانتماء إلاّ لجبهة التحرير الوطني.

كما كانت اللجنة تخاطب إدارة المعتقل باسم المعتقلين، وتحمل مطالبهم إليها، كمحاولة منها لحل المشاكل المطروحة، و المتمثلة بالخصوص في توفير المياه الصالحة للشرب، علما أن المعتقل لا يحصل إلاّ على 1.5 لتر من الماء يوميا للشرب ومختلف الاستعمالات اليومية وتحسين ظروف المعيشة.

5-2 لجنة السياسة:

تقوم هذه اللجنة بعملية التوعية وتلطيف الجو و بث الأمل في نفوس المعتقلين من خلال نشر الأخبار المتعلقة بالثورة و نجاحها في الميادين المختلفة عسكريا، سياسيا و دبلوماسيا، وللحصول على وسائل الإعلام، عملت اللجنة على كسب ثقة عمال النظافة وأقارب المعتقلين من أجل الحصول على المعلومات الاطلاع بالتطورات السياسية و العسكرية و شرحها وتبسيطها للمعتقلين، وهذا ما يخلق نوع من التكوين السياسي.

5-3 لجنة التعليم:

كان من أهم ما تلفتت إليه الجبهة داخل المعتقلات ،هو تنظيم التعليم و تنشيطه،وبذلك استمر الكفاح داخل المعتقلات ،لأن جميع المثقفين الدين لهم درجة من العلم و نصيب من المعرفة ،كانوا يجتمعون في كل معتقل ينزلون فيه ،فيشرعون في تسجيل من لا يعرف القراءة والكتابة ،حتى ولو كان مسنا و ،يصنفونهم على حسب مستواهم ،ومن ثم يأخذون الدروس مع الحرص على تعليمهم جميع اللغات التي يحسنونها.⁶⁹

و يكف نتيجة هذا المجهود المتواصل أن أغلب المعتقلين الدين كانوا أميين حين دخولهم، أصبحوا يكتبون الرسائل لأهاليهم، وهكذا تعتبر المعتقلات

مؤسسات ثقافية خاصة في السنوات الأولى للثورة ، حيث حول المعتقلون أبواب الزنانات القديمة إلى سبورات وحجرات للدراسة.⁷⁰

كما قام المثقفون بإلقاء مجموعة من المحاضرات التي مست حياة المعتقلين ، محاولين بذلك تخفيف المعانات النفسية للمعتقلين ، وهذا ما كان يزيدهم إيمانا وثقة في الكفاح الذي يخوضه شعبهم.⁷¹

5-4- لجنة المساعدات:

ومهمتها تقديم الإعانات للفقراء ، خاصة منهم الدين لم يكن لهم اتصال بعائلاتهم ، لدى عملت هذه اللجنة على جمع الأموال من المعتقلين الدين يحصلون على مبالغ مالية منتظمة من عائلاتهم ، ثم تقوم بتوزيعها على مستحقيها وعلى المعتقلين المفرج عنهم ، ليستعينوا بها على السفر ، ومن أجل ضبط الأمور أكثر، عملت اللجنة إلى جمع اشتراكات رمزية قدرت بفرنك فرنسي واحد للشهر.⁷²

5-5- لجنة التهريب:

من أجل إنجاح عمليات الفرار من المعتقلات، كونت لجنة خاصة داخل المعتقل الواحد

للتهريب ،حيث تقوم على جمع الأموال ،شراء الألبسة، إعداد و تقديم تقارير خاصة حول

نظام الحراسة مع ضبط و تحديد أوقات تبديل الحراس لمنوباتهم ،وآخري حول البناء الهندسي للمعتقل وذلك من أجل تعيين نقاط الضعف في الجدران للفرار، ومهمتها أيضا الإشراف على اختيار معتقلين تتوفر لديهم شروط الصحة الجيد و القوة البدنية و النضج السياسي من أجل تسهيل عمليات الفرار.

5-6- لجنة الرياضة:

تهتم هذه اللجنة بتنظيم دروس وتدريبات في الرياضة البدنية كالمصارعة اليابانية ورفع الأثقال وكرة القدم وكرة السلة ،وغير ذلك من أنواع النشاطات الرياضية التي تقوي الجسم وتنشط العقل.⁷³

5-7- لجنة الاحتفالات:

تهتم بإحياء الأعياد الدينية والوطنية، خاصة منها الاحتفال بأول نوفمبر ،وكثيرا ما كانت هذه الاحتفالات تنظم على شكل ليلة سرية ،تناقش من خلالها مختلف المواضيع التي لها ارتباط بالثورة ،وما يجري من أعمال وحشية من طرف

جنود الاستعمار وعلى صمود وتماسك الشعب الجزائري بالثورة وجبهة التحرير الوطني.⁷⁴

كما كانوا يتنافسون على حفظ الأناشيد الوطنية والدروس الدينية التي تتناول بالشرح والتفصيل، إلى جانب إعطاء دروس في التاريخ الإسلامي والجزائري لاستخلاص العبر من سير أبطال وقادة الثورات الشعبية الجزائرية، وهذا ما انعكس إيجاباً على نفسية المعتقلين وتقوية شخصيتهم الوطنية.

5-8- لجنة الانضباط:

لقد أدت الضرورة الحتمية إلى إيجاد هذه اللجنة، داخل المعتقلات لاحتواءها على مختلف الانتماءات السياسية والشرائح الاجتماعية، لذلك كانت تظهر من حين لآخر خلافات و مشاجرات، وصل بعضها في بعض الأحيان إلى حدود الاشتباكات بالأيدي وحتى بالسكاكين، وهنا تدخل اللجنة محالة محاربة التسلط والظلم عن طريق نصرة المظلوم وردع الظالم بمختلف الأساليب والطرق.⁷⁵

- خاتمة:

يَتَّضِحُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ مَحَاوِلَاتِ فِرْنَسَا لِعِزْلِ الشَّعْبِ عَنِ الثَّوْرَةِ وَقَطْعِ كُلِّ الإِمْدَادَاتِ البَشَرِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ عَنْهَا مِنْ خِلَالِ إِقَامَةِ الْمَنَاطِقِ المَحْرَمَةِ وَالرَّجْحِ بِالشَّعْبِ الجَزَائِرِيِّ دَاخِلَ السَّجُونِ وَالْمَعْتَقَلَاتِ بَاءتْ بِالفِشْلِ وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى قَدْرَةِ وَتَمَكُّنِ جِبْهَةِ التَّحْرِيرِ الوَطْنِيِّ عَلَى اخْتِرَاقِ هَذَا الحِصَارِ بِفَضْلِ التَّحَامِ وَتَآزُرِ الشَّعْبِ مَعَ بَعْضِهِ البَعْضُ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَكْوِينِهِ لَخَلَايَا وَشَبَكَاتٍ دَاخِلِ المَعْتَقَلَاتِ كَانِ دَوْرَهَا الأَسَاسِي تَهْرِيبَ المَوْنِ إِلَى مَرَاكِزِ جِبْهَةِ التَّحْرِيرِ فِي الجِبَالِ وَتَسْرِيبِ الأَخْبَارِ عَنِ الأَوْضَاعِ العَامَّةِ الَّتِي يَشْهَدُهَا السَّجْنُ أَوْ المَعْتَقَلُ.

نَجَاحُ جِبْهَةِ التَّحْرِيرِ الوَطْنِيِّ فِي تَحْوِيلِ السَّجْنِ أَوْ المَعْتَقَلِ إِلَى مَدَارِسٍ لِنَشْرِ العِلْمِ وَالوَعْيِ السِّيَاسِيِّ وَدُرُوسَا فِي الوَطْنِيَّةِ، كَمَا سَاهَمَتْ السَّجُونُ وَالْمَعْتَقَلَاتُ فِي التَّعْرِيفِ بِالقَضِيَّةِ الجَزَائِرِيَّةِ مِنْ خِلَالِ مَرَاسِلَاتِ بَعْضِ المَعْتَقَلِينَ إِلَى مَنظَمَةِ الصَّلِيبِ الأَحْمَرِ الدَّوْلِيِّ الَّتِي تَكْشِفُ العَدِيدَ مِنَ الظُّرُوفِ وَالْمَعَامَلَاتِ اللَّإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي يَعامَلُ بِهَا السَّجْنَاءُ وَالْمَعْتَقَلِينَ عَلَى حَدِّ سِوَا دَاخِلِ السَّجُونِ وَالْمَعْتَقَلَاتِ.

الهوامش:

¹ . محمد الطاهر، لطرش: تدخل في الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة، منشورات قطاع الإعلام و الثقافة

و التكوين لحزب جبهة التحرير الوطني، الجزائر، د ت ، ص 96.

² محمد الطاهر، عزوي: ذكريات المعتقلين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 1996، ص 13.

³ عابد، بلعدي: السجون والمعتقلات والمحتشدات الفرنسية أثناء الثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مصلحة البحوث والتوثيق بالمركز، ماي 1999، ص 9.

⁴ عبد الكريم، بوصفاف: حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف 1954-1962، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1998، ص 146.

⁵ بيجو: هو توماس روبري بيجو دولا بيكونيري (thomas bugeaud de la piconnerie) ولد في شهر أكتوبر 1784 بفرنسا بمدينة ليمونج، انضم إلى الجيش في صفوف الحرس الإمبراطوري سنة 1804، بدأ حياته العسكرية في الجزائر سنة 1836 في مواجهة الأمير عبد القادر، ينظر: pierre guiral et autre : les militaires à la conquete de l'algerie (1830-1857) , Ed : criterion, paris 1992 , p 140.

⁶ مشري، عمار: معتقل قصر الطير (قصر الأبطال)، مجلة أول نوفمبر، ع169، نوفمبر 2006، ص 90.

⁷ لصاص (S.A.S) (les sections administratives specialisees): أنشأت هذه المصالح في سبتمبر 1955 من قبل الجنرال برلانج parlange الذي فرض 30 مصلحة في منطقة الأوراس، وهي بذلك عودة فطرية إلى المكاتب العربية وكان ذلك في عهد الحاكم العام الفرنسي بالجزائر 'جاك سوستال' صاحب أول مشروع استراتيجي شامل للقضاء على الثورة، ومنذ تأسيسها تضاعفت أعدادها بشكل مدهش خاصة بعد أن منح منشور 9 جويلية 1955 صلاحيات تأسيس وكانت مهمتها تكثيف العمل الاجتماعي والبيسيكولوجي، للجيش الفرنسي في الأوساط الجماهيرية الجزائرية بقصد عزلها عن جبهة وجيش التحرير الوطني، ينظر: محمد، مجاود وآخرون: تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة الاستعمارية 1830-1962، ج2، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص - ص 136 - 165.

⁸ محمد الطاهر، عزوي: المعتقلات في الجزائر أثناء الثورة التحريرية ودور ضباط الشؤون الأهلية (لاصاص) في الحرب النفسية داخل المعتقلات، مجلة التراث، العدد الرابع، باتنة، 1989، ص 76.

⁹ محمد الطاهر، عزوي: ذكريات المعتقلين...، المصدر السابق، ص 14.

¹⁰ شتوان، نظيرة: الثورة التحريرية 1954-1962 الولاية الرابعة نموذجاً، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - 2007-2008، ص 454.

¹¹ عاشور، شريفي: قاموس الثورة الجزائرية 1954-1962، ترجمة: عالم مختار، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2007، ص 315.

¹² المكتب الثاني: اشتهر هذا التنظيم الإداري المدني في سنوات الثورة التحريرية عبر كل أنحاء الجزائر، ومهمته الجوسسة والبحث عن المعلومات حول الثورة وتحديد أماكن الضعف والقوة واستغلالها لصالح الاستعمار، ويعتمد في ذلك على الترغيب والترهيب والإغراء والتقرّب من المواطنين الجزائريين. ينظر: عبد الكريم، بوصفصاف: المرجع السابق، ص 154.

¹³ بلبوري، سيد أحمد: التعذيب وتداعياته وواقع المعتقلات بالغرب الجزائري، الملتقى المغاربي حول سياسة التعذيب الاستعماري وتداعياتها المعاصرة خلال الثورة التحريرية، جامعة الجيلاي اليابس ، الجزائر، 2005، ص 45.

¹⁴ التقارير الدولية تفضح مجرمي الحرب الفرنسيين، جريدة المجاهد، ع 59، 11 جانفي 1960، ص 5.

¹⁵ عاشور، شريفي: المرجع السابق، ص 315.

¹⁶ التقارير الدولية تفضح مجرمي الحرب الفرنسيين، المصدر السابق، ص 5.

¹⁷ عاشور، شريفي: المرجع السابق، ص 320.

¹⁸ شتوان، نظيرة: المرجع السابق، ص 456.

¹⁹ عاشور، شريفي: المرجع السابق، ص 321.

20 SYLVIE, THENAULT : une drôle de justice/les magistrats dans la guerre d'Algérie, Ed: la découverte, 9bis, rue abel-hovelacque, 75013 paris.

p30.

21 أطلق هذا الاسم على معتقل جبال الضاية تخليدا لماثر فرنسا في الجزائر نسبة لبوسوي المولود في "ديجون" بفرنسا سنة 1627م وتوفي سنة 1704م، واشتهر بمواعظه العظيمة في المجتمع المسيحي الكاثوليكي، وله من المؤلفات في علم اللاهوت والفلسفة والتاريخ. ينظر: أحمد، مختار: معتقل بوسوي، مجلة أول نوفمبر، ع60، الجزائر، جوان 1984، ص - ص 14 - 15.

22 بوجلة، عبد المجيد: الثورة التحريرية في الولاية الخامسة 1954-1962، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ - جامعة أبي بكر بلقايد-، تلمسان، 2007-2008، ص 282.

23 محمد الطاهر، عزوي: المعتقلات في الجزائر...، ع3، المرجع السابق، ص79.

24 معتقل بوسوي: مجلة أضواء تاريخية، ع1، سيدي بلعباس، 1998، ص - ص 25 - 26.

25 بوجلة، عبد المجيد: المرجع السابق، ص 283.

26 محمد الطاهر، عزوي: ذكريات المعتقلين...، المصدر السابق، ص 17.

27 مشري، عمار: المرجع السابق، ص91.

28 محمد الطاهر، عزوي: المعتقلات في الجزائر...، ع3، المرجع السابق، ص81.

29 سيد أحمد، بلبوري: التعذيب وتداعياته وواقع المعتقلات بالغرب الجزائري، الملتقى المغاربي...، المرجع السابق، ص46.

30 محمد الطاهر، عزوي: ذكريات المعتقلين...، المصدر السابق، ص - ص 17 - 18.

31 محمد، خلاصي: السجون والمعتقلات، مجلة أول نوفمبر، ع34، الجزائر، جوان 1980، ص12.

32 محمد الطاهر، عزوي: المعتقلات في الجزائر...، ع3، المرجع السابق، ص86.

33 بلحسن، بالي: العقيد لطفى - السنوات الدامية من حرب التحرير الجزائرية، تر: س. محمد نقادي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 2008، ص - ص 107 - 108.

- ³⁴ الملتقى الوطني حول السجون والمعتقلات أثناء الثورة: معتقل بريدو نموذجاً، مجلة أول نوفمبر، ع164، الجزائر، 2000، ص78.
- ³⁵ محمد الطاهر، عزوي: ذكريات المعتقلين...، المصدر السابق، ص36.
- ³⁶ التعذيب الاستعماري في الجزائر فنونه وأساليبه الوحشية، جريدة المجاهد، ع8، تونس، 5 أوت 1957، ص6.
- ³⁷ طوماش، مصطفى: التعذيب خلال الثورة، مذكرة السنة الأولى ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، ص31.
- ³⁸ بونقاب، مختار: نماذج وشهادات عن ساسة التعذيب الاستعماري بالجزائر من خلال ذكريات المعتقلين وجرائم فرنسا بالجزائر، الملتقى المغاربي..، المرجع السابق، ص120.
- ³⁹ أحمد رضوان، شرف الدين: التعذيب: قراءة في جريدة المجاهد (1957-1962)، مجلّة المصادر، مجلّة سداسية، ع8، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، ماي 2003، ص23.
- ⁴⁰ سعيد، عولمي: وأقيمت المعتقلات، شريط وثائقي تاريخي حول المعتقلات الفرنسية في الجزائر أثناء الثورة التحريرية، الحلقة الثانية، بثّ بالتلفزيون الجزائري يوم 19 مارس 2010 على الساعة التاسعة ليلاً).
- ⁴¹ قصة سجين: من أماكن التعذيب إلى المحتشدات، جريدة المجاهد، 1 ديسمبر 1957، ص3.
- ⁴² حرب الجزائر، جريدة المجاهد، 5 سبتمبر 1957، ع10، ص5.
- ⁴³ محمد الطاهر، عزوي: ذكريات المعتقلين...، المصدر السابق، ص106.
- ⁴⁴ بونقاب، مختار: نماذج وشهادات عن سياسة التعذيب الاستعماري بالجزائر من خلال ذكريات المعتقلين وجرائم فرنسا بالجزائر، الملتقى المغاربي....، المرجع السابق، ص113.
- ⁴⁵ محمد الطاهر، عزوي: ذكريات المعتقلين...، المصدر السابق، ص35.
- ⁴⁶ سعيد، عولمي: المرجع السابق.
- ⁴⁷ طوماش، مصطفى: المرجع السابق، ص32.

- 48 قصّة سجين: من أماكن التعذيب إلى المحتشدات، جريدة المجاهد(العربية)، ع13، تونس، 1 ديسمبر 1957، ص3.
- 49 محمد الطاهر، عزوي: ذكريات المعتقلين...، المصدر السابق، ص 87 _ 88.
- 50 محمد الطاهر، عزوي: المعتقلات في الجزائر، ع4، الرجع السابق، ص 204 _ 205.
- 51 طوماش، مصطفى: المرجع السابق، ص33.
- 52 محمد الطاهر، عزوي: المعتقلات في الجزائر...، ع4، المرجع السابق، ص207.
- 53 بونقاب، مختار: نماذج، الملتقى المغاربي...، المرجع السابق، ص114.
- 54 محمد الطاهر، عزوي: ذكريات المعتقلين...، المصدر السابق، ص91.
- 55 طوماش، مصطفى: المرجع السابق، ص33.
- 56 محمد الطاهر، عزوي: ذكريات المعتقلين...، المصدر السابق، ص93.
- 57 محمد الطاهر، عزوي: المعتقلات في الجزائر...، ع4، المرجع السابق، ص212.
- 58 فرانز، فانون: معدّبو الأرض، تر: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، 2008، ص314.
- 59 التعذيب الاستعماري في الجزائر - فنونه وأساليبه الوحشية، جريدة المجاهد، ع8، 5 أوت 1957، ص6.
- 60 التعذيب، نفسه، ع12، 15 نوفمبر 1957، ص4.
- 61 التعذيب الاستعماري في الجزائر...، المصدر السابق، ع8، ص6.
- 62 قصّة من بين آلاف القصص الواقعة - كيف عدّبني جنود المضلّات -، جريدة المجاهد، ع26، 20 جويلية 1958، ص11.
- 63 التعذيب والتدمير والمجازر الجماعية والتقنيات بلا محاكمة والمجاعة المنظمة، جريدة المجاهد، ع9، 20 أوت 1957، ص5.
- 64 هكذا تعيش لو كنت في السجن، جريدة المجاهد، ع78، 28 ديسمبر 1959، ص8.
- 65 التعذيب الاستعماري في الجزائر...، المصدر السابق، ع8، ص6.

⁶⁶ أحسن، بومالي: التمدّن الفرنسي في فنّ التعذيب، مجلّة أول نوفمبر، ع31، الجزائر، 1978، ص27.

⁶⁷ أحمد، صغير: أنواع التعذيب الجسدي الاستعماري في الجزائر خلال الثورة التحريرية الكبرى، الملتقى المغاربي...، المرجع السابق، ص20.

⁶⁸ محمد الطاهر، عزوي: ذكريات المعتقلين...، المصدر السابق، ص45.

⁶⁹ نھاري، علي: من جرائم الجيش الفرنسي في بعض مناطق الولاية الخامسة خلال الثورة التحريرية، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص36.

⁷⁰ عبد القادر، قرموش: من مواليد مدينة تلمسان، اعتقل في سن السادسة و العشرين من عمره ، قضى حوالي سنتين ونصف بالمعتقلات ،منها احدى عشرة شهرا بمعتقل بوسوي ، شهادة حية، مسجلة بتاريخ 2010/03/19م، على الساعة 14.30 ، بكلية الطب -قاعة المؤتمرات- ، تلمسان.

⁷¹ محمد الصالح بن عتيق: معتقل الدويرة -الفم المغلوق، قبر مفتوح-، مجلّة أول نوفمبر، ع68، الجزائر، 1984، ص47.

⁷² بومالي، لحسن: أدوات...، المرجع السابق، ص-376-377.

⁷³ المرجع نفسه.

⁷⁴ بومالي، لحسن: أدوات...، المرجع السابق، ص-377.

⁷⁵ محمد الطهر، عزوي: ذكريات المعتقلين...، المصدر السابق، ص74.

حماية الممتلكات الثقافية من الإتجار ونقل ملكيتها بطرق غير مشروعة في ظل إتفاقيات اليونسكو الدولية (1954-2001)

د. هدوش صلاح الدين - جامعة باتنة -1- الجزائر

الملخص

نسعى من خلال هذه الورقة إلى التعريف بالإطار القانوني الدولي الذي يكفل حماية الممتلكات الثقافية من الإتجار ونقل ملكيتها بطرق غير مشروعة في فترات السلم أو النزاع المسلح من خلال ما جاء في إتفاقيات اليونسكو الدولية، وتوضيح أهمية التعاون الدولي لمواجهة عمليات سرقة الآثار التي تتعدى حدود الدولة الواحدة، كما نرغب في توضيح مجموعة التدابير العملية التي من شأنها إعادة الممتلكات الثقافية إلى أصحابها، والإسهام في نشر الوعي حول ما يترتب عن نهب المتاحف والمواقع الأثرية من فقدان للذاكرة التاريخية والمعلومات الأثرية والعلمية التي لا يمكن تعويضها.

Abstract

We seek through this paper to publicize the international legal framework which ensures the protection of cultural property from the trafficking and

transferred illegally in periods of peace or armed conflict through what is stated in UNESCO agreements international. We want to clarify the importance of International Corporation to counter the theft of historical patrimony that go beyond the limits of the one state. As we wish to clarify the package of measures that will allow the return of cultural property to their owners, and to contribute to raising awareness about the consequences of the looting of museums and archaeological sites from the loss of historical memory, archaeological and scientific information that cannot be compensated.

تمهيد

تعاني الممتلكات الثقافية من نشاط الإبتجار غير المشروع الذي عرف نموا متزايدا وأصبح من أكبر مهددات إفقار المتاحف والمواقع الأثرية والمؤسسات الثقافية من ممتلكاتها الثمينة، لذلك سارعت الدول والمنظمات العالمية إلى محاربة هذا النشاط من خلال مجموعة من التدابير القانونية والعملية، لعل أهمها عقد مجموعة من الإتفاقيات¹ العالمية تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)² والعمل على تجسيد مضمونها على أرض الواقع،

وقد وقعت الجزائر على بعض من هذه الإتفاقيات مثل إتفاقية لاهاي 1970 بشأن التدابير الواجب إتخاذها لحظر ومنع إستيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة، على إعتبار أنها من بين البلدان المتضررة³ من هذا النشاط والساعية لمحاربتة وكل ما من شأنه إلحاق الضرر بموروثها الثقافي، ولأنها جزء من النظام الدولي القائم، تتعامل معه وتتفاعل داخله وتتأثر بما يحدث به من حولها⁴.

يتناول موضوعنا الإطار القانوني الدولي الذي يكفل حماية الممتلكات الثقافية من الإبحار ونقل ملكيتها بطرق غير مشروعة من خلال ما جاء في الإتفاقيات العالمية التي أشرفت عليها اليونسكو⁵، على إعتبار أن هذه الأخيرة أكبر منظمة عالمية حكومية متخصصة في إطار منظومة الأمم المتحدة⁶ تعنى بحماية التراث الثقافي العالمي⁷ بأشكاله المختلفة، وإتفاقياتها مصدر هام للتشريعات الوطنية التي تكيف حسب المواثيق الدولية الموقع عليها، كما أنها منظمة تهتم بتنظيم التعاون الدولي في ميادين مختلفة من أبرزها ميدان الثقافة⁸، لذلك حاولنا من خلال هذا البحث الإجابة على سؤال جوهرى مفاده: - ما هي أهم التدابير القانونية والعملية التي إتخذتها اليونسكو لحماية الممتلكات الثقافية من الإبحار ونقل ملكيتها بطرق غير مشروعة في ظل المعاهدات الدولية المشرفة عليها؟

1- تعريف الممتلكات الثقافية

في سياق إستعراض الأحكام المتعلقة بموضوع حماية الممتلكات الثقافية من الإتجار ونقل ملكيتها بطرق غير مشروعة من خلال إتفاقيات اليونسكو الدولية يستوجب علينا تحديد المقصود بالممتلكات الثقافية حسب ما جاء في المعاهدات الدولية، فمنذ أكثر من 60 سنة إستعملت إتفاقية لاهاي 1954 هذه التسمية، وأعطت تعريف مرجعيات وبعض الأمثلة الدقيقة حول مجال تطبيق النص، وتعلق المفهوم أساسا بالآثار والمواقع الأثرية ومجموعات البناء التي تمثل فائدة تاريخية أو فنية، أي التحف الفنية والمخطوطات، وكذا المجموعات العلمية والسلاسل الهامة للكتب والمخطوطات، لكن فيما بعد أصبح التعريف المذكور في إتفاقية 1970 أكثر شمولية ووضوحاً⁹، وإرتبط المصطلح بخلفية قانونية تشير إلى الملكية وحق تصرف، ولغايات مكافحة ظاهرة الإتجار ونقل ملكيات بطرق غير مشروعة تم ضبط مفهوم موحد للممتلكات الثقافية¹⁰ جاء في المادة الأولى من إتفاقية اليونسكو لعام 1970 أن الممتلكات الثقافية تعني تلك الممتلكات التي تقرر كل دولة لإعتبارات دينية أو علمانية أهميتها لعلم الآثار أو ما قبل التاريخ أو التاريخ أو الأدب أو الفن أو العلم التي تدخل ضمن أحد الفئات التالية:

- المجموعات والنماذج النادرة من مملكتي الحيوان والنبات، ومن المعادن أو علم التشريح، والقطع الهامة لصلتها بعلم الحفريات (البالينولوجيا)، والممتلكات المتعلقة بالتاريخ، بما فيه تاريخ العلوم والتكنولوجيا، والتاريخ الحربي والتاريخ الاجتماعي، وحياة الزعماء والمفكرين والعلماء والفنانين الوطنيين، والأحداث العامة التي مرت بها البلاد.

- نتائج الحفائر الأثرية (القانونية وغير القانونية) والإكتشافات الأثرية، والقطع التي كانت تشكل جزءاً من آثار فنية أو تاريخية مبتورة أو من مواقع أثرية، والآثار التي مضى عليها أكثر من مئة عام كالنقوش والعملات والأختام المحفورة، والأشياء ذات الأهمية الأثنولوجية.

- الممتلكات ذات الأهمية الفنية؛ ومنها: الصور واللوحات والرسوم المصنوعة كلياً باليد، أي كانت المواد التي رسمت عليها أو استخدمت في رسمها (باستثناء الرسوم الصناعية والمصنوعات المزخرفة باليد)، إضافة إلى التماثيل والمنحوتات الأصلية، أي كانت المواد التي استخدمت في صنعها، والصور الأصلية المنقوشة أو المرشوقة أو المطبوعة على الحجر، والمجمعات أو المركبات الأصلية، أي كانت المواد التي صنعت منها.

- المخطوطات النادرة والكتب المطبوعة في عهد الطباعة الأول، والكتب والوثائق والمطبوعات القديمة ذات الأهمية الخاصة (من الناحية التاريخية أو الفنية

أو العلمية أو الأدبية) سواء كانت منفردة أو في مجموعات، وطوابع البريد والطوابع المالية وما يمثلها، منفردة أو في مجموعات، والمحفوظات، بما فيها المحفوظات الصوتية والفوتوغرافية والسنمائية، وقطع الأثاث التي يزيد عمرها عن مائة عام، والآلات الموسيقية القديمة.

2- إتفاقية لاهاي 1954

لقد أقر المؤتمر الدولي الذي دعت إليه منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة الذي عقد في مدينة لاهاي من 21 أبريل إلى 10 ماي 1954 إتفاقية لحماية الممتلكات الثقافية في حال نزاع مسلح ولائحة تنفيذية وبروتوكولا¹¹، بعد أن أدرك المشاركون حجم الضرر الكبير الذي مني به التراث الثقافي العالمي عموماً والأوروبي خصوصاً بعد الحربين العالميتين الأخيرتين اللتين أستعملت فيهما أسلحة حربية متطورة وفتاكة، وضرورة أن يتم توفير حماية دولية لهذا التراث.

تتكون إتفاقية لاهاي 1954 من سبعة أبواب وأربعين مادة حددت الإجراءات الوقائية الواجب إتخاذها في فترات السلم والحرب تجاه حماية الممتلكات الثقافية، إلا أنها نصت في بعض موادها على تحريم أعمال من شأنها نقل ملكية الممتلكات الثقافية إلى غير أصحابها، فجاء في المادة 4 من باب

الأحكام العامة بشأن الحماية أن تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة بتجنب أية سرقة أو نهب أو تبيد ممتلكات ثقافية، ووقايتها من هذه الأعمال ووقفها عند اللزوم مهما كانت أساليبها، كما تتعهد بعدم الإستيلاء على ممتلكات ثقافية منقولة كانت في أراضي أي طرف سامي متعاقد آخر.

وبرغم الإشارة الواضحة إلى وقف جميع الأساليب المؤدية إلى نقل ملكية ممتلك ثقافي بطريقة غير مشروعة إلا أنه يعاب ورود بعض المفردات مثل (تجنب) التي حبذا لو عوضت بعبارات أكثر وضوحا وفاعلية وصونا مثل (يمنع منعاً باتاً) أو مثل ما نصت عليه المادة 14 من الباب الثالث في نقل الممتلكات الثقافية حيث بموجبها تمتعت الممتلكات المنقولة بالحصانة ضد الحجز والإستيلاء والغنيمة، كما أن الإتفاقية لم تحرم على الأطراف المتعاقدة نهب الممتلكات الثقافية كمبدأ دولي يجب أن تحترمه الدول الموقعة وإن كان الطرف الثاني غير موقع للإتفاقية، حين نصت المادة 4 بعدم الإستيلاء على الممتلكات الثقافية في أراضي أي طرف متعاقد آخر وكأن المادة تجيز الإستيلاء على قطع أو تحف ثقافية بأراضي دول غير موقعة للإتفاقية.

لم تهمل الإتفاقية إتخاذ إجراءات تأديبية ضد المخالفين - في نطاق التشريعات الجنائية للدول الموقعة - وإجراءات محاكمة الأشخاص الذين يخالفون أحكام

هذه الإتفاقية أو الذين يأمرهم بما يخالفها، وتوقيع جزاءات جنائية أو تأديبية عليهم مهما كانت جنسياتهم¹²، كما حرصت الإتفاقية في أحكامها الختامية (المادة 37) على أحقية الدول المتعاقدة إنهاء إرتباطها بهذه الإتفاقية بعد إنتهاء عام من تاريخ إستلام وثيقة الإنهاء ما لم تكن الدولة التي أعلنت إنهاء هذه الإتفاقية مشتبكة في نزاع مسلح، وطالما لم تحوز ممتلكات ثقافية بطرق غير شرعية.

لقد أتاحت اللائحة التنفيذية لإتفاقية 1954 إمكانية نقل الممتلكات الثقافية تحت الحراسة الخاصة¹³ من أراضي إلى أراضي دولة أخرى كأمانة لديها وفي مأمّن من كافة إجراءات الحجز، ثم تعيد الدولة المؤتمنة تلك الممتلكات بعد إنتهاء النزاع في ظرف ستة أشهر من تاريخ تقديم الطلب به، وهو أمر يتيح نقل الممتلكات الثقافية وحمايتها في حال حدوث نزاع مسلح، وفي الوقت ذاته لا تسمح بإنتقال ملكيتها إلى الدولة المؤتمنة، وتفادي وقوع خلافات بين الدول مثل النزاع البولندي الكندي؛ حين رفضت السلطات الكندية تسليم السلطات البولندية ممتلكات ثقافية كانت أودعتها لديها عام 1940 قصد حمايتها من مخاطر الحرب العالمية الثانية بعد الإجتياح الألماني للأراضي البولندية سنة 1939¹⁴، لكن في الأخير أعادت كندا الودائع الثقافية البولندية عام 1961¹⁵.

أُلقِ بإتفاقية 1954 بروتوكول إضافي إتفقت فيه الأطراف المتعاقدة على أمر مهم، فزيادة على تعهداتها بمنع تصدير الممتلكات الثقافية الموجودة على الأراضي التي تحتلها خلال نزاع مسلح، وتسليم الممتلكات الثقافية التي تكون قد إستوردت إلى أراضيها لمالكيها الأصليين، وعدم جواز حجزها بأي حال من الأحوال كتعويضات حرب، أقر البروتوكول تعويض كل من يحوز ممتلك ثقافي بحسن نية، وهو أمر بالغ الأهمية أن يفتح المجال لحل إشكال رد الممتلكات الثقافية لملاكها الأصليين مع حق تعويض الحائز بنية حسنة، لكل دون أن يوضح البروتوكول كيف يتم تمييز وتعويض هذا الحائز.

وبرغم صدور إتفاقية 1954 والجهود التي تبذلها اليونسكو في سبيل الحد من عمليات التنقيب غير القانونية والإتجار غير المشروع بالآثار التي تؤدي إلى إستنزاف كبير للممتلكات الثقافية في الأراضي المحتلة، إلا أنه وقع بين الحين والآخر إنتهاكات صريحة للقانون الدولي لعل من أهمها النشاط الأثري الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة وما نتج عنه من نهب الموارد الأثرية ونقلها أو الإستحواذ عليها، وتشير المعطيات المتوفرة حسب الدكتور حمدان طه حول التنقيبات الإسرائيلية في القدس والضفة الغربية إلى إتجاه تصاعدي كما ونوعاً منذ سنة 1967 وحتى نهاية التسعينات، وتم نقل آلاف القطع الأثرية من المناطق الفلسطينية المحتلة بصورة مخالفة للقانون الدولي¹⁶.

3- إتفاقية اليونسكو 1970

هي إتفاقية بشأن الوسائل التي تستخدم لحظر ومنع إستيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة أقرها المؤتمر العام لليونسكو في دورته السادسة عشرة المنعقدة في باريس من 12 أكتوبر إلى 14 نوفمبر 1970¹⁷، جاءت إدراكا من الدول الموقعة أن الممتلكات الثقافية تعاني من خطر الإتجار ونقل ملكيتها بطرق غير مشروعة، وأن سبل الحماية لا يمكن أن تكون مجدية إلا إذا نظمت على المستويين الوطني والدولي بين دول تعمل معاً في تعاون وثيق، لذلك تعهدت الدول الأطراف في هذه الإتفاقية بمناهضة مثل هذه الأخطار بكافة الوسائل الممكنة، وإستئصال أسبابها، ووضع حد لها، والمعاونة في تصحيح ما أختل من أوضاع يسببها¹⁸، وعلى سبيل المثال خطر السطو على التحف رغبة في قيمتها المادية والأثرية العالية، وتحويلها إلى خارج مواطنها الأصلية، وهو ما بينه تقرير حول تأثير المتاحف في العالم بحوادث السرقة نشرته منظمة اليونسكو عام 1964، حيث أشار التقرير إلى أن متوسط عدد حوادث السرقة 64 مرة في اليوم الواحد¹⁹.

وضمامنا لحماية الممتلكات الثقافية من عمليات الإستيراد والتصدير ونقل الملكية بطرق غير مشروعة نصت الإتفاقية على مجموعة من التدابير العملية التي من شأنها تحقيق الغاية المرجوة نذكر منها:

- إنشاء دائرة وطنية أو أكثر لحماية التراث الوطني - حيث لا توجد هذه الدائرة - تساهم بصورة فعالة في إعداد مشروعات القوانين واللوائح اللازمة لتأمين حماية التراث الثقافي، وخاصة منع إستيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية الهامة بطرق غير مشروعة، وتعمل على وضع قائمة بالممتلكات الثقافية الهامة، العامة والخاصة، والتي يشكل تصديرها إفقاراً ملموساً للتراث الثقافي الوطني، وذلك على أساس جرد وطني للممتلكات المحمية، وتنقيح هذه القائمة أولاً بأول، كما تقوم بتعزيز تنمية أو إنشاء المؤسسات العلمية والتقنية (المتاحف، المكتبات، المحفوظات، المختبرات، الورش، ...) اللازمة لتأمين صون الممتلكات الثقافية وإحيائها.

- كما تتولى هذه الدوائر الوطنية الإشراف على أعمال التنقيب عن الآثار، وتأمين صون بعض الممتلكات الثقافية في مواقعها الأصلية، وحماية بعض المناطق المخصصة للبحوث الأثرية في المستقبل، وتضع قواعد تنفق مع المبادئ الأخلاقية المبينة في هذه الإتفاقية يسترشد بها الأشخاص المعنيون (أمناء

المتاحف وجامعوا القطع الأثرية وتجار الأثريات، وغيرهم)، وإتخاذ الخطوات اللازمة بضمان التقييد بتلك القواعد، وتتخذ التدابير التربوية اللازمة لغرس إحترام التراث الثقافي في جميع الدول.

- وضع شهادة مناسبة تبين الدولة المصدرة بموجبها أن تصدير الملك الثقافي المعني مرخص به ومصدر بطريقة قانونية، وحظر أي تصدير غير مصحوب بشهادة التصدير السالفة الذكر، ويرافق هذا الحظر الإعلان عنه بالطرق المناسبة.

- منع المتاحف والمؤسسات المماثلة من إقتناء ممتلكات ثقافية واردة من دولة أخرى طرف في الإتفاقية ومصدرة بطرق غير مشروعة، وأن تخطر دولة المنشأ كلما كان ذلك ممكنا، وحظر إستيراد الممتلكات الثقافية المسروقة من متحف أو من أثر عام، أو من مؤسسة مشابهة في دولة أخرى طرف في هذه الإتفاقية، بشرط أن تكون تلك الممتلكات مدرجة في قائمة جرد المؤسسة المذكورة.

- أن تتخذ بناء على طلب دولة المنشأ التي تكون طرف في الإتفاقية، التدابير المناسبة لإسترداد وإعادة تلك الممتلكات الثقافية المستوردة، بشرط أن تدفع الدولة الطالبة تعويضا عادلا للمشتري بحسن نية أو للمالك بسند صحيح.

- فرض عقوبات أو جزاءات إدارية على كل من يتسبب في خرق أحكام الحظر السالفة الذكر، والإشتراك في عمل دولي متكافل لتحديد وتنفيذ التدابير العملية اللازمة، بما فيها مراقبة الصادرات والواردات والتجارة الدولية في المواد المعنية بالذات.

- غرس وتنمية الوعي بين أفراد الشعب بقيمة الممتلكات الثقافية وبما تشكله السرقات وأعمال التنقيب غير القانونية والتصدير غير المشروع من خطر على التراث الثقافي، وعدم مشروعية تصدير الممتلكات الثقافية ونقل ملكيتها عنوة، كنتيجة مباشرة أو غير مباشرة لإحتلال دولة أجنبية لبلد ما²⁰.

4- اللجنة الدولية الحكومية لتعزيز إعادة الممتلكات الثقافية إلى بلادها الأصلية أو ردها في حالة الإستيلاء غير المشروع 1978

بغية تفعيل إتفاقية 1970 وجعلها أكثر نجاعة وتسهيلا لإعادة الممتلكات الثقافية إلى مالكيها الأصليين في حالة الإستيلاء غير المشروع، تم إستحداث لجنة دولية حكومية ذات طابع إستشاري لهذا الغرض تقدم خدمات للدول الأعضاء في اليونسكو والدول المنتسبة إليها التي يعينها الأمر، أعتمدت بموجب القرار 5/7.6/4 الذي إعتمده المؤتمر العام لليونسكو في دورته العشرين المنعقد بباريس من 24 أكتوبر إلى 28 نوفمبر 1978²¹.

تختص اللجنة ببحث السبل والوسائل الكفيلة بتسهيل المفاوضات الثنائية لرد أو إعادة الممتلكات الثقافية إلى بلادها الأصلية، ويجوز لها تقديم إقتراحات تستهدف الوساطة²² أو التوفيق، وللجنة أنشطة أخرى منها الحث على القيام بحملات لإعلام الجمهور عن حقيقة طبيعة مشكلة رد أو إعادة الممتلكات الثقافية لبلادها الأصلية، وتشجيع إنشاء أو تعزيز المتاحف أو غيرها من المؤسسات المسؤولة عن صون الممتلكات الثقافية وتدريب الموظفين العلميين والتقنيين اللازمين لذلك.

وعلى الدول العربية التي تعرضت ممتلكاتها الثقافية للنهب أن تستفيد من هذه اللجنة لإعادة قطعها الأثرية، خاصة وأن العقود الأخيرة شهدت إفراغ كثير من المتاحف في الوطن العربي من قطعها ومقتنياتها الثقافية، وأخص بالذكر ما حدث في العراق بعد التدخل الأمريكي عام 2003 من نهب لثروات العراق الأثرية؛ حيث يقدر بعض الباحثين أن أقل تقدير للآثار العراقية التي سرقت أو فقدت بعد هذا التدخل ما بين 50000 إلى 200000 قطعة²³.

5- إتفاقية المعهد الدولي لتوحيد القانون الخاص (unidroit)

1995

هي إتفاقية تخص إعادة الممتلكات الثقافية المسروقة أو المصدرة بطرق غير مشروعة، وقعت بروما خلال مؤتمر دبلوماسي دعت إليه حكومة الجمهورية الإيطالية في الفترة الممتدة من 7 إلى 24 جوان 1995؛ للإسهام الفعال في مكافحة الإتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية من خلال إتخاذ التدبير الهام القائم على وضع القدر الأدنى اللازم من القواعد القانونية العامة من أجل رد وإعادة الممتلكات الثقافية بين الدول المتعاقدة.

من الأهداف الأساسية للإتفاقية تسيير رد الممتلكات الثقافية وإعادتها، وأن إشتراك تقديم حلول منصفة مثل التعويض لتنفيذ عمليتي الرد والإعادة في بعض الدول لا يعني وجوب إعتداد هذه الحلول في دول أخرى، وجعل الإتفاقية منطلقا لعملية من شأنها تعزيز التعاون الثقافي الدولي وإعطاء دور مناسب للإتجار الشرعي وللإتفاقيات بين الدول من أجل المبادلات الثقافية.

ولقد إعتبرت المادة 3 من الفصل الثاني - حول إعادة الممتلكات الثقافية المسروقة - القطع المسروقة أي ممتلك ثقافي يستخرج عن طريق عمليات تنقيب غير مشروعة أو يستخرج بطريقة مشروعة ويحتفظ به بطرق غير مشروعة، ولم تقدم أمثلة توضح المقصود بهذه القطع المسروقة، وربما يعني بها تلك الممتلكات الثقافية التي تسرق من المتاحف أو المواقع أو المؤسسات الثقافية بطرق معينة قد

تكون معقدة ويحتفظ بها أو تباع وتشتري بطريقة غير مشروعة، وحتى الممتلك الثقافي الذي يكون قد صدر مؤقتاً من أراضي الدولة الطالبة لأغراض يذكر منها عرضه أو إجراء بحوث عليه أو ترميمه بموجب ترخيص صادر طبقاً لقانونها الذي ينظم عملية التصدير بهدف حماية تراثها الثقافي، ولم يرد إليها وفقاً لأحكام الترخيص المرفق.

توضح الإتفاقية بعض الإجراءات التنظيمية والتعويضية لعملية إعادة الممتلكات الثقافية منها حق لكل من بحوزته ممتلك ثقافي مسروق وعليه أن يعيده، أن يتلقى عند رده تعويضاً عادلاً معقولاً، شريطة ألا يكون قد علم، أو ما كان له في حدود المعقول أن يعلم، أم الممتلك الذي بحوزته مسروق، وأن يمكنه أن يثبت أنه كان قد اتخذ عند إقتنائه ما يلزم من الإحتياطات، وعدم الإخلال بحق الحائز في التعويض المشار إليه، وتبذل جهود معقولة لإلزام الشخص الذي نقل الممتلك الثقافي إلى الحائز، أو أي ناقل سابق آخر، بدفع التعويض إذا كان هذا الإجراء متماشياً مع قانون الدولة التي تقدم فيها المطالبة²⁴.

ورغم أن الإتفاقية تنص على ضرورة رد الممتلكات الثقافية إلى أصحابها الأصليين في حال الإحتفاظ بها بطرق غير مشروعة وتعويض المالكين بحسن نية إلا أنه يعاب عنها أنها لم تعالج إشكال مطروح وهو أحقية الدول في إسترجاع

ممتلكاتها الثقافية الموجودة خارج أراضيها قبل تاريخ توقيع الإتفاقية خاصة الدول التي أستعمرت، حيث نصت الإتفاقية في مادتها 10 أنه لا تسري أحكام الفصل الثاني من هذه الإتفاقية - إعادة الممتلكات الثقافية المسروقة - وكذلك أحكام الفصل الثالث - إعادة الممتلكات الثقافية التي صدرت بطرق غير مشروعة - إلا بشأن الممتلكات الثقافية التي تسرق بعد تاريخ نفاذ هذه الإتفاقية.

6- المدونة الدولية للسلوك الأخلاقي لتجار الممتلكات الثقافية 1999

لقد عملت اليونسكو على إتخاذ بعض التدابير القانونية والعملية التي من شأنها الحد من ظاهرة نقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة، منها إقرار مدونة²⁵ دولية للسلوك الأخلاقي لتجار الممتلكات الثقافية في شهر نوفمبر 1999 خلال مؤتمرها العام في دورته الثلاثين ، فعلى الرغم من دور تجار الممتلكات الثقافية ومساهمة تجارهم في نشر الثقافة، وتزويد المتاحف وجامعي المقتنيات الأثرية بممتلكات ثقافية أجنبية، على إعتبار أنها آثار فنية ووثائق تاريخية وحضارية هامة، ووسائل تعليمية نادرة ومفيدة في مختلف الدراسات التاريخية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية، ومصدر معلومات غير محدود للباحثين المتعمقين في البحث²⁶، إلا أن دورهم قد يكون سلبيًا في حال

شجعوا من كان له ممتلك ثقافي مسروق أو مملوك بطريقة غير شرعية إن زودوه بأماكن لبيعه، لذلك يمكن لتجار الممتلكات الثقافية إقصاء التجارة غير المشروعة عن طريق تفادي التعامل مع هذا النوع من الأشخاص مهما كانت جنسياتهم.

ومن أهم ما نصت المدونة إمتناع المشتغلين بتجارة الممتلكات الثقافية عن إستيراد أو تصدير أو نقل ملكية الممتلكات الثقافية متى كان لديهم سبب معقول يدعوهم إلى الإعتقاد بأنها سرقت أو أستكملت على نحو غير مشروع أو تم التنقيب عنها بطرق سرية أو تصديرها بوسائل غير مشروعة²⁷، وعدم المساعدة في إجراء أي معاملة تجارية إضافية تخص أي قطعة إلا بموافقة البلد الذي يوجد فيه الموقع أو المعلم الأثري المعني²⁸، والإمتناع عن عرض أي قطعة أو وصفها أو تثمينها أو الإحتفاظ بها بقصد التشجيع على نقلها أو تصديرها بطرق غير مشروعة، كما يمتنعون عن تزويد البائع أو الشخص الذي يعرض القطعة للبيع بمعلومات عن الجهات التي قد تؤدي هذا النوع من الخدمات، وعدم تجزئة أي قطع أو بيع أجزائها فرادى، وأن أي إنتهاكات تخص أحكام المدونة تخضع لتحقيق صارم من قبل لجنة، ويتم الإعلان عن نتائج التحقيق وعن المبادئ التي تم تطبيقها²⁹.

7- إتفاقية اليونسكو 2001

لم تقتصر الحماية الدولية للتراث الثقافي الموجود في اليابس بل إمتدت إلى ذلك المغمور بالمياه بإعتباره جزءاً لا يتجزأ من التراث الثقافي العالمي، وعنصراً بالغ الأهمية في تاريخ الشعوب والأمم وتاريخ العلاقات فيما بينها بخصوص تراثها المشترك، وهو تراث ليس في مأمن من تهديدات أنشطة غير مرخص بها تستهدفه للنهب والإستغلال التجاري أو المقايضة أو التملك، لذلك تم وضع قواعد تقنينية لحماية وصون التراث الثقافي المغمور بالمياه من مختلف الأنشطة المهددة له وخاصة ما تعلق بنقل ملكيته بطرق غير مشروعة في شكل معاهدة إعتمدتها اليونسكو عام 2001.

تهدف هذه المعاهدة إلى رفع مستوى الوعي لدى الجمهور بقيمة وأهمية التراث الثقافي المغمور بالمياه، ومراقبة ومنع دخول قطعه المصدرة و/أو المنتشلة بشكل غير مشروع إلى أقاليم الدول الموقعة أو الإتجار بها أو حيازتها، وإتخاذ التدابير اللازمة لمنع وفرض جزاءات رادعة على إنتهاك التدابير التي إتخذتها هذه الإتفاقية، للحيلولة دون إرتكاب الإنتهاكات أينما كان مكان حدوثها، وحرمان مرتكبيها من الحصول على مزايا من وراء أنشطتهم غير المشروعة³⁰.

كما تحقق الإتفاقية سبل لحماية هذا النوع من التراث من خلال مجموعة من الإجراءات منها تسجيل وضبط التراث المنتشل وإبقاء المعلومات الخاصة بإكتشافه أو بمكان وجوده، والتي تبادلها الدول الأطراف في ما بينها أو تبادلها اليونسكو والدول الأطراف قيد السرية، في حدود تشريعاتها الوطنية، ومخصصة حصرا للسلطات المختصة في الدول الأطراف طالما كان إفشاء هذه المعلومات يمكن أن يشكل خطرا أو يهدد بفشل حماية ذلك التراث الثقافي المغمور بالمياه³¹، كما أشار ملحق الإتفاقية إلى ضرورة تنظيم الأنشطة المتعلقة بالتراث الثقافي المغمور بالمياه تنظيما صارما لضمان التسجيل السليم للمعلومات الثقافية والتاريخية والأثرية³².

- خلاصة

تعكس المعاهدات والإتفاقيات الدولية السابقة الذكر مجموعة قوانين وقواعد دولية تهدف لحماية الممتلكات الثقافية من الإتجار ونقل ملكيتها بطرق غير مشروعة، إعتدتها اليونسكو لتنظيم العمل الدولي الجماعي الساعي إلى محاربة مثل هذه الأخطار، وهي نصوص أكدت لنا أن القيم التاريخية والأثرية والعلمية للممتلكات الثقافية لا يمكن أن تساويها القيم المالية، وأن أي قطعة أثرية مهما كان شكلها أو مادة صنعها أو حجمها هي ملك للمالكين الشرعيين، وأن

السبل المثلى لإستمرار حماية ملكيتها بطرق مشروعة لا تحققها الحماية على الصعيد المحلي فقط بل تتطلب تظافر جهود دولية في إطار تعهدات يكفلها القانون، وعلى الدول الموقعة لإتفاقيات الدولية إعتقاد محتوى هذه الأخيرة في تشريعاتها الوطنية قدر الإمكان، فهي تعكس إرادة واضحة للمجتمع الدولي (والجزائر ضمنه) في تحسين مستمر لحماية التراث الثقافي وإدارته.

وإذا كان موضوع حماية وصون التراث الثقافي أهمية عالمية فإنه لا يخفى علينا جميعا الأهمية البالغة لهذا الموضوع على الصعيد الإقليمي العربي وعلى الصعيد الوطني الجزائري، فبلادنا من أغنى البلدان التي تزخر بصور مختلفة للتراث الثقافي منه المادي وغير المادي؛ لذا فقد عملت الجزائر بمؤسساتها المختلفة وخاصة تلك المتخصصة منها إلى تفعيل بعض إتفاقيات اليونسكو مثل إتفاقية 1970، وتفعيل أحكامها على الصعيد الوطني، حيث يكفل القانون الجزائري حماية للتراث الثقافي على نحو يتوافق وما نصت عليه المعاهدات الموقعة، ومن أبرزها نذكر قانون 98-04 المتعلق بحماية التراث الثقافي الجزائري³³.

– الهوامش

¹ – الإتفاقية هي عبارة عن معاهدة مكتوبة تعقد بين شخصين أو أكثر من أشخاص القانون الدولي، ضمن إطار هذا الأخير بقصد ترتيب آثار قانونية، وينبغي أن تكون الإتفاقية مكتوبة – ولا يهم التسمية التي تأخذها – وأن تكون بين أشخاص القانون

الدولي من مثل الدول والمنظمات الدولية، وأن ترتب آثار قانونية في إطار القانون الدولي، وتدخل الإنفاذية حيز النفاذ بعد التصديق عليها أو الإنضمام إليها من قبل عدد من الدول يحدد في مادة من موادها، ولا تكون ملزمة قانونا إلا للدول التي تصح أطرافا فيها عن طريق التصديق أو الإنضمام أو بأي طريقة أخرى، لمزيد من المعلومات أنظر: - عمر سعد الله، مدخل إلى القانون الدولي لحقوق الإنسان، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص ص 48-49.

² - منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة اليونسكو (United Nations Education, Scientific and cultural Organization, UNESCO) أسست عام 1945، وهدفها الأساسي صنع السلام في عقول الناس، تتكون من ثلاث أجهزة رئيسية هي المؤتمر العام والمجلس التنفيذي وأمانة السر (السكرتارية)، بلغ عدد أعضائها 190 عضوا دوليا عام 2003، وتحاول المنظمة أن تصنع فيما بين أعضائها تعاونيات دولية، لمزيد من المعلومات أنظر: - جمال عليان، الحفاظ على التراث الثقافي " نحو مدرسة عربية للحفاظ على التراث الثقافي وإدارته"، ع322، عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، 2005، ص ص 169-170.

³ - عرفت عديد المتاحف والمواقع الأثرية في العقود الأخيرة سرقة عدد من القطع الأثرية لا يستع المقال لذكرها، ومنها ما نقل إلى خارج أرض الوطن، وتسهر مصالح الأمن بأشكالها المختلفة على مكافحة تهريب القطع الأثرية وإسترجاعها، حيث تمكنت مصالح الشرطة من إسترجاع 253 قطعة أثرية سنة 2012، و1229 قطعة أثرية خلال سنة 2013 - بحسب إدارة الإنصال والعلاقات العامة بالمديرية العامة للأمن الوطني -، كما تمكنت مصالح الشرطة المتخصصة بالتنسيق مع منظمة الأنتربول من إسترجاع تحف أثرية من الخارج - ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية-، وتسلمت الجزائر قناع (غرغون) من

تونس في 2014/04/13 والذي سرق سنة 1996 من الموقع الأثري هيبون، لمزيد من المعلومات عن إحصائيات لبعض الممتلكات الثقافية المسروقة من المتاحف والمواقع الأثرية الجزائرية في السنوات الأخيرة راجع: - فريدة بلفراق، الإجراءات القانونية لحماية الآثار في الجزائر، مجلة دراسات، ع5، منشورات كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، الجزائر، 2003، ص ص 31-34، أنظر كذلك: - الموقع الإلكتروني للمديرية العامة للأمن الوطني: www.algeriepolice.dz.

⁴ - مبروك غضبان، التنظيم الدولي والمنظمات الدولية " دراسة تاريخية وتحليلية وتقييمية لتطور التنظيم الدولي ومنظماته"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 11.

⁵ - حماية الشيء هي تأمين سلامته، ومنع ما يضره، ودفع ما قد يعرضه للتلف أو الفقد، ووقايته من المخاطر، وحماية الممتلكات الثقافية تتطلب أمور متعددة مثل الترميم، الصيانة، التسجيل، الرقابة، وسن وتفعيل التشريعات القانونية الوطنية والدولية المدعمة بأجهزة قضائية وأمنية، لمزيد من المعلومات أنظر: - عبد الحميد حواس، التراث الثقافي غير المادي في الوطن العربي من منظور عربي، المجلة العربية للثقافة، ع 52، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 2008، ص 117.

⁶ - رضا فراوة، معايير دولية في مجال حماية التراث الثقافي وإدارته وتعزيزه، المجلة العربية للثقافة، ع 52، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 2008، ص 71.

⁷ - توضح المادة الأولى من الميثاق التأسيسي لليونسكو نطاق عمل هذه الأخيرة ومن ضمن أعمالها صون وحماية التراث العالمي من الكتب والأعمال الفنية وغيرها من الآثار التي لها أهميتها التاريخية أو العلمية، لمزيد من المعلومات أنظر: - حسن نافعة، العرب

واليونيسكو، سلسلة عالم المعرفة، ع 135، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص 41.

⁸ - المرجع نفسه، ص 11.

⁹ - سيد أحمد باغلي، جرد الممتلكات الثقافية، المتاحف والحضارة والتنمية، دائرة الآثار العامة، الأردن، 1994، ص 121.

¹⁰ - دليل منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، التدابير القانونية والعلمية لمكافحة الإبحار غير المشروع بالممتلكات الثقافية، شعبة المعايير الدولية، قسم التراث الثقافي، 2006، ص 4.

¹¹ - إتفاقية لاهاي 1954 لحماية الممتلكات الثقافية في حال نزاع مسلح، ص 3، و ص 6.

¹² - المصدر نفسه، المادة 28.

¹³ - اشترطت المادة 8 من إتفاقية لاهاي 1954 شرطين ليتمتع أي ممتلك ثقافي ذو أهمية كبرى بحماية خاصة، الأول أن يكون واقعا على مسافة كافية من أي مركز صناعي كبير أو أي هدف حربي هام يعتبر نقطة حيوية، أما الشرط الثاني فيتمثل في عدم إستعمال هذا الممتلك الثقافي لأغراض عسكرية، ولا تتمتع الممتلكات الثقافية بالحماية الخاصة بشكل تلقائي بمجرد توافر الشروط سالفة الذكر.

¹⁴ - أنظر بخصوص هذا النزاع وتسويته: NAHLIK (S), le Cas des Collections Polonaises au Canada, Annuaire Polonais des Affaires Internationales, 1959-1960, pp 172-190, RAYMOND Goy, le Régime International - أنظر كذلك: de l'Importation, de l'Exportation et du Transfert de

Propriété des Biens Culturels, Annuaire Français de Droit International, V 16, N°1, 1970, pp 605-624.

UNESCO, Réunion d'Experts sur le Règlement¹⁵ des Différends Concernant les Objets Culturels Déplacés en Relation avec la Seconde Guerre Mondiale, (Paris, 3-6 décembre 2002), Rapport Finale du Secrétariat, Paris, 2003, p 7.

¹⁶ - حمدان طه، الآثار والإحتلال في فلسطين " التنقيبات غير القانونية والإتجار غير المشروع بالآثار"، المجلة العربية للثقافة، ع55، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 2009، ص ص 52-53 و 66.

¹⁷ - من الدولة عربية المصدقة على الإتفاقية نذكر: الجزائر، الأردن، تونس، موريطانيا، سوريا، العراق، سلطنة عمان، قطر، الكويت، لبنان، ليبيا، مصر، المغرب، العربية السعودية. أنظر: - محمد سامح عمرو، إتفاقيات اليونسكو في مجال حماية التراث الثقافي من منظور الدول العربية " دراسة قانونية تأصيلية وتحليلية"، المجلة العربية للثقافة، ع 52، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 2008، ص 60، أنظر كذلك: - رضا فراوة، المرجع السابق، ص 96.

¹⁸ - إتفاقية 1970 بشأن الوسائل التي تستخدم لحظر ومنع إستيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة، المادة 2.

¹⁹ - رفعت موسى محمد، مدخل إلى فن المتاحف، ط2، الدار المصرية اللبنانية، دون مكان نشر، 2008، ص 69.

- ²⁰ - إتفاقية 1970 بشأن الوسائل التي تستخدم لحظر ومنع إستيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة، المواد 5 - 11.
- ²¹ - لمزيد من المعلومات راجع النظام الأساسي للجنة الدولية الحكومية لتعزيز إعادة الممتلكات الثقافية إلى بلادها الأصلية أو ردها في حالة الإستيلاء غير المشروع.
- ²² - الوساطة تعني تدخل طرف خارجي للجمع بين الأطراف المعنية بالنزاع على عرض القضية على هيئة رسمية لكي تجري هذه الهيئة التحقيقات اللازمة وتبذل الجهود من أجل التوصل إلى تسوية.
- ²³ - أسامة الجوهري، الآثار العراقية "أكبر كارثة ثقافية منذ أكثر من خمسة قرون"، ط1، دار هلا للنشر والتوزيع، الجيزة، 2006، ص ص 5 و7.
- ²⁴ - إتفاقية المعهد الدولي لتوحيد القانون الخاص (unidroit) بشأن الممتلكات الثقافية المسروقة أو المصدرة بطرق غير مشروعة 1995، المواد 1، 4 و6.
- ²⁵ - أتمدت هذه المدونة في الدورة العاشرة الدولية الحكومية لتعزيز إعادة الممتلكات الثقافية إلى بلادها الأصلية أو ردها في حالة الإستيلاء غير المشروع، التي انعقدت في جانفي 1999، وأقرت من قبل المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثلاثين التي انعقدت في نوفمبر 1999.
- ²⁶ - زهدي بشير، المتاحف، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1988، ص 83، أنظر كذلك: - محمد عبد الهادي، دراسات في ترميم وصيانة الآثار غير العضوية، مكتبة زهراء الشرق، لبنان، 1998، ص ص 197 - 198.
- ²⁷ - المدونة الدولية للسلوك الأخلاقي لتجار الممتلكات الثقافية 1999، المادة 1.
- ²⁸ - المصدر نفسه، المادة 3.
- ²⁹ - المصدر نفسه، المواد 5، 6 و8.

³⁰ - إتفاقية 2001 بشأن حماية التراث الثقافي المغمور بالمياه، (المواد 14، 17، 20).

³¹ - المصدر نفسه، المادة 18.

³² - ملحق إتفاقية 2001 بشأن حماية التراث الثقافي المغمور بالمياه، (القاعدة 6).

³³ - MORSLI Abdelhamid , Patrimoine Culturel

Algérien et Textes Juridiques y Afférents, (Lois et ,Règlement), Dar El-kitab El-arabi, Alger, 2009, p13.

أنظر كذلك: - الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة الثقافة، قانون 98-04

المتعلق بحماية التراث الثقافي، (الجريدة الرسمية، ع 44، 17 جوان 1998)، ص ص

3-11.

المسكن الروماني بالمدن التحصينية (مسكن الفسيفساء بتيديس نموذجاً)

أ. بوعويوة نبيل - بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2 - الجزائر

ملخص:

تعتبر عمارة المسكن من أهم وأولى النشاطات المعمارية التي مارسها الإنسان، وذلك لما كان لها من أهمية ودور كبيرين في تحسين ظروف معيشة الفرد منذ بدايات وجوده على وجه الأرض، حيث ظلت أهميتها راسخة في عمران مختلف الحضارات الإنسانية، وهو الأمر الذي تجلّى بوضوح في عمارة المساكن الرومانية بمختلف أنحاء العالم الروماني، حيث سنسعى هنا لتأكيد ذلك من خلال دراسة لعينة من مساكن المدن التحصينية، وهو ما عرف اصطلاحاً بمسكن الفسيفساء، إذ رغم طبيعة الدور السياسي والعسكري الذي لعبته المدينة التي وجد بها (تيديس) إلا أنه استطاع بتخطيطه مسايرة مخططات المساكن الرومانية بمختلف مدن العالم الروماني على غرار روما، تيمقداً وجميلة..، كما استطاع أيضاً أن يحفظ لنفسه نوعاً من الخصوصية المعمارية التي نتجت عن الطبيعة العسكرية للمدينة لزيادة عن خصوصيتها التضاريسية.

Abstract:

The houses architecture is the first and most important architectural activities practiced by human, Because of its role in improving human living conditions since the beginning of its existence on earth, where it has maintained its importance through the history of civilizations, this was justified by the architecture of the houses in Roman civilization, We seek through this research to confirm This important By studying the monuments of the mosaic house in Tiddis site. Despite the military role of the city, but the plan of the house was similar with houses plans of Roman cities like Rome, Tingad and djemila..., on top of that it is characterized by architectural specificities due by the political role of Tiddis and the topography of the city.

مقدمة:

تيديس أو الكاستلوم تيديتانوروم (Le castellum Tidditanorum) واحدة من بين المدن التي كانت تابعة للإقليم الكونفدرالي السرتي، هذا الإقليم الذي شغل المنطقة التي حازها سيتوس من قيصر في العهد الإمبراطوري، إذ كان يضم أربع مستعمرات هي مستعمرة سيرتا (Cirta) ومستعمرة روسيكادا (Rusicade) ومستعمرة شولو

(Chulu) ومستعمرة ميلاف (Milev)¹، ومن بين القرى التي كانت تابعة لمستعمرة سيرتا نخصي: كالديس (Caldis) وصدّار (Seddar) وتيديس (Tiddis) وسيلا (Sila) وتيجيسيس (Tigisis) وأوزيليس (Uzelis)².

رغم أن المدينة كان لها دور عسكري بدرجة أولى إلا أن عمرانها قد احتوى على كل ما يمكن أن تحتويه المدن الرومانية من منشآت دينية، عسكرية، ومدنية، وذلك مع بعض الخصوصيات والاستثناءات التي ميزت أغلب هذه المنشآت.

إذا كغيرها من المدن الرومانية فقد عرف عمرانها وجود المساكن الخاصة ذات التخطيطات والمساحات المتباينة وقد تجسد أحسن مثال بها فيما اصطلح عليه (فيلا الفسيفساء)، حيث يعد بشكل ما مثالا للمنزل الروماني الحضري (Domus) وذلك لشكل عمارته التي تتقاطع نوعا ما مع عمارة المساكن الرومانية سواء في روما أو في المقاطعات الرومانية، حيث سنسعى فيما يلي من صفحات هذا البحث إلى تفصي أهم مكونات ومميزات هذا المسكن وبالتالي التعرف على طبيعة تقسيماته ومنه تحري مدى تأثير عمارته بعمارة المسكن الروماني.

المسكن الروماني بشمال إفريقيا: لقد اختلفت المخططات المعمارية للمساكن الرومانية عن بعضها البعض في مختلف المقاطعات الرومانية، وهذا لعوامل كثيرة منها الظروف المناخية وكذلك الخصائص الاجتماعية لكل مقاطعة، فالمسكن الروماني الأفريقي مثلا لم يحتوي في الغالب على قاعات مغلقة، فقد جاءت كل قاعاته مفتوحة على فضاء داخلي قد يكون ساحة أو حديقة أو أن يكون مسبحا أحيانا أخرى، ونجد عادة نافورة ماء في هذا الفضاء الداخلي، والقاعة الرئيسية فيه هي قاعة الأويكوس (Oecus) وهي قاعة أكل وعزومات، كما أن هناك غرف ذات طابع استثنائي في المنازل الرومانية الأفريقية مثل منازل بولاريجيا (Bulla Regia)³، وهي غرف تحت أرضية وتضاء بواسطة فتحات على مستوى أرضية الشارع، بنيت لمقاومة الحرارة الشديدة في فصل الصيف، ونجد دائما الأمبلوفيوم (Impluvium)⁴ متاخما لأحد جدران المنزل عوض أن يشغل مركز القاعة، ويمكن أن نعتبر هذه الخصوصيات أصلية محلية، تهدف أساسا لمقاومة الحرارة الشديدة في فصل الصيف بالنسبة للغرف تحت الأرضية وضمان التهوية بالنسبة للتوزيع المعماري الجديد لأقسام المنزل مثل موضع الأمبلوفيوم (Impluvium).

بخصوص دراستنا هذه حول المسكن الروماني بالمدن التحصينية فسوف نعتد فيها مبدأ دراسة مكونات مسكن الفسيفساء بتيديس ومنه المقارنة بين ما توفر

لدينا في مخطظه من جهة والمخططات النموذجية للمسكن الروماني من جهة أخرى.

مسكن الفسيفساء (**La maison à mosaïque**) بتيديس: إن مخطط مسكن الفسيفساء في شكله العام عبارة عن شبه منحرف قاعدته الكبرى باتجاه الشرق، والصغرى باتجاه الغرب، وهذا المركب بذاته يمثل جزء من مجموعة مباني محاذية له، حيث أن جانبه الأيمن يرتبط مع مجموعة من القاعات المرتبطة بدورها مع منشآت أخرى يصعب معرفة طبيعتها الحقيقية رغم علو أسوارها، أما جهته اليسرى فقد حفت بطريق يوصل إلى درج الديكيومانوس الكبير (أنظر صورة 01).

للعلم فإنه في وصفنا وأثناء اعتمادنا على المخطط المنجز من طرف برتبي (Berthier)⁵ قد عملنا على إعطاء تسميات حرفية لقاعات المبنى تتوافق مع الأحرف الموجودة داخل المخطط العام لقاعات هذا المبنى، وهذا قصد تقديم شروحات واضحة ووصف دقيق (أنظر شكل 01).

بهو الجهة الغربية (ط): أهم مداخل هذا المبنى يقع بالجهة الغربية أين يفتح بعتبة تفضي مباشرة إلى بهو، وقد بنيت هذه العتبة في فترة متأخرة، الأمر الذي يثبت توضعها فوق تخطيط سابق، إن حالة الحفظ السيئة لهذا الجزء صعبت من

معرفة الدور الحقيقي للفضاء أو الأرضية التي تعلو الخزانات هذا الفضاء الذي يتربع على أكبر المساحات بهذا المنزل وهي الميزة التي تجعلنا نستبعد أن يكون مجرد بهو (Vestibule) أو ممر مرتبط بالمدخل الغربي في حين نتحفظ في الجزم بكونه (Atrium)⁶ لعدم وجود أدلة تبين انفتاحه على الغرف المحيطة به وهي الميزة الرئيسية التي يمتاز بها كل (Atrium)، هذا ولو علمنا أيضا أن الأجزاء من السقف الذي يعلو جوانب الأتريوم ويحيط ب (Impluvium) يكون محمي بما يسمى ب (كُنَّة) أو سقيفة مغطاة بالقرميد وتستند على هيكل من عوارض خشبية كبيرة تحمل بدورها على أربع دعائم أو أعمدة تشغل كل واحدة من هن زاوية ويمكن أن تكون أكثر من أربعة إذا زادت مساحة الأتريوم⁷، إذا ومن هذا المعطى فإننا يمكن أن نتحفظ أيضا في الجزم بوجود هاته الأعمدة التي لم يبقى لها أثر على أرضية البهو، زيادة على ذلك فإن المستوى التحت أرضي لهذه الأرضية والذي شُغلت كل مساحته بالخزائين تجعلنا نستبعد وجود هذه الأجزاء من المسكن بسبب تأثير ثقلها على غطاء الخزائين.

الخزان ذو الحوضين (ط): غطي هذا الخزان بغطاء شكل أرضية للقاعة ذات المدخل المباشر من الرواق الغربي، ولقد امتاز هذين الحوضين بنفس الخصائص وقد اتصلا فيما بينهما بواسطة قناة.

- الحوض الغربي أنجز غطاؤه بخرسانة ملاط ممزوجة بالحصى على شكل سقف مقبب ذو وجه داخلي محدب، وقد ثقب سقف هذا الخزان في جانبه ليسمح بمرور أنبوبين فخاريين بطول 0,70م وقطر 0,10م يستعملان في ملء الخزان. أما الحوض الشرقي فقد وجد بجهته الجنوبية ثقب للتفريغ حيث مازال يلتصق به جزء من أنبوب رصاصي.

بالقرب من البوابة الغربية لهذه القاعة التي تعلو الحوضين يوجد حوض صغير من الحجارة على شكل برميل دائري بقياس 0,40م قطر داخلي 0,60 قطر خارجي و0,30م عمق، وقد احتوى هذا البرميل على ثقب دائري يقابل أحد الأنبوبين الفخاريين السابقين اللذين يستعملان في ملء الخزان (أنظر صورة02)

وهنا يظهر أن دور هذا الحوض أو البرميل الحجري الصغير يمكن أن يتشابه مع دور (Impluvium) في المنازل الرومانية وهو تجميع المياه التي قد تأتي من الخارج أو التي تنزل من سقف المبنى، إلا أن السقف في هذا الجزء من المبنى يفترض أن يكون مغطى وبالتالي نستبعد أيضا فرضية وجود (Compluvium)⁸، أرضية هذه القاعة تمثل حاليا أعلى مستوى لمجمع فيلا الفسيفساء، هذا رغم عدم احتوائها على جدران محيطة وذلك بعد

تهدمها شبه الكلي ومع هذا فإننا نرى أن مستوى هذه القاعة مع أنه يمثل مستوى الطابق الأرضي مقارنة مع المدخل الغربي، إلا أنه في نفس الوقت يمثل مستوى الطابق العلوي بالنسبة للقاعات الشرقية التي لها مستوى تحت أرضي ينخفض عن المستوى الأول بما يفوق المترين.

القاعتين (د، هـ): هما قاعتان منحرفتان عن المنزل لكنهما تابعتان له وتقعان بزاويته الجنوبية.

القاعة (د) الجدار الجنوبي لهذه القاعة هو الجدار الوحيد المبني بحجارة كبير على شكل تقنية (Opus Quadratum). تتصل هذه القاعة بالقاعة (هـ) التي بدورها تتصل بالخارج بواسطة باب يتجه نحو الشمال.

الجدران المحيطة بهاتين القاعتين أنجزت من الدبش المربوط بالملاط الطيني وفصلت أيضا بحجارة كبيرة رابطة (Pierre de chainage)، في الحافة الشمالية لهذه القاعة (هـ) وجد ما يسمى بمزراب أو ساقية، تسمح بإجلاء المياه، جدران هذه الساقية بنيت من الدبش حيث بلغ عمقها 0,60م وعرضها 0,30م وتعبّر كل طول القاعة (هـ)، مستوى أرضية هاتين القاعتين ينخفض بما يفوق المتر عن مستوى أرضية القاعات المحاذية لها من منزل

الفسيفساء (م، ل)، وكذلك مستوى الأسوار الحالية المهدامة والتي ينتهي ارتفاعها عند بداية أرضية القاعات (م، ل).

إذا كانت هاتين القاعتين (د، هـ) لا يشكلان جزء من منزل الفسيفساء فإن جدارها الغربي يحف الساحة التي بنيت عليها القاعة الساخنة لحمام هذا المسكن، لأن هذا المسكن الذي أنشأ في الفترة الرومانية قد تألف من مجمع هيدروليكي مركب من:

- خزان ذو حوضان في الجهة الغربية (ط).
- قاعة فسيفساء كبيرة في الوسط (ي).
- بهو مبني فوق خزان ماء في الجانب الغربي (ط).
- وفي الجنوب قاعة ساخنة أو قاعة التعرق (Caldarium) بها آثار لدرج، مما يشير إلى وجود طابق علوي بالمعلم.
- هذا بالإضافة إلى مجموعة من المكونات الأخرى لهذا المنزل، حيث سنعددنا مع ما يلي من القاعات والغرف.

قاعة الفسيفساء الكبرى (ي): تحدها من الغرب قاعة الخزان ذو الحوضين وقد بلطت أرضيتها بفسيفساء، قياسات هذه القاعة قدرت ب $5,85 \times 6,20$ م جدارها الغربي هو الجدار الشرقي المزدوج لقاعة الخزانات

(ط) فصل ثلاث مرات بواسطة حجارة كبيرة متعامدة فوق بعضها تتخلل واجهة مبنية بالدبش المتوسط بما يشبه تقنية (Opus Africanum).

الجدار الشرقي هدم جزء كبير منه، أما الجدار الجنوبي فقد فصل بعثتين أصغرهما تُدخلُ إلى القاعة الساخنة (Caldarium)، والكبيرة تُدخلُ إلى حوض مائي.

بلطت أرضية هذه القاعة بفسيفساء مربعة لم يبق منها إلا جزء بسيط، هذا التبليط جمع بين لوحتين متلاصقتين، اللوحة المهمة منهما قدر قياس ضلعها بـ 4,70 م وقد تكونت الأرضية أيضا من شريط فسيفسائي بمكعبات بيضاء ورمادية وبنية، فصل بين حواف الفسيفساء والجدار إطار الفسيفساء ذو العرض 0,20م وهو مزخرف بأزهار اللوتس المتتابعة والمنمنمة والتي تنفصل عن بعضها بواسطة خلفية سوداء، وسط الفسيفساء مزين بعناصر دائرية ضمنها أزهار وأشكال معينة متناوبة، وقد اختلفت كل زهرة عن الأخرى، أما المعينات فجاءت مزخرفة بديكور على شكل أشعة محيطة بدائرة مركزية صغيرة يصدر منها سهمين وزهرتين باتجاهات متعامدة، وتفصلهما عن بعضها أربعة خطوط صغيرة، كما تنفصل كلها عن بعضها البعض بواسطة خلفية من مكعبات بيضاء، ولقد جاءت أشكال الدوائر كلها بلون أسود والأزهار بلون أحمر وبني⁹ (أنظر صورة 03).

اللوحة الأخرى المتصقة بهذه اللوحة الفسيفسائية من الجهة الجنوبية كانت مستطيلة، اختلف إطارها عن إطار اللوحة الكبرى حيث كان مزحرفا بخطوط منحنية متلافة فيما بينها، منتهية برؤوس ثلاثية وزحرفتها الداخلية كانت على شكل ورقات هلالية تحيط بدائرتين بيضويتين متعاقدتين ويشكلان تعامد.

في وسط هذه القاعة (ي) توجد قاعدة عمود موضوعة فوق بلاطة مربعة (أنظر صورة 04) يرجح (برتبي) أنها كانت تحمل عمودا يبدو وكأن له علاقة مع النتوء الموجود في الركيزة اليسرى للباب الذي يربط هذه القاعة مع الغرفة الجنوبية ذات الحوض الصغير¹⁰، حيث يمكن أن يحمل هذا النتوء وهذا العمود قوسا علويا وهذا بسبب التقابل والتناظر الذي يحققه هذين الجزأين (هذا إذا استبعدنا التدخلات اللاحقة التي مست المبنى) ، لكن نقص المعطيات المادية صعبت من تأكيد هذه النظرية، وإذا صح هذا التصور بوجود القوس فإن القاعة (ي) بالإمكان أيضا أن تكون فضاء مفتوحا بدون تسقيف، يظهر أيضا بهذه القاعة وعلى طول الحافة الموازية للجدار الشرقي بقايا لحطام أنابيب فخارية متسلسلة تشكل قناة تنطلق من زاوية الجدار الجنوبي لتنتهي في زاوية الجدار الشمالي أين تقترب من البئر الموجود بالزاوية الغربية للبهو (ح) ،

حالة حفظ أرضية هذه القاعة سيئة جدا وهذا لما مسها من تخريب أدى إلى اندثار جزء كبير من الفسيفساء.

إذا رغم الموقع الوسطي لهذه القاعة إلا أنها تستبعد أن تكون (Atrium) ويبقى دورها متعلق بغرف الحمام (م-ل) ومنه بالإمكان أن يكون لها دور (Tepidarium)¹¹ أو (Apodyterium)¹² هذه الأدوار التي تؤكد لها الخصائص المعمارية لهذه القاعة مقارنة مع قاعات (Apodyterium و Tepidarium) في الحمامات الرومانية¹³، وذلك ابتداءا بتموقعها الوسطي زيادة إلى مساحتها الكبيرة وكذلك أرضيتها المزينة بالفسيفساء وانفتاحها على حوض الحمام البارد.

القاعة الساخنة (LE Caldarium) (م، ل): من خلال العتبة الضيقة بطرف الجدار الجنوبي لقاعة الفسيفساء نستطيع أن ندخل إلى القاعة الساخنة، حيث نلاحظ عند المدخل بقايا فسيفساء ذات شكل شطرنجي بلون أبيض وأسود، جدران هذه القاعة على شكل متجانس وقد بنيت غالبيتها بالآجر على شكل تقنية قطع الآجر (Opus Testaceum) الذي يتخلله أحيانا لوحات من الدبش الصغير، على شكل رمز زائد (+) مما يعطينا تقنية أخرى

هي التقنية المختلطة (Opus Mixtum) ولقد قسمت القاعة إلى حجرتين:

الحجرة الشمالية (م): احتوت على بقايا دعامات الهيوكوست المكعبة.

الحجرة الجنوبية (ل): أصغر من الحجرة الأولى، وقد احتوت أيضا على بقايا دعامات الهيوكوست مصفوفة فوق بعضها البعض وقد فقدت الملاط الرابط بينها، يظهر على حواف هذه القاعة بعض بقايا التبليط التي تغطي طبقة خرسانة تتركز بدورها على الدعائم السابقة، ربط آجر وحجارة هذه القاعة بالملاط الذي زاد من مقاومة جدرانها التي لا تزال بحالة حفظ حسنة، ومع ذلك فإنها لم تخل من مظاهر التلف الذي يطال حواف الجدران العلوية، وكذلك أرضيتها التي خربت كليا.

قاعة الحوض الصغير (ي2): العتبة الكبرى التي لاحظناها في الجدار الجنوبي لقاعة الفسيفساء الكبرى (ي) والتي رجحنا أن يكون لركيزتها اليمنى علاقة مع العمود الذي يتوسط القاعة (ي) قد حفت مباشرة من الداخل بحوض صغير ذو أبعاد داخلية قدرت ب $1,80 \times 1,40$ م، وهو محاط في جوانبه الثلاثة بواسطة حافة على شكل مقاعد ملبسة كليا بملاط، تبليط هذا الخزان كان بتقنية السنبل (Opus Spicatum) عن طريق استعمال الآجر، أما قناة

تفريغه فوجدت بالجهة الشمالية. الجدار الجنوبي الذي تستند عليه حافة هذا الحوض لم يبقى منه إلى أثر أساسه، وكذلك الجدار الشرقي فقد بقي منه جزء يسير. في حين أن الجدار الغربي قد بقي منه جزء مهم مبني بتقنية (Opus Vittatum)، ونظرا لارتباط هذا الحوض بالقاعة (ي) (Apodyterium) وبُعدّه عن قاعات (LE Caldarium) فهو أقرب لأن يكون حوض استحمام بارد (Piscine froide).

البهو (ح): يبدو هذا الجزء على شكل بهو بقياس 6م × 4م مبني بالحجارة الصغيرة يفتح في غربه على سلم بإحدى عشرة درجة، ولا تزال أرضيته تحتفظ بجزء من الفسيفساء التي يبدو أنها أنجزت بمكعبات بيضاء وسوداء على شكل شطرنجي.

الجدار الشرقي لهذا البهو (ح) لم يبقى منه إلا جزء بسيط حيث ترتفع قمته لتساوى مع أرضية هذا البهو، وهو يمثل جزء الجدار الخارجي للمنزل، طريقة بنائه استعمل فيها حجارة كبيرة بالإضافة إلى حجارة متوسطة، وتسود فواصله أحيانا بعض الحجارة الصغيرة، وهو في عمومته جدران غير منتظم التقنية، وهو بخصائص بنائه وميلانه وعدم توافق زواياه مع زوايا جدران القاعات الأخرى يظهر وكأنه يخص معلم آخر سابق، أما الجدران الشمالية

والجنوبية فقد بنيت بنفس الطريقة حيث استعملت فيها تقنية (Opus)
(Vittatum).

هذا الفضاء (ح) إن صح الافتراض فإنه أقرب إلى أن يجسد لنا فضاء مفتوح على شكل (Atrium)، هذا الجزء من المسكن الروماني الذي يعتبر أهم جزء تدور خلاله حياة الأسرة وهذا بسبب اتساعه زيادة إلى توفره على الإضاءة الطبيعية من خلال فتحة في سقفه تسمى (Compluvium) كما تعمل أيضا على تهوية المنزل بالإضافة إلى تحصيل مياه الأمطار، وتكون غالبا مربعة¹⁴ ومما زاد من نسبة هذا الافتراض هو توفر هذه القاعة في زاويتها الجنوبية الغربية على حوض دائري صغير يعلو بئر أو خزان تحت أرضي، وهو بذلك يجسد ولو بصفة المقاربة ما يسمى في العمارة الرومانية (Impluvium) والذي يعمل على جمع مياه الامطار المحصلة على السقف لاستعمالها في وقت الحاجة¹⁵ (أنظر صورة 05).

لكن الإشكال الذي نواجهه في طرح هذه الفرضية هو نفس الإشكال المطروح في البهو (ط) والمتعلق بالسقيفة التي لم يوجد أثر للأعمدة الحاملة لها.

القاعة (ن2): تحتفظ في قسمها الشمالي على تبيطها الفسيفسائي، الشريط الفاصل بين إطار الفسيفساء والحائط مُلئ بمكعبات ذات لون أسود أما الإطار فكان مزخرف بأشكال مختلفة يصعب تحديدها بسبب التخريب الذي مسها.

القاعة (ن): تتصل مع القاعة (ن2) أرضيتها أيضا تعرضت للتخريب بعدما حفر بوسطها حفرة ذات قطر 1,45م لتحتوي صخرة ذات فجوة أو حوض بعمق 0,30م، على غرب القاعتين (ن+ن2) نجد رواقين متوازيين مشكلين من غرف مفصولة بجدار طويل دون أية فتحة بينهما، فيما يخص طبيعة ودور هاتين الغرفتين السابقتين فإنه يصعب التكهن به.

في محور القاعة (ن) نجد الغرف المتتالية: (ص + ع + ف)، بخصوص الدور الذي قد لعبته هذه القاعات فإنه يبقى مبهما،

الغرفة (ص): ترتفع أرضيتها عن مستوى الغرفتين السابقتين، وهي مبلطة ببلاط مصنوع بمادة الآجر الأحمر الذي تسوده بعض الحبات السوداء، وهو مصفوف بتقنية السنبلة (Opus Spicatum)، وخلافا للتخريب الذي عرفته هذه الأرضية في فترات متقدمة من التاريخ والذي كان نتيجة إنشاء معصرة زيتون بها فإن حالة حفظها لا تزال حسنة بسبب المقاومة الجيدة للآجر بالإضافة إلى ملاط الربط وكذلك طريقة ربطها المتقنة.

الغرفة (ع): جدرانها الشمالية والجنوبية امتازت بالضخامة وقد بنيت بالدبش الصغير والمتوسط المختلط بطبقات من الآجر.

الغرفة (ف): مغلقة من كل الجهات، شُغلت حواف جدرانها الشمالية والغربية بجدران صغيرة على شكل مقاعد، كما يتكئ جدارها الغربي على الصخر.

بالإضافة إلى المحور السابق (القاعة ن) فإن بالمحور الثاني، أي محور القاعة (ن2) نجد الغرف المتتالية (ش + س + ت + ر) والتي لا تحتوي على أية بوابة خارجية، مما صعب معرفة الدور الحقيقي لها، هاته الغرف التي يرجح أن تكون عبارة عن أقبية سفلية نظرا لوجود درج يخدم الطابق العلوي فوقهم، وقد تكون استعملت كمخازن للمؤونة فيما قد تستغل الغرف التي فوقها لأدوار مختلفة مثل: (Cubiculum)¹⁶ أو (Cellulae)¹⁷ خاصة بالخدم.

الغرفة (ش): هي غرفة صغيرة جدارها الجنوبي يحد الدرج السابق.

الغرف (س + ت + ر): هذه الغرف المتلاصقة حفت من جوانبها الخارجية الأربعة بواسطة جدران بالدبش الصغير والملاط الطيني، وهي بتجاورها تشكل فضاء ذو شكل مستطيل مقسم بسورين وسطين، واحد بين الغرفتين (س) و (ت) لا تظهر من خلاله أية فتحة، أما الثاني فكان بين (ت) و (ر) حيث يظهر بجانبه الأيمن أثر لدرج صغير.

إن الجدار الطبيعي الصخري الذي يشكل الواجهة الغربية للغرفة (ر) تظهر به آثار لمغارة صغيرة تشغل منتصف هذه الواجهة.

القاعة (و): هذه القاعة المثلثية في الزاوية الجنوبية الغربية من المبنى تعرضت أرضيتها للتخريب، ندخل إلى هذه الغرفة عن طريق عتبة تربط هذه الغرفة بغرفة الحوض الصغير (ي2).

القاعة (و2): هي عبارة عن رواق ندخله من المدخل الوحيد للجهة الجنوبية التي احتوت الواجهات الثلاث للجدار الخارجي (أ، ب، ج) وقد وجد بها مدخلين، الأول يفضي إلى الساحة المشتركة بين القاعتين (د، هـ) والكالداريوم، أما الثاني فيفضي إلى قاعة الحوض الصغير (ي2)، حيث يذكر برتيني (Berthier A) أن هذا الرواق قد كان مبطلا بالآجر وبتقنية غير منتظمة، لكن تأثير عوامل التلف على هذه الأرضية لم تترك بها هذا التبليط، حيث أن أهم ما يميز هذه الأرضية هو وجود قناة أرضية متوسطة الحجم مبنية من حجارة الدبش الصغير، إذ تنطلق هذه القناة من عتبة الباب التي تربط هذا الرواق بقاعة الحوض الصغير (ي2) منتهية في الزاوية الجنوبية الشرقية لهذا الرواق.

القاعة (ح2): إن اختلاف أشكال وأنواع البناء تشهد على أن هذا المبنى قد تعرض للكثير من التعديلات في مراحل مختلفة من تاريخه، هذه المراحل التي تتجسد في المستويات الستراتيغرافية المكتشفة في القاعة (ح2) الواقعة جنوب البهو (ح)، حيث يفصلها عنه الجدار الجنوبي لهذا الأخير، ولهذا القاعة نفس مميزات البهو الأول ونفس تقنيات البناء، ونفس المقاسات، ولا تختلف عنه إلا في مستوى أرضيتها المنخفضة، وقد احتوت هذه القاعة بجدارها الغربي على فتحة تربطها بقاعة الفسيفساء (ي)، ولقد استطاع برتبي بهذه القاعة أن يقوم بمقطع كامل للتوضعات التي وجدت بها، الأمر الذي سمح له بالخروج بعدة نتائج تخص تاريخ المبنى.

وللإشارة فإن الطبقات العليا لم تكن إلا توضعات بسيطة، وبخصوص أخفض مستوى أثري لهذه التوضعات فقد كان على عمق 2,20م، حيث استطاع برتبي أن يقوم بالرفع الأثري للطبقتين التاليتين¹⁸:

- طبقة ذات عمق 2,20م بها مقعد ذو عرض 0,65م وعلو 0,15م، بني من الدبش الصغير ويستند على الجدار الشرقي، بها أيضا قطعة وحيدة من الفخار المستعمل في قبور البازيناس لمدينة تيديس.

- طبقة ذات عمق 1,20م - م تلي بلاطات سميكة متوضعة على طبقتين، وتقطع وسط القاعة شاغلة كل عرضها لتشكّل مسار ذو عرض 0,70م، في الزاوية الجنوبية الشرقية قد اختل هذا المستوى بسبب وجود حفرة بقطر 1,35م وعمق 0,40م هذه الحفرة التي كان مستواها العلوي بنفس مستوى البلاطات السابقة.

ولقد احتوت هذه الحفرة على العديد من البقايا الأثرية التي استطاع برتبي أن يعدد منها: كسور قرميد التسقيف، كسور الآجر، قطع لجرار كبيرة، حجارة مصفحة، بقايا فحم، قطع فخار، عظام حيوانات صغيرة وطيور، ثلاثة أنياب خنزير، قطع صغيرة من الحديد المؤكسد، عظام الزيتون المحروقة، بالإضافة إلى قطعتي سيفسء وثلاث قطع نقدية تعود للقرن الرابع (04م)، قطعتين ل: كونستونس (Constance) وقطعة لتيودوز الأول (Théodose 1er)، وغيرها¹⁹.

نتائج الدراسة الطبقيّة المنجزة من طرف برتبي:

من كل البقايا والمعطيات السابقة الناتجة عن هذه القراءة الطبقيّة استطاع برتبي أن يخرج بمجموعة النتائج التي تخص أهم المراحل المتعاقبة على

معلم منزل الفسيفساء ككل، حيث رأى أن يحصرها في ست (6°) مراحل²⁰ هي:

- **المرحلة الأولى:** بقي منها شيء قليل تمثل في المقعد المكتشف في أسفل مستويات التنقيب، بالإضافة إلى القليل من القمى التي من بينها قطعة فخار مزخرفة تنتمي إلى نمط الفخار الذي استعمل في قبور البازيناس بالمدينة.

- **المرحلة الثانية:** مكوناتها كانت أكثر أهمية إذ احتوت على أسوار بتقنية بناء ما قبل رومانية، وهي نفسها أسوار الفترة التي وجدت تحيط بالمغارة الصغيرة في الغرفة (ر)، أين وجد بها مصباح ذو شكل دلفيني (Delphini forme)، وبهذا يمكن إرجاعها إلى الفترة البونية القديمة التي ينتمي إليها هذا المستوى (سطح أرضية المنزل).

- **المرحلة الثالثة:** تظهر عليها الطبعة الرومانية بمخلفاتها المتعددة من أرضيات الفسيفساء، المنشآت الهيدروليكية بالإضافة إلى الكالديوم المزدوج وغيرها.

- **المرحلة الرابعة:** وتتجلى في التركيب غير المنتظم لأرضية الحوض الصغير التي بلطت بالآجر، بالإضافة إلى التعديلات التي أدخلت على العتبة المفضية إلى القاعة الساخنة.

- المرحلة الخامسة: تتجسد في المرحلة التي حُول فيها دور المنزل إلى دور صناعي تمثل في إنشاء مطحنة الزيتون على حساب تخريب الفسيفساء.

- المرحلة السادسة: تظهر في التوزيع الفوضوي لأفران الفخار، وفيها صار كل المنزل عبارة عن أطلال استغلها الفخاريون في بناء أحد أفرانهم بالقاعة الساخنة، وفي هذه المرحلة بالذات قد اختل نظام قنوات المياه وتوقف عن الجريان، وهي نفس المرحلة لنفس الأشخاص الذين هدموا معصرة الزيتون ووضعوا دعامة فوق حجر الطحن الدائري، واستعملوا حجارة الثقل الموازن (Contre poids) في تدعيم الأسوار²¹.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة المقارنة لمكونات مسكن الفسيفساء مع المساكن النموذجية للعمارة الرومانية استطعنا الخروج بمجموعة من الملاحظات والنتائج التي نصيغها فيما يلي:

- أولى النتائج تخص التسمية المنسوبة لهذا المسكن (La villa à mosaïque) والتي استعملت من طرف بعض الباحثين وعلى رأسهم (André Berthier)، هذا التصنيف أي (Villa) يظهر أنه لا يتوافق مع طبيعة المعلم الذي هو جزء من مدينة متكاملة

بمنشأتها، وهذا ما يتعارض مع طبيعة وخصوصية الفيلا التي تنقسم حسب المعماري الأثري (Pierre gros) إلى مجموعة من الأصناف مثل (Villa rustica) و (Villa Urbana) والتي يبنى أغلبها خارج المدن²².

- نلاحظ من خلال المخطط العام للمسكن بالإضافة إلى الاختلاف الشديد في مستوى أرضياته تأثير عامل التضاريسية غير المستوية الذي كانت له انعكاسات متعددة تمثلت في اعتماد تقنية البناء بالطوابق زيادة على عدم توازن واستقامة زوايا الغرف الملتصقة بكل محيط الجدار الخارجي للمنزل.

- امتاز هذا المسكن بتقسيماته ذات التخطيط المعقد، بالإضافة إلى تعاقب التدخلات والتغييرات المعمارية عليه عبر المراحل المختلفة لتاريخ المدينة، وكذلك انعدام المصادر المكتوبة به، وهي كلها أمور صعبت من معرفة طبيعة أصحاب المسكن كما صعبت أيضا من عملية القراءة الواضحة والفهم الجيد لعناصره والأدوار التي لعبتها قاعاته.

- فيما يخص فضاء الأتريوم (Atrium) بهذا المسكن (قاعة ح) فخلافا لما شاع في أغلب المساكن الرومانية باختلاف أماكنها، فإنه لم يشغل كما هو معتاد فضاءً وسطيا في المنزل بل جاء في نهاية الرواق

المنطلق من المدخل الرئيسي للبهو (ط) وهو بهذا توسط فقط قاعات الجانب الشرقي.

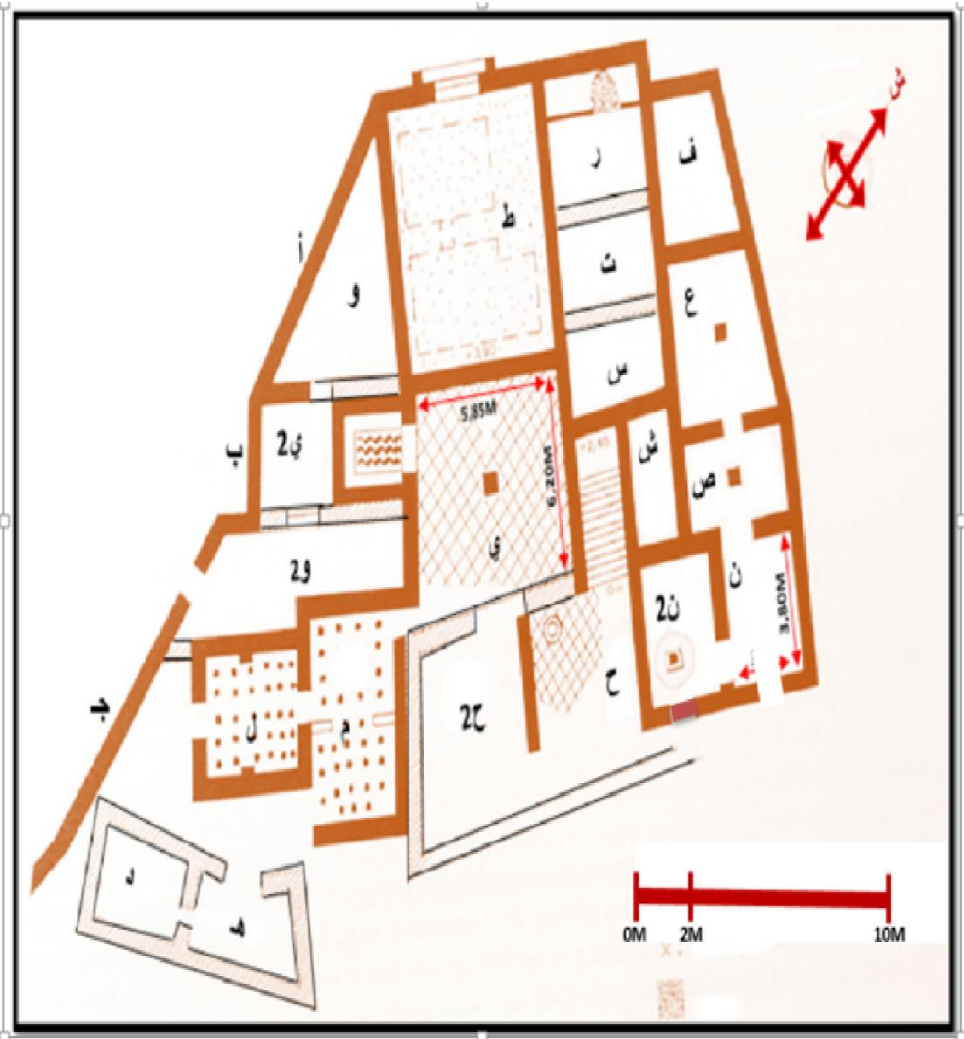
- من أهم ما يلاحظ في هذا المنزل هو نسبة المساحة التي يشغلها الفضاء المخصص للحمام ولواحقه التي تشغل ما يقارب ربع $\frac{1}{4}$ من المساحة الإجمالية للمنزل وهي نسبة كبيرة مقارنة بالمساحة الصغيرة للمنزل، وكذلك فإن من أهم الملاحظات التي يمكن الخروج بها هي الأولوية والاهتمام المخصصين لتوفير عنصر الماء في هذا المنزل وهو ما يشهد عليه السعة الكبيرة المخصصة للخزائين تحت البهو (ط) هذا الاحتياطي الكبير للمياه يدل بدرجة أولى على الاستغلال الواسع لهذا العنصر الحيوي وهذا ما له علاقة دون شك مع وجود الحمام.

- لقد كان لهذا المنزل مخططا استثنائيا بسبب تقسيماته غير الطبيعية مقارنة مع مختلف المنازل الرومانية، مع ذلك ورغم الصعوبة الظاهرة في قراءة عناصره إلا أنه من خلال ما تبقى من تقسيماته فإننا نستطيع ملاحظة غياب بعض العناصر المعمارية المألوفة في العمارة الرومانية مثل (L'Oecus)، (Le Peristylum)²³، (Le jardin)، (Les Boutiques)²⁴، (Le tablinum)²⁵.

- نستطيع في آخر الملاحظات أن نرد كل هذه المميزات والاستثناءات التي عرفها منزل الفسيفساء بتيديس إلى مجموعة من الأمور أهمها الخصائص التضاريسية للمدينة التي امتازت بضيق المساحة المخصصة للبناء، هذا بالإضافة إلى دورها السياسي العسكري بصفتها مدينة تحصينية فرضت على ساكنيها نمطا معيشيا معيناً تخلوا بموجبه العمارة من مظاهر الأبهة والبذخ، ودليل ذلك أن منزل الفسيفساء بتيديس يبقى يمثل أحسن مثال للمنزل الروماني بهذه المدينة.



صورة 01: منزل الفسيفساء بتيديس



شكل 01: المخطط العام لمنزل الفسيفساء عن (Berthier)

((A), Tiddis cité antique de Numidie

بتصرف. ملاحظة: (تغيير حجم الصورة يفسد مقياس الرسم)

صورة 02: البرميل المائي الممون لخزانات منزل الفسيفساء



صورة 03: مقاطع من الفسيفساء المتبقية بالمنزل





صورة 04: قاعدة العمود الذي يتوسط قاعة الفسيفساء (ي)



صورة 05: الحوض الذي يعلو الخزان التحت أرضي بالبهو (ح)

الهوامش:

¹ أصطيفان أكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، ج 8، الرباط 2007، ص 140.

² Gsell (St), Atlas Archéologique de l'Algérie .F17 N°126, Paris 1991. p 12.

³ Adam (JP), la construction romaine, matériaux ET techniques, 3eme Ed, Paris 1995, p317.

⁴ الحوض الذي يجمع المياه النازلة من السقف.

⁵ Berthier (A), Tiddis cité antique de Numidie, Mémoires de l'académie des inscriptions et belles lettres T20, BOCCARD, Paris 2000, p 85.

⁶ فضاء مفتوح على الهواء الطلق محاط بأربعة أروقة.

⁷ Gorini (R) et autres, Initiation au latin civilisation et langue, Ed Fernand Nathan, Paris 1970, p57.

⁸ سقف مائل نحو الداخل في ساحة الأثريوم.

⁹ أعتمد في الوصف على ما تبقى في الموقع من أجزاء هذه الفسيفساء، زيادة على الاستعانة بالصور القديمة.

¹⁰ Berthier (A), Op. Cit. p 92.

¹¹ القاعة الوسطى الدائفة في الحمامات الرومانية.

¹² قاعة نزع الملابس في الحمامات الرومانية

¹³ Pierre Gros, L'architecture romaine, du début de III siècle av J-C à la fin du Haut-Empire, 1 les monuments public, 2^{eme} Ed, France 2002, pp 388-415.

¹⁴ Pierre Gros, L'architecture romaine, du début de III siècle av J-C à la fin du Haut-Empire, 2 Maison, Palais, Villa et tombeaux, France 2006, p22.

¹⁵ Macaulay David, Naissance d'une cité Romaine, Paris 1977, pp.66.67.

¹⁶ غرف النوم.

¹⁷ غرف صغيرة للخدم.

¹⁸ Berthier (A), Op. Cit. p 96.

¹⁹ IBID. p 97.

²⁰ IBID. p 98.

²¹ IBID. p 98.

²² Pierre Gros, L'architecture romaine, du début de III siècle av J-C à la fin du Haut-Empire, 2 Maison..., Op. Cit p265.

²³ هو رواق معمد يحيط بحديقة تتوسط المنزل الروماني.

²⁴ محلات أو دكاكين صغيرة.

²⁵ وهي غرفة تتوسط الأتريوم والبرستيليوم.

نحو سوسيو أنثربولوجية لصراع الهويات في سوسولوجية المثقف

الجزائري: تمثلات، استراتيجيات و ممارسات

د. زين الدين زمور - جامعة وهران 2 محمد بن أحمد - الجزائر

أ. حسين بن شارف - جامعة وهران 2 محمد بن أحمد - الجزائر

ملخص:

نعتقد أنتجت إعادة هيكلة العمران الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي لجزائر الألفية الثالثة من سنة 2000 إلى اليوم سنة 2016 من خلال التعديلات على القوانين و التشريعات و المشاريع التصنيعية و آليات المنظومات التربوية و التعليمية و مؤسسات الانتماء المهني و المعيش الاقتصادي، ما نسميه قطيعة في الرابط الاجتماعي بين السلطات السياسية و العسكرية و جماعات الضغط الاقتصادية و الدينية الشائعة و المواطن الجزائري الشائع، الذي لا يعزف عن الحياة السياسية - كما أفادتنا به جملة من الأبحاث الجزائرية و الأجنبية - لأنه أساسا محورها، و إنما ينتج بنفسه جملة من الآليات و الاستراتيجيات الفردية و ضمن جماعات هو يحددها بنفسه، و يضع قواعد لعبته السياسية انطلاقا من حنكته المهنية المكتسبة من خلال تمثلاته و ممارساته

لمحيط عمله، الذي يمثل له مجسما مصغرا للممارسات السياسية ضمن جسد مهني منظم.

Abstract:

We assume that, the societal, political and economic redevelopment of Algeria of the third millennium of the period in between 2000 to 2016, through changes in laws, the constitution, industrialization and national education institutions , university and technical education, professional affiliations firms, and economic life, products a rupture in the sociopolitical link between the political, military groups of controlling, economic groups of pressures and religious, and simple citizen, who don't refrain from politics – as proved by the Algerian and foreign researches – because he is the axis, but; he produces himself a set of mechanisms and individual strategies within a social reference groups sets chosen by himself, and establishes the rules of his own political game, from his professional skills acquired by his representations and practices in the work

environment, which represents a small cube of political practices in an organized corporation.

● المقدمة:

نتناول في هذا المقال، مسألة أبعاد الهوية التاريخية للجزائريين من المنظورين البربري و الإسلامي، و مسألة أبعاد الهوية التاريخية للجزائريين من المنظورين الحركة الوطنية الجزائرية و الألفية الثالثة، و مسألة أبعاد الهوية التاريخية للجزائريين من منظور الإصلاحات الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية منذ الاستقلال إلى جزائر الألفية الثالثة¹.

أفادتنا الدراسات السابقة حول تطور النخب السياسية المثقفة في الجزائر؛ بعجزها عن بلورة تصور سوسيوولوجي موحد؛ لأبعاد الهوية الوطنية السياسية و المهنية و الثقافية و الاقتصادية و حتى الفنية و الجمالية²؛ فضلا عن عدم قدرتها على تقريب مواقفها اتجاه القضايا الجهوية الداخلية و القومية العربية و الدولية؛ (حاليا ما يسميه المشاركة و وسائل الإعلام الغربية؛ بموضوعة الربيع العربي و مؤخرا بالربيع الأوروبي و الأمريكي)³، و الذي يرجعه الكثير من علماء الاجتماع السياسي و الجيوبوليتيك؛ أمثال: محمد حربي⁴ Harbi Mohamed و عدي الهواري⁵ Lahouari Addi، و محمد أركون⁶ Arkoun و Mohamed⁷ و جانين فارداس لورو⁸ Jeannine Verdès – Leroux⁹؛ إلى نجاح السلطة السياسية الحاكمة في الفترة ما بين؛ أحداث أكتوبر 1988 إلى يومنا هذا؛ في إستمالة و تجنيد معظم هذه النخبة الحديثة؛

باختلاف انتماءاتهم الإجتماعية و المهنية و إيديولوجياتهم؛ عبر ما تمّ تسميته ب: " الأسلمة المقصودة "؛ بهدف: « إضفاء الشرعية السياسية - الثورية - على السلطة » - تماما كما وصفها "محمد أركون" - « كعقيدة في تمثلات و ممارسات المجتمع الجزائري؛ بشقيه المثقفين (رأسماليات سياسية ثقافية مركزية) و العامة من الناس غير المثقفين (رأسماليات سياسية ثقافية محيطية)¹⁰ - من منظور سمير أمين^{11 12} Samir Amine.

نعتقد من خلال المعطيات الميدانية للموضوع، أن الخطاب الفكري حول التاريخ السياسي و الاقتصادي و الهوية الوطنية و الدينية و العنف المجتمعي و السياسي لجزائر الألفية الثالثة، لم يفصل إلى يومنا هذا بين الهوية و العنف، ذلك أن: الهوية في الدول الإسلامية الشمولية و خصوصا الجزائر، مرتبطة بالمقدس، بمعنى اعتماد المقدس و النسب لتبرير مشروعية الحكم و الممارسات المجتمعية¹³.

نعتقد، لم تعد العشيرة و العائلة و غيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية مشربا و وعاء حاوي للحركات الاحتجاجية و إن كانت أساسا مشروعة و لها أحقية¹⁴.

1) البناء النظري للهوية السياسية:

إنّ الهوية السياسية ارتبطت في ظهورها و بلورتها بالمجتمع الصناعي و الأخلاق البروتستانتية؛ بمعنى أنّها: ارتبطت بالرأسمال و سيولة الاتصال بين الأفراد و من تمّ تكوين الرأسمال بناء على إنتاج العلاقات بين الأفراد و وسائل الإنتاج؛ هنا

يشير "ارنست جلنر Ernest Gellner" إلى أنّ الهوية السياسية ارتبطت حالياً بتوزيع الثروات عبر العالم و غياب هذه الأخيرة ﴿توزيع الثروات﴾ يعني بالضرورة غياب القومية مباشرة و نهائياً¹⁵.

هذا الطرح، يقارب " سمير أمين Samir Amine" في تفسيره للرأسمالية المعاصرة و التي تحدث اليوم خللاً في ميزان القوى السياسية العالمية؛ بمعنى أنّ: هناك هويات مركزية تمثلها أوروبا و أمريكا و روسيا الحالية في مقابل هويات محيطية أو طفيلية تمثلها دول آسيا و إفريقيا و أمريكا الجنوبية باعتبارها تابعة اقتصادياً و سياسياً من جهة، و باعتبار احتوائها على أكبر نسبة تخلف في العالم من جهة أخرى؛ و هنا نشير إلى أنّ: عدم وجود إنتاج علمي يعني: عدم وجود ثقافة وطنية؛ و يؤدي هذا الفهم إلى عدم وجود قومية فلا دولة و هنا تحوم النظريات التي ترى بعدم وجود مجتمعات بل إلى وجود شعوب متخلفة تحكمها شبه رأسمالية¹⁶.

نقول بدورنا أنّ: الهوية السياسية يمكنها أن تدوم و ترتقي إلى نمط تجريدي أعلى من الفهم و الوعي بالوجود في العالم الشمالي و الغربي و تموت في العالم الجنوبي و الشرقي، لانعدام منتج ثقافي - اقتصادي - تربوي - سياسي في هذه المجتمعات أو الشعوب إن صحّ التعبير¹⁷.

الهوية السياسية تعني بالدولة و هي مرتبطة بمجتمع سياسي منظم يعتمد على الكتابة؛ و هنا يشير "جلنر" إلى أنّ التعليم يقوم بمعالجة و حماية الفضاء الثقافي اللغوي، و هنا نخلص إلى أنّ الدولة تقوم بحماية و عناية و دعم نظامها

التربوي و الثقافي باعتباره يعدّ أجيالا واعية ومثقفة - منها : رجال الدولة مستقبلا¹⁸ .

نعتقد قامت ميكانيزمات المرحلة الصناعية عبر مراحل متتابعة و في ظروف مختلفة، فهوية المجتمع الصناعي هي امتداد لهوية المجتمع الزراعي، غير أنّها: شهدت عملية تجانس الثقافات و اللّغات و الأعراق و الديانات و العادات و التقاليد و غيرها ... من فكر و حضارات البشرية داخل المجتمع الأوروبي، و هذه العوامل هي وحدها من أنتج فكرة القومية¹⁹ .

غير أنّ "جلنر" يضيف إلى ما سبق؛ عملية التعليم التي أفرزتها الأخلاق البروتستانتية في أوروبا و التي أشار إليها "ماكس فيبر" في كتابه: « الأخلاق البروتستانتية و الرّوح الرأسمالية » ؛ حيث أنّ انتشار التعليم و ظهور اللّغة الوطنية المعبّرة عن ثقافة الوطن - مثلا: العلم الفرنسي يشير إلى: مساواة - حرّية - أخوة، هي ما أنتج الهوية السياسية الفرنسية؛ أي: أنّ التعليم كان سببا فاعلا في إنتاج السياسي و الرّفع من مستوى الاقتصاد و خلق سلطة سياسية مركزية²⁰ .

بالتالي، خلق أدوار اجتماعية جديدة و تقسيم للعمل الاجتماعي جديد، و هنا نكون قد ألغينا الحدود السياسية و الجغرافية للدولة عندما جعلنا اللّغة الوطنية لغة عالمية، فاليوم نجد أنّ اللّغة الفرنسية كلغة عالمية تحتلّ الصّدارة ثم تليها اللّغة الانجليزية ثم غيرها من اللّغات العالمية و هذا راجع بالضرورة إلى المنتج الثقافي للدولة ، بعكس دول إفريقيا و آسيا التي هي شبه رأسمالية أو

محيطة حسب فكر "سمير أمين"، و بالتالي، هي شبه وطنية بالنسبة إلى استقلالها حديثا، و لا يمكن نعتها بالدولة لأنها: خالية من مركزية السلطة السياسية و تقسيم العمل الاجتماعي و الأدوار الاجتماعية²¹.

يعرّف "إرنست جلنر" الهوية السياسية من خلال مفهومين أساسيين هما: الدولة و الوطن ، و يعتبر أنّ القومية هي بالأساس؛ مبدأ سياسي يقرّ بأنّ: الوحدة السياسية و الوحدة الوطنية يجب أن يكونا ملائمين لبعضهما البعض، و من خلال وظيفة هذا المبدأ فقط يمكن تعريف الهوية السياسية على أنّها: {... إحساس أو شعور بالانتماء، من مقوماتها الإحساس بالوطنية و من مفاهيمها: الغضب، العنف، الرضى، الانتماء، الهوية، الدفاع عن الدين ...}²².

غير أنّ مفهوم الهوية السياسية يتعدّى حدود الدولة إلى الدول؛ فينتج لنا هوية الدولة الوطنية، فالهوية السياسية تحتوي على ثقافات شعوب متعدّدة و متجانسة و مختلفة في نفس الوقت من حيث تعدّد الأعراق و الأجناس و الديانات و اللغات و الهويّات الذاتية و الأخلاق و غيرها تنتج لنا في مجموعها هويّة وطنية واحدة و متجانسة و هو ما استطاعت تحقيقه ألمانيا من خلال القومية الألمانية، و فرنسا من خلال القومية الفرنسية و حتّى أمريكا ، و هو في نفس الوقت ما فشلت الدول العربية الإسلامية في تحقيقه؛ ذلك أنّ: ثقافتها غير متجانسة، بالإضافة إلى اختلاف النزعات الدينية بين المذاهب الإسلامية ﴿الصوفية - السنّة - الشيعة - ...﴾²³.

كما نجد أنّ الشعوب العربية الإسلامية تتنافر من بعضها البعض عادة لأسباب سياسية و إستراتيجية، و بالتالي، فشلوا في توحيد لغاتهم و اقتصادهم و علومهم و سياساتهم و ربّما الانتقال من الدولة الإسلامية إلى الإمبراطورية العربية الإسلامية، أمّا القومية فشهدتها العرب المسلمون و دول أوروبا الشرقية من خلال الحركات الوطنية التي كانت تنادي باستقلال دولها و شعوبها مثل: نجم شمال إفريقيا الجزائري، و التي غابت بعد اقتناء هذا الاستقلال وعادت الذاتية و التمسك بكرسي السلطة و ملازمته و رفض تركه مهما كانت الأسباب و بالتالي نعتناها بالدول الأبدية²⁴.

بالتالي، هي دول شبه قومية، أو بالأحرى هي دول نجحت فيها الدولة - أمة و فشلت فيها الدولة الوطنية؛ ذلك أنّها: لا تزال تعهد الفكر الزراعي حيث السلطة هي في يد طبقة حاكمة معيّنة ﴿قَلَّة﴾ تنفرد بالحكم لنفسها و تقصي باقي الأفراد ﴿الأغلبية﴾ عن مركز السيطرة²⁵.

هو ما سمّاه "سمير أمين" ب: المركز و المحيط ((في تحليله التاريخي للرأسمالية بين دول الشمال و دول الجنوب))، أمّا القوميات الأوروبية؛ فقد نجحت في الانتقال من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي؛ حيث: شملت هويتهم السياسية الثورة الصناعية و التطوّر التكنولوجي و تجانس الأعراق و الثقافات و اللغات و الديانات و انتشار مبادئ حقوق الإنسان و عالميتها، علما أنّ هذا النجاح كان قائما أو منبثقا من خلال الديانة البروتستانتية، أمّا في الدول

العربية الإسلامية فقد ارتبط نجاحها بظهور شبه قومية ناتجة عن استقلال هذه الشعوب²⁶.

2) البناء النظري لسوسيولوجية المثقفين:

استعار عالم الاجتماع الإيطالي باريتو Pareto مفهوم النخبة Elite من علم الاقتصاد، ليطبقه ضمن البحوث الاجتماعية، حيث لا يتأسس المجتمع على سيطرة الحياة المادية و علاقاتها، كما لا تتأسس القوة فيه على سيطرة الطبقة الاقتصادية الحاكمة التي أطلق عليها ماركس الطبقة البرجوازية، بل على أسس مختلفة للتكوينات الاجتماعية المنوطة بعمليات التصنع و التحضر²⁷.

من منظور باريتو و موسكا و ميشلز يشير هذا المفهوم إلى هؤلاء الفاعلين الاجتماعيين الذين يمتلكون جزءاً من مقاليد القوة و التحكم و الثروة بفضل خصائصهم الشخصية²⁸.

أعمال ماكس فيبر حول مفهومي القوة و السلطة، دعاه إلى تحديث صياغات مفهوم النخبة السياسية، حيث تتشابك مصالح و علاقات الفاعلين الاجتماعيين داخل و بين تنظيمات مختلفة أنثربولوجياً²⁹.

أيضاً، في مقاله الشهير بعنوان: "السياسة كمهنة" " Politics as Vocation"، إمكانية تحول العمل السياسي إلى مهنة، تنظمها المهارة و الحذق و القدرة على الإدارة و الممارسة الديمقراطية³⁰.

أوضح روبرت دال Robert Dahl مفهوم Elitism، حيث افترض أن القوة توزع في المجتمع توزيعاً صنفياً أين تمتلك جماعة واحدة كل القوة و تحرم

منها بقية الجماعات، التي يمكنها بدورها تشكيل نخب متعددة Plural Elites بدلاً من "نخبة القوة" أو "النخبة الحاكمة"، كما اتضح ذلك، في دراسة سوزان كيلر Killer المنشورة عام 1963 و التي افترضت فيها وجود نخب إستراتيجية Strategic Elites، تعمل في تنظيمات مختلفة، دون أن تصل بالضرورة إلى سدة الحكم³¹.

3) مسألة أبعاد الهوية التاريخية للجزائريين من المنظورين البربري و الإسلامي:

3-1) جدول يوضح ارتباط الموروث البربري و الأمازيغي و التمثلات

حول دسترة اللغة الأمازيغية و طبيعة النخبة:

<p>La constitutionnalisation de la langue kabyle réfère -t-elle la marginalisation des autres langues et cultures locales algériennes?</p>	<p>représentations sur la constitutionnalisation de la langue kabyle dans les documents officiels de l'Etat</p>	<p>élites indus trielle s</p>	<p>élites libér ales</p>	<p>élites milit aires</p>	<p>Tot al%</p>
--	---	---	----------------------------------	-----------------------------------	--------------------

dans les deux cas									
O ui	la langue kabyle n'est pas une langue scientifique	les autres langues et cultures locales algériennes doivent être aussi constituées	N	représentations sur l'identité sociale	je suis Algérien pluri-identitaire	421	294	427	1142
			on			36,9%	25,7%	37,4%	100,0%
	contrairement à l'arabe, l'anglais et le français	la constitution de la langue kabyle doit passer par un référendum	N	représentations sur l'identité sociale	je suis Algérien pluri-identitaire	0	3	65	68
			on			0%	4,4%	95,6%	100,0%
	les autres	les autres	N	représent	je suis	41	197	0	238

<p>langues et cultures locales algériennes ont aussi le droit d'être officialisées dans les pédagogies générales, universitaires et professionnelles</p>	<p>langues et cultures locales algériennes doivent être aussi constituées</p>	on	<p>ations sur l'identité sociale</p>	<p>Algérien pluri-identitaire</p>	17,2%	82,8%	0%	100,0%
	<p>la constitution de la langue kabyle doit passer par un référendum</p>	Non	<p>représentations sur l'identité sociale</p>	<p>je suis Algérien pluri-identitaire</p>	38	6	8	52
					73,1%	11,5%	15,4%	100,0%
Grand total %					1500 = 100%			

تجمع النخب الصناعية و الليبرالية و العسكرية لمجتمع البحث بنسبة 91,12% على أنهم جزائريون متعددو الهويات و مخضرمون، يستبعدون التمييز بين الثقافات و اللهجات المحلية، مع اتفاقهم على أن مفهوم و فكرة الجهوية موجودة ليس فقط في الجزائر و انما في الدول العربية و العلمانية و الرأسمالية الأخرى، يفسرون ذلك، بأن الفكر البشري ينتظم و يتم انتاجه ضمن جماعات متشابهة في تركيبها الأنثروبولوجية و في استراتيجياتها الفردية و الجمعية، حيث تسعى الجماعة الى تحقيق مطالب فاعليها الاجتماعيين، و في ذلك، تتداخل مع فكرة الجهوية مفاهيم مثل: القرابة و الجيرة و النسب و الجماعة المهنية و القيم الاجتماعية الدينية، في تنظيم الاجتماعي و السياسي في جزائر الألفية الثالثة³².

كما يجمعون بنسبة 87,02% على رفض دسترة اللغة الأمازيغية في الدستور الجزائري، ذلك أنهم يرون لباقي الثقافات و اللهجات المحلية حقا في ذلك أيضا، حتى لا نشهد مستقبلا تجمعات بشرية عبر الانتماءات الجغرافية الجزائرية تطالب بنفس المطلب أو مطالب أخرى قد نجعل ماهيتها الى حد الان، حيث تبقى اللغة العربية الفصحى مقررة في المحررات الرسمية للدولة الجزائرية، لأن ذلك في نظرهم متعارف عليه جيليا عبر التنشئة الاجتماعية³³.

(2-3) جدول يوضح ارتباط الموروث العربي الإسلامي و طبيعة النخبة:

Cultures locales algériennes		élites industrielles	élites libérales	élites militaires	Tota l %
dans les deux cas	le plus important pour moi c'est ma culture locale de socialisation	356	475	496	1327
		23,7%	31,7%	33,1%	88,5 %
	mes occupations professionnelles et sociales sont prioritaires	144	25	4	173
		9,6%	1,7%	,3%	11,5 %
Grand total %		500	500	500	1500
		33,3%	33,3%	33,3%	100, 0%

تجمع النخب الصناعية و الليبرالية و العسكرية لمجتمع البحث بنسبة 88,50% على أن التنشئة الاجتماعية الأولية تستقي من الثقافة و اللهجة المحلية للمحيط القرابي، حيث يؤسس الفاعل الاجتماعي تماثله و استراتيجياته و ممارساته الأولى للمهني و الاجتماعي و السياسي و غيرها من المطالب الاجتماعية³⁴، حيث يكون القدوم على الحياة المهنية و فعل الانتخاب للمرة الأولى ثاني محدد للهوية السياسية و المهنية، و تفاعلات الرابطة الاجتماعي بين

الحاكم و المحكوم ثالث مشرب هوياتي³⁵. مع الاشارة، على أنهم يتفوقون بنسبة 11,50% على أن الممارسات المهنية المستمدة من محيط العمل توجه اليا تمثلات و ممارسات السياسي، حيث تنتقل هذه العملية الى الأجيال المتعاقبة، كما يتم تداولها بين أفراد الجماعة الواحدة بشرط داخل محيط مهني منظم مسبقاً³⁶.

3-3) جدول يوضح ارتباط موروث صدام حضارات العولمة و المعلوماتية و طبيعة النخبة:

l'immigration des communautés arabo-musulmanes vers l'Algérie aura pour conséquences?				élites industrielles	élites libérales	élites militaires	Total %
la limitation de la culture générale chez les générations de l'Algérie du troisième millénaire sur le discours culturel des réseaux sociaux et des valeurs sociales et des produits de consommation importés aura pour conséquences?							
le déracinement complet de l'appartenance à l'Algériannité	transformation et changement des tissus ethnique	l'immigration légale et clandestine des algériens vers l'étranger	le	208	13	227	448
			déracinement complet de l'appartenance à l'Algériannité	14,9 %	,9%	16,2 %	32,0%
			transformati	269	464	218	951

	s en Algérie	r aura pour conséquences ?	on et changement des pratiques démocratique entre le citoyen majoritaire et le pouvoir majoritaire	19,2 %	33,2 %	15,6 %	68, 0%
	l'avènement de l'union arabo- musulmane qui menacer a	l'immigration légale et clandestine des algériens vers l'étranger	le déracinement t complet de l'appartenance à l'Algériennité	17	0	12	29
			transformati	54,8 %	0	38,7 %	93, 5%
				2	0	0	2

	l'équilibre géostratégique mondial	r aura pour conséquences ?	on et changement des pratiques démocratique entre le citoyen majoritaire et le pouvoir majoritaire	6,5%	,0%	,0%	6,5%
Menace pour la souveraineté nationale et la sécurité nationale des Algériens	transformation et changement des tissus ethniques en Algérie	l'immigration légale et clandestine des algériens vers l'étranger aura pour conséquences ?	transformation et changement des pratiques démocratique entre le citoyen majoritaire et le pouvoir majoritaire	1	23	43	67
				1,5%	34,3%	64,2%	100,0%
	l'avènement	l'immig	le	3	0	0	3

	ment de l'union arabo-musulmane qui menacerait l'équilibre géostratégique mondial	ration légale et clandestine des algériens vers l'étranger aura pour conséquences ?	déracinement complet de l'appartenance à l'Algérienneté	100,0 %	,0%	,0%	100,0 %
	Grand total %			1500 = 100%			

تجمع النخب الصناعية و الليبرالية و العسكرية لمجتمع البحث بنسبة 82,50% على أن الهجرة الشرعية و غير الشرعية أو الاغتراب المواطني للجزائريين نحو الخارج سيكون له، تحول و تغير الانتماء الاجتماعي و السياسي للأجيال المتعاقبة المسماة بأجيال العولمة الثقافية، حيث يصبح الموطن المقصود الجديد مشربا هوياتيا جديدا، و يكمن الخطر بالنسبة لمجتمع البحث في انحلال القيم الاجتماعية و بالتحديد تلك المرتبطة بالتنشئة الدينية داخل الأسر التقليدية في الجزائر³⁷.

كما أن تدفق الاغتراب ألمواطني للجاليات العربية الإسلامية و الأجنبية نحو الجزائر و تشبث جيل جزائر الألفية الثالثة بالقيم الثقافية المستقاة من مواقع التواصل الاجتماعي و الرياضات و المنتجات الأجنبية دون المحلية الجزائرية سيكون له تحول و تغير الأنسجة العرقية في الجزائر، و الانسلاخ التام عن مقومات الهوية الوطنية المكتسبة بفعل العروبة و الاسلام و الحركة الوطنية الجزائرية، و تهديد السيادة الوطنية الحالية و الأمن القومي للجزائريين مستقبلاً³⁸.

4) مسألة أبعاد الهوية التاريخية للجزائريين من المنظورين الحركة الوطنية الجزائرية و الألفية الثالثة:

4-1) جدول يوضح ارتباط الرواسب الثقافية للموروث الفرنسي و طبيعة النخبة:

la convocation du gouvernement algérien et de ses directions locales des expertises françaises dans le besoin ou pas aura pour conséquences?					élites industrielles	élites libérales	élites militaires	Total %
nc	si	pas	si	c'est possible	2	127	56	185

		pour preuve l'intervention du gouvernement français dans les questions internes algériennes dans une certaine mesure aujourd'hui	,8%	53,8 %	23,7 %	78, 4%
		pas possible	39	0	0	39

		pour preuve les générations d'Octobre 1988 et de la décennie noire et de l'Algérie du troisième millénaire sont objectivement politiquement conscient	16,5 %	,0%	,0%	16, 5%
		pas possible	0	12	0	12

		<p>pour preuve nous acquérons notre identité nationale et arabo-musulmane à travers l'hadage, le folklore algérien et maghrébin et arabo-musulman et d'autres cultures de pères a fils</p>	,0%	5,1%	,0%	5,1%
ts	algéri patri moïn	c'est possible pour preuve	388	330	427	1145

		l'intervention du gouvernement français dans les questions internes algériennes dans une certaine mesure aujourd'hui	30,7 %	26,1 %	33,8 %	90, 6%
		pas possible	63	8	10	81

		pour preuve les générations d'Octobre 1988 et de la décennie noire et de l'Algérie du troisième millénaire sont objectivement politiquement conscient	5,0%	,6%	,8%	6,4 %
		pas possible	8	23	7	38

		<p>pour preuve nous acquérons notre identité nationale et arabo- musulmane à travers l'hadage, le folklore algérien et maghrébin et arabo- musulman et d'autres cultures de pères a fils</p>	,6%	1,8%	,6%	3,0 %
		Grand total %	1500 = 100%			

تجمع النخب الصناعية و الليبرالية و العسكرية لمجتمع البحث بنسبة 97,30% على أن حيازة الحكومة الفرنسية على الكثير من التراث التاريخي المادي حول تاريخ الجزائر سيؤثر على عمليتي إعادة إنتاج و نقل الهويتين

الوطنية و القومية جيليا، بدليل تدخل الحكومة الفرنسية في القضايا الداخلية الجزائرية إلى حد اليوم، أيضا، إذا ما اتجهت أنظمة التعليم العام و الجامعي و المهني في الجزائر إلى ترسيم اللغة الفرنسية و غيرها في مقرراتها البيداغوجية و استبعاد اللغة العربية ، إلى جانب الاستبدال الشامل و التام للكفاءات الجزائرية بأخرى فرنسية و أجنبية³⁹.

بينما يعتبر البقية من مجتمع الدراسة و بالتحديد من النخب الصناعية بنسبة %2,70 أن هذا الطرح غير ممكن، لأن أجيال أكتوبر 1988 و العشرية السوداء و الألفية الثالثة موضوعيا واعية سياسيا، كما أن التاريخ و الهويتين الوطنية و القومية يصلوننا عبر الحكاية الشعبية و الأمثال الشعبية الجزائرية و المغاربية و العربية الإسلامية و من ثقافات أخرى أبا عن جد. كما غير ممكن، لأن بعد انتهاء الدراسة و التوجه إلى الحياة المهنية و الاستعداد للزواج و تربية النشء تعود الرواسب الثقافية الأولى المكتسبة بفعل التنشئة الاجتماعية و الوازع الديني الإسلامي إلى الواجهة، إلى جانب عودة الكفاءات و الخبرات الجزائرية من المهجر لتقوم الوضع في الجزائر⁴⁰.

في هذا المنحى، يجمعون بنسبة %83,50 أن هناك توجه أحادي سياسي يضم أحزاب سياسية أكثر من المطالب الاجتماعية التي تؤسسها، الأمر الذي يستوجب تحديد التيارات السياسية في جزائر الألفية الثالثة بين: (الإسلامي – البيئي – ألائكي – الليبرالي) ليعلم الناس مشارهم، يبررون ذلك، من خلال الاقتصادي، حيث أن الإصلاحات الاقتصادية و الثقافية في جزائر الألفية

الثالثة تحاول الإبقاء على الطبقة المتوسطة خصوصا بالولايات الشمالية و الوسط و القطاع الوهراني بين غني جدا و فقير جدا، بغية إعادة الضبط المستمر للمطالب الاجتماعية و ما تسفره من حركات احتجاجية غير منتظمة، و التي باتت تفشل القيم الاجتماعية و خصوصا الدينية في احتوائها، ذلك، هم يرون أن الوازع الديني في جزائر الألفية الثالثة تحول إلى آلية لبلوغ مكاسب مالية و مادية و سياسية و لم يعد التدين معيارا قيميا اجتماعيا.

كما نضيف، يجمعون بنسبة %87,30 على أن المواطن الشائع مجرد من حقوقه الدستورية كالسكن، الذي يتطلب وظيفة دائمة من أجل تسديد الأقساط بالرغم، من عدم عقلانية إسناده لأسباب قد نسميها أنثربولوجية، و الوظيفة الدائمة نفسها، التي تتطلب تأهيل علمي و عملي، إلى جانب عدم استقرار العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الممتدة و النووية، بفعل وجود خلل على مستوى القيم الاجتماعية بين الأجيال داخل الأسرة الواحدة، و الذي يرجعونه بالأساس إلى عدم ضبط المسؤولين للفضائيات المحلية و الأجنبية و مواقع التواصل الاجتماعي، من حيث هي آليات للتنشئة الاجتماعية، و الرعاية الصحية التي تتطلب تأمينا اجتماعيا لأفراد الأسرة، كلها تظاهرات تحول المواطن الشائع إلى ما يسمى بالفاعل الاجتماعي اللا سياسي .Apolitique

2-4) جدول يوضح ارتباط و التمثلات حول الجاليات الجزائرية المقيمة

بالخارج و فرنسا و منظمتي أبناء الشهداء و المجاهدين و طيبة النخبة:

que représentent les organisations des enfants de martyrs et moudjahidines pour vous?		élites industrielles	élites libérales	élites militaires	Total %
nationale dans laquelle nous sommes algériennes des nations étrangères pour les motifs de sécurité nationale et économique cela aura pour	la régression de l'Etat algérien d'appartenir à l'organisation mondiale de protection des droits de l'homme et l'organisation mondiale d'interdiction d'armes nucléaires	20	0	0	20
		40,8%	,0%	,0%	40,8%

		Abolir l'importation et donner la priorité à l'autosuffisance locale grâce à la dissolution des accords d'investissement avec l'étranger pour sauvegarder la souveraineté nationale	9	6	14	29
			18,4%	12,2 %	28,6 %	59,2%
enfants des martyrs et moudjahidines dans un ministère communaux algériennes des nations étrangères pour les motifs de sécurité nationale et économique cela aura pour	la régression de l'Etat algérien d'appartenir à l'organisation mondiale de protection des droits de l'homme et l'organisation mondiale d'interdiction d'armes nucléaires		1	7	157	165
			,1%	,5%	10,8 %	11,4%

		La direction de l'Etat algérien à l'isolement diplomatique pour batir des institutions scientifiques une forte économie et une constitution rationnelle qui lui permettra après l'ouverture diplomatique Pour être un leader sur la province méditerranéenne	9	37	5	51
			,6%	2,5%	,3%	3,5%
		Abolir l'importation	461	450	324	1235

		et donner la priorité à l'autosuffisance locale grâce à la dissolution des accords d'investissement avec l'étranger pour sauvegarder la souveraineté nationale	31,8%	31,0 %	22,3 %	85,1%
		Grand total %	1500 = 100%			

تجمع النخب الصناعية و الليبرالية و العسكرية لمجتمع البحث بنسبة 69,77% على أنه في حالة ترحيل الدول الأجنبية للجاليات الجزائرية المقيمة بها لدواعي أمنية و اقتصادية فذلك سيؤدي إلى دفع المواطن الشائع من خلال حركات احتجاجية غير منتظمة و منتظمة، بنظام الحكم التكنوقراطي⁴¹ إلى تراجع الدولة الجزائرية عن الانضمام إلى المنظمتين العالميتين "لحقوق الإنسان" و "حضر الأسلحة النووية"، إلى جانب الانغلاق الدبلوماسي لبناء منظومات علمية و اقتصاد قوي و نظام دستوري منطقي تسمح لها بعد الانفتاح الدبلوماسي لتكون رائدة بإقليم البحر الأبيض المتوسط - مثلما فعلت دولة العراق قبل انتكاسها الأمني سنة 2003 -⁴² حسب ما جاء في الإفادات

عبر المقابلة الموجهة رقم: 36 -، بالإضافة إلى إلغاء الاستيراد و إعطاء الأولوية للاكتفاء الذاتي المحلي من خلال فسخ اتفاقيات الاستثمار مع الخارج، لحماية السيادة الوطنية التي نعيشها اليوم بفضل الفتوحات الإسلامية في شريط المغرب العربي و الحركة الوطنية الجزائرية و أحداث أكتوبر 1988 و العشرية السوداء و ما أفرزه ميثاق المصالحة الوطنية لسنة 2004⁴³.

نفسهم بنسبة %12,20، يرون من غير المنطقي خلق وزارة لأبناء الشهداء و المجاهدين لشراء السلم الاجتماعي، عبر الريع البترولي و سياسات التخويف⁴⁴. يؤمنون بنسبة %100 بأن الحكومات التكنوقراطية الجزائرية ما بين سنوات 1999 و 2016 اعتمدت خمسة موارد هي: الريع البترولي، من خلال دعم المطالب الاجتماعية ذات الطابع الاستهلاكي، و تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، من خلال التأكيد على أن السيادة الوطنية و القومية تسمو على كل منافسة لتقليد منصب سلطة في هرم الدولة الجزائرية - بالإشارة الى صراع الأحزاب السياسية في ما بينها و مع الفاعل الاجتماعي الديني و العسكري و الاقتصادي -، و أنظمة التعليم، من خلال تبني مقاربات التعليم بالكفاءة و الأهداف و تحقيق المشاريع المتبناة من تجارب الدول الأخرى، و التي يفرضها صندوق النقد الدولي FMI و البنك الدولي للإنشاء و التعمير IBRD على الجزائريين منذ سنة 1989 بفعل المديونية، و الوازع الديني الإسلامي و القيم الاجتماعية، من خلال تعبئة الحشود بخطب ثقافية مؤجلة بالمساجد و

مواقع التواصل الاجتماعي و الفضائيات المحلية، كآليات سوسولوجية لشراء السلم الاجتماعي لمحاكاة الأجيال.

يجمعون بنسبة 100% بفقدان المواطن الجزائري الشائع للثقة في المنظومة الانتخابية، يفسرون ذلك، بأن معظم الإطارات المؤطرة للأحزاب السياسية شيخة، لا تزال مستمسكة بالشرعية الثورية، و الذين ينقطعون عن إخطار المواطن الشائع بأنشطتهم الحزبية و ممارساتهم السياسية مباشرة بعد انتهاء العمليات الانتخابية، الى جانب عدم انتاج خطاباتها الفكرية السياسية، كما أنهم يرون؛ محدودية الاهتمام بالشأن السياسي لدى المواطن الشائع على مستوى الاستهلاك من حيث؛ استطلاع الواقع المحلي للسياسي في الجزائر من حيث؛ عدم الانتماء إلى حزب سياسي أو أحد الأجساد الجمعوية في الجزائر، و أن: اهتمامهم بالشأن السياسي ييقى في حدود تحقيق الاستراتيجيات و المصالح الخاصة، لا يوجد إعادة إنتاج للوجه السياسي المتمثل في جمهور الحكّام و قادة الأحزاب السياسية، محدودية عمياء للفعل السياسي في الجزائر؛ لخلوه من مفهوم الاحترافية الذي عوضته الشعبوية السياسية في إدارة شؤون الرعية.

3-4) جدول يوضح ارتباط التمثلات حول التعددية الحزبية و السياسية و الاقتصادية و الثقافية و الدينية و طبيعة النخبة:

Que pensez-vous des réformes économiques et culturels de l'Algérie du troisième millénaire?	élites indus trielle	élites libérales	élites militaires	Tot al%
---	----------------------	------------------	-------------------	---------

que pensez-vous des formes élémentaires de la vie religieuses en Algérie du troisième millénaire?		s				
encore conservatrice malgré les Influences internes et	elles ne répondent pas aux revendications sociales	il existe un multipartisme unipolarisé	90,9 %	0%	0%	90,9 %
		il faut réorganiser et préciser les courants politiques en Algérie du troisième millénaire entre courants: (islamique - écologique - laïcité - libéralisme)	9,1%	0%	0%	9,1 %
un mécanisme d'appropriation d'intérêts financiers, matériels et	elles ne répondent pas aux revendications sociales	il faut réorganiser et préciser les courants politiques en Algérie du troisième millénaire entre courants: (islamique - écologique - laïcité - libéralisme)	0%	100,0 %	0%	100,0 %

	elles essaient de maintenir la classe moyenne en Algérie entre très pauvres et très riches	il existe un multipartisme unipolarisé	1,1%	0%	65,3%	66,3%
		il existe des partis politique plus que les revendications sociopolitiques qui la constituent	0%	5,3%	0%	5,3%
		il faut réorganiser et préciser les courants politiques en Algérie du troisième millénaire entre courants: (islamique – écologique – laïcité – libéralisme)	0%	6,3%	22,1%	28,4%
plus une norme	nt pas aux revendic	il existe un multipartisme unipolarisé	4,6%	0%	0%	4,6%

la classe moyenne en Algérie entre très pauvres	il existe des partis politique plus que les revendications sociopolitiques qui la constituent	0%	0%	35,4 %	35,4 %
	il faut réorganiser et préciser les courants politiques en Algérie du troisième millénaire entre courants: (islamique – écologique – laïcité – libéralisme)	9,2%	7,7%	43,1 %	60,0 %
	il existe un multipartisme unipolarisé	5,5%	5,8%	7,0%	18,3 %
	il existe des partis politique plus que les revendications sociopolitiques qui la constituent	3,0%	,1%	5,5%	8,6 %

			il faut réorganiser et préciser les courants politiques en Algérie du troisième millénaire entre courants: (islamique – écologique – laïcité – libéralisme)	27,7 %	30,1 %	15,3 %	73,1 %
Grand total %				1500 = 100%			

تجمع النخب الصناعية و الليبرالية و العسكرية لمجتمع البحث بنسبة 83,50% أن هناك توجه أحادي سياسي يضم أحزاب سياسية أكثر من المطالب الاجتماعية التي تؤسسها، الأمر الذي يستوجب تحديد التيارات السياسية في جزائر الألفية الثالثة بين: (الإسلامي – البيئي – ألائكي – الليبرالي) ليعلم الناس مشاربهم، يبررون ذلك، من خلال الاقتصادي، حيث أن الإصلاحات الاقتصادية و الثقافية في جزائر الألفية الثالثة تحاول الإبقاء على الطبقة المتوسطة خصوصا بالولايات الشمالية و الوسط و القطاع الوهراني بين غني جدا و فقير جدا، بغية إعادة الضبط المستمر للمطالب الاجتماعية و ما تسفره من حركات احتجاجية غير منتظمة، و التي باتت تفضل القيم الاجتماعية و خصوصا الدينية في احتوائها، ذلك، هم يرون أن الوازع الديني في

جزائر الألفية الثالثة تحول إلى آلية لبلوغ مكاسب مالية و مادية و سياسية و لم يعد التدين معيارا قيما اجتماعيا⁴⁵.

5) مسألة أبعاد الهوية التاريخية للجزائريين من منظور الإصلاحات الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية منذ الاستقلال إلى جزائر الألفية الثالثة:

1-5) جدول يوضح ارتباط التمثلات حول المواطنة التتموية و طبيعة النخبة:

sommes nous des capitalistes ou des socialistes?	élites industrielles	élites libérales	élites militaires	Total %
nous sommes des capitalistes pour preuve l'ouverture économique	17	6	50	73
	1,1%	,4%	3,3%	4,9%
nous sommes des socialistes pour preuve le soutien du gouvernement aux pouvoirs d'achats de toutes les catégories socioprofessionnelles	20	39	6	65
	1,3%	2,6%	,4%	4,3%
nous sommes ni capitalistes	463	455	444	1362

ni socialistes pour preuve la non distinction du régime politico-militaire entre les principes des deux courants	30,9%	30,3%	29,6%	90,8%
Grand total %	500	500	500	1500
	33,3%	33,3%	33,3%	100,0%

تجمع النخب الصناعية و الليبرالية و العسكرية لمجتمع البحث بنسبة 78,08% على أن جزائر الألفية الثالثة تتبنى اقتصادا هجيناً، يجمع بين آليات الانفتاح الاقتصادي الرأسمالي، كمظهر للتحويل الديمقراطي، يؤثر على السياسات العمومية للشغل و السكن و البطالة و التعليم و في احتياجات المؤسسة العسكرية، من جهة، و آليات دعم الدولة للوضع المعيشية لجميع الفئات السوسيو مهنية من خلال مفهوم الدولة الحامية l'Etat Providence، كمظهر للمقاليد الاشتراكية، بالإشارة إلى دعم القروض و الأسعار الاستهلاكية، من جهة أخرى⁴⁶.

5-2) جدول يوضح ارتباط التمثلات حول المواطنة السياسية و طبيعة النخبة:

selon vous, est-ce-que le peuple jouit de ses droits constitutionnelles ou bien il est dépourvu d'elles?	élites industrielles	élites libérales	élites militaires	Total %
il jouit d'elles	55	7	128	190
	3,7%	,5%	8,5%	12,7%
il est dépourvu d'elles	445	493	372	1310
	29,7%	32,9%	24,8%	87,3%
Grand total %	500	500	500	1500
	33,3%	33,3%	33,3%	100,0%

تجمع النخب الصناعية و الليبرالية و العسكرية لمجتمع البحث بنسبة 87,30% على أن المواطن الشائع مجرد من حقوقه الدستورية كالسكن، الذي يتطلب وظيفة دائمة من أجل تسديد الأقساط بالرغم، من عدم عقلانية إسناده لأسباب قد نسميها أنثربولوجية، و الوظيفة الدائمة نفسها، التي تتطلب تأهيل علمي و عملي، إلى جانب عدم استقرار العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الممتدة و النووية، بفعل وجود خلل على مستوى القيم الاجتماعية بين

الأجيال داخل الأسرة الواحدة، و الذي يرجعونه بالأساس إلى عدم ضبط المسؤولين للفضائيات المحلية و الأجنبية و مواقع التواصل الاجتماعي، من حيث هي آليات للتنشئة الاجتماعية، و الرعاية الصحية التي تتطلب تأميناً اجتماعياً لأفراد الأسرة، كلها تظاهرات تحول المواطن الشائع إلى ما يسمى بالفاعل الاجتماعي اللا سياسي ⁴⁷ Apolitique.

يتفقون بنسبة 68,41% على أن الإصلاحات السياسية و الاقتصادية في الجزائر للفترة الممتدة ما بين 1999 و 2016 يمكنها تبرير تعدد العهديات الرئاسية للمترشح الواحد، بما أن نموذج الحكومات فيها مبني على التنظيم و التسيير بناء على مفهوم الكفاءات أو ما يسمى بالبنية التكنوقراطية، التي تعمل على الاستقرار المادي و الاجتماعي لما يحاط و يشار إليه بالطبقة المتوسطة العمالية في جزائر الألفية الثالثة، بينما يرفضها البقية بنسبة 31,59%، حيث يضمن التداول على السلطة الاستقرار الاجتماعي و السياسي في الداخل و في العلاقات مع دول المحيط، و يؤمنون بأن جهات و فاعلين غير رسميين هم من يسير شؤون العامة، من حيث: هم وجه غير رسمي للفاعلين الاجتماعيين الذين هم يديرون الحكومات التكنوقراطية في الجزائر.

يتفقون بنسبة 71,50% على أن تشابه و تداخل مهام و صلاحيات المؤسسات التشريعية و القضائية و التنفيذية بسبب الإصلاحات التي أجريت على قوانينها التأسيسية ما بين سنوات 1999 و 2016، و الإصلاحات التي أجريت على عمل و تنظيم المؤسسة العسكرية، إلى جانب منع التطرق إلى

السياسي داخل المساجد و بالمرافق العمومية و العامة، سيخلق قطيعة في الرابط الاجتماعي بين ما يسمى بالمواطن الشائع، المتمثل في الفئات العمالية البسيطة و ممثليه المنتخبين على رأس أجهزة الدولة.

3-5) جدول يوضح ارتباط التمثلات حول المواطنة الاجتماعية و طبيعة النخبة:

qui affirment l'impossibilité d'obtenir un travail sans intermédiaire ou pauts-	que pensez-vous de l'impact des valeurs de la globalisations sur les valeurs religieuses et sociales algériennes?		élites industrielles	élites libérales	élites militaires	Total %
	les satellites locales et étrangères ont déracinées les formes élémentaires de la vie religieuse en		elle peut signifiée la différence entre très riche et très pauvre	22,4 %	32,3 %	32,2 %

	Algérie	elle peut signifiée l'appartenanc e politique et professionnelle	1,5%	1,2 %	10,5 %	13,2 %
	les réseaux sociaux ont déracinées les représentations sur le fait religieux en Algérie	elle peut signifiée la différence entre très riche et très pauvre	0%	68,4%	0%	68,4 %
		elle peut signifiée l'appartenanc e politique et professionnelle	21,1 %	0%	10,5 %	31,6 %

	l'exploitation subjective des technologies a transformée la vie religieuse en Algérie		elle peut signifiée la différence entre très riche et très pauvre	0%	74,6%	25,4%	100,0%
il existe plusieurs couloirs de pensées qui affirment que seulement les compétences qualifiées ont droit au travail stable	les satellites locales et étrangères ont déracinées les formes élémentaires de la vie religieuse en Algérie		elle peut signifiée la différence entre très riche et très pauvre	5,8%	32,7%	51,9%	90,4%
			elle peut signifiée l'appartenanc e politique et professionnell e	1,9%	0%	7,7%	9,6%

	les réseaux sociaux ont déracinées les représentations sur le fait religieux en Algérie	elle peut signifiée l'appartenance politique et professionnelle	100,0 %	0%	0%	100,0%
	l'exploitation subjective des technologies a transformée la vie religieuse en Algérie	elle peut signifiée la différence entre très riche et très pauvre	100,0 %	0%	0%	100,0%
l'acquisition des femmes de postes	les satellites locales et étrangères ont déracinées les formes élémentaires de la vie religieuse en	elle peut signifiée la différence entre très riche et très pauvre	1,3%	11,5%	25,6%	38,5%

Algérie		elle peut signifiée l'appartenanc e politique et professionnelle	61,5 %	0%	0%	61,5 %
les réseaux sociaux ont déracinées les représentations sur le fait religieux en Algérie		elle peut signifiée l'appartenanc e politique et professionnelle	100,0 %	0%	0%	100,0 %
l'exploitation subjective des technologies a transformée la vie religieuse en Algérie		elle peut signifiée l'appartenanc e politique et professionnelle	100,0 %	0%	0%	100,0 %

il existe plusieurs couloirs de pensées qui affirment le droit de la femme au mariage sans accord paternel et de divorcer sans donner d'excuses	les satellites locales et étrangères ont déracinées les formes élémentaires de la vie religieuse en Algérie	elle peut signifiée la différence entre très riche et très pauvre	49,7 %	45,5 %	4,2 %	99,4 %
	l'exploitation subjective des technologies a transformée la vie religieuse en Algérie	elle peut signifiée l'appartenance politique et professionnelle	0%	,6%	0%	,6%
	l'exploitation subjective des technologies a transformée la vie religieuse en Algérie	elle peut signifiée la différence entre très riche et très pauvre	100,0 %	0%	0%	100,0%

تجمع النخب الصناعية و الليبرالية و العسكرية لمجتمع البحث بنسبة 68,09% على أن مفهوم الجهوية في تمثلات الجزائريين انسيابي، بحكم القوالب الثقافية المكتسبة بفعل رواسخ الشعوب الماضية التي احتلت الجزائر، المتوارثة عبر الهابتوس l'Habitus، و التي كانت أصلا متقاربة حضاريا، إلى

جانب آليات العولمة الثقافية، على هذا الأساس، قد تعني الجهوية الانتماء العرقي و الديني في الجزائر، الانتماء ألولائي في الجزائر، الفرق بين غني جدا و فقير جدا في الجزائر، الفرق بين الجزائري الشائع و الجزائري المغترب، الانتماء السياسي و المهني في الجزائر⁴⁸.

نفسهم، بنسبة %11,35 يرون أن الفضائيات المحلية و الأجنبية و مواقع التواصل الاجتماعي، إلى جانب عدم فهم الاستغلال الموضوعي للتكنولوجيات، غيرت كلها من مظاهر التدين، بدليل أن منهم من يرى بأن الوظائف تعطى للمؤهلين فقط، و آخريين يدافعون عن تقلد المرأة لمناصب عمل قيادية، و حقها في الزواج بدون ولي و تطبيق الرجل عند الضرورة⁴⁹.

● الخاتمة:

- 1) يتأسس بحثنا على ثلاثة أنواع من النخب (صناعية و ليبرالية و عسكرية) التي أسمىها بالشائعة من القطاع الوهراني.
- 2) نشير الى إهمالهم للثقافة السياسية بنسبة %1,50 و التي تنحصر في البرامج التلفزيونية الثقافية و الرياضية المحلية و الفرنسية فقط؛ مع أنه، يشار إليهم بالشريحة المثقفة المركزة فضلا عن مستوياتها التعليمية العالية و تجارها المهنية الواسعة و موقعها كفاعل سياسي شائع موازي للنخبة السياسية في الدولة الجزائرية و المحيط الدولي، على غرار ميلها لاستهلاك التكنولوجيات الحديثة من تطبيقات و ألعاب الكترونية و أدوات عمل بنسبة %98,50.

3) نشير الى محدودية اهتمامهم بالشأن السياسي على مستوى الاستهلاك من حيث؛ ضعف التردد على قراءة الصحف اليومية الوطنية؛ فهم يقتصرون على جريدتي الشروق و الخبر و Le Quotidien d'Oran و المجالات الرياضية عموما، بحيث: يتم استهلاكهما رقميا على شاشة الحاسوب في مكتب العمل أو في المنزل في أغلب الأحيان و البرامج التلفزيونية الثقافية الفرنسية على اختلاف مواضيعها؛ خصوصا الرياضية و السياسية في بعدها الخارجي، مع استطلاع الواقع المحلي للسياسي في الجزائر من حيث؛ واقع الإسكان و الشغل و تطور السلوك الإجرامي و أحوال الرياضة و ضعف الثقة في ممثلي الشعب، و لعلنا لا نتفاجأ بهذه النتائج إذا؛ وضعناها في السياق التاريخي العام للجزائر المستقلة، خصوصا في الفترة ما بين 1998 و 2016.

4) لا يؤمنون بإعادة إنتاج اللوجه السياسي المتمثل في جمهور الحكام و قادة الأحزاب السياسية، و أن: مؤسسات انتمائهم المهني هي؛ الجسم المصغر للنظام السياسي في الجزائر مما يدفعهم الى التفكير في التقاعد المسبق و التأسيس لمشروع مهني بعد التقاعد.

5) ترتبط جميع تماثلاتهم و مواقفهم الحياتية بكيفية استعمال الدين (الإسلام) لفهم الواقع.

- (6) لمسنا غياب الثقافة النقابية و الجموعية لدى مجتمع البحث؛ نعتقد قد تدل على نقص المعرفة بثقافة مؤسسات الانتماء المهني، كما قد تفسر باغتراب في الهوية المهنية و السياسية.
- (7) يجمعون بنسبة %78,08 على أن جزائر الألفية الثالثة تتبنى اقتصادا هجيناً، يجمع بين آليات الانفتاح الاقتصادي الرأسمالي، كمظهر للتحول الديمقراطي، يؤثر على السياسات العمومية للشغل و السكن و البطالة و التعليم و في احتياجات المؤسسة العسكرية، من جهة، و آليات دعم الدولة للوضع المعيشية لجميع الفئات السوسيو مهنية من خلال مفهوم الدولة الحامية l'Etat Providence، كمظهر للمقاليد الاشتراكية، بالإشارة إلى دعم القروض و الأسعار الاستهلاكية، من جهة أخرى.
- (8) يؤيدون بنسبة %28,50 فكرة منع أرباب الأعمال و المجمعات الصناعية في الجزائر من التدخل في السياسي، حتى يبقى مفهوم الدولة الحامية l'Etat Providence قائماً، من خلال دعم الدولة للقروض الاستهلاكية و ديمومة مناصب العمل.
- (9) يعتقدون بأن توزيع المشاريع التنموية في الجزائر يتبع الانتماءات العشائرية و النسبية و مطالب جماعات ضغط أجنبية، بنسبة %100، يفسرون ذلك، بارتفاع الكثافة السكانية و تمركزها في ولايات الشمال الغربي و الهضاب العليا الغربية، حيث تتركز معظم الاستثمارات الأجنبية و القطاع الوطني الاقتصادي

العمومي و الخاص، لذا يرون بأن الهجرة السكانية مباشرة بعد الاستقلال و أثناء العشرية السوداء ارتبطت بأسباب أمنية و البحث عن رفاهية الحياة الاجتماعية الاقتصادية و التحصيل العلمي، أما الهجرة الداخلية الثانية اقترنت بتوطين النفوذ الاقتصادي و السياسي و الممارسات المهنية في العديد من ولايات الغرب الجزائري، من خلال انتاج علاقات القرابة و النسب، مما استدعى هجرة الكفاءات المحلية نحو الخارج و استيلاء السيادة الوطنية و تغييب الحريات العامة و الخاصة، كالحرية الفكرية و الابتكار، كما أن أهم شيء بالنسبة لهم أن الفترة ما بين سنوات 2000 و 2016 تم فيها تجنيد ما يسمى بالطبقة العمالية المتوسطة لممارسات هجينة.

10) يقبلون بنسبة 94,17% على أن تتصدر المرأة منصبا سياسيا أو قياديا أو في سلك القضاء (العدالة) و التعليم و الصحة، و توافق على خروج المرأة المتزوجة إلى العمل، و مواصلة المرأة المتزوجة دراسات جامعية لما بعد التدرج، ذلك أنه، يحتوي كل من قطاعات التعليم و الصحة و العدالة على النسبة الأكبر من النساء العاملات، خصوصا في المدن الساحلية و بعض ولايات الهضاب العليا و الجنوب الغربي، ما دامت القيم الاجتماعية بما فيها الوازع الديني تنظم العلاقات و الممارسات الاجتماعية و المهنية، لذلك نعتقد من الواجب ضرورة إعادة النظر في توفير فرص العمل المنتج كشرط لمساهمة المرأة فيه كشريك اقتصادي.

11 يجمعون باستناد الاقتصاد الجزائري على الربع البترولي أكثر من باقي الموارد الأخرى قد يهدد السيادة الوطنية للجزائريين على المدى المتوسط، و أن عزوف الرأسماليين الجزائريين و الأجانب عن الاستثمار في الجزائر سببه غياب الوعي المهني و السياسي و الجمعي و الثقافة المهنية و السياسية و الجموعية لدى كثير من الفئات السوسيو مهنية، كما أن التزايد السكاني، الأزمة الأمنية الحالية، التزايد المستمر في استعمال الآلات و ارتفاع الإنتاجية كمحددات سوسولوجية أفضت مباشرة إلى خفض مدة العمل و تسريح العمال بعدة قطاعات اقتصادية، بنسبة 100%، يفسرون ذلك، باعتماد المؤسسات العمومية الاقتصادية الجزائرية على تضخيم حجم التوظيف السنوي بما يتعدى قدرة استيعاب هيكلها التنظيمي؛ كاستراتيجية فرضتها الحكومة لامتناس البطالة الجامعية؛ و ذلك في حدود السعي لتحقيق الاستقرار الاقتصادي و الاجتماعي للدولة، و تقليص هالة العنف المجتمعي، كما هو الحال اليوم في بعض الدول العربية في إطار ما أسماه الغرب "بالربيع العربي".

• الهوامش:

¹ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

² تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

³ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

⁴ HARBI Mohamed: « L'Algérie et son Destin: Croyons ou Citoyens », édition: Arcantère, Paris – France, (1992). 93 – 92.

⁵ ADDI Lahouari: L'impasse du populisme, Alger, Enal, (1990). 131 – 132.

⁶ محمد أركون: الفكر العربي، ترجمة الدكتور: عادل العوا، منشورات: دار عويدات، سلسلة زدني علما، (1979). 52 – 39.

⁷ محمد أركون: من فيصل التفرقة إلى فصل المقال: أين هو الفكر الاسلامي المعاصر؟، ترجمة: هاشم صالح، منشورات: دار الساقى، بيروت – لبنان، (1993). 89 – 28.

⁸ VERDES-LEROUX Jeannine : L'Algérie face à la France, Editions : ROBERT LAFFONT, Collection : Bouquins, Paris – France, (2009). 46 – 53.

⁹ VERDES-LEROUX Jeannine : Le Travail Social, Editions : de Minuit, Collection : Le Sens commun, Paris – France, (1978). 81 – 134.

¹⁰ سمير أمين: في نقد الخطاب العربي الراهن، دار العين للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة – مصر، (2009). 79 – 78.

¹¹ سمير أمين: ما بعد الرأسمالية المتهاككة، دار الفارابي، بيروت – لبنان، (2003). 86 – 81.

¹² سمير أمين: حوار الدولة و الدين (بالاشتراك مع "برهان غليون")، المركز الثقافي العربي، (1996).

32 – 31

¹³ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

¹⁴ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

¹⁵ GELLNER Ernest : ((Nations et Nationalisme)), traduit de l'Anglais par : "Bénédicte Pineau", editions Payot & Rivages, bibliothèque historique : Payot, France, (1999). 211 – 238.

¹⁶ سمير أمين: ما بعد الرأسمالية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، (1988). 77 – 79.

¹⁷ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

¹⁸ Ernest Gellner : ((Nations et Nationalisme)), op.cit. 213.

¹⁹ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

²⁰ Ernest Gellner : ((Nations et Nationalisme)), op.cit. 229.

²¹ سمير أمين: في مواجهة أزمة عصرنا، دار سيناء، الطبعة الأولى، القاهرة، (1996). 87.

²² Ernest Gellner : ((Nations et Nationalisme)), op.cit. 236.

²³ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

²⁴ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

²⁵ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

²⁶ سمير أمين: في مواجهة أزمة عصرنا، دار سيناء، الطبعة الأولى، القاهرة، (1996). 87 – 89.

²⁷ الزبير عروس و أحمد زايد: النخب الاجتماعية (حالة الجزائر و مصر)، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، (2005). 113 – 115.

²⁸ الزبير عروس و أحمد زايد: النخب الاجتماعية (حالة الجزائر و مصر)، مرجع سابق. 113.

²⁹ WEBER Max : La Ville, trad ; Allemand par : Philippe Fritsch, editions : Aubier Montaigne, 1er éd., Paris, (1982). 84 – 85.

³⁰ WEBER Max : La Science : Profession et Vocation, trad ; Allemand par : Isabelle Kalinowski, edition : AGONE, Paris, (2005). 83 – 87.

³¹ عمار بلحسن: أنتلجنتسيا أم مثقفون في الجزائر، دار الحداثة، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، (1986). 89 – 95.

³² تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

³³ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

³⁴ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

³⁵ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

³⁶ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

³⁷ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

³⁸ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

³⁹ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

⁴⁰ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

⁴¹ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

⁴² تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

⁴³ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

⁴⁴ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

⁴⁵ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

⁴⁶ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

⁴⁷ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

⁴⁸ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

⁴⁹ تعريف الباحث: حسين بن شارف. مرجع سبق ذكره.

آليات مقترحة لحفظ وتسيير التراث الأثري المبنى بالجزائر

أ. عبد الكريم خبزوي - جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان-

مقدمة:

يعد التراث الأثري ركيزة أساسية في تحريك شتى المجالات والقطاعات حيث يهدف القائمون عليه إلى تحقيق التنمية المستدامة من خلاله من جهة، وحماية ذاكرة الشعوب من جهة ثانية، فقد أصبح العالم اليوم يولي أهمية كبيرة لضمان أفضل السبل والطرق العلمية والتقنية والإدارية، لتجسيد فلسفة تراث العالم المشترك -تراث الانسانية-، والجزائر كغيرها من الدول تحتاج إلى تقنين عديد الدراسات الإدارية والمنهجية العلمية، لإعادة الاعتبار لتراث مختلف الحضارات التي مرت أو استقرت بها.

نظراً للتطور التكنولوجي الكبير، والتنمية الاقتصادية الفائقة السرعة، التي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار ضرورة حماية تراث الشعوب الذي إذا فقد لا يسترد، لذا فقد أصبح لزاماً على كل شخص أن يحترم خصوصية وأصالة تراث الخلف والسلف.

وتمحور إشكالية البحث حول تسليط الضوء على أهم السبل الكفيلة بتحقيق قفزة نوعية، في مجال حفظ وتسيير التراث الأثري، من خلال تنفيذ مجموعة من الإجراءات التي تفيدي في

تحقيق أهداف بعيدة وقصيرة المدى، فما هي إذا أبرز الخطوات التي ينبغي إعدادها من أجل حماية التراث المبني، لتحقيق تأهيل معماري مستدام؟، يكون فيه للمجتمع دور فعال في ذلك؟ حيث نهدف من خلال هذه الدراسة إلى إبراز مجموعة من الأطر الأساسية لتحقيق أهداف تضمن أمن وسلامة ما بقي من تراث الجزائر المبني.

1- منهجية الدراسة الفنية لمشروعات التدخل على التراث الأثري:

يحتاج التراث الأثري الجزائري إلى مجموعة من الخطط والإجراءات الكفيلة بضمان سلامته وديمومته إلى الأجيال اللاحقة في أحسن صورة له.

إلا أن هذه البدائل قد تختلف من مدينة لأخرى ومن منطقة لأخرى، فنحن نعلم أن للجزائر تراث أثري غني ومتنوع بتنوع الحضارات التي استقرت أو مرت بالمنطقة، كما تتحكم فيها كذلك مجموعة من الأسباب والعوائق التي تحول دون تطبيق علمي وفعلي لها.

وشتان بين المناطق الصحراوية والمناطق الداخلية والشمالية، لا البيئة نفسها ولا الثقافة نفسها بما في ذلك الظروف الاجتماعية التي لها علاقة بكيفية وطرق العيش والتفكير، ومتطلباتها المختلفة كذلك.

وللوصول إلى ضمان اقتراحات وحلول معقولة تجاه ما يعاينيه أو ما يحتاج إليه تراث الجزائر في شقه الأثري، لابد من فتح المجال لوضع قنوات التواصل بجدية عالية أمام الشركاء في جميع المجالات التي تتقاطع وتمس التراث الأثري الجزائري.

من مختصين ومهتمين بالتراث، ومن صناع القرار السياسي، للنهوض بهذا القطاع الذي يعد في عديد البلدان الغربية والعربية رافدا من روافد الاقتصاد الوطني والاستثمار السياحي، خاصة لما بدأ المجتمع الدولي يهتم أكثر بالتنمية المستدامة.

حيث أضحت هذه الأخيرة ميدانا خصبا لتبادل الآراء والأفكار والخبرات، واحترام خصوصيات كل قطاع باعتباره مكملا للطرف الآخر.

فتهميش جهة على حساب أخرى قد يسهم في تأزم الوضع أكثر، فالمشاريع التنموية لها من السلبيات والايجابيات ما قد يؤثر أو يغير في مجال التراث الأثري.

وإذا ما تمت عقلنة المشاريع التنموية أو كيفت مع واقع المواقع والمعالم الأثرية، كان أفضل وأحسن بكثير من عدم احترام خصوصية المناطق الأثرية التي أصبحت تحتل مراحل جد متقدمة من التلف والزوال.

لذا نطرح هذا الطرح البديل علنا نساهم في حماية ما بقي من تراث الجزائر من جهة، وكى لا يحاسبنا جيل الغد ويتهمنا بأننا

لم نكن نعلم بالحالة الصحية لهذا التراث وأننا لم نقدم الحلول المناسبة في الوقت المناسب، ولهذا تكون البداية من:

1.1. اللقاءات الاستشارية:

في أي مشروع كان اقتصاديا أو ثقافيا أو سياحيا وجب التشاور في شأنه، ومعرفة خصوصياته وأبعاده المختلفة، كما يجب التطرق إلى تبعات المشروع المقترح وخلفيات تطبيقه، خاصة لما يتعلق الأمر بالمجال الاقتصادي والثقافي.

ونحن نعلم أن الجزائر قبل طرح مشروع قانون 98-04 قامت بطرحه على جميع السلطات المعنية بصفة مباشرة أو غير مباشرة قبل طرحه إلى العلن.

لكن في مقابل ذلك لم نسمع في الجزائر، منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، عن مشروع أثري ضخم هدفه حماية هذا الإرث، أو أقيمت حوله ضجة إعلامية كبيرة شغلت بها الرأي العام والخاص.

دون أن نشير إلى حفرة ساحة الشهداء، التي لم نستطع من خلالها استرجاع المكانة الأثرية الكبيرة، التي تدفع بهذا المجال إلى الظهور أكثر وتكسب المجتمع المدني ثقافة أثرية، مهمة جدا في بناء المجتمع في هذا الجانب.

لذا فإن الاستشارات التي نطالب بها لا تكون محصورة فقط داخل أسوار المؤسسات والهيئات المختصة، بل تشمل كل

الأطراف الفاعلة، كمخابر البحث الأثري، والوكالات السياحية، ومؤسسات تسيير القطاع الأثري.

بهدف دراسة شاملة عن الوضع الراهن، وطرح بدائل قصيرة وطويلة المدى، للخروج بهذا القطاع إلى بر الأمان.

وهذا لن يكون بالأمر السهل والهين، فلا بد للمشروع أن يمتد لسنوات عديدة، لكن قبل فوات الأوان، فالمعلم أو الموقع الأثري، إذا زال لا يسترد، وتضيع فرصة حمايته وتوثيقه يعني فناءه التام.

وتفضيل موقع أو حقبة تاريخية عن أخرى لا يخدم بتاتا مصلحة آثار أي دولة في العالم، حيث يجب النظر إليه على أنه تراث أثري وجبت حمايته وصيانته وترميمه.

قد تكون هذه النظرة نظرة تشاؤمية، لكن لا بد من استحضار الشعور الحسن والجيد تجاه ما ورثناه من حضارات قامت وعمرت، وتركت ما تركت من نتاج فكري وفني وحضاري، وجب حمايته والاهتمام به، بشتى الطرق والوسائل والإمكانيات.

فالجاناب الإعلامي مثلا له من الأهمية الكبيرة في حماية التراث الأثري، بالرغم من العلاقة التي تبدو للوهلة الأولى أنها متباعدة، لكن التسويق الإعلامي الحقيقي للقيمة الأثرية، يسهم في تغذيته عقول المتابع لبرامجها.

وبهذا الشكل يمكن للجانب الإعلامي أن يساهم بدوره في حماية التراث الأثري.

وهو ما نلاحظه لدى مختلف الدول، لما تسعى إلى وضع مختلف آثارها في الواجهة لمنحها صفة الأهمية الضرورية والقصوى في بعض الحالات التي تتطلب ذلك.

فالرهان هنا كبير جداً للوصول إلى وضع اللقاءات الاستشارية في طريقها الصحيح، قصد إعطاء التراث الأثري أهمية مسبقة في الحياة اليومية كضرورة حتمية لا بد منها.

واقع نريد أن نراه في الجزائر لدى مجتمعها ومؤسساتها وإطاراتها، التي يجب أن تسرع من وتيرة عملها أكثر، فنحن لم نصل بعد إلى بر الأمان في المجال الأثري.

2.1. سياسات وخطط التدخل:

لوضع آليات التدخل المتعلقة بالمواقع والمعالم الأثرية والتاريخية، لا بد من أن تكون بدايتها الدراسات المختلفة الجوانب للشئ المراد حمايته أو صيانتة.

شاملة بذلك الإطار البيئي الذي يقع فيه، وكذا الخصوصية الاجتماعية للسكان، الملاك الأصليين، أو الورثة الذين يعيشون بالمناطق الأثرية، بهدف الحصول على حلول أنجع بكثير، الخطوة التي تجعل من المشاركة المجتمعية ضرورة حتمية في ذلك.

ثم أن دراسة الموقع من الناحية السياحية يفرض هو الآخر وضع إجراءات خاصة بذلك، تراعى فيها خصوصيات المنطقة الأثرية وبيئتها الطبيعية من أنهار ووديان وسهول وجبال، التي تعمل جنباً إلى جنب والمعلم والموقع الأثري، في التعريف والتشهير به، مشكلة لنا علاقة تكاملية ما بين الحالة الاجتماعية والطبيعية والبيئة الأثرية، التي تؤدي إلى بيئة مستدامة، يتحكم فيها وبنسبة كبيرة المشاريع التنموية والاقتصادية المختلفة.

فجل أو كل المشاريع السياحية والثقافية والأثرية، لدى مختلف دول العالم تتحكم فيها هذه الأخيرة، لذا لا بد من وضع سياسات خاصة تهدف في مجملها إلى تحقيق تنمية في الاقتصاد، وضمان أقل الخسائر والأضرار الأثرية.

أي أنه هناك أولويات، التي لا بد من أن تصنف وترتب حسب الضرورة القصوى والدنيا، التي يجب أن تراعى فيها الأولوية الأثرية.

وشتان ما بين سياسة المحافظة والترميم والتجديد والارتقاء بالبيئة الأثرية، فلكل مسببات وإجراءات كفيلة بضمائها.

والتدخل السريع هنا لا بد من أن ينطلق من الشيء المتغير كثيراً أو الذي يسير في طريق الزوال، لسبب واحد أنه إذا اندثر لا يسترد، وتزول معه قيمته الحقيقية.

3.1. معرفة الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للموقع

الأثري:

بما أن كل الاتجاهات العلمية في المجال الأثري حاليا تهدف إلى تحقيق مشاريع اقتصادية بالدرجة الأولى، معتمدة في ذلك على الإطار الاجتماعي للموقع وللمدينة والقريّة، وفق إطار تسلسلي.

لذا فسياسات وخطط التدخل تأخذ في الحسبان ما سبق ذكره، فإن كان الغرض من بناء أو إحياء مدينة عتيقة، يشمل معه إحياء نوع معين من التجارة أو الحرف التقليدية التي تساهم بدورها في ضمان تلك الحرف أو الأشغال اليدوية، وهي من شروط أمن وسلامة المواقع الأثرية، أو الترويج للسياحة الأثرية.

وهي الدوافع التي يمكن للوكالات السياحية استغلالها، من خلال وضعها في برنامجها الفصلي أو السنوي، وهي الطرق التي تجعل سكان المواقع الأثرية لا يفرون منها، في ظل توفر كل الظروف الاقتصادية.

وبالتالي فإن الموقع الأثري عبارة عن عجلة ثابتة، تدور حوله مجموعة من الأعمال التي تدير بدورها عددا هاما من البرامج الاقتصادية السياحية.

ومن ناحية أخرى لا بد من أن تتوفر جميع سبل الحياة لدى الصناع والحرفيين أصحاب الصنعة، حتى نضمن بقاءه واستقراره، ومن ثم نضمن حماية دائمة بالمدن التاريخية قبل فوات الأوان.

فالحسائر التي تحصل بمدن التراث التاريخي لا يمكن استرجاعها بسهولة، لا بالوقت ولا بكثرة الأموال، فالإجراءات الفعالة يجب أن تكون في الوقت المناسب.

بعدها يتطلب الأمر أكثر مما تم رصده من قبل ولم ينفذ، خصوصاً أن حياة المجتمع الحالية تعرف تغيرات متعددة في ظرف قياسي جداً، خاصة مع ظهور التكنولوجيات الحديثة، ومواكبتها للحياة المعاصرة لدى الفرد والمجتمع على حد سواء.

4.1. تنفيذ الجدول الزمني:

البرنامج الزمني أساسه تنفيذه المراحل السابقة الذكر، وأي خلل قد يصيبها يعني مباشرة عدم وضع الجدول الزمني، لا قريب المدى ولا بعيد المدى.

أما إذا كانت كل الأمور تسير وفق الخطوات المقترحة أو المسطر لها، ما يعنى استكمال العمل المطلوب، وفق تسلسل زمني مبرمج.

الهدف منه تنفيذ السياسة المقترحة، حسب الأولوية وحسب الأهمية، بحيث لا يكون هناك ركود، ونضمن بذلك تسيير

المشروع إلى نهايته، للتعرف في الأخير على إيجابيات وسلبيات البرنامج، الذي يشمل الرصد المالي، والموارد البشرية. ويسمح هذا الجدول الزمني وتقييمه، إلى حل المشاكل التي قد تعيق البرنامج الموالي له، وبالتالي الوقوف على كل كبيرة وصغيرة.

2- التوثيق بأنواعه:

لا يمكن تحديد عمليات الحفاظ على شيء ما لا نعرفه حق المعرفة، وتوثيقه ضرورة حتمية لا بد منها، وذلك بأن نسجله تسجيلاً شاملاً⁽¹⁾، خاصة لما يتعلق الأمر بتوثيق المباني والمواقع الأثرية بما في ذلك التراث المنقول، للحصول على أرشيف خاص بالتراث الأثري.

ونشير إلى أن مصطلح أرشيف غير موجود في اللغة العربية، وهو مصدر Archion اليونانية، و Archivum اللاتينية، و Archives الفرنسية والإنجليزية، ومع ذلك فقد ظهرت المجموعات الأولى القديمة للسجلات والوثائق، مع الحضارة السومرية والآشورية، والمصرية فيما بعد، التي كانت تحفظ في الرق، والمعابد، وبهذا المعنى نجد أن المجموعات الأرشيفية جزء من الإدارة⁽²⁾، بما في ذلك الإدارة البشرية والوثائقية بمعناها الحقيقي.

وللتوثيق الدقيق والميسر أهمية جوهرية بالنسبة لإدارة المجموعات الأثرية المبنية والمتحفية، بما في ذلك البحوث والخدمات، فهي أساس البحث والعرض والتعليم والتطوير، ولإدارتها نحتاج إلى إدارة مهيكلة خاصة بها.⁽³⁾

ثم أن المدن التاريخية تتطلب احتياجات دائمة ودورية، من أعمال الصيانة والحفظ، الأمور التي تتطلب جهودا خاصة بها، في مقابل ذلك قد يسهل التوثيق من الجهد الكثير، وبه نستطيع معرفة تبعات التدخلات المزمع القيام بها، وكذا التكاليف والوقت اللازمين لذلك، وبالتالي اختصار الطريق وريح الوقت، الذي يعد حجر عثرة بالنسبة للتراث الأثري بأنواعه.

ومن خلاله كذلك نستطيع الاتصال في أي وقت مع المسؤول أو المستشار العلمي مباشرة، لتحديد أولويات التدخل من أجل المحافظة أو الترميم الوقائي، أو غير ذلك من الأعمال الأثرية والفنية.

ولهذا يفضل دائما أن تكون عمليات التوثيق مرحلية، أولها معرفة حال الوضع الراهن، قبل التدخل الحفظي، فهي خطوة تجعلنا نفهم العلة التي يعاني منها التراث، وفق عملية تشخيصية لذلك، بعدها نحدد نوع العملية أو العمليات اللازمة بها⁽⁴⁾، وهي تشبه عملية التشخيص الأولي.

وهو بذلك يشمل كل إجراءات المسح الميداني، والجرد، والتصنيف، ووضع الخرائط، ومن رفوعات معمارية وأثرية، وتصوير فوتوغرافي متعدد، وبطبيعة الحال فإن كل هذه الأشغال لن تعد فقط من طرف الباحث الأثري، وإنما تكون بمساعدة كل الأطراف الفاعلين في مجال حماية التراث الأثري، وغير ذلك من مهندسين، وتقنيي تصوير، بما في ذلك المجتمع المدني، لأنه الحلقة الأساس في ذلك.

ثم أن الوصول إلى إعداد سجلات مختلفة، قد يسهل من عملية رقميتها، على واجهات خاصة بذلك، باستخدام مختلف التقنيات والخبرة المتاحة لدى كل هيئة أو إدارة⁽⁵⁾، وبهذا الشكل نتمكن من الحصول على مصدر مرجعي رقمي، يمكن أن يخصص للباحثين والمؤرخين، والمهتمين بالمجال.

وفي هذا الشأن، فقد حددت المراجع التشريعية المعالجة في الفصل الأول، الجوانب الضرورية والمهمة جراء القيام بالعمليات التوثيقية المختلفة، كما أطرت المبادئ اللازمة لذلك، دون أن تغفل عن المسؤولية المهنية والأخلاقية، تجاه التراث الأثري بمختلف أنواعه، وأهميته لدى مختلف الأجيال، لذا وجب توثيقه وجرده وتصنيفه، من أجل ضمان ديمومته.

والتسجيل الوثائقي يجب أن يتم على درجة عالية من الدقة، من ضمنها تحديد المعلومات الأساسية واستغلالها في تفسير

وعرض التراث وتعزيز مشاركة العامة في ذلك، ولا بد كذلك من تقديم المعلومات للمسؤولين والمخططين على المستويين، الإقليمي والوطني والمحلي، للسماح لهم خلال وضع السياسات والقرارات مراعاتها في مجالات الرقابة والتخطيط والتنمية.⁽⁶⁾

ومن زاوية أخرى لا ننسى الدور الفعال الذي قدمته لنا الوثائق القديمة بمختلف أنواعها، من معلومات، ساعدت في كتابة التاريخ من جهة، وقدمت معلومات وحقائق مهمة في مجال البحث الأثري، فهي دائماً في خدمة الآثار، بما تحويه من ذخائر وكنوز عن تاريخ وآثار العمائر الدينية والمدنية والعسكرية، التي ما يزال بعضها قائماً لحد الساعة، رغم ما طرأ عليها من أحداث أو تغييرات.⁽⁷⁾

وتوفير المعلومات اللازمة لتحديد الاستخدام المناسب والمستدام، يساهم في تحديد التدابير الفعالة للبحوث، والإدارة الجيدة لبرامج الصيانة والبناء، وحفظ التراث وخصائصه الفيزيائية.

يضاف إلى ذلك المصطلحات الفنية الخاصة بالعمارة، والبناء ومواده المختلفة، التي استعملت من طرف أرباب الحرف والصناعات، من نحّاتين وبنّائين ومرخمين ونجارين.⁽⁸⁾

ولمعالجة مجال التوثيق بمفهومه الواسع الذي يشمل التطورات الحاصلة في المجال، التي تواكب التطور التكنولوجي والعلمي في المجالات الأخرى، خاصة منها المجالات العلمية والفيزيائية.

3- آليات المحافظة على التراث المبني:

ساهم تطور علم الآثار في خلق عدة مجالات معرفية جديدة، تساهم في فهم الماضي، وما يتضمنه من مخلفات مادية وغير مادية، أنتجتها مختلف المجتمعات البشرية في مختلف مناطق العالم.

فالآثري المختص في فترة ما قبل التاريخ يعتمد في تفسيره للمعلومات، بناءً على ما تم استنباطه من قراءة مختلف المكتشفات الأثرية، أي أن المادة هي الأساس في ذلك، وعليها وضعت المراحل التقنية والتاريخية لها.

وبهذا الشكل يستطيع الباحث الأثري والمؤرخ التاريخي توسيع مجال المعرفة العلمية بأبعادها الأثرية، لتشمل الإطار الزمني والمكاني للمادة، وتغيرها بتغير المجتمعات البشرية التي أنتجتها.

ضف إلى ذلك أن المعلومات التي تجمع في وقتنا الحاضر، تعد بقايا واستمرارية للماضي وثقافات الماضي، وهي تشكل بذلك مصدرًا من مصادر المعرفة والتفسير لمختلف الجوانب والظواهر الأثرية المتعددة.

وفي مقابل ذلك المباني الأثرية أو بقايا الأطلال للمدن والمعالم التاريخية، تعد هي الأخرى وثيقة أثرية تاريخية وجب الاهتمام بها وأخذ الاحتياطات اللازمة لحفظها وصيانتها وترميمها وتوثيقها.

فزوالها وانداثارها التام، يوما بعد يوم يعني مباشرة زوال المصدر الأثري، خاصة في حالة لم توثق، مما يؤدي إلى فقدان المادة المعرفية الأثرية.

وفي هذا الإطار نقترح بعض السبل التي قد تفيد وبنجاعة في حماية ما بقي من تراث مبني، وتكون البداية من:

1.3- حماية البيئة الأثرية:

نقصد بالبيئة الأثرية هنا المجال المحيط بالمعالم والمواقع الأثرية المبنية، فالظروف التي تعاني منها هذه الأخيرة تجاه النمو المتسارع والمتزايد للمناطق الحضرية من جهة، وتزايد الكثافة السكانية للسكان القاطنين بمواقع التراث الأثري من جهة ثانية، وتزايد نقص الوعي الأثري، يعجل لا محالة في تخريب وتهديم مختلف العمائر، إما بالتدخل المباشر عليها، وإما عن طريق الهجر المتتالي لها، لعدم توفر شروط الحياة اللازمة.

وهجرة المالك الأصلي للمبنى الأثري، يعد ضربة جد موجهة لهذا الإرث، فخصوصيات البناء القديم لا يعرف حق قيمته الأصلية إلا مالكة الذي بناه أو قطن فيه مدة طويلة من الزمن،

وبالتالي يحرص كل الحرص على حماية مسكنه من مختلف العوامل البشرية والطبيعية التي تساهم في تدهور حالته الصحية واندثاره.

حتى أن ثقافة العيش داخل المباني الأثرية تختلف من شخص لآخر، وهي ذات الأسباب التي تكون الإجراءات الوقائية لحماية المدن التاريخية لمدة من الزمن.

لكن اليوم لابد على السلطات المكلفة بحماية هذا النوع من التراث، أن تعمل جاهدة لمعرفة خصوصيات البيئة الأثرية المحيطة، قبل أن تشرع في ترميم وصيانته المباني الأثرية بطريقة فردية أو اختيارية.

2.3- الصيانة والحفظ الأثري:

يزداد تدهور المباني الأثرية والتاريخية مع مرور الزمن، نتيجة عدة عوامل بشرية وطبيعية، ومع التطور الدائم لعملية التلف المختلفة، تصبح بحاجة ماسة إلى إجراءات حماية وترميم دائم.

إلا أن رعايتها وصيانتها يتطلب معرفة كل الظروف المحيطة بها، مع مراعات درجات التلف المختلفة.

فهناك فرق بين المباني الآيلة للسقوط وغيرها من المباني التي ما تزال في حالة جيدة، وهي الأسباب ذاتها التي تحدد درجة وخطورة الأولوية من غيرها، أثناء القيام بمختلف الأشغال

كالصيانة والترميم والتأهيل، الدوري منها والسنوي، لإبطاء ومنع التدهور المستمر.⁽⁹⁾

فالتراث الأثري بأنواعه يحتاج إلى صيانة مستمرة أو دائمة، سواء تعلق الأمر بالواجهات الخارجية للأثر أو بمحتواه الداخلي، نظرا إلى الأخطار التي يتعرض لها، والتي تتسبب في عوامل تلف مختلفة، بشرية كانت، أو طبيعية.

لذا تعد الصيانة أولى خطوات الحفاظ، وهي بحاجة إلى إجراءات قانونية ومنهجية علمية، تضبط التدخلات التي يمكن القيام بها على أي معلم أو تحفة أو موقع أثري.

فمن بين أهم الاجراءات التي تندرج تحت الغطاء القانوني، هو ضمان وفرة الوسائل التي تضمنها الدولة، لحماية التراث الأثري.

إضافة إلى حماية البيئة الأثرية ومحيط المعالم والمواقع الأثرية، للحد من الخطر المادي الذي قد يلحق بالتراث، وتحديد وتحليل التلوث الضار بها، يحتاج إلى بحث علمي، من أجل تحديد السبل الكفيلة بالقضاء على التلوث.⁽¹⁰⁾

وتنطوي الإجراءات الأولية في بدايتها على الفحص والتنظيف غير المشوه للمباني الأثرية، فأهمية وسلامة المواد في المبنى الأثري، تؤدي بنا دائما إلى حفظ أفضل للعناصر الأصلية فيها، بدلا من التغيير الجديد، الذي يكون في حالة خاصة، أو في حالات الضرورة، لأن الهدف من الصيانة هو منع تدهور المواد الاصلية

ذات القيمة التاريخية، من الأخطار المحتمل وقوعها، ضماناً لأطول عمر ممكن للأثر.

ففهم قيمة التراث ومعرفة معالمه المميزة، يجعل المختص يعي ويفهم تماماً المهم والأهم قبل وأثناء وبعد القيام بعمليات الحماية المختلفة.

وفي هذا المجال نشير إلى أن عملية الصيانة المخطط لها، تكون مبنية وفق تصورات منهجية، يراعى فيها كل الجوانب التاريخية والأثرية، وأعاد المعالم والمواقع التاريخية وحالتها، قبل البدء في وضع التصور العام لذلك.

فالحصول على صورة شاملة ودقيقة عن الموقع أو المعلم الأثري، يعد في حد ذاته هدفاً، وجب تحديد عناصره وخطواته ومنهجيته وكذا مبادئه.⁽¹¹⁾

3.3- حماية التراث المعماري الأثري:

للحفاظ على التراث المعماري لا بد من تعزيزه، وفق ما يتطلب من اتباع مناهج متعددة التخصصات، تراعى فيها قيمة وأصالة التراث المعماري، الذي لا يجب أن يقوم على معايير ثابتة، لأن الاحترام واجب يخص جميع الثقافات، وبالتالي فإن قيمة التراث لا تكمن فقط في مظهره، بل تكمن كذلك في جميع مكوناته وتكنولوجيات بناءه، كمنح فريد من نوعه يعود إلى العهد الذي

شيد فيه، الإجراءات التي يجب أن تتناسب ومعايير الحفاظ على البيئة الأثرية. (12)

وهنا وجب وضع استراتيجية عمل في مجال الحفاظ والصيانة الأثرية طبقا للمعايير الدولية. (13)

ضف إلى ذلك فقد ساهمت التطورات التي حدثت خلال السنوات الأخيرة، فيما يتعلق بإمكانيات وعمليات التحليل التجريبي والتكنولوجي لمباني التراث الأثري، الذي مرده التقدم الكبير الذي يعرفه المجتمع الحالي، وتزايد قلقه تجاه المحافظة على هذا التراث، جنباً إلى جنب مع الأهمية الثقافية والاقتصادية. (14)

فترميم جزء من تراث مبني ليس غاية في حد ذاته، بل وسيلة تهدف إلى تحقيق غاية المبنى ككل، وبالتالي يجب مراعات خصوصية كل مبنى أثري وتاريخه. (15)

ولتحقيق ذلك لا بد من:

1.3.3- الحصول على البيانات وتحليلها:

البيانات لها من الأهمية الكبيرة التي لا يعد ولا تحصى، نظراً إلى الاجراءات التي يمكن الحصول عليها من خلالها، ومن ثم تساهم بحق في وضع الشروط العلمية الأكاديمية والتطبيقية للقواعد الإدارية المعدة خصيصاً لذلك.

فالتحقيق الأثري الميداني لا نحصل عليه إلا بعد القيام بمسح شامل للبيئة الأثرية⁽¹⁶⁾، زائد البحوث الميدانية المنجزة، سواء تلك التي أعدت خصيصاً لذلك أي أنها تابعة للمؤسسة أو الإدارة المكلفة بحماية التراث الأثري، أو أنها أعدت من طرف باحثين أثريين ومؤرخين في المجال، خاصة لما تدعمه بحوث واختبارات معلميه ومخبرية.

وما يتم الحصول عليه من مخططات ورسومات بيانية توضيحية مختلفة، تساعد في استقراء شروط دعم وتدعيم المبنى الأثري، مع اقتراح الحلول المناسبة لإعادة استخدامه والوظيفة الصحية المناسبة له.

أو في تحديد طرق وكيفيات التدعيم المناسب، وبالتالي معرفة التكلفة والزمن والمعدات الخاصة بتنفيذ ذلك.

2.3.3- التشخيص والتفسير:

هنا يتم الاعتماد على عملية التشخيص في البداية بواسطة التحليل التاريخي، فهو يحدد ويوضح الإطار العام للموقع أو المعلم المراد دراسته، ومن ثم معرفة أهم المراحل التاريخية التي غيرت أو لم تغير في نمط المباني، وهو ما سيقودنا نحو التحليل النوعي بناءً على ما سبق تحصيله من معلومات تقنية وفنية تاريخية، حتى نصل إلى التحليل الكمي، وهو معرفة مجموع المباني وخصوصياتها المختلفة، التي تساهم في وضع

إجراءات الإصلاح وإعداد الوثائق المختلفة، خاصة ما تعلق بمواد البناء⁽¹⁷⁾.

3.3.3- التشخيص والتدابير العلاجية:

ومن أهم مبادئه معرفة نوع وحجم المشكلة من خلال معالجة البيانات والمعلومات التقريبية لإقامة خطوة أكثر شمولاً من الأنشطة، بما يتناسب والمشاكل الحقيقية التي يعاني منها التراث المعماري.

فتنظيم الدراسات والمقترحات هي الخطوة الأساس، حتى أنها تشبه ذات الأسباب المستخدمة في الطب، دوافع وأسباب المرض والتشخيص، وضوابط العلاج، أي أن البحث عن المعلومات والبيانات الهامة يزيدان في معرفة أسباب التلف والضرر واختيار التدابير العلاجية المناسبة لذلك، للوصول إلى تحقيق سعر معقول من التكلفة، وضمان الحد الأدنى من التأثير على التراث المعماري، لاستخدام الأموال بطرق عقلانية.⁽¹⁸⁾

4.3.3- عقلنة التدخل التنموي العشوائي للحفاظ على

التراث الأثري:

تسبب المشاريع التنموية العديد من المشاكل، في مختلف بلدان العالم، الأوربية منها والعربية، حيث لم يكن لاستراتيجية علم الآثار الوقائي من أن تظهر من تلقاء نفسها، لولا خطورة المشاريع التنموية تجاه المجال الأثري، فقد ساهمت وبطريقة فعالة

وبشهادة الجميع، على أنها حققت مراحل جد متقدمة ساهمت في حماية عدد هائل من المجموعات والمكتشفات الأثرية، والحد من خطر المشاريع التنموية.

والجزائر حظيت هي الأخرى بتجربة استراتيجية الوقاية الأثرية في المجال الحضري، وسوف ننتظر نهاية المشروع كما هو مسطر نهاية 2015، كي نتعرف على كل خبايا هذا المشروع الذي يعد قفزة نوعية في الجزائر، التي تمتلك زخما أثريا كبيرا، ما يزال مطمورا في باطن الأرض، أو مغمورا تحت الماء.

وفي هذا الشأن نشير إلى أن خطر وضع خطوط السكة الحديدية لا يقتصر على الجزائر وحدها فحسب، بل يمس كل المناطق الحضرية التي يشهد لها التاريخ بأنها كانت مدينة أثرية، مثل سوق أهراس، وميلة، وتيمقاد.

أي لا بد من تعميم التجربة لا الاكتفاء بتجربة واحدة، ومن ثم القول أنه قد نجحنا في إيقاف زحف المشاريع التنموية على حساب التراث الأثري، بل يجب المضي قدما من أجل إيقاف أكبر عدد ممكن من المشاريع المهددة للتراث الأثري.

في مقابل ذلك ليس من المستحيل مراعات خصوصية المناطق الأثرية على المستوى الوطني، أثناء القيام بعمليات التخطيط الحضري، خاصة في الحالة التي يكون تأثير المشاريع التنموية

كبيرا جدا، وليس صعبا التحكم في إجراءات وخطوات وضع شبكات الكهرباء والغاز، والهاتف والماء.

4- دور المجتمع أهمية في المحافظة على التراث الأثري:

نجحت عديد الدول الأوروبية في حماية تراثها الأثري، واكتسبت خبرة في ذلك، وأرجعت ذلك النجاح إلى الدور الكبير والفعال للمشاركة المجتمعية في مختلف برامج وخطط حماية التراث، واستخدامه بشكل يليق به.

لذا تعد المشاركة المجتمعية مهمة جدا في تحقيق حلول ملائمة تتلائم وحاجات المستخدمين لاستدامة مشاريع الحفاظ، حيث يصبح المجتمع يقدر قيمة وأهمية التراث من خلال التعليم والتدريب، وهو أمر جد مهم على المستوى البعيد.⁽¹⁹⁾

ولهذا يعد المجتمع رأس مال نجاح أي برنامج أو أية استراتيجية في القطاع الثقافي التي تحتاج إلى مشاركة مجتمعية عامة.

اضافة إلى الأولويات التي تتطلبها العملية من جهد ووقت وموارد مالية معتبرة.

وتحقيق غاية المشاركة المجتمعية، يكون على المدى البعيد الذي يعتمد بالدرجة الأولى على البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع، شاملا بذلك اجراءات التعليم والتدريب، في مختلف المجالات المهنية والتعليمية، بغية تكوين جيل يتكون من عمال

حرفيين محليين ومنتجين للبرامج الثقافية في نفس الوقت داخل المدن التاريخية.

أما في حالة عدم استغلال المشاركة المجتمعية في برامج الصيانة والتطوير الأثري، نصل إلى انهيار منظومة واستراتيجية العمل الثقافي الأثري والاجتماعي، ما سيعود بالسلب على جميع الجوانب بما في ذلك الجانب الاقتصادي.

لذا يجب أن نراهن على النخب المثقفة والسكان الأصليين لمواقع المدن التراثية، فارتباطهم بالمكان له من الأهمية الكبيرة التي لا تعد ولا تحصى، في مجال الوقاية الأثرية.

فالمجتمع ملم بكل شؤون وخبيا التراث المبني وعلاقته بالمحيط وطريقة العيش فيهن وباقي مجالات الحياة المختلفة التي تفرضها المدن التاريخية.

ضف إلى ذلك تعد الحرف اليدوية التقليدية نشاطات اقتصادية تعود بالفائدة على الفرد والمجتمع كافة، فهي أعمال تضمن استقرار شاغليها، وتضمن عدم زوال الحرفة على مر السنين عن طريق التوريث.

وزوال الجانب الاقتصادي في مراكز المدن التاريخية يؤثر سلبا عليها، فيدفع بهجرة أصحاب الحرف، والهجرة تسهل عملية التغيير الاجتماعي بالمكان، بعد أن تسنح الظروف المختلفة

بدخول غير الملاك الأصليين للمدينة والاستقرار بها، دون علم بالأهمية التاريخية لها.

لكن الاعتماد على المشاركة المجتمعية، يجب أن تكون وفق إطار منهجي محكم تسيطر برامجه السلطات المعنية بذلك، بأبعاد مختلفة اجتماعية اقتصادية، ثقافية أثرية.

ولن يكون هناك نجاح جيد، إلا إذا تم ضمان المشاركة المجتمعية في ذلك، وهذا التفاعل المشترك بين مختلف طبقات وشرائح المجتمع هو الذي يؤدي إلى تطوير أمثل للتراث الأثري، بمختلف مجالاته.

ويمكننا استشارة المجتمع في صناعة القرارات والاجراءات المتخذة، بهدف كسب ثقة المجتمع من جهة، وضمان مشاركته الفعلية، في برامج حماية التراث من جهة ثانية.

5- التأهيل وإعادة التوظيف:

تشمل عملية إعادة تأهيل المناطق والمباني التراثية البيئة العمرانية والمناطق المحيطة بها، وهي بذلك تغطي شبكة البنية الأساسية بالمدن التاريخية وكذا شبكة المرافق العامة، كالخدمات المجتمعية الدينية والتعليمية والصحية، مع وضع أطر خاصة بإعادة تأهيل المجتمع المحلي وهو محور عملية التأهيل، فهو من يعيش بداخل المباني الذي يشاركه فيه المجتمع المدني⁽²⁰⁾

وإعادة استخدام البناء تكون بعد اتمام عمليات الحفاظ بما يتناسب مع طبيعة المبنى وحسب الحاجة، وقد يشمل إحداث تغييرات غير جوهرية في المكونات الحقيقية للمبنى بهدف الحفاظ عليه والاستفادة من إعادة استخدامه دون التغيير في هويته التاريخية. (21)

1.5- عوامل التأهيل والتوظيف:

من بين أهم العوامل التي تؤدي إلى إعادة التأهيل والتوظيف نذكر:

1.5أ- عوامل تاريخية: من أجل عدم فقدان الذاكرة التاريخية كلية، وتفادي زوال مختلف الشواهد التاريخية المبنية التي تعد شريان الحلقة التاريخية المادية، بما تحتويه من أشكال وفنون بنائية وتطبيقية للأصالة والقيمة التاريخية لمختلف مواقع التراث الأثري المبنى.

ونقوم باسترجاع المبنى وإعادته إلى أصله قدر المستطاع، بعد القيام بمختلف الاجراءات التوثيقية التاريخية لما نستطيع تحصيله من مواد خام تفيد في ذلك، دون أن نهمل مختلف المخططات والرسوم البيانية والتوضيحية لوضع تصور عن البناء القديم وعن الحالة التي يجب أن يكون عليها.

وبهذا الشكل نقبي على الشاهد التاريخي على الفترة التي التاريخية التي صمم فيها، ونذكر كل من ينظر إليه، يتذكر الأحداث التاريخية التي عرفتها تلك الحقبة.

1.5 ب- عوامل معمارية:

في حالة فقدان المباني التاريخية الشكل العام لتخطيطها وجب اتخاذ اجراءات كفيلة بإعادتها إلى حالتها الأصلية بنسبة معينة، وبالتالي المحافظة على الطابع العام للمباني المحيطة، والحد من التشوه البيئي الذي يعد نوعا من التلوث البصري، والصورة البصرية هنا تحتاج إلى ملء الفراغات المنهارة الخارجية منها والداخلية وشكل وطبيعة المبنى الأثري.

بهدف الحفاظ على مواد وتقنيات البناء التقليدية، وضمان استمرارها إلى أطول مدة زمنية ممكنة.

بما في ذلك ضمان استمرارية مختلف الفنون الزخرفية المستعملة بداخل وبخارج مختلف العمائر الأثرية.

1.5 ج-عوامل اقتصادية:

أصبحت الاحتياجات الاقتصادية في عالم اليوم أكثر من ضرورة، لذا يعد الاستثمار في مراكز المدن التاريخية، واستغلال عديد العمائر الأثرية، في جلب السياحة الأثرية التي تعد رافدا من روافد الاقتصاد المستدام.

وفي هذا الإطار تعالج كل الروابط الثقافية التي تصل بين حياة الإنسان والمجتمع.

1.5د- عوامل اجتماعية:

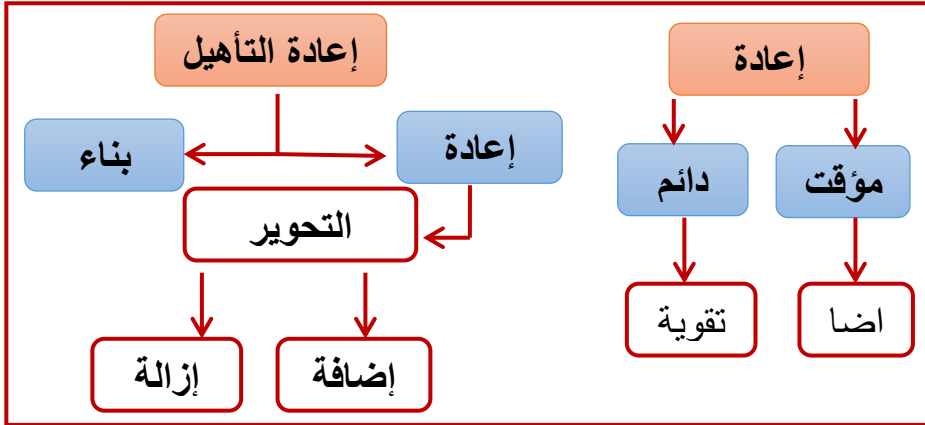
من أجل وضع روابط اجتماعية في ما بين مختلف شرائح المجتمع، وغرس ثقافة الانتماء إلى المدن التراثية، يتم الاستفادة من مختلف الأطر المستخدمة بداخل تلك المراكز التاريخية كتوزيع مختلف المرافق الاجتماعية كالمحلات ودور السكن، والحمامات والمراكز الدينية، التي تعد من بين النماذج الحقيقية التي تضبط حياة الانسان وعلاقته بالمجتمع، واستغلال تلك المخلفات الحضارية في خلق ثقافة خاصة يمكن تسويقها لدى جيل اليوم وجيل الغد، بهدف صقل الروابط الاجتماعية.

2.5- مراحل التأهيل المعماري:

للوصول إلى تأهيل منهجي تتبع الخطوات التالية:
بعد القيام بمعالجة كل الوثائق التاريخية، والمخططات لمعرفة الحالة الانشائية للمباني وعلاقتها ببعضها البعض، ومعرفة القيمة المعمارية والرمزية للبناء المراد تأهيله.

وتختلف مستويات التأهيل من مكان لآخر، فشتان بين عدة مباني ومبنى واحد، وما بين منطقة أثرية كاملة، وما بين تأهيل على المستوى الوطني والدولي.⁽²²⁾

وتختلف عوامل التأهيل بين الفيزيائية والوظيفية، كما هي محددة في المخطط الموالي:



3.5- شروط توظيف المباني:

تشابه الوظيفة المقترحة والوظيفة الأصلية بقدر الإمكان، أو وظيفة تضمن استمرار عمليات الصيانة والمحافظة الدورية وضمان عدم تعارض الوظيفة المقترحة والتكوين المعماري الفراغي للمبنى التراثي، من خلال تجنب الإضافات التي تضر بالمبنى الأثري.

ومن بين الوظائف التي تمكن من إعادة الاستخدام الجيد لها، هي تلك التي تتناسب والتكوينات المعمارية التراثية.

مثل المكتبات، والمراكز الثقافية والمعاهد التعليمية، ودور الحرف اليدوية، والفنون التشكيلية اليدوية. (23)

الهدف من إعادة التأهيل المعماري للمواقع الأثرية هو حماية هذه الأخيرة ومن ثم استمرارية الحياة بها، على أن يكون هناك تكامل بين الصيانة والمحافظة، للتحكم في عمليات التنمية المختلفة.

وتحدد متطلبات المحيط العمراني بالمواقع المدن الأثرية في تلبية الوظيفة المقترحة للمباني المراد إعادة تأهيلها ودمجها في الحياة المعاصرة، التي تضمن بدورها نجاح عملية التوظيف. (24)

ونعتبر إعادة استخدام المبنى التراثي من أنسب الأساليب اقتصادياً، حيث أنه غير مكلف كبناء مبنى جديد، كما أنه يضمن إيجاد قاعدة اقتصادية يعتمد عليها للإبقاء على المبنى، ويجب أن يحقق الاستخدام الجديد للمبنى عدم التعارض مع القيم التاريخية والتراثية والفنية للمبنى محققاً كل من الملائمة للطابع البصري للمبنى، والملائمة الفراغية والملائمة الوظيفية والملائمة الإنشائية (25)

خاتمة:

تمتلك الجزائر من الخبرات والقدرات المالية المعتبرة، التي تمكنها من تحقيق أهداف استراتيجية على المدى البعيد، شريطة أن تتم

وفق دعائم مدروسة ومقننة، تزيد من نشر الوعي الثقافي الأثري لدى المجتمع، ولدى مختلف القطاعات للالتفات أكثر نحو هذا المجال الخصب الذي يفيد هو الآخر في تحريك عجلة التنمية الاقتصادية.

فكل دول العالم صادقت على مختلف المواثيق الدولية الرامية إلى ضرورة وضع التراث الأثري في مقدمة مختلف المجالات الاقتصادية والثقافية، فقط لأنه مجال حساس جدا، وهو مجال بديل لتحقيق مداخل معتبرة، حيث جعلت منه بعض الدول استراتيجية أساسية تعمل على تحريك مختلف هياكل التنمية.

كلاستثمار المتحفني والسياحي والثقافي، القوة التي تجلب المداخل، وتحقق تنمية مستدامة في مجالات أخرى، كالجانب الاجتماعي مثلا على سبيل الحصر لا التخصيص.

وقد أصبح لزاما على الجزائر بأن تقوم ببذل جهود أكبر تجاه هذا التراث المبني، لأنها تمتلك ثروة أثرية لا تقدر بثمن، وقد وجب استغلالها والاستثمار فيها، شريطة توفير أفضل الطرق المناسبة لتحقيق الحفظ والتسيير الملائمين لذلك.

آليات ذات أبعاد اقتصادية وثقافية أثرية، تحد من خطر المشاريع الاقتصادية من جهة، وتضمن أمن وسلامة تراث الحضارات السابقة.

ثبت المصادر والمراجع

- 1 - محمد بن هاوي با وزير، إشكالية الحفاظ على التراث العمراني والمعماري التقليدي في اليمن وعلاقة المعماريين والأثريين والمؤرخين بعملية الحفاظ، كلية التربية، المؤتمر الهندسي الثاني، جامعة عدن، اليمن، 30-31 مارس 2009، ص 117.
- 2 - محمد قبسي، علم التوثيق والتقنية الحديثة، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1991، ص 31-34.
- 3 - عمرو عدلي عبد الله، إدارة المتاحف: دليل علمي للمجلس الدولي للمتاحف، اليونيسكو، فرنسا، 2007، ص 31-33.
- 4 -- محمد بن هاوي با وزير، المرجع السابق، ص 117.
- 5 - عمرو عدلي عبد الله، المرجع السابق، ص 43.
- 6 - Principes Pour L'établissement D'archives Documentaire Des Monuments Des Ensembles Architecturaux Et Des Site, Ratifie Par La 11^{em} Assemble Générale De L'iccomos A Sofia, Octobre, 1969.
- 7 - جيهان أحمد عمران وناهد أحمد عمران، دور الوثائق العربية في إحياء التراث العمراني، دراسات من التراث العمراني، أبحاث وتراث عدد 3، ملتقى التراث العمراني الوطني الثالث من 8-12/12/2013، المدينة المنورة، الهيئة العامة للسياحة والآثار، ص 61.

8 - المرجع نفسه، ص 61.

9 - Manuel D'entretien Des Bâtiments Du Patrimoine, Direction Des Ressources Historiques, Section Des Bâtiments Du Patrimoine, Canada, Sans Date, P15.

10 - Convention for the protection of the architectural heritage of europe, granada, 1985.

11 - Manuel D'entretien Des Bâtiments Du Patrimoine, Direction Des Ressources Historiques, Op.Cit, p15.

12 - Icomos Charter- Principles For The Analysis, Conservation And Structural Restoration Architectural Heritage, 2003 , Ratified By The Icomos 14th General Assembly, In Vicoria Falls, Zimbabwe, October 2003.

13 - صالح لمعي مصطفى، أسس ترميم المعالم الأثرية طبقا للمواثيق الدولية، عدد 1، مجلة شدروان، آذار، 01، ص 03.

14 - Lourenc,(P.B), Recommendations For Restoration Of Ancient Buildings And The Survival Of A Masonry Chimney, Construction And Building Materials 20 (2006) 239-251, University Of Minho, School Of Engineering, Department Of Civil Engineering, Guimaràes, Portugal, 2006, p239.

15 - Icomos Charter- Principles For The Analysis, Conservation And Structural Restoration Of Architectural Heritage, Op.Cit.

16 - Lourenc,(P.B), Op.cit, P 243.

Lourenc,(P.B), Op.cit, P 241.

- Icomos Charter- Principles For The Analysis, - 18

Conservation And Structural Restoration Of Architectural Heritage, Op.Cit.

19 - أيمن عزمي جبران سعادة، آليات تفعيل المشاركة الشعبية في مشاريع الحفاظ المعماري والعمراني (حالة دراسية الضفة الغربية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2009م، ص 81.

20 - محمد عماد نور الدين وهشام بن علي مرتضى، أهمية توثيق معالم التراث المعماري في جزر فرسان وآلية الحفاظ عليه، مجلة أبحاث وتراث، ص 25.

21 - محمد محمود عبدالله يوسف، برامج الاستثمار في التراث العمراني ووسائل التمويل بالاستناد لتجارب عربية ودولية، النشرة العلمية لبحوث العمران، كلية التخطيط الإقليمي والعمراني - جامعة القاهرة، العدد الثاني عشر، ابريل 2014م، ص 03.

22 - محمد فوزي علام عتمة، إعادة تأهيل المباني التاريخية في فلسطين - حالة دراسية تجربة مدينة نابلس منذ عام 1994، أطروحة نيل شهادة الماجستير في هندسة العمارة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2007، ص 22-25.

23 - محمد عماد نور الدين وهشام بن علي مرتضى، أهمية توثيق معالم التراث المعماري في جزر فرسان وآلية الحفاظ عليه، مجلة أبحاث وتراث، ص 26-27.

24 - محمد عماد نور الدين وهشام بن علي مرتضى، المرجع السابق، ص 43.

25 - محمد محمود عبدالله يوسف، المرجع السابق، ص 3.

التأصيل التاريخي للإذاعة الجزائرية

- مرحلة الدولة الجزائرية المعاصرة -

الباحث. نبيل ربيع - مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر: تاريخها،

مصادرها، أعلامها. جامعة باتنة-1-

ملخص

تعالج هذه المقالة العلمية موضوع التأصيل التاريخي للإذاعة الجزائرية، وبالتحديد فترة الدولة الجزائرية المعاصرة.

حيث تكمن أهمية التجربة الجزائرية في ميدان الإعلام المحلي من خلال الإذاعات المنتشرة في ربوع الوطن، والتي ابرزت دزرها في تقوية الاتصال بين مختلف الفواعل المحلية من خلال المساهمة في المحافظة على التماسك الوطني.

Abstract:

This article addresses the subject of scientific historical rooting Algerian radio, and specifically the contemporary Algerian state.

Where lies the importance of the Algerian experience in the field of local media through radio stations scattered throughout the country, which highlighted Dzarha to strengthen the

communication between various local actors function by contributing to the preservation of national cohesion.

تمهيد:

يبرز دور الإذاعة كوسيلة إعلامية جماهيرية في خدمة المجتمعات المحلية، خاصة من خلال تناولها للقضايا الاجتماعية وتتعدى حتى القضايا الاقتصادية. مما لهما من أبعاد وأهداف، ولعل من أهم مهام الأساسية التي تقوم بها الإذاعة هي القضاء على الأمية والجهل المتفشين في المجتمع.

فنشر التعليم والثقافة وتفعيل المشاركة في التنمية التي تعتبر من أهم العوامل والدوافع الأساسية لإنشاء الإذاعات المحلية، حيث أن العديد من المناطق لا تستطيع أن تحقق التنمية دون أن تولي اهتماما بأفرادها في مجتمعاتهم المحلية.

وبعد وهلة من الزمن أدركت دول عديدة أن أفضل أساليب الإعلام لتحقيق مشاركة فعالة من جانب الجماهير في بيئاتهم المحلية فسارعت في إنشاء وتشديد وسائل الإعلام المحلية كالصحف والإذاعات والمجلات وغيرها.

فالإذاعة من أهم وسائل الاتصال الجماهيري في الوقت الراهن، وهي ما يث عن طريق الموجات كهر مغناطيسية، مجتازة بذلك حواجز الجهل والأمية والمناطق النائية، وربط متابعيها ومستمعيها برباط مستمر ومباشر وسريع دون عوائق.

لذلك نجده قد احتلت الصدارة في الاتصال السمعي مقارنة مع باقي وسائل الاتصال الأخرى.

المبحث الأول: ماهية الإذاعة.

لقد عايش العالم في العقد الأخير من القرن الماضي وبداية القرن الحادي والعشرين حالة الابتكار في وسائل الاتصال وتقنيات السمعي البصري، ارتكزت على التقدم الكبير في وسائل الإعلام الآلي والأقمار الصناعية، وتماشيا باستخدام الضغط الرقمي في زيادة من شدة التردد، واختزال المسافات وتقريب العالم بمفهوم الكونية.

المطلب الأول: تعريف الإذاعة وتطورها التاريخي.

الإذاعة هي وعاء لنشر الأفكار العامة تسعى جاهدة للكشف عن المشكلات الاجتماعية بغية إيجاد الحلول الممكنة لها، والمساهمة من خلال البرامج في توعية شرائح ومكونات المجتمع ولفت انتباههم نحو المعاناة التي يعيشها البعض منهم.

1_ في اللغة:

تطلق في اللغة على الدار التي تنشر الأخبار بواسطة الجهاز اللاسلكي، وأذاع يذيع الخبر أي نشره. إذاعة الشر أي إفشائه¹ جاء معناها في معاجم اللغة بمعنى: (من ذاع، ذيعا، ذيوعا أي ظهر وانتشر، أو هي

انتشار الخبر عبر اللاسلكي كما ترمز كلمة "أذاع" إلى الإشاعة ويوصف الرجل الذي لا يكتفم السر بأنه مذياع).²

2_ في الاصطلاح:

لها عدة تعارف من بينها: (إرسال واستقبال الكلمات والإشارات الصوتية على الهواء لا سلكياً)³

ويعرفها عبد الحافظ سلامة بأنها: (الانتشار المنظم المقصود بواسطة المذياع لمواد إخبارية، يؤكد على أن المادة المذاعة تكون من نفس مجتمع الإذاعة بمختلف النظم الاجتماعية والثقافية والدينية والنشرات الإخبارية الخاصة بذل المجتمع بحيث يكون هناك تأثير وتأثر بين أفراد المجتمع والبرامج المذاعة، والتي تبث في آن واحد وتلتقط من طرف المستمعين).⁴

3_ التطور التاريخي للإذاعة.

في العالم:

يعود أصل كلمة راديو إلى الكلمة اللاتينية راديو، والتي تعني نصف قطر، حيث تنطبق على الإرسال الإذاعي عبر الأثير ببث الموجات الصوتية على هيئة دوائر لها مركز إرسال-اللاسلكي.⁵

بدأت التجارب والبحوث في مجال نقل الصوت عبر الأثير منذ بداية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين، وتزامن ذلك بتطور العلوم كالفيزياء

والرياضيات والفلك، حتى استطاع العالم الإيطالي جوجليمو ماركوني من اكتشاف الإذاعة الصوتية، وذلك بإرسال إشارات كهرومغناطيسية من خلال الهواء وكان ذلك سنة 1896.⁶

تواصلت الاختراعات والاكتشافات لمدة طويلة وفي أقطاب مختلفة من العالم، لذلك لا يمكن إسناد الاختراع إلى عالم واحد بل شارك فيه العديد من الباحثين. لأن الحضارة هي التي تصنع منتجاتها كما يقول مالك بن نبي.

ومن أهم العلماء الذين كانت لهم اليد الطولي في تطوير الموجات الصوتية، منهم العالم الإنجليزي ولير ستروجونالذي اكتشف الموجات الصوتية. والعالم البريطاني هنري جاكسونالذي نبغ في المجال اللاسلكي، والروسي الكسندر بوبوف، وإديسونفلمنجودي فورست، كل هؤلاء كانت لهم مساهمات بتجارب وأبحاث ساعدت على تطوير الموجات الصوتية.⁷

ثم جاء الفيزيائي كلارك ماكسويل جيمس الذي توصل عام 1865 إلى إثبات وجود الكهرومغناطيسية، وأن هذه الموجات يمكن أن تنقل من خلال الهواء بسرعة الضوء⁸

وبعد ذلك جاء العالم الألماني هنريكهترز اعتماد على أبحاث ماكسويل السابقة عن الراديو، حيث استطاع قياس طول الموجات الكهرومغناطيسية وسرعتها التي تضاهي سرعة الضوء.

إلا أن بوادر ظهور الإذاعة كانت على يد الإيطالي ماركوني من ابتكار جهاز اللاسلكي، حيث استطاع أن يرسل تقارير صحفية سريعة برموز مورس من خلال التلغراف، وكان ذلك إيذانا بخطوة ثورية جديدة في مجال العمل الصحفي⁹

ظهر الاتصال اللاسلكي وتنوعت أشكاله واستعمالاته عسكريا في الحرب العالمية الأولى، وتجاريا بين البواخر. ثم استمرت التجارب في بث برامج إذاعية في أمريكا وغيرها من الدول إلى أن ظهرت أول المحطات الإذاعية مع نهاية سنة 1920. في الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تبث برامج منتظمة تدوم في اليوم وتبعتها محطات أخرى في أوروبا والعالم.¹⁰

كما شهدت الإذاعة منذ ظهورها محطتين كبيرتين هما الترانزستور وموجة أف أم.

قام العالم سيرجون فليمنج بإجراء تجارب على استخدام اللاسلكي لنقل الصوت البشري، مبتكرا الصمام الثنائي سنة 1904.¹¹

كما استطاع العالم الأمريكي لي دي فورست من اختراع الصمام الثلاثي الذي ساعد على تقوية الإشارات اللاسلكية.

أما الثورة الحقيقية، فكانت في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات، تمهيدا لجيل جديد ألا وهو عصر الإذاعة المسموعة والمقروءة في آن واحد.

في الوطن العربي:

يعود تاريخ الإذاعة في الوطن العربي إلى سنة 1925، حيث جلب المحتل الإذاعة إلى البلاد العربية لخدمة أغراضه والاستفادة منها، وتعتبر الجزائر ومصر أولى الأقطار العربية التي عرفت الإذاعة في منتصف العشرينيات عن طريق المبادرات الفردية.¹²

واقتصرت الإذاعة العربية على موجتين على الأكثر. كما شهد البث الإذاعي العربي تطوراً كبيراً وذلك لتعدد الإذاعات العربية وعدم الاقتصار على الإذاعة المركزية في العواصم، بل زاد من انتشار للإذاعات الجهوية والمحلية والمتخصصة وباللغات الأجنبية، وتخضع الإذاعة في الوطن العربي لإشراف الحكومات، تشغيلاً وإدارة، وتتنوع برامجها بين الأخبار والقرآن والترفيه والرياضة والتثقيف والتعليم والسياسة والاقتصاد والاجتماع.

وقد مرت الإذاعة في الوطن العربي بثلاث مراحل أساسية هي:

-مرحلة الاستعمار: حيث دخلت الإذاعة معظم دول المنطقة العربية عن طريق قوات الاحتلال الفرنسي والاطالي، كما في حالات لبنان وليبيا والجزائر.¹³

وتنقسم الإذاعة في فترة الاحتلال الأجنبي للبلدان العربية إلى مرحلتين:

الأولى/إذاعة المستعمر: ويستعملها العدو لتكريس الفكر الاستعماري وخدمة الأقليات الأوروبية المتواجدة وذلك بلغة المحتل.

الثانية/ إذاعة العرب: وكانت بمثابة النقيض والضد للسياسة المحتل المنتهكة، وتستعمل في المطالبة بالحقوق وتوعية الشعب العربي وتثقيفه والحث على الجهاد وصد العدو.

-مرحلة ما بعد الاستقلال: واستخدمت الإذاعة في هذه الفترة للتنمية وفرض النظام والدعاية السياسية، لكونها ملكا للدولة.

-مرحلة العولمة: وذلك راجع لتطور الكبير في مجال تكنولوجيات الإعلام والاتصال التي فرضت على جميع الدول مجاراتها والاستفادة منها أو البقاء في ظل التبعية.

أما أهم العوامل التي ساعدت على تطوير الإذاعة في العالم العربي نجملها في النقاط التالية:

-مواكبة التطور الكبير في مجال الإعلام والاتصال والاستفادة منه.

-اهتمامات الإذاعة بالقضايا الاجتماعية مما يولد استقطاب أفراد المجتمع.

-ظهور الموجات (أف أم) مما يسهل من إمكانية القنوات المحلية عن طريقها.

-الاهتمام بمجال الاستثمار الاقتصادي في الإعلام.

-تطور السوق الإعلامية تماشيا مع الانفتاح على عصر العولمة.

في الجزائر:

شهدت الإذاعة الجزائرية عدة تطورات وتحولات أبرزها:

-الإذاعة الفرنسية في الجزائر: حيث يعود تاريخ إنشاء أول محطة إذاعية بالجزائر إلى العشرينات من القرن الماضي، من طرف الاحتلال الفرنسي، حيث كانت خاضعة لسيطرته، وبالتالي وظفها في تكريس الفكر الاستعماري وخدمة الأقلية الفرنسية والأوروبية المتواجدة في الجزائر. وكانت أول الإذاعة بالجزائر متواجدة بالعاصمة سنة 1925، عندما قام أحد الفرنسيين بإنشاء محطة إرسال على الموجة المتوسطة لم تتعد قوتها 100 واط.¹⁴

وجاء ذلك لتلبية حاجيات الأقلية الأوروبية المتواجدة بالجزائر، ذلك بث برامج فرنسية.

وفي سنة 1942 أقيمت بقسنطينة محطة قوتها 600 كيلو واط تذيع باللغة الفرنسية، ومحطة أخرى قوتها 250 كيلو واط تذيع باللغة العربية، وتوالت إنشاء محطات أخرى في العاصمة ووهران.¹⁵

-الإذاعة الجزائرية: حيث يعود تاريخها إلى سنة 1956، ومرت بمراحل تاريخية نوجزها في النقاط التالية:

*المرحلة الأولى: انطلقت مع تأسيس صوت الجزائر الذي كان في 16 ديسمبر 1956، حيث تم انطلاق الإذاعة الوطنية السرية في حزن ثورة التحرير بداية بجهاز إرسال متنقل بواسطة شاحنة عبر المنطقة الجبلية الحدودية

بين الجزائر والمغرب، وكان لها أهداف منها: الدعوة للكفاح والجهاد وبعث الحماسة وتدويل القضية الجزائرية على الصعيد الخارجي.¹⁶

*المرحلة الثانية: مرحلة الاسترجاع السيادة الوطنية في 28 أكتوبر 1962، حيث احتلت القوات الجزائرية مباني الإذاعة والتلفزيون، وأمام هذا الإجراء قدم العمال الفرنسيون استقالتهم.¹⁷

وبذلت الحكومة الجزائرية سنة 1966 جهودا كبيرة قصد تطوير الإذاعة والتلفزيون، فخصصت غطاء مالي مخصص لوسائل الإعلام والاتصال.

وأنشأت محطة أخرى للاتصال بالخارج بواسطة الأقمار الصناعية، وبلغت أجهزة الراديو في متناول مجتمع ال جزائري 1300000 جهازا سنة 1968، ليزداد العدد ليصبح خمسة ملايين جهاز في سنة 1984. مما يعني أن الجزائر كانت من الدول الرائدة في ميدان الإعلام.¹⁸

*المرحلة الثالثة: كانت الإذاعة قبل 1986 مجرد جناح تابع للتلفزيون فيما كان، كان يعرف بمؤسسة الإذاعة والتلفزيون الجزائرية لتتطور بعد ذلك بمقتضى المرسوم رقم 150/86 حيث تم وضع اللبنة الأولى للمؤسسة الوطنية للإذاعة الصوتية ، لتشريع بعد ذلك في مهامها.¹⁹

وهناك أربع مؤسسات مستقلة هي:

-المؤسسة الوطنية للإذاعة المسموعة، وهي مؤسسة عمومية ذات طابع صناعي وتجاري خاضعة لوصاية وزارة الاتصال تتمتع بالاستقلال المالي والتسيير والشخصية المعنوية. ومع إنشائها حولت لها جزء من الهياكل والوسائل والأموال والأعمال والمستخدمين التي كانت تحوزهم الإذاعة والتلفزة الجزائرية.²⁰

ENTV-المؤسسة الوطنية للتلفزيون

ENPA-المؤسسة الوطنية للإنتاج السمعي البصري

TDA المؤسسة الوطنية للبث الإذاعي -

* المرحلة الرابعة: وهي مرحلة المؤسسة العمومية للبث الإذاعي المسموع، الذي جاء بمقتضى المرسوم التنفيذي 91-108 الصادر في 20 أبريل 1991 والذي تحولت بموجبه تسمية الإذاعة من المؤسسة الوطنية للبث الإذاعي المسموع إلى المؤسسة العمومية للبث الإذاعي المسموع. وبموجب ذلك تحولت إلى مؤسسة ذات طابع صناعي وتجاري.²¹

ليصبح بذلك عدد ال إذاعات 52 منها ثلاث قنوات وطنية، وقناة دولية، قناتان متخصصتان للقرآن الكريم والثقافية، و45 محطة محلية، بدأت في عام 1991 بإذاعة الساورة من بشار. أما بالنسبة لحجم البث الساعي السنوي فقد فاق 242360 ساعة.²²

-القنوات الوطنية وعددها ثلاثة هي:

*القناة الأولى: هي قناة ناطقة باللغة العربية برامجها متعددة ومختلفة، تبث على مدار الساعة (24/24 سا) يوميا تغطي كل ربوع الوطن، المغرب العربي، حوض البحر المتوسط وجنوب أوروبا.

*القناة الثانية: وهي قناة ناطقة باللغة الأمازيغية تبث برامجها (24/24 سا)، يوميا وتغطي برامجها شمال البلاد.

*القناة الثالثة: وهي قناة ناطقة باللغة الفرنسية، تبث برامجها (24/24 سا) يوميا، تغطي شمال البلاد حوض البحر المتوسط،

*القناة الدولية: وهي قناة ناطقة باللغات (العربية-الفرنسية-الإنجليزية-الإسبانية) برامجها موجهة نحو الخارج، حجم البث الساعي يوميا 24/12 سا.²³

*القناتان المتخصصةتان: وهما

-إذاعة القرآن الكريم: وهي إذاعة دينية تبث برامجها على مدار 6 ساعات يوميا ويصل أقصى بث برامجها إلى مناطق تبعد حوالي 200 كلم عن العاصمة.

-الإذاعة الثقافية: وهي محطة إذاعية تهتم تنمية ثقافة مستمعيها، تبث برامجها على مدار 6 ساعات يوميا.

*المحطات المحلية: وهي محطات إذاعية منتشرة في كامل أرجاء الوطن، وهي عبارة عن جهاز إعلامي يخدم مجتمعا محليا وعددها في ال جزائر 45 إذاعة.²⁴

وبذلك تعد الجزائر من بين الدول التي تواكب التطور السريع في مجال الإعلام والاتصال مما تسعى جاهدة لتطوير أفراد مجتمعها خاصة فيما يخص الأمية والجهل المتفشين فيها.

المطلب الثاني: أنواع الإذاعات وخصائصها.

يمكن تقسيم الإذاعة إلى عدة أنواع منها²⁵:

إذاعات حكومية: وتقع تحت سيطرة الحكومة المباشرة، بحيث تمولها الدولة من خزينتها وتشرف على مضمون برامجها وتحدد الدولة الاهداف التي يجب أن تعمل الإذاعة على تحقيقها.

إذاعات إخبارية: وهي التي تمتلكها مؤسسات تجارية أو أفراد أو شركات، وهدفها مادي بحت وهو ترويج والإشهار والإعلانات التجارية، ويلاحظ عليها طغيان الترفيه على برامجها.

إذاعات دينية: وهي إذاعات تمول من قبل مؤسسات دينية وتقوم ببث برامج وحلقات الفقه والسيرة والتفسير والقرآن وشرح مبادئ الدينية.

وتصنف الإذاعات على الجمهور المستمع لها على المنوال التالي²⁶:

*إذاعات محلية: وهي التي تكون موجهة إلى الجمهور محدد في منطقة جغرافية معينة.

*إذاعات وطنية: وهي التي يكون إرسالها يغطي كامل التراب الدولة وتوجه برامجها إلى كل الشعب من سكان هذه الدولة.

*إذاعات إقليمية: وهي التي تغطي بإرسالها مدينة ودائرة محددة تشمل إقليم داخل دولة.

*إذاعات موجهة: وهي تلك التي تكون برامجها موجهة إلى خارج حدود الدولة، مثل الإذاعة البريطانية.

*الإذاعة الخارجية: وتخص المناسبات والأحداث الهامة الذي يذاع خارج الاستديو.

خصائص الإذاعة:

لكل وسيلة من وسائل الاتصال مقدرة على الإقناع والتأثير في السلوك، تتنوع بتنوع الوسائل وكذا نوع الجمهور الموجه إليه، والإذاعة وسيلة قوية تستطيع الولوج إلى أسماع الأفراد والمتتبعين لها نظرا للخصائص التالية:

-البث الإذاعي يجتاز الحدود والعوائق الطبيعية، مما يساعد على انتشار أوسع للرسالة الإذاعية.

-تميز الإذاعة باستعمالها لمختلف طرق التأثير كالمؤثرات الصوتية واللحن الموسيقي، مما يعطي للمستمع شعورا بالمشاركة، ويكون تأثيرها أقرب إلى التأثير الشخصي الذي يقترب من الاتصال وجها لوجه.²⁷

-الرسالة المذاعة تكون أكثر فعالية من الرسالة التي تنقل بالاتصالالذاتي، كما أنه يسهل التذكر خاصة عند الفئات الأقل تعلمًا.²⁸

-الانتشار السريع والتدفق العالي للبت الإذاعي، خاصة مع التطور الكبير في وسائل الإعلام والاتصال.

- التأثير التآثيرالوجداني في المستمعين من خلال الكلمة المسموعة والإقناع النفسي.²⁹

-خلق جو من التفاعل والتلاؤم والوعي بين أفراد المستمعين من خلال البرامج المتنوعة.

- الفورية في عرض الأحداث والأخبار الهامة.

-تنمية مخيلة الإنسان وتصوراته الذاتية.

-انتهاج أسلوب التبسيط والتصوير والواقعية الحية.

-مخاطبة كافة شرائح وفئات المجتمع مثل كبار السن والأطفال والأقل تعليماً وفهماً.

المطلب الثالث: وظائف الإذاعة.

تقوم الإذاعة بأدوار عديدة وفعالة في المجتمع، مثل خفض من حدة التوترات الناجمة عن روتين العمل اليومي، والشعور بالعزلة. ويمكن إيراد أهم الوظائف التي تؤديها الإذاعة على سبيل الذكر لا الحصر منها:

-الوظيفة التربوية التعليمية: حيث تشجع الإذاعة على التعليم واكتساب المعارف والعلوم والحصول على الخبرات. وذلك بغية تثقيف الجماهير وتلبية احتياجاتهم الفكرية والنفسية والارتقاء بمستواهم الثقافي والحضاري. ولأن الإذاعة تجمع بين الترفيه والتثقيف، ونقل الأفكار المعلومات التي تحفظ ثقافة المجتمع. كما تنشر المعلومات الدينية والفنية بهدف الحفاظ على التراث والتطور الثقافي.

فالإذاعة جزء مهم في الإعلام، الذي أصبح قطاعاً أساسياً في التربية.³⁰

-الوظيفة الاقتصادية: حيث تهتم الإذاعة بالإعلانات وفقرات الإشهارية وعمليات الترويج للسلع والمنتجات الاقتصادية، مما يساهم ذلك من رفع مدخولاتها وخلق التنافس بين المؤسسات والشركات، والمساهمة في تنمية الثقافة التنموية من خلال الحصص الإرشادية خاصة في مجال الزراعة ناهيك عن متابعة تطورات السوق والتجارة والاقتصاد على المستوى الوطني أو الدولي.

-الوظيفة السياسية: وتتجلى في التنشئة السياسية لمجتمعاتها بهدف غرس قيم سياسية، وكذا ترسيخ التماسك السياسي والوحدة الوطنية داخل التراب الوطني.

تستخدم الأنظمة الحاكمة الإذاعة لتعبر عن آراءها وأيديولوجيتها وتلبي حاجاتها ورغباتها، كما أنها الوسيط بين الحكومة والشعب أو هي الصوت الذي يصدر من الحكومة إلى شعبها أو لغيره. وتستخدمها الدولة لصالحها وتعبير عن مواقفها السياسية من الأحداث الداخلية أو الخارجية.

-الوظيفة الاجتماعية: وهي وظيفة ليست اقل شأنًا عن سابقاتها من الوظائف، حيث تلعب دورا هاما داخل المجتمع كترسيخ قيم المجتمع وثقافته إلى جانب العقيدة والحضارة، وربط ماضيه بحاضره، بتفكيره بتقاليده وعاداته وتراثه، وسعيا للارتقاء بفكره وسلوكه، إلى جانب دراسة مشاكل المجتمع ومحاولة علاجها وإيجاد الحلول لها.

كما أن الإذاعة اليوم أقوى جهاز تملكه البشرية لنشر المعرفة والفن وتوجيه السلوك الاجتماعي للشعوب، بتحديد المعايير وتقديم القدوة والنماذج الجيدة وتقليص الفجوة بين المعايير النابعة من قيم المجتمع وتراثه الأخلاقي، وبين التصرفات والسلوكيات التي تنبع من تصرفات المجتمع في الحياة اليومية.

-الوظيفة الترفيهية: وذلك ببث البرامج الخاصة بالتسلية والترفيه الترويحي والتنفيس عن الجمهور المستمع لها لتمضية أوقات فراغهم، بمختلف أعمارهم. وكما هو معلوم أن الإنسان يحب التنوع في مسيرة حياته اليومية وهو بحاجة ماسة إلى الترويحي عن نفسه انسيان المنغصات العادية أو الطارئة.

المطلب الرابع: أهداف الإذاعة

للإذاعة أهداف جمة يمكن إنجازها في العناصر التالية:

-أهداف سياسية: كإظهار صور إيجابية للدولة ومنجزاتها، وإبراز موقفها السياسي إزاء القضايا المختلفة كمسألة الصحراء الغربية وقضية فلسطين وغيرها.

-أهداف تجارية: وذلك سعياً لتحسين مكاسب مادية من خلال الوصول إلى أكبر عدد من المستمعين، واستقطاب شركات الإعلانات والذي يكون الأخير مصدراً لها.

-أهداف دينية: مثل نشر الديانات والعقائد القصد منها نشر الدين من موطن إلى آخر، مثل إذاعة الفاتيكان وصوت الإنجيل والقرآن الكريم.

-أهداف ثقافية: مثل الدفاع عن اللغة الوطنية وترقيتها، والتعبير عن الثقافة المحلية، والمساهمة في تنمية إنتاج الأعمال الفكرية وبثها. ورفع مستوى الذوق الفني عند أفراد المجتمع.

-أهداف اجتماعية: كتشجيع التواصل الاجتماعي في السياق التعددي، وتنمية المجتمع، وإنماء المعارف وتطويرها لدى المواطنين إلى جانب الترويج عن نفوس أفراد المجتمع وتسليتهم وإيصال الأخبار المحلية والعالمية وتنوير الرأي العام، وإطلاع المجتمع على ما حققته الحضارة الإنسانية من إبداعات واكتشافات ومعارف.

المبحث الثاني: مفهوم الإذاعة المحلية.

الإذاعة المحلية هي تلك التي تخدم مجتمع محدود ومتناسق من الناحية الجغرافية والاجتماعية في آن واحد، ويحمل خصائص للبيئة الاقتصادية والثقافية المتميزة ويتم تحديد حدوده الجغرافية ببلوغ حد الإرسال المحلي فباعتبار الإذاعة المحلية أنها وسيلة اتصال جماهيري ترتبط أساسا بمجتمع خاص محدد المعالم. ويمكننا اعتبار أن الإذاعة المحلية هي التي تخاطب مستقبلا معين له مصلحة له عادات وتقاليد وإرث فكري خاص.³¹

المطلب الأول: تعريف الإذاعة المحلية.

الإذاعة المحلية هي الإذاعة التي تخدم مجتمعا محدودا ومتناسق من الناحيتين الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية أي مجتمعا له خصائص الشبه الاقتصادية والثقافية المتميزة، على أن تحده حدود جغرافية حتى تشمله رقعة الإرسال المحلي. لأن الإذاعة المحلية وسيلة اتصال جماهيري مرتبطة أساسا بمجتمع خاص محدد المعالم أو الظروف، وقد يكون هذا المجتمع مدينة أو مجموعة قرى أو مدن صغيرة متقاربة تجمعها وحدة اقتصادية وثقافة متميزة، حيث تكون هذه الإذاعة في مجالهم الطبيعي لتعبر عن مصالحهم وتعكس فهمهم وتراثهم وأذواقهم وأفكارهم بل وحتى لهجتهم المحلية.³²

وبذلك تصبح الإذاعة المحلية هي الإذاعة التي تخاطب مجتمعا محددًا له مصالحه وارتباطاته الاجتماعية المعروفة، وله تقاليده وعاداته وتراثه الفكري الخاص، إضافة إلى إحساس المستمع بالانتماء لهذه الإذاعة التي تقدم له الأخبار التي تمهه،

وتقدم الأسماء والشخصيات المعروفة لديه والقرية منه، كما تقدم له أيضا ألوان الفنون التي يرتاح لها أكثر من غيرها، وتناقش المشكلات التي تمس حياته اليومية، وتوفر له المشاركة المباشرة وغير المباشرة من خلال برامجها.³³

وتعد الإذاعة المحلية أحد روافد الإعلام المحلي الذي ينبثق من بيئة معينة ومحددة ويوجه إلى جماعة بعينها تربط بعضها ببعض هذه البيئة، بحيث يصبح الإعلام مرتبط ارتباطا وثيقا بحاجة هؤلاء الناس ومتصلا بثقافة البيئة المحلية وظروفها الواقعية، مما يجعله انعكاسا لتراث الثقافي والقيمي في هذه البيئة، ويعتمد اعتمادا كلياً على كل ما فيها من أفكار بحيث تكون هناك الأفكار السائدة بين الجمهور المستهدف، وتصبح القيم الثقافية والاجتماعية والسياسية والعادات والتقاليد هي التي تكون في النهاية أسلوب شكل ومضمون الإعلام المحلي.³⁴

كما أن الإذاعات المحلية تضطلع بدور الاقتراب من المواطن وإشباع دوافعه المتعددة، والتي من بينها العيش في بيئة نظيفة وصحية. إلى جانب ضمان فعالية مواردها لأبنائه والأجيال القادمة.³⁵

ومن هذا المنوال يتضح أن الإذاعة المحلية تتميز بسمات تنفرد عن باقي الأنماط والوسائل الاتصال الأخرى على النحو التالي:

-الجمهور المستهدف للإذاعة المحلية هو جمهور محلي محدود بالعدد والرقعة الجغرافية

-محتوى البرامج المقدمة من قبل الإذاعة المحلية مستمد من المجتمع المحلي، حيث تعكس البرامج المختلفة عادات السكان وتقاليدهم وتراثهم واهتماماتهم.³⁶

-متابعة تحركات المجتمع والانتهاكات والمخالفات التي تمارس من طرف الأفراد والجماعات والمؤسسات.

-انتهاجها للغة الجمهور المستهدف ولهجة سكان المنطقة.

المطلب الثاني: أسباب انتشار الإذاعة المحلية.

لقد أدى ظهور نمط الإذاعة المحلية تزامنا مع اختراع الراديو وانتشاره، وذلك إثر التقدم الصناعي في مجال الإلكترونيات الذي سهل الجميع من اقتناء الراديو(المذياع)، وتطور برامج المحطات الإذاعية وخاصة الموسيقية والإخبارية والرياضية، نجد أن السبب الأول وراء انتشار الإذاعات المحلية في الدول الرأسمالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية هو اقتصادي بالدرجة الأولى، أما بالنسبة للجزائر فإن الأسباب تختلف تماما، حيث نجد أن هناك عدة أسباب أدت إلى انتشار الإذاعات المحلية من أهمها:³⁷

عامل اللغة: يعد تعدد اللغات واللهجات داخل الدولة الواحدة قد يشكل عائقا أمام الإذاعة في بعض الأحيان، مما تستدعي الحاجة إلى إذاعات محلية لمخاطبة التركيبات السكانية المختلفة بلغتهم مثل مجتمع السويسري يتكلم ثلاث لغات: الألمانية والفرنسية والإيطالية.

العامل الجغرافي: فالرقعة الجغرافية لتعدد سكاني لدولة ما له تأثير كبير على نظامها الإذاعي، لأن الإذاعة المركزية لا تستطيع أن تغطي كل أقطار الدولة، كما لا يمكنها أيضا أن تلبى احتياجاتها.

التحفيز للمشاركة في عمليات التنمية: حيث تمثل التنمية بكافة أبعادها أحد الدوافع الأساسية لإنشاء الإذاعات المحلية من أجل تفعيل المشاركة في التنمية، وقد أدركت دول عديدة أن أفضل أساليب الإعلام لتحقيق مشاركة فعالة من جانب الجماهير في خطط وبرامج التنمية هو الوصول إلى هذه الجماهير في بيئاتهم المحلية.

ومن خلال الإذاعة المحلية يمكن:

- التعرف على الاحتياجات المحلية والعمل على تعريف الناس بها.
- تكيف البرامج المذاعة بحيث تتفق مع ردود الفعل المحلية.
- تحقيق التكامل بين أنشطة المجتمع المحلي والإعلام الرياضي، فهو يقوي العمل الميداني المضمون الإذاعي وتضفي الإذاعة شرعية على العمل الميداني.
- تفسير الأمور المحلية للجمهور وتشجيع أفراد الجمهور على التعبير عن أنفسهم حول مستقبلهم ومجتمعهم.
- المحافظة على الثقافة المحلية وتطويرها.

وهكذا يصبح هذا نوع من الإذاعات مطلب ضروري لكافة الدول المتقدمة منها والسائرة في طريق النمو وإن اختلفت الأسباب وتعددت فيما بينها، يبقى المطلب ملحا في توظيف وسائل الإعلام والاتصال في بناء اقتصاد وطني وتحقيق تنميته.

المطلب الثالث: دور الإذاعة في التنمية المحلية.

إن تنمية المجتمع المحلي تنطلق من إتباع الأساليب الحديثة في التطرق للقضايا والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية وكل القضايا والمشكلات التي لها علاقة بالمجتمع كما تقوم الإذاعة في المساهمة في ذلك لإحداث نضج حضاري نابع من تنمية العوامل الاجتماعية والثقافية، من خلال إثارة أفراد المجتمع وتوعيتهم للجوانب التي ترفع من قدرتهم على مواجهة المشكلات المختلفة وخاصة ما صار منها يشكل خطر اجتماعي على تماسك ووحدة المجتمع بما يثيره ويتسبب فيه من زعزعة للاستقرار مباشرة، أو بشكل غير مباشر ب بروز مشاكل ناشئة وعلل اجتماعية أخرى. ودور الإذاعة الفعال لا يمكن أن ينطلق من فراغ، فالتنمية الاجتماعية للمجتمع المحلي تتطلب تصميم برامج لها خصوصياتها التي تنطلق وتستمد مضامينها الاجتماعية والثقافية والتربوية من واقع المتطلبات المحلية، بناء على دراسات ميدانية.³⁸

ولاستشارة دوافع التغيير بأسلوب مدروس، والمساهمة في هذا التغيير بتنمية الأفكار الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي من خلال تنميتها يمكن إحداث

التغيير الإيجابي الذي يخدم المجتمع المحلي كجزء من المجتمع الكلي الوطني، كما تشكل الإذاعة كغيرها من وسائل الإعلام في العصر الحديث عامل تنمية وسببا من أسباب إسهام المواطن في المجتمع بشكل نشط وعنصرا متزايد الأهمية من عناصر الثقافة.³⁹

كما تساعد الإذاعة في توسيع أفق المواطن وترقيته بالأفكار السليمة المستمدة من المبادئ النابعة من المصادر الأساسية لتنمية الفرد والمجتمع، زيادة على ذلك جمع شمل المجتمع وتقوية رباط تماسكهم ورفع درجة الإحساس لديهم الذي يعزز مشاركتهم وتعاونهم في إيجاد الحلول للمشاكل التي يعانون منها أو تمسهم وذلك من خلال مساهمتها في طرح القضايا الاجتماعية على الخبراء والمختصين.

ويمكننا أن نوجز أهمية الإذاعة المحلية في إحداث التنمية فيما يلي:

-تشجيع المشاركة في التطور الاجتماعي.

-تكثيف تبادل المعلومات داخل المجتمع.

-التعبير عن الثقافة المحلية.

-تطوير وتنمية المجتمع من خلال البرامج الإذاعية.

-الوصول إلى المعلومات باللغات المحلية.

الخاتمة:

من خلال ما سبق وختاماً لذلك يتضح لنا الدور الفعال والحيوي الذي تلعبه الإذاعة في تحقيق التنمية المحلية. باعتبار الإذاعة المحلية من أهم الوسائل الإعلام المحلية التي تساهم في عملية التنمية وذلك عن طريق التخطيط للأنشطة والبرامج المتعددة المجالات التي تخدم المجتمع وتنمي معارفه، ناهيك عن توعيته وإرشاده، كما تعد التنمية المحلية الركيزة الأساسية في تحقيق التنمية الشاملة، وذلك بالاهتمام بشرائح المجتمع وفئاته، ولا يتم ذلك إلا من خلال الإعلام الذي يساهم بشكل كبير في إحداث التغيير والتطور الاجتماعي عبر مراحل النمو.

وتكمن أهمية التجربة الجزائرية في ميدان الإعلام المحلي من خلال الإذاعات المحلية المنتشرة في ربوع الوطن والتي أبرزت دورها في تقوية الاتصال بين مختلف الفواعل المحلية من خلال المساهمة في المحافظة على التماسك الوطني وبالتالي تحقيق التنمية المحلية بفضل الإعلام المحترف والحديث والمدعم بتجهيزات متطورة عالية الجودة وبرنامج فعالة ومدروسة وهادفة قادرة على عصنة الإذاعة.

الهوامش:

1. ينظر: أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتب بيروت-لبنان، دس، ص:210.
2. ينظر: إسماعيل سليمان أبو جلال، الإذاعة ودورها في الوعي الأمني، ط1، دار سامية للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص:95

3. ينظر هناء حافظ بدوي وسائل الاتصال في الخدمة الاجتماعية والمجتمعات النامية
الإسكندرية، المكتب الجامعي، 2001، ص: 129.
4. طه عبد العاطي نجم، الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية،
الإسكندرية، 2009، ص: 21.
5. سلوى عبد الله عبد الجواد وأمل محمد سلامة غباري، الاتصال الاجتماعي في الخدمة
الاجتماعية بين النظرية والتطبيق، ط1، دارالوفاء، الإسكندرية، 2012، ص: 174.
6. مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر ط1، دمشق، 1991، ص: 45.
7. طاهري لخضر، واقع الإذاعة المحلية ومعالجتها المشكلات الاجتماعية-إذاعة الخلفة المحلية
نموذجاً-، (رسالة الماجستير)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2012/2011 جامعة
بسكرة، ص: 52 بتصرف
8. طاهري لخضر المرجع السابق، ص: 52.
9. نبيل راغب العمل الصحفي، الطبعة الأولى، مصر، دارنوبار للطباعة، 1999، ص: 342.
10. تسعد يتقدوار، أثر تكنولوجيا الاتصال على الإذاعة وجمهورها-دراسة مسحية في
الاستخدامات والإشباع لدى الشباب، (رسالة الماجستير)، كلية العلوم
السياسية، 2011/2010، جامعة الجزائر 3، ص: 108.
11. ماجي الحلواني حسين مقدمة في الفنون لإذاعية والسمعي بصرية مركز جامعة القاهرة،
القاهرة، 1999، ص: 11.
12. ينظر: فضيل دليو، مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية ديوان مطبوعات الجامعية،
الجزائر، 1998، ص: 135.
13. ينظر: جمال العيفة مؤسسات الإعلام والاتصال: الوظائف الهياكل الأدوار ديوان المطبوعات
الجامعية، 2010، ص: 108.
14. عاطف العبد عدلي، ماجي الحلواني الأنظمة الإذاعية في الدول العربية دار الفكر العربي،
القاهرة، 1987، ص: 202.

15. 15 خليل صابات جمال عبد العظيم، وسائل الاتصال وتطورها مكتبلاً بحل المصيرية، ط9: القاهرة، 2001، ص: 438.
16. 16 زهير إحدادن، تاريخ الإذاعة والتلفزة ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 110.
17. 17 نور الدين تواتي، الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية في الجزائر دارالخلد ونية، ط2، 2009، ص: 103.
18. 18 زهير إحدادن، المرجع السابق، ص: 109.
19. 19 نور الدين تواتي، المرجع السابق، ص: 148.
20. 20 نور الدين تواتي، المرجع السابق، ص: 148.
21. 21 نور الدين تواتي، الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية في الجزائر، ص: 149.
22. 22 المرجع نفسه، ص: 153.
23. 23 نور الدين تواتي، المرجع السابق، ص: 150-151.
24. 24 زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، ص: 107.
25. 25 ينظر: وكادينسي مهوريدية بداع، الإذاعة ودورها في التنمية المحلية-الإذاعة المحلية لورقة نموذجاً- (مذكرة الليسانس) كلية العلوم السياسية، جامعة ورقلة، 2012/2013، ص: 48.
26. 26 أكادي نسيمهوريدية بداع، المرجع السابق، ص: 49.
27. 27 تسعديتقدورا، أثر تكنولوجيات الاتصال على الإذاعة وجمهورها: 110
28. 28 عزيز لعبان، مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال التعريف بوسائل الاتصال الجماهيرية، الوسيط في الدراسات الإعلامية، ج3، 2003، الجزائر دار هومة للنشر والتوزيع، ص: 33.
29. 29 نعيم الطاهر عبد الجابر تيم ووسائل الاتصال لسياحي، ط1، الأردن دار البارود للنشر والتوزيع، 2001، ص: 62.
30. 30 عزري عبد الرحمن وآخرون عاملات الاتصال ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص: 13.

31. أكادينسي مهوربدي بديع الإذاعة ودورها في التنمية المحلية-الإذاعة المحلية لورقة. نموذجاً. -، ص:67.
32. ينظر: طارق الشاوي، الإعلام الإذاعي، ط2، عمان، دار أسامة، 2010، ص:170.
33. ينظر: يوسف مرزوق الإذاعة الإقليمية وتحقيق أهداف التنمية، ط1، دارالكتاب، مصر، 1980، ص40.
34. عبد المجيد شكري الإذاعة المحلية لغة العصر المركز الجامعي للطباعة دار الفكر العربي، القاهرة، 1987، ص:13-14.
35. منى سعيد الحديدي، الإعلام والمجتمع، ط1، الدار المصرية اللبنانية، 2004، ص55.
36. عبد الله الطوير في، صحافة المجتمع سيولوجيا الإعلام في مجتمعات الجماهير، ط1، مكتبة الكعبان، الرياض، 1997، ص:125-126.
37. سويفات لبنى، الإعلام المحلي وأبعاده التنموية في المجتمع-دراسة وصفية تحليلية للخطاب الإعلامي-إذاعة وقلة الجهوية نموذجاً، (رسالة الماجستير)، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2010/2011، ص:87.
38. سمير محمد حسن الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، عالمالكتب، القاهرة، 1993، ص:231-232.
39. ينظر: طاهر يلخضر واقع الإذاعة المحلية ومعالجتها المشكلات الاجتماعية، ص:117 (بتصرف).

University of chahid hamma lakhdar. El-oued. Algeria
Faculty of social and human sciences



JOURNAL OF EL MAAREF

For researches and historical studies

Periodical and international refereed journal

